١٧٤٥

معالم التنزيل

٢١٢ / ب٥ م

معالم التنزيل، تأليف البغوى: الحسين بن مسعود -٥١٠هـ. بخط طورحسن بن حاجي عواض في القرن الحادي عشر الهجري تقديرا.

١٧٤٥ ج١ (٢٦٩ق) ٢٥س ٢٧،٨×١٧ سم

نسخة حسنة، خطها نستعليق، بها أثار رطوبة طبع.

الازهرية ١: ٢٩٧، كشف الظنون ٢: ١٧٢٦

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف.
ب- تاريخ النسخ.

٢٦٩ ق

٢٧,٥ × ١٨ سم

مكتبة [illegible] – قسم المخطوطات

اسم الكتاب: معالم التنزيل — الرقم: ١٧٤٥

اسم المؤلف: الحسين بن مسعود بن محمد ابن الفراء البغوي ت. ٥١٦ هـ.

تاريخ النسخ: القرن الثاني عشر هـ

عدد الأوراق: ٢٦٩ ق • ٢٧,٥ × ١٨ سم

ملاحظات: تفسير — ٢٦٩ ق

١٣ ب

ما انت بالحكم الترضى
ولا الرأي ولا ذي الرأي

شهدت شهادة لا أشك فيها بأن الله ليس له شبيه
وأن محمد عبد رسول الى الثقلين ارسله المليك

معالم التنزيل
للإمام البغوي

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها تقلب الدهر من حال إلى حال

لبعض العارفين

دع ما سماعك هذا من ذا ذاك واكسر اوانيك واخرج منك عن اناك
وكن بلاك واياك السوى اناك اذا اراد لك لما يختار هناك

لي في محبتكم شهود اربع وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي وارتعاش مفاصلي جريان دمعي واعتقال لساني

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
الى سلطان

معالم التنزيل
البغوي

الجلد الاول من معالم التنزيل للنسفي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ... جل السيد محيي السنة ناصر الحديث مفتي الشرق
رضي الله عنه وعن والديه الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والعزة والبقاء والرفعة والعلاء
والمجد والسناء تعالى عن الانداد والشركاء وتقدس عن الامثال والنظراء والصلوة
على نبيه وصفيه خاتم الانبياء وامام الاتقياء عدد ذرات الثرى ونجوم السماء والحمد لله
الملك السلام المهيمن العلام شارع الاحكام ذي الجلال والاكرام الذي اكرمنا بدين
الاسلام ومن علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام وانعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال
والحرام والصلوة على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيد الانام عدد ساعات الليالي والايام
وعلى آله واصحابه نجوم الظلام وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام اما بعد
فان الله جل ذكره ارسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين
ونذيرا للمخالفين فاكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق
ومحاسن الافعال وانزل عليه بفضله نورا هدى به من الضلالة وانقذ به من
الجهالة حكم بالفلاح لمن تبعه وبالخسار لمن اعرض عنه بعد ما سمعه اعجز
الخليقة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على
الخلق مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر
وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وقص عن احوال الماضين ليعتبر وضرب
فيه الامثال ليتدبر ودل على آيات التوحيد ليتفكر ولا حصول لهذه المقاصد
منه الا بدراية تفسيره واعرابه ومعرفة اسباب نزوله واحكامه والوقوف
على ناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه ثم هو كلام معجز وبحر عميق لا نهاية
لاسرار علومه ولا ادراك لحقائق معانيه وقد الف ائمة السلف في انواع
علومه كتبا كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف فشكر الله تعالى سعيهم ورحم
كافتهم فسألني جماعة من اصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين كتابا في معالم التنزيل
وتفسيره فاجبتهم اليه معتمدا على فضل الله وتيسيره وممتثلا وصية رسول الله صلى

الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه ابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال ان رجالا ياتونكم من
اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتداء بالماضين
من السلف في تدوين العلم ابقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل
زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد تنبيها للمتوقفين
وتحريضا للمتثبطين فجمعت بعون الله وحسن توفيقه فيما سألوا كتابا وسطا بين الطويل
الممل والقصير المخل ارجو ان يكون مفيدا لمن اقبل على تحصيله مريدا وما نقلت فيه من
التفسير عن عبد الله بن عباس حبر هذه الامة ومن بعده من التابعين وائمة السلف مثل
مجاهد وعكرمة وعطاء بن ابي رباح والحسن البصري وقتادة وابي العالية ومحمد بن
كعب القرظي وزيد بن اسلم والكلبي والضحاك ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان
والسدي وغيرهم فاكثرها مما اخبرنا به الشيخ ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي الخوا
رزمي فيما قرأته عليه عن الاستاذ ابي اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي عن
شيوخه اما تفسير عبد الله بن عباس ترجمان القرآن الذي قال فيه النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم علمه الكتاب وقال اللهم فقهه في الدين قال ابو اسحق انبأنا ابو محمد
عبد الله بن حامد اخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي نبا عثمان بن
سعيد الدارمي نبا عبد الله بن صالح ان معاوية بن صالح حدثه عن علي بن ابي طلحة
الوالبي عن عبد الله بن عباس وقال انبأنا ابو القسم الحسن بن محمد بن حبيب نبا عبد الله بن محمد
الثقفي نبا ابو جعفر محمد بن نفرويه الماذرائي نبا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن
بن عطية بن سعيد العوفي حدثنا عمي الحسين بن الحسن بن عطية حدثني ابي
عن جدي عطية عن ابن عباس وقال انبأنا ابو القسم الحسن بن محمد بن الحسن نبا
احمد بن ابراهيم الفريمي المروزي نبا ابو العباس احمد بن الخضر الصيرفي نبا
ابو داود سليمان بن معبد السنجي نبا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي
عن عكرمة عن ابن عباس واما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال انبأنا ابو محمد عبد
الله بن حامد الاصفهاني انبأنا ابو عبد الله محمد بن احمد بن بطة نبا عبد الله بن
محمد بن

زكريا بن سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي نبا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن ابي
نجيح عن مجاهد واما تفسير عطا بن ابي رباح قال انبا ابو القسم الحسن بن محمد بن
الحسن النيسابوري حدثنا ابو عبد الرحمن احمد بن بشر بن الطراح الطبري نبا
ابو محمد بكر بن سهل الدمياطي نبا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابي محمد موسى
بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطا بن ابي رباح واما تفسير الحسن
قال حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد بن عبد الله المكتب حدثنا ابي نبا ابو الحسن محمد بن
احمد بن الصلت المعروف بابن شنبوذ المقري نبا سعيد بن محمد المستهل بن واصل
عن ابي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن ابي الحسن البصري واما تفسير قتادة
قال انبا ابو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني انبا ابو علي حامد بن محمد
الهروي نبا ابو يعقوب اسحق بن الحسن بن ميمون الحربي نبا ابو احمد الحسين بن محمد
المروزي نبا شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال انبا ابو القسم الحبيبي
انبا ابو زكريا العنبري نبا جعفر بن محمد بن سوار نبا محمد بن رافع عن عبد
الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي واما تفسير ابي العالية واسمه
رفيع بن مهران قال حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر انبا ابو عمرو
احمد بن محمد بن ابي منصور العركي بسرخس نبا ابو الحسن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن
مزيد نبا ابو علي الحسن بن محمد بن موسى الازدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني
عن عبد الله بن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع بن انس عن ابي العالية الرياحي واما تفسير القرظي
قال حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد بن حبيب نبا ابو العباس محمد بن الحسن الهروي نبا رجا بن
عبد الله انبا مكي بن سليمن الهروي عن ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي واما تفسير زيد
بن اسلم قال انبا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب الي احمد بن كامل بن خلف ان محمد بن
جرير الطبري حدثهم قال نبا يونس بن عبد الاعلى الصدفي انبا عبد الله بن وهب
اخبرني عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه واما تفسير الكلبي فقد قرات بمرو على
الشيخ ابي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة اربع وستين واربعمائة

قال انبا ابو سعيد محمد بن احمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمس واربعمائة
انبا ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد بن معروف المرزفري نبا محمد بن علي الانصاري
المعتمري نبا علي بن اسحق وصالح بن محمد السمرقنديان قالا نبا محمد بن مروان السدي عن محمد
بن السائب الكلبي عن ابي صالح باذان مولى ام هاني عن ابن عباس واما تفسير الضحاك بن
مزاحم الهلالي قال الاستاذ ابو اسحق الثعلبي نبا ابو القسم الحسن بن محمد السدوسي نبا
ابو عمرو احمد بن محمد العركي بسرخس نبا جعفر بن محمد بن سوار نبا احمد بن حميد المروزي
نبا ابو معاذ عن عبيد بن سليمن الباهلي عن الضحاك واما تفسير مقاتل بن حيان
قال انبا عبد الله بن حامد الوزان قال نبا احمد بن محمد بن عبدوس نبا اسمعيل بن قتيبة
نبا ابو خالد يزيد بن صالح الفرا انبا بكير بن معروف السلمي البلخي الازدي
ابو معاذ عن مقاتل بن حيان واما تفسير مقاتل بن سليمن قال انبا ابو اسحق ابراهيم
بن محمد المهرجاني انبا ابو محمد عبد الخالق بن الحسين بن السقطي المعروف بابن ابي
روبة نبا عبد الله بن ثابت نبا يعقوب المقري ابو محمد قال حدثنا ابي قال حدثني الهذيل
ابن حبيب ابو صالح الدنداني عن مقاتل بن سليمن واما تفسير السدي قال نبا ابو القسم
الحسين بن محمد بن الحسن انبا ابو الطيب محمد بن عبد الله بن المبارك الشعيري نبا احمد بن
محمد بن نصر اللباد نبا عمرو بن طلحة القناد عن اسباط عن السدي وما نقلته عن المبتدا اسم كتاب
لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحق فاخبرنيه ابو سعيد الشريحي قال انبا احمد بن
محمد بن ابراهيم الثعلبي قال انبا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق الاز
هري قال نبا ابو محمد الحسن بن محمد بن اسحق بن الازهري انبا ابو الحسن محمد بن احمد بن
البرا العبدي قال قرات على ابي عبد الله عبد المنعم بن ادريس عن ابيه عن وهب بن منبه
واخبرنا ابو سعيد الشريحي انبا ابو اسحق الثعلبي انبا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ
انبا ابو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي نبا احمد بن عبد الجبار العطاردي نبا يونس
بن بكير عن محمد بن اسحق بن يسار المدني واخبرنا ابو سعيد الشريحي انبا ابو اسحق الثعلبي انبا
محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن عقيل الانصاري انبا ابو الحسن علي بن الفضل الخزاعي نبا ابو شعيب

عبيد الله بن الحسن الحرّاني ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق فهذه اسانيد اكثر
ما نقلته عن هؤلاء الائمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذرًا من الاطالة وربما
حكيت عنهم او عن غيرهم من الصحابة والتابعين قولًا سمعته بغير هذه الاسانيد اذكر اسانيدها بعضها في
موضعه من الكتاب ان شاء الله عز وجل ثم ان الناس كما انهم متعبدون باتباع احكام القرآن وحفظ
حدوده فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الامام الذي اتفقت عليه
الصحابة وان لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة
والتابعين واتفقت الامة على اختيارهم وقد ذكرت في الكتاب قراءة من اشتهر منهم بالقراءة واختيارا
تهم على ما قرأته على الامام ابي نصر محمد بن احمد بن علي المقري المروزي رحمه الله تلاوة ورواية
قال قرأت على ابي القسم طاهر بن علي الصيرفي قال قرأت على ابي بكر احمد بن الحسين بن مهران
باسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية وهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع وابو عبد
الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان وابو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي وابو عمران عبد الله
بن عامر الشامي وابو عمرو زبان بن العلاء المازني وابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي البصريان
وابو بكر عاصم بن ابي النجود الاسدي وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات وابو الحسن علي بن حمزة
الكسائي الكوفيون فاما ابو جعفر فانه اخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وابي هريرة وغيرهما وهما
قرآ على ابي بن كعب واما نافع فانه قرأ على ابي جعفر القارئ وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج
وشيبة بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرؤوا على اصحاب النبي صلى الله عم وقال الاعرج
قرأت على ابي هريرة وقرأ هو على ابي بن كعب واما عبد الله بن كثير فانه قرأ على مجاهد بن جبر
وقرأ مجاهد على ابن عباس وقرأ ابن عباس على ابي بن كعب واما ابو عمرو فانه قرأ على مجاهد وسعيد
بن جبير وهما قرآ على ابن عباس وقرأ ابن عباس على ابي بن كعب
وقرأ ابي بن كعب على رسول الله صلى الله عم واما عبد الله بن عامر فانه قرأ على
المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان واما عاصم فانه قرأ على ابي
عبد الرحمن السلمي وقرأ ابو عبد الرحمن على علي بن ابي طالب قال عاصم فكنت ارجع من عند
ابي عبد الرحمن فاقرأ على زر بن حبيش وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود واما حمزة

فانه قرأ على عبد الرحمن بن ابي ليلى وسليمان الاعمش وحمران بن اعين وغيرهم وقرأ
عبد الرحمن بن ابي ليلى على جماعة من اصحاب علي وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة من
اصحاب عبد الله وقرأ حمران على ابي الاسود الدؤلي وقرأ ابو الاسود على عثمان وعلي واما
الكسائي فانه قرأ على حمزة واما يعقوب فانه قرأ على ابي المنذر سلام بن سليمان الخراساني وقرأ
سلام على عاصم فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها وما ذكرت من احاديث
رسول الله صلى الله عم في اثناء الكتاب على وفاق آية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من
السنة وعليهما مدار الشرع وامور الدين فهي من الكتب المسموعة من الحفاظ وائمة الحديث
واعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير فارجو ان يكون مباركا على من اراده وبالله
التوفيق ∴ فصل في فضائل القرآن وتعليمه اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي
انا ابو محمد عبد الرحمن بن ابي شريح انا ابو القسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي
ثنا علي بن الجعد انا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن ابي عبد
الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة فقلت عن النبي صلى الله عم قال نعم قال خيركم من تعلم القرآن
وعلمه صحيح وقال الحرث الاعور مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت
على علي فقلت يا امير المؤمنين الا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت
نعم قال اما اني قد سمعت رسول الله صلى الله عم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت فما المخرج منها يا رسول
الله قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل
من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو
الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا
يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم
خذها اليك يا اعور قال ابو عيسى هذا حديث لا نعرفه الا من هذا الوجه واسناده مجهول وفي الحديث
مقال وقال عقبة بن عامر سمعت النبي صلى الله عم يقول لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار قيل معناه
من علم القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيمة وعن عبد الله قال ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا

مأدبته

ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد
فاتلوه فان الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن
بالالف واللام والميم ورواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعا وعن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عامر بن واثلة ابي الطفيل ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على اهل الوادي قال استخلفت
عليهم ابن ابزى قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال عمر فاستخلفت عليهم مولى فقال
يا امير المؤمنين انه رجل قارئ للقرآن عالم بالفرائض قاض فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يرفع بالقرآن اقواما ويضع به آخرين صحيح وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب قال ابو عيسى هذا حديث صحيح
وعن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت مكان التوراة السبع الطوال واعطيت
مكان الانجيل المئين واعطيت مكان الزبور المثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت
العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافلة

فصل في فضائل تلاوة القرآن

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ومثل الذي
يقرؤه وهو عليه شاق له اجران صحيح وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الاسناد
الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة وعن ابي موسى الاشعري ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب و
ريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي
يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة
طعمها مر ولا ريح لها وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال يعني لصاحب القرآن
اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها قال ابو عيسى
هذا حديث حسن صحيح وعن ابي امامة انه حدثه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا
القرآن فانه يأتي شافعا لاصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما تأتيان يوم

القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرؤوا البقرة فان
اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة صحيح وعن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال كنت
جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول تعلموا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا
يستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان وانهما
تظلان صاحبهما يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف وان القرآن
يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني فيقول ما اعرفك
فيقول انا صاحبك القرآن الذي اظمأتك بالهواجر واسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته
وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى
والداه حلتين لا يقوم لهما اهل الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال لهما باخذ ولدكما القرآن ثم
يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان او ترتيلا غريب
وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن
قرأ آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايحب احدكم اذا
رجع الى اهله ان يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال فثلاث آيات يقرأ بهن احدكم
في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان صحيح وعن سهل هو ابن معاذ الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه البس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه احسن من ضوء الشمس
في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به وروي ان عمران بن حصين مر على رجل
يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران انا لله وانا اليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤون يسألون الناس به رواه ابو عيسى عن محمود بن
غيلان عن ابي احمد عن سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الحسن عن عمران بن حصين قال وقال محمد بن
اسمعيل هو خيثمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيثمة بن عبد الرحمن

فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال في القرآن
بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وعن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد
اخطأ

غريب وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني
اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال ابو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة قال ابن
قلت لا يتوجه ما معنى قول ابي الدرداء فجعل يفكر فقلت هو ان ترى له وجوها فتهاب الاقدام عليه فقال
هو ذاك قال شيخنا الامام رضي الله عنه انما الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذكر فيمن قال بغير نص شيئا
من غير علم فاما التأويل وهو صرف الآية الى معنى محتمل موافق لما قبلها وبعدها غير مخالف للكتاب
والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم واما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول الآية
وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل واصل التفسير من التفسرة وهي الدليل من الماء
الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها واشتقاق
التأويل من الأول وهو الرجوع يقال أولته فآل اي صرفته فانصرف وعن عبد الله بن مسعود عن النبي
عليه السلام انه قال ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع يروى لكل حرف حد
ولكل حد مطلع واختلفوا في تأويله فقيل الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام
انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير ان يفعل احد مثل ما فعلوا فيحل به ما
حل بهم وقيل معنى الظهر والبطن التلاوة والتفهم يقول لكل آية ظاهر وهو ان يقرأها كما انزلت
قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وباطن وهو التدبر والتفكر قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس والتفهم يكون بصدق النية
وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة وقوله ولكل حرف حد اراد له حد في التلاوة والتفسير لا يجاوز في التلاوة المصحف وفي
التفسير لا يجاوز المسموع وقوله لكل حد مطلع اي مصعد يصعد اليه من معرفة علمه ويقال المطلع الفهم
وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر من التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره وفوق كل ذي علم عليم

سورة فاتحة الكتاب

ولها ثلاثة اسماء معروفة فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني سميت فاتحة
الكتاب لانه بها افتتح القرآن وسميت ام القرآن وام الكتاب لانها اصل القرآن منها بدئ القرآن وام الشيء
اصله ويقال لمكة ام القرى لانها اصل البلاد دحيت الارض من تحتها وقيل لانها مقدمة وامام
لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة والسبع المثاني لانها
سبع آيات باتفاق العلماء وسميت مثاني لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقال مجاهد

سميت مثاني لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فذخرها لهم وهي مكية على قول الاكثرين وقال
مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والاول اصح انها مكية
لان الله تعالى من على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والمراد بها فاتحة الكتاب وسورة
الحجر مكية فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها بسم الله الرحمن الرحيم قوله بسم الله الباء
اداة تخفض ما بعدها مثل من وعن والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله
وقل بسم الله واسقطت الالف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها وطولت الباء قال القتيبي
ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم كان عمر بن عبد العزيز يقول لكتابه طولوا الباء واظهروا السين
وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طول الالف
على الباء ليكون دالا على سقوط الالف الا ترى انه لما كتبت الالف في اقرأ باسم ربك ردت الباء الى صيغتها
ولا تحذف الالف اذا اضيف الاسم الى غير الله ولا مع غير الباء والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى اخبر ان اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال ما تعبدون من دونه الا
اسماء سميتموها واراد الاشخاص المعبودة لانهم كانوا يعبدون المسميات وقال سبح اسم ربك
ثم يقال للتسمية ايضا اسم واستعماله في التسمية اكثر من المسمى واختلفوا في اشتقاقه قال المبرد من
البصريين هو مشتق من السمو وهو العلو فكأنه علا على معناه وظهر عليه وصار معناه تحته وقال
ثعلب من الكوفيين هو من الوسم والسمة وهي العلامة فكأنه علامة لمعناه والاول اصح لانه يصغر
على السمي ولو كان من السمة لكان يصغر على الوسيم كما يقال في الوعد وعيد ويقال في تصريفه
سميت ولو كان من الوسم لقيل وسمت قوله الله قال الخليل وجماعة هو اسم علم خاص
لله عز وجل لا اشتقاق له كاسماء الاعلام للعباد مثل زيد وعمرو وقال جماعة هو مشتق ثم
اختلفوا في اشتقاقه فقيل من اله الاهة اي عبد عبادة وقرأ ابن عباس ويذرك والاهتك
اي عبادتك معناه انه المستحق للعبادة دون غيره وقيل اصله اله قال الله تعالى وما كان معه من اله اذا
لذهب كل اله بما خلق قال المبرد هو من قول العرب الهت الى فلان اي سكنت اليه قال الشاعر
الهت اليها والحوادث جمة فكأن الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره ويقال الهت اليه
اي فزعت اليه قال الشاعر الهت اليها والركائب وقف وقيل اصله ولاه فابدلت الواو

بالهمزة مثل بر وشاح وإشاح واشتقاقه من الوله لأن العباد يولهون إليه أي يفزعون

إليه في الشدائد ويلجأون في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه وقيل هو من الوله وهو ذهاب

العقل لفقد من يعز عليك قوله الرحمن الرحيم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما

أرق من الآخر واختلفوا فيهما منهم من قال هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناه ذو

الرحمة ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين قال المبرد هو إنعام بعد إنعام وتفضيل بعد

تفضيل ومنهم من فرق بينهما فقال الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق

في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على

الخصوص ولذلك قيل في الدعاء يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق

على العموم والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحيما ولا يدعى رحمانا

فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ والرحيم عام اللفظ خاص المعنى والرحمة إرادة الله الخير لأهله وقيل هي ترك

عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق فهي على الأول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل واختلفوا

في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب ولا من

غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها

من الفاتحة وليست من سائر السور وإنما كتبت للفصل وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة

إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات فالآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وابتداء

الآية الأخيرة صراط الذين ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها الحمد لله رب العالمين وابتداء الآية

الأخيرة غير المغضوب عليهم واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن

بما روي عن ابن جريج قال أخبرني أبي عن سعيد بن جبير ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم هي

أم القرآن قال أبي وقرأها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال

سعيد وقرأها علي ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال ابن عباس فذ

خرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما روي عن أنس بن مالك أنه قال قمت

وراء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتح

الصلوة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله صلعم لا يعرف ختم السورة حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم

وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وقال الشعبي كان رسول

الله صلعم يكتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها فكتب

بسم الله حتى نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت إنه من سليمان

وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب مثلها قوله الحمد لله لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه

تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة

يقال حمدت فلانا على ما أسدى إلي من النعمة وحمدته على علمه وشجاعته والشكر لا يكون إلا على النعمة فالحمد أعم

من الشكر إذ لا يقال شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان

قولا والشكر بالأركان فعلا قال الله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقال اعملوا آل داود شكرا قوله

لله فاللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد قوله رب العالمين الرحمن الرحيم فالرب يكون

بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار رب الدار ويقال رب الشيء إذا ملكه ويكون بمعنى التربية

والإصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها إذا أتمها وأصلحها فهو رب مثل طب وبر فالله تعالى مالك

العالمين ومربيهم ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفا إنما يقال رب كذا مضافا لأن الألف واللام

للتعميم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس هم الجن

والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب قال الله عز وجل ليكون للعالمين نذيرا وقال قتادة ومجاهد والحسن

جميع المخلوقين قال الله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما واشتقاقه

من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة هم أربع أمم الملائكة والإنس والجن

والشياطين مشتق من العلم ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب

لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال مقاتل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البحر وأربعون

ألفا في البر وقال وهب ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء

وقال كعب الأحبار لا يحصي عدد العالمين أحد إلا الله قال الله عز وجل وما يعلم جنود ربك إلا هو قوله ملك

يوم الدين قرأ عاصم والكسائي ويعقوب مالك وقرأ الآخرون ملك فقال قوم معناهما واحد مثل

فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها وقيل المالك والملك

هو اقتداره على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه غير الله قال أبو عبيدة مالك
أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الأشياء ولأنه لا يكون مالكا
لشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه وقال قوم ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك
ملكا ولأنه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس ملك الناس قال
ابن عباس ومقاتل والسدي ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب قال مجاهد الدين الحساب قال الله
تعالى ذلك الدين القيم أي الحساب المستقيم وقال قتادة الدين الجزاء ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعا يقال
كما تدين تدان قال محمد بن كعب القرظي ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين وقال يمان بن رباب الدين
القهر يقال دنته فدان أي قهرته فذل وقيل الدين الطاعة أي يوم الطاعة وإنما خص يوم الدين
بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له قال الله تعالى الملك
يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال والأمر يومئذ لله قرأ أبو عمرو الرحيم
ملك بإدغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان
الحرف ساكنا أو متحركا إلا أن يكون الحرف الأول مشددا أو منونا أو منقوصا أو تاء الخطاب أو مفتوحا
قبله ساكن في غير المثلين فإنه لا يدغمهما وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير ووافقه حمزة في إدغام
المتحرك في قوله بيت طائفة والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات
ذروا أدغم التاء فيما بعدها من الحروف ووافقه حمزة والكسائي في إدغام الصغير وهو إدغام الساكن
في المتحرك إلا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة الدال عند السين والصاد والزاي
ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة **قوله إياك** إيا كلمة ضمير خصت
بالإضافة إلى المضمر ويستعمل مقدما على الفعل فيقال إياك أعني وإياك أسأل ولا يستعمل مؤخرا
إلا منفصلا فيقال ما عنيت إلا إياك **قوله نعبد** أي نوحدك ونطيعك خاضعين والعبادة
الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده يقال طريق معبد أي مذلل وإياك
نستعين نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فإن قيل لم قدم ذكر العبادة على الا
ستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة قيل هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله
نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال الاستعانة نوع تعبد

ها لأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها **اهدنا الصراط المستقيم** اهدنا
أرشدنا وقال علي وأبي بن كعب ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود إليك أي دم على ما أنت
عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية
لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة الصراط وسراط بالسين
رواه رويس عن يعقوب وهو الأصل سمي سراطا لأنه يسترط السابلة ويقرأ
بالزاي وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة
المصحف والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر هو الإسلام وهو قول مقاتل وقال
ابن مسعود هو القرآن وروي عن علي مرفوعا الصراط المستقيم كتاب الله وقال سعيد بن
جبير طريق الجنة قال سهل بن عبد الله طريق السنة والجماعة قال بكر بن عبد الله المزني طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصله في اللغة الطريق الواضح **صراط الذين أنعمت عليهم** أي مننت عليهم بالهداية
والتوفيق قال عكرمة مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام
وقيل هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم الآية وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى عليهم السلام قبل أن غيروا دينهم وقال
أبو العالية هم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وقال شهر بن حوشب هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرأ حمزة عليهم وإليهم ولديهم بضم الهاء ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعا إلا
قوله بين أيديهن وأرجلهن والآخرون بكسرها فمن ضم الهاء ردها إلى الأصل لأنها مضمومة عند
الانفراد ومن كسر فلأجل الياء الساكنة والياء أخت الكسرة وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع
مشبعا في الوصل إذا لم يلقها ساكن فإن لقيها ساكن فلا يشبع ونافع يخير ويضم ورش عند ألف
القطع وإذا تلقته ألف وصل وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة فضم الهاء والميم حمزة والكسائي
وكسرهما أبو عمرو وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله والآخرون بضم الميم وكسر الهاء لأجل الياء أو لكسر ما قبلها
وضم الميم على الأصل **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب
هو إرادة الانتقام من العصاة وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين
ولا الضالين أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة يقال ضل الماء
في اللبن إذا هلك وغاب وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف كما يقال فلان غير محسن
ولا مجمل فإذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا ولا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد

وقرأ عمر بن الخطاب رضي صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل المغضوب
عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب
عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وقال سهل بن عبد الله غير
المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والسنة للقارئ ان يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين
مفصولا عن الفاتحة بسكتة وهو مخفف ويجوز ممدودا ومقصورا ومعناه اللهم اسمع واستجب وقال ابن
عباس وقتادة معناه كذلك يكون وقال مجاهد هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو طابع الدعاء وقيل هو خاتم الله على
عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه وعن ابي هريرة ان النبي عم
قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول
آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه صحيح فصل في فضائل فاتحة الكتاب
روى عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلعم على ابي بن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال تعال يا ابي
فعجل ابي في صلوته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك اليس الله
عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم قال ابي لا جرم يا رسول الله لا تدعوني
الا اجبتك وان كنت مصليا قال اتحب ان اعلمك سورة لم تنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور
ولا في الفرقان مثلها فقال ابي نعم يا رسول الله قال لا تخرج من باب المسجد حتى تعلمها والنبي صلعم يمشي
يريد ان يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له ابي السورة يا رسول الله فوقف فقال نعم كيف تقرأ
في صلوتك فقرأ ابي ام القرآن فقال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ما انزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الز
بور ولا في الفرقان مثلها وانها السبع من المثاني التي آتانيه الله عز وجل حديث حسن صحيح وعن ابن
عباس قال بينا رسول الله صلعم عنده جبرائيل اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبرائيل بصره الى السماء فقال
هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبي عم فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم
يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها الا اعطيته صحيح وعن العلاء
بن عبد الرحمن انه سمع ابا السائب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله
صلعم من صلى صلوة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا
ابا هريرة اني احيانا اكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها يا فارسي في نفسك فاني سمعت
رسول الله صلعم يقول قال الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سأل قال رسول الله صلعم اقرؤا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد

الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد
اياك نعبد واياك نستعين هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل
صحيح سورة البقرة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم الم قال الشعبي وجماعة الم
وسائر حروف الهجاء في اوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن
بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضي
في كل كتاب سر وسر الله في القرآن اوائل السور وقال علي رض ان لكل كتاب صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجي قال داود بن ابي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود
ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها واسأل عما سوى ذلك وقال جماعة هي
معلومة المعاني فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص الكاف من كاف والهاء من
هاد والياء من حليم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل في المص انا الله الملك الصادق وقال
الربيع بن انس في الم الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال معنى الم انا الله اعلم ومعنى المص انا الله اعلم وافصل ومعنى الر
انا الله ارى ومعنى المر انا الله اعلم وارى وقال محمد بن كعب الالف آلاء الله واللام لطفه والميم
ملكه قال الزجاج وهذا احسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها كقولهم قلت لها قفي فقالت
قاف اي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي اسماء الله تعالى مقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا اسم
الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها
وقال قتادة هذه الحروف اسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد هي اسماء السور بيانه ان القائل
يقول اذا قال قرأت المص عرف السامع انه قرأ السورة التي افتتحت بالمص وروي عن ابن عباس
انها اقسام وقال الاخفش انما اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة
ومباني اسمائه الحسنى ذلك الكتاب اي هذا الكتاب وهو القرآن وقيل هذا فيه مضمر اي
هذا ذلك الكتاب قال الفراء كان الله قد وعد نبيه صلعم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق عن
كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك وقيل هذا ذكر الكتاب الذي وعدتك
ان انزله عليك في التورية والانجيل على لسان النبيين قبلك وهذا للتقريب وذلك للتبعيد وقال ابن
كيسان ان الله تعالى انزل قبل سورة البقرة سورا كذب بها المشركون ثم انزل سورة البقرة فقال ذلك

الكتاب يعني ما تقدم البقرة من السور ولا شك فيه والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق وهذا الدرهم ضرب فلان اي مضروبه واصل الكتب الضم والجمع يقال للجند كتيبة لاجتماعها كالكتاب
كتابا لانه جمع حرفا الى حرف **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو
خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اي لا ترفثوا ولا تفسقوا قرأ ابن كثير فيه
بالاشباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلا ما لم يلقها ساكن ثم ان كان الساكن
قبلها ياء يشبعها بالكسر ياء وان كان غيرها يشبعها بالضم واوا **هدى للمتقين** يدغم الغنة عند
اللام والراء ابو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي زاد حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند
الواو والاخرون لا يدغمونها ويخفي ابو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين هدى للمتقين
اي هو هدى اي رشد وبيان لاهل التقوى وقيل هو نصب على الحال اي هاديا تقديره لا ريب
في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الانسان للمتقين اي للمؤمنين قال ابن عباس المتقي
من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين شيئين ومنه
يقال اتقى بترسه اي جعله حاجزا بين نفسه وما يقصده وفي الحديث كان اذا احمر البأس اتقينا
برسول الله صلعم اي اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو وكان المتقي يجعل امتثال امر الله
والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار
حدثني عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت
وتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من احد وقال
عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله فما رزق بعد ذلك فهو
خير الى خير وقيل هو الاقتداء بالنبي صلعم وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية وقال شهر بن حوشب المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذرا لما به بأس
وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم او لانهم هم المنتفعون بالهدى **الذين يؤمنون**
موضع الذين خفض نعتا للمتقين يؤمنون يصدقون وحقيقة الايمان التصديق بالقلب قال
تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان فسمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لانه من شرائعه والاسلام هو الخضوع
والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذ لم يكن معه تصديق قال الله تعالى قالت
الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظا
هر

غير مصدق في الباطن ولا يكون مصدقا في الباطن غير منقاد في الظاهر وقد فضل جواب النبي صلعم
عنهما حين سأله جبرائيل عليه السلام وهو ما روي عن يحيى بن يعمر قال كان اول من تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد
الجهني فخرجت انا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلعم فسألناه
عما يقول هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والآخر عن شماله فعلمت انه
سيكل الكلام الي فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه
يزعمون ان لا قدر وان الامر انف قال فاذا لقيت اولئك فاخبرهم اني منهم بريء وانهم مني
براء والذي نفسي بيده لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئا
حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال حدثنا عمر بن الخطاب رض قال بينا نحن عند رسول الله
صلعم اذ اقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه
منا احد فاقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلعم وركبته تمس ركبته فقال يا محمد اخبرني عن
الاسلام فقال رسول الله صلعم تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي
الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من
سؤاله وتصديقه ثم قال فالايمان قال ان تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث
بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره قال صدقت ثم قال فالاحسان قال ان تعبد الله
كانك تراه ان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال اخبرني عن الساعة فقال ما المسؤل عنها
باعلم بها من السائل قال صدقت قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة
العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثلثة ايام
قال لي رسول الله صلعم يا عمر هل تدري من الرجل قال قلت الله ورسوله اعلم قال ذاك جبرئيل اتاكم يعلمكم
امر دينكم وما اتاني في صورة الا عرفته فيها الا في صورته هذه فالنبي صلعم جعل الاسلام في هذا
الحديث اسما لما ظهر من الاعمال والايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال ليست
من الايمان والتصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين
ولذلك قال ذاك جبرئيل اتاكم يعلمكم امر دينكم والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلعم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامان فسمي المؤمن مؤمنا

لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن العباد من عذابه بالغيب
مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب كما قيل للعادل عدل وللزائر زور والغيب ما كان
مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هاهنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك مثل الملا
ئكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هاهنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقال الحسن
بالآخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج بالوحي نظيره اعنده علم الغيب وقال ابن كيسان
بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد صلعم وما
سبقوا به فقال عبد الله ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن احد قط ايمانا
افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون قرأ ابو جعفر وابو عمرو وورش
يومنون بترك الهمزة وكذلك يترك ابو جعفر كل همزة ساكنة الا في انبئهم وينبئهم ونبئنا ويترك
نافع كلها الا ان يكون علامة للجزم نحو نبئهم وانبئهم وتسؤهم وان نشأ وننسأها ونحوها
او يكون خروجا من لغة الى اخرى نحو مؤصدة ورئيا ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء
الفعل الا تؤوي وتؤويه ولا يترك من عين الفعل الا الرؤيا وبابه او ما كان على وزن فعل
ويقيمون الصلوة اي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها واركانها وهيئاتها
يقال قام بالامر واقام الامر اذا اتى به معطى حقوقه والمراد بها الصلوات الخمس وذكر
بلفظ الواحد كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
يعني الكتب والصلوة في اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفي الشريعة اسم
لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء وقيل في قوله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية ان الصلوة من الله في هذه الاية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
ومن المؤمنين الدعاء ومما رزقناهم اعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد
والعبد واصله في اللغة الحظ والنصيب ينفقون يتصدقون قال قتادة ينفقون في طاعة الله
وسبيله واصل الانفاق الاخراج عن اليد والملك ومنه نفاق السوق لانه يخرج فيه السلعة
والذين يؤمنون بما انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك من التورية والانجيل وساير الكتب المنزلة
على الانبياء عم ويترك ابو جعفر وابن كثير وقالون واهل البصرة كل مدة تقع بين كلمتين والآ
خرون يمدونها وهذه الاية في المؤمنين من اهل الكتاب وبالآخرة اي بالدار الآخرة سميت الدنيا

دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد فناء الدنيا هم يوقنون
يستيقنون انها كائنة من الايقان وهو العلم وقيل الايقان واليقين علم
عن استدلال ولذلك لا يسمى الله موقنا ولا علمه يقينا اذ ليس علمه عن استدلال اولئك اي اهل
هذه الصفة واولئك كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو هم والكاف للخطاب كما في حرف ذلك على هدى اي
رشد وبيان وبصيرة من ربهم واولئك هم المفلحون الناجون والفائزون فازوا بالجنة
ونجوا من النار ويكون الفلاح بمعنى البقاء اي باقون في النعيم المقيم واصل الفلاح القطع و
الشق ومنه سمي الزراع فلاحا لانه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فهم المقطوعون
بالخير في الدنيا والآخرة ان الذين كفروا يعني مشركي العرب قال الكلبي يعني اليهود والكفر
هو الجحود واصله من الستر ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمي الزراع كافرا
لانه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده والكفر على اربعة انحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر
عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود هو ان يعرف
الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو
ان يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر ابي طالب حيث يقول ولقد علمت بان دين محمد من
خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا واما كفر النفاق
وهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء في ان من لقي الله تعالى بوا
حد منها لا يغفر له سواء عليهم ءانذرتهم اانذرتهم خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام
مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
الهمزتين في ءانذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في اول الكلمة والآخرون يلينون الثانية ام
حرف عطف على الاستفهام لم حرف جزم لا يلي الا الفعل لان الجزم يختص بالافعال تنذرهم
لا يؤمنون وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم
الايمان فقال ختم الله طبع الله على قلوبهم فلا تعي خيرا ولا تفهمه وحقيقة الختم الاستيثاق
من الشيء كي لا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب قال اهل السنة اي حكم
على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي وقالت المعتزلة جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة
بها وعلى سمعهم اي على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به واراد على اسماعهم
كما قال على قلوبهم وانما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى ابصارهم غشاوة

هذا ابتداء كلام غشاوة اى غطاء فلا يرون الحق وقرأ ابو عمرو والكسائي ابصارهم بالامالة وكذا كل الف بعدها راء مجرورة في الاسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها ما يتكرر فيه الراء كالقرار ونحوه زاد الكسائي امالة جبارين والجوار والجار وبارئكم ومن انصاري ونسارع وبابه وكذلك يميل هؤلاء كل الف هي بمنزلة لام الفعل او كان علما للتانيث اذا كان قبلها راء فعلم التانيث مثل الكبرى والاخرى ولام الفعل مثل ترى وافترى يكسرون الراء فيهما ولهم عذاب عظيم اى في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب كل ما يعني الانسان ويشق عليه قال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش ومن الناس من يقول آمنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم حيث اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واعتقدوا خلافها واكثرهم من اليهود والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي كما قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقيل لظهوره من قولهم آنست اى ابصرت وقيل لانه يستانس به وباليوم الآخر اى بيوم القيامة قال الله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله اى يخالفون الله واصل الخدع في اللغة الاخفاء ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر والخدع من الله تعالى في قوله وهو خادعهم اى يظهر لهم ويعجل من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة وقيل اصل الخدع الفساد معناه يفسدون ما اظهروا من الايمان بما اضمروا من الكفر وقوله وهو خادعهم اى يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرهم اليه من عذاب الآخرة فان قيل ما معنى قوله يخادعون الله والمفاعلة للمشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة قيل قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقوله عافاك الله وعاقبت فلانا وطارقت النعل وقال الحسن معناه يخادعون رسول الله كما قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اى اولياء الله وقيل ذكر الله ههنا تحسين والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم والذين آمنوا اى ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين وما يخادعون قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو يخادعون كالحرف الاول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد وقرأ الباقون وما يخدعون على الاصل الا انفسهم لان وبال خداعهم راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى وما يشعرون

اى لا يعلمون انهم يخدعون انفسهم وان وبال خداعهم يعود اليهم في قلوبهم مرض شك ونفاق واصل المرض الضعف وسمي الشك في الدين مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن فزادهم الله مرضا لان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا باية ازدادوا كفرا ونفاقا وذلك معنى قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالامالة وزاد حمزة امالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق والآخرون لا يميلونها ولهم عذاب اليم مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكذبون ما المصدرية اى بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف اى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين واذا قيل قرأ الكسائي قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيء وسيئت بروم اوائلهن الضم ووافق ابن عامر في سيق وحيل وسيء وسيئت ووافق اهل المدينة في سيء وسيئت لان اصلها قول بضم القاف وكسر الواو مثل قتل وكذلك في اخواته فاشير الى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة وقرأ الباقون بكسر اوائلهن استثقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها الى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها لهم يعني المنافقين وقيل لليهود اى قال لهم المؤمنون لا تفسدوا في الارض بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل معناه لا تكفروا والكفر اشد فسادا في الدين قالوا انما نحن مصلحون يقولون هذا القول كذبا كقولهم آمنا وهم كاذبون الا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب انهم هم المفسدون انفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان ولكن لا يشعرون اى لا يعلمون انهم مفسدون لانهم يظنون ان الذي هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما اعد الله لهم من العذاب واذا قيل لهم اى للمنافقين وقيل لليهود آمنوا كما آمن الناس عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والانصار قالوا انؤمن كما آمن السفهاء اى الجهال فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انؤمن كما آمن السفهاء قيل انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك عنهم فرد الله عليهم فقال الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون انهم كذلك والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم ثوب سفيه اى رقيق وقيل السفيه الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم قرأ اهل الكوفة والشام السفهاء الا بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين

وقعتا في كلمتين اتفقتا او اختلفتا والا خرون بتحقيق الاولى وتليين الثانية في المختلفتين طلبا
للخفة فان كانتا متفقتين مثل هؤلاء ان واوليا اولئك وجاء امر قرأ ابو عمرو والبزي
ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ ابو جعفر وورش والقواس ويعقوب بتحقيق الاولى وتليين الثانية
وقرأ قالون بتحقيق الثانية لان ما يستانف اولى بالهمزة مما يسكت عليه **واذا لقوا**
الذين آمنوا يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار **قالوا آمنا** كايمانكم **واذا خلوا**
رجعوا ويجوز ان يكون من الخلوة والى بمعنى الباء اي بشياطينهم وقيل الى بمعنى مع كما قال تعالى ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم **شياطينهم** اي رؤسائهم و كهنتهم قال ابن
عباس وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في
جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان
تابع له والشيطان المتمرد العاتي من الجن والانس ومن كل شيء واصله البعد يقال بئر شطون
اي بعيدة العمق سمي الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده من الخير وقال مجاهد الى اصحابهم
من المنافقين والمشركين **قالوا انا معكم** اي على دينكم **انما نحن مستهزئون** بمحمد واصحابه بالتظاهر
من الاسلام قرأ ابو جعفر مستهزون ويستهزون فمستهزون وقل استهزوا وليطفوا وليوا الخبر او سيتنبؤنك وخا
طين وما لئون ومتكين ومتكون وبسالون والمنشون بترك الهمز فيهن **الله يستهزئ بهم** اي
يجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزاء باسمه لانه في مقابلته كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
قال ابن عباس هو ان يفتح لهم باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وقيل
هو ان يضرب للمؤمنين نور يمشون به على الصراط فاذا وصل المنافقون اليه حيل بينهم وبين المؤمنين
كما قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية قال الحسن الله يظهر المؤمنين على نفاقهم
ويمدهم يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة الا ان المد اكثر ما يأتي
في الشر والامداد في الخير قال الله تعالى في الشر ونمد له من العذاب مدا وقال في الامداد وامددناكم باموال
وبنين **في طغيانهم** في ضلالتهم واصله مجاوزة الحد ومنه طغى الماء **يعمهون** اي يترددون في الضلالة
متحيرين **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اي استبدلوا الكفر بالايمان **فما ربحت
تجارتهم** اي ما ربحوا في تجارتهم اضاف الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها تقول العرب
ربح بيعك وخسرت صفقتك **وما كانوا مهتدين** من الضلالة وقيل مصيبين في تجارتهم
مثلهم شبههم وقيل صفتهم والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو

احد اقسام القرآن السبعة **كمثل الذي** يعني الذي بدليل سياق الآية نظيره والذي
جاء بالصدق وصدق به **استوقد** اوقد **نارا فلما اضاءت** النار **ما حوله** اي
حول المستوقد واضاء لازم ومتعد يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره وهو هاهنا متعد **ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك
والسدي نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة
فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا
فكذلك المنافقون باظهار كلمة الايمان امنوا على اموالهم واولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم
وقاسموا الغنائم فذلك نورهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
في القبر وقيل في القيامة حيث يقولون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقيل ذهاب نورهم
باظهار عقيدتهم على لسان النبي عم وضرب النار مثلا ثم لم يقل اطفأ الله نارهم لكن عبر بإذهاب
النور عنه لان النار نور وحرارة فيذهب نورهم ويبقى الحرارة عليهم وقال مجاهد
اضاءة النار اقبالهم الى المسلمين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى المشركين والضلالة وقال
عطاء ومحمد بن كعب نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلعم واستفتاحهم به على مشركي
العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله تعالى فقال **صم** اي هم صم عن الحق اي لا يقبلونه واذا
لم يقبلوا فكانهم لم يسمعوا **بكم** خرس عن الحق لا يقولونه او انهم لما ابطنوا خلاف ما اظهروا
فكانهم لم ينطقوا بالحق **عمي** اي لا ابصار لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له **فهم لا يرجعون**
عن الضلالة الى الحق **او كصيب** اي كاصحاب صيب فهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين
معناه ان شئت مثلتهم بالمستوقد وان شئت باهل الصيب وقيل او بمعنى الواو يريد
وكصيب كقوله تعالى او يزيدون يعني ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل
فهو صيب من صاب يصوب اي نزل **من السماء** اي من السحاب وقيل هي السماء بعينها
والسماء كل ما علاك فاظلك وهي من اسماء الاجناس يكون واحدا وجمعا **فيه** اي في الصيب
وقيل في السماء اي في السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء تذكر وتؤنث قال الله تعالى السماء منفطر به
وقال اذا السماء انفطرت **ظلمات** جمع ظلمة **ورعد** هو الصوت الذي يسمع من السحاب
وبرق هو النار التي تخرج منه قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق
السحاب والبرق لمعان سوطه من نار يزجر به السحاب الملك وقيل الصوت زجر السحاب

وقيل تسبيح الملك وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته
ايضا رعد والبرق لمع ملك يسوق السحاب وقال شهر بن حوشب الرعد ملك يزجي السحاب
فاذا تبددت ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار وهي الصواعق وقيل الرعد صوت انحناق
الريح بين السحاب والاول اصح ۞ يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق
جمع الصاعقة وهي الصيحة التي يموت من سمعها او يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة
الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على من يشاء روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان رسول
الله صلعم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك ۞ حذر الموت اي مخافة الهلاك ۞ والله محيط بالكافرين عالم بهم وقيل
جامعهم قال مجاهد يجمعهم فيعذبهم وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا و
يميل ابو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان اول كافر به ۞ يكاد البرق
اي يقرب يقال كاد يفعل اذا قرب ولم يفعل ۞ يخطف ابصارهم يختلسها والخطف استلاب
بسرعة ۞ كلما كل حرف جملة ضم الى ما الجزاء فصار اداة للتكرار ومعناها متى ما ۞ اضاء لهم
مشوا فيه ۞ واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا متحيرين فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم
بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان الساري لا يمكنه المشي
فيها ورعد من صفته ان يضم السامعون اصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يقرب
ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدة توقده فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنا
فقين معه فالمطر القرآن لانه حياة الجنان كالمطر حياة الابدان والظلمات ما في القرآن
من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى
والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب الى
الايمان عندهم كفر والكفر موت يكاد البرق يخطف ابصارهم اي القرآن يبهر قلوبهم
وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد
ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في آذانهم
يعني ان المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بهم
قريب جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لان الله من ورائهم يجمعهم فيعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الا
سلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم مشوا فيه يعني ان المنافقين

اذا اظهروا كلمة الايمان امنوا فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام
ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم يعني رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا اي وقفوا كما قال الله
تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف ۞ ولو شاء الله لذهب بسمعهم اي باسماعهم وابصارهم
الظاهرة كما ذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة وقيل لذهب بما استفادوا من العز والامان
الذي لهم بمنزلة السمع والبصر ۞ ان الله على كل شيء قدير قادر قرا ابن عامر وحمزة
شاء وجاء حيث كان بالامالة ۞ يا ايها الناس قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة
ويا ايها الذين آمنوا خطاب اهل المدينة وههنا عام الا من حيث انه لا يدخله الصغار والمجانين
اعبدوا وحدوا قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ۞ ربكم الذي خلقكم
والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق ۞ والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم
تتقون لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من
عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اي
ادعواه الى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه واجب ۞ الذي جعل لكم الارض فراشا
اي بساطا وقيل مناما وقيل وطاء اي ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والجعل ههنا بمعنى
الخلق ۞ والسماء بناء اي سقفا مرفوعا ۞ وانزل من السماء اي السحاب ماء يعني المطر ۞ فا
خرج به من الثمرات من انواع النبات ۞ رزقا لكم طعاما لكم وعلفا لدوابكم ۞ فلا تجعلوا
لله اندادا اي امثالا تعبدونهم كعبادة الله وقال ابو عبيدة الند الضد وهو من الاضداد
والله تعالى بريء من المثل والضد ۞ وانتم تعلمون انه واحد خالق لهذه الاشياء ۞ وان كنتم في ريب
اي في شك معناه واذ كنتم لان الله تعالى علم انهم شاكون ۞ مما نزلنا على عبدنا يعني القرآن ۞ فاتوا
امر تعجيز ۞ بسورة والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر من اسارت اي
افضلت حذفت الهمزة وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البناء لارتفاعه سميت
سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن
من مثله اي مثل القرآن ومن صلة كقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقيل
الهاء في مثله راجعة الى محمد صلعم يعني من مثل محمد امي لا يحسن الخط والكتابة قال محمود
ههنا من مثله دون سائر السور لان من للتبعيض وهذه السورة اول القرآن بعد الفاتحة
فاذ قيل من يعلم ان التحدي واقع على جميع سور القرآن ولو ذكر من في سائر السور لان التحدي

دوا اقرعوا علم بعض السور وادعوا شهداءكم الا استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون
الله وقال مجاهد ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه
فلما تحداهم عجزوا فقال فان لم تفعلوا فيما مضى ولن تفعلوا ابدا فيما بقى وانما قال ذلك
لبيان الاعجاز فان القران كان معجزة النبي صلعم حيث عجزوا عن الاتيان بمثله فاتقوا النار اى فامنوا
واتقوا بالايمان النار التي وقودها الناس والحجارة قال ابن عباس واكثر المفسرين يعني
حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وهو دليل على عظم تلك النار وقيل اراد بها الاصنام
لان اكثر اصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
اعدت هيئت للكافرين وبشر الذين امنوا اخبر والبشارة كل خبر صدق يتغير به
بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير اغلب وعملوا الصالحات اى الفعلات
الصالحات يعني المؤمنين من اهل الطاعة قال عثمان بن عفان رض وعملوا الصالحات
اى اخلصوا الاعمال كما قال فليعمل عملا صالحا اى خالصا عن الريا قال معاذ العمل الصالح
الذي فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص ان لهم جنات جمع جنة
والجنة البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت بها لاجتنانها وتسترها بالاشجار وقال
الفرا الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم تجري من تحتها الانهار اى من تحت
اشجارها ومساكنها الانهار اى المياه في الانهار لان النهر لا يجري وقيل من تحتها اى بامرهم
كقوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي اى بامري والانهار جمع نهر سمي
به لسعته وضيائه ومنه النهار وفي الحديث انهار الجنة تجري في غير اخدود كلما
رزقوا اطعموا منها اى من الجنة من ثمرة ومن صلة رزقا طعاما قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل وقبل رفع على الغاية قال الله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قيل من
قبل في الدنيا وقيل الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى
ظنوا انها الاولى واتوا به بالرزق متشابها قال ابن عباس ومجاهد والربيع متشابها في
الالوان مختلفا في الطعوم وقال الحسن وقتادة متشابها اى يشبه بعضها بعضا في الجودة اى كلها
خيار لا رذالة فيها وقال محمد بن كعب يشبه ثمر الدنيا غير انها اطيب وقيل متشابها في الاسم
مختلفا في الطعم قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسامي وعن جابر قال قال رسول
الله صلعم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون

يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون النفس طعامهم جشاء ورشحهم المسك ولهم فيها اى في
الجنات ازواج نساء وجواري يعني من حور العين مطهرة من الغائط والبول والحيض
والنفاس والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قذر قال ابراهيم النخعي في الجنة جماع ما شئت
ولا ولد وقال الحسن هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل مطهرة
من مساوي الاخلاق وهم فيها خالدون دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون
ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم ستون ذراعا في السماء وعن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلعم اول زمرة يدخلون الجنة يوم القيمة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر والزمرة
الثانية على لون احسن الكوكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى
مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها وعن انس قال قال رسول الله صلعم لو ان امراة من
نساء الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها
خير من الدنيا وما فيها وعن سليمان بن موسى قال حدثني كريب انه سمع اسامة بن زيد يقول قال
رسول الله صلعم الا هل من مشمر للجنة وان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام
في ابد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن
المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله وروي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلعم اهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم وعن علي قال ان في
الجنة لسوقا ليس فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة
دخلها وان فيها لمجتمع الحور العين ينادين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها نحن الخالدات فلا
نبيد ابدا ونحن الناعمات فلا نباس ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا
وكنا له ورواه ابو عيسى عن هناد واحمد بن منيع عن ابي معاوية مرفوعا وقال هذا حديث
غريب وعن انس ان رسول الله صلعم قال ان في الجنة لسوقا ياتونها كل يوم جمعة فتهب ريح
الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا
حسنا

ثم وجمالا فيقول لهم اطلعوا علم والله لننظر اذ دم ثم يعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم
بعدنا حسنا وجمالا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب
نزول هذه الاية ان الله تعالى ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر
مثل هذه الاشياء فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي اي لا يترك ولا يمنعه الحياء ان يضرب مثلا شبها
ما بعوضة ما صلة اي مثلا بالبعوضة وبعوضة نصب بدل عن المثل والبعوض صغار البق
سميت بعوضة كانها بعض البق فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وقال ابو عبيدة اي فما دو
نها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك اي واجهل فاما الذين آمنوا بمحمد والقرآن
فيعلمون انه يعني المثل هو الحق الصدق من ربهم واما الذين كفروا يضل به كثيرا
من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادوا ضلالا ويهدي به اي بهذا المثل كثيرا من المؤمنين
فيصدقونه والاضلال هو الصرف عن الحق بالباطل وقيل هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا
هلك وما يضل به الا الفاسقين الكافرين واصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة
اذا خرجت من قشرها قال الله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج ثم وصفهم فقال الذين
ينقضون يعني ينقضون ويتركون واصل النقض الكسر عهد الله امر الله الذي عهد اليهم يوم
الميثاق بقوله الست بربكم قالوا بلى وقيل اراد به العهد الذي اخذه على النبيين وسائر الامم ان
يؤمنوا بمحمد صلعم في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وقيل اراد به العهد الذي عهد اليهم
في التورية ان يؤمنوا بمحمد صلعم ويبينوا نعته من بعد ميثاقه توكيده والميثاق العهد
المؤكد ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد وبجميع الرسل عليهم السلام
لانهم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون لا نفرق بين احد من رسله
وقيل اراد به الارحام ويفسدون في الارض بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلعم والقرآن اولئك هم الخاسرون المغبونون ثم قال لمشركي العرب على وجه
التعجب كيف تكفرون بالله بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال
وكنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فاحياكم في الارحام والدنيا ثم يميتكم عند
انقضاء آجالكم ثم يحييكم بالبعث ثم اليه ترجعون تردون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم قرأ

يعقوب ترجعون كل القرآن بفتح التاء والياء على تسمية الفاعل هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا لكي تعتبروا وتستدلوا وقيل لتنتفعوا ثم استوى الى السماء قال ابن عباس
واكثر مفسري السلف اي ارتفع الى السماء وقال ابن كيسان والفراء وجماعة النحويين اي
اقبل على خلق السماء وقيل قصد لانه خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السماء
فسويهن سبع سموات خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدوع وهو بكل شيء
عليم قرأ ابو جعفر وابو عمرو والكسائي وقالون وهو وهي بسكون الهاء اذا كان قبل الهاء
واو او فاء او لام زاد الكسائي وقالون ثم هو وقالون ان يمل هو واذ قال ربك اي وقال
ربك واذ زائدة وقيل معناه واذكر اذ قال ربك وكذلك كلما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا
سبيله واذا واذ حرفا توقيت الا ان اذ للماضي واذا للمستقبل وقد يوضع احدهما موضع الآ
خر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله واذ يمكر بك يريد واذ مكروا
واذا جاء اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى واذا جاء نصر الله
الفتح للملائكة جمع ملك واصله مالك من المألكة والألوكة والالوك وهي الرسالة فقلب
فقيل ملأك ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها الى اللام فقيل
ملك واراد بهم الملائكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملا
ئكة والجان واسكن الملائكة السماء واسكن الجان الارض فعبروا دهرا طويلا في الارض
ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان
الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رأسهم ابليس فكان رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما فهبطوا
الى الارض وطردوا الجان الى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله عنهم
العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة
في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا
لاني اكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده اني جاعل خالق في الارض خليفة
اي بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هاهنا
آدم سماه خليفة لانه خلف الجن اي جاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه خليفة الله
في ارضه لاقامة احكامه وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي
ويسفك الدماء بغير حق اي كما فعل بنو الجان فقاسوا بالشاهد على الغائب والا فهم ما كانوا

يطلبون الغيب ونحن نسبح بحمدك قال الحسن نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق و
عليها يرزقون وعن ابي ذر ان رسول الله صلعم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته
او لعباده سبحان الله وبحمده وقيل ونحن نصلي بامرك قال ابن عباس كل ما في القرآن من التسبيح
فالمراد منه الصلوة ونقدس لك اي نثني عليك بالقدس والطهارة وقيل ونطهر انفسنا
لطاعتك وننزهك واللام صلة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل
على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه قال اني اعلم ما لا تعلمون من المصلحة فيه وقيل اني اعلم
ان في ذريته من يطيعني ويعبدني من الانبياء والاولياء والصلحاء وقيل اني اعلم فيكم من يعصيني
وهو ابليس وقيل اني اعلم انهم يذنبون وانا اغفر لهم قرأ اهل الحجاز والبصرة اني اعلم بالفتح
وكذلك كل ياء اضافة استقبلها الف مفتوحة الا في مواضع معدودة ويفتحون في بعض المواضع
عند الالف المضمومة والمكسورة وعند غير الالف وبين القراء في تفصيله اختلاف وعلم آدم
الاسماء كلها سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد
وابو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه اسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله تعالى اني
جاعل في الارض خليفة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم
منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الا
نبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون الى يوم القيمة وقال الربيع
بن انس اسماء الملائكة وقيل اسماء ذريته وقيل صنعة كل شيء قال اهل التاويل ان الله عز وجل
علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من اولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم
بلغة ثم عرضهم انما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل
يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل
شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم
فقال انبئوني اخبروني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في اني لا اخلق خلقا الا كنتم
افضل واعلم منه فلما ظهر عجزهم ثم قالوا اي قالت الملائكة اقرارا بالعجز سبحانك تنزيها لك
لا علم لنا الا ما علمتنا معناه انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا انك انت
العليم بخلقك الحكيم في امرك والحكيم له معنيان احدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم

للامر كيلا يتطرق اليه الفساد واصل الحكمة في اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه
حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم قال يا آدم انبئهم اخبرهم
باسمائهم فسمى آدم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق فلما انبأهم باسمائهم
قال الله الم اقل لكم يا ملائكتي اني اعلم غيب السموات والارض ما كان
منهما وما يكون لانه قد قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ما تبدون قال الحسن وقتادة
يعني قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون قولهم لن يخلق خلقا اكرم عليه منا
وقال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال
لامر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لا يتماسك لانه اجوف ثم قال
للملائكة الذين معه ارأيتم ان فضل هذا عليكم وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع
امر ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط علي لاعصينه فقال
الله تعالى واعلم ما تبدون يعني الملائكة من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء على جوار الف اسجدوا
وكذلك قرأ رب احكم بضم الباء وسخطه النحاة جدا ونسبوه الى الغلط فيه واختلفوا في ان هذا
الخطاب مع اي الملائكة كان فقال بعضهم مع الذين كانوا سكان الارض والاصح انه مع جميع
الملائكة لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقوله اسجدوا فيه قولان الاصح ان السجود كان
لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال امره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية
لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله تعالى وخروا له سجدا ولم يكن فيه وضع الوجه
على الارض انما كان انحناء فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وقيل معنى قوله اسجدوا لآدم
اي الى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة للصلوة والصلوة لله عز وجل
فسجدوا يعني الملائكة الا ابليس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما
عصى غير اسمه وصورته فقيل ابليس لانه ابلس من الرحمة اي ايس واختلفوا فيه فقال ابن
عباس واكثر المفسرين كان ابليس من الملائكة وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله
تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس ولانه خلق من النار
والملائكة خلقوا من النور ولانه له ذرية ولا ذرية للملائكة والاول اصح لان خطاب السجود
كان مع الملائكة وقوله كان من الجن اي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبير الذين

يجلسون في الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يستوغون حلي اهل الجنة وقيل ان
فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنا لاستتارهم عن الاعين وابليس كان منهم
والدليل عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما اخرجه
الله من الملائكة جعل له ذرية ابى اى امتنع فلم يسجد واستكبر اى تكبر عن السجود لآدم
وكان اى وصار من الكافرين وقال اكثر المفسرين وكان في سابق علم الله انه
من الذين وجبت لهم الشقاوة وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وذلك ان آدم لم يكن له في الجنة
من يجالسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراه من شقه الايسر سميت حواء لانها
خلقت من حي خلقها الله عز وجل من غير ان احس به آدم ولا وجد له الما ولو وجد الما لما عطف
رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه كاحسن ما خلق الله فقال لها
من انت قالت زوجتك خلقني الله لك تسكن الي واسكن اليك وكلا منها رغدا واسعا كثيرا
حيث شئتما ومتى شئتما واين شئتما ولا تقربا هذه الشجرة يعني بالاكل قال بعض العلماء
وقع النهي على جنس من الشجر وقال الآخرون على شجرة مخصوصة واختلفوا في تلك الشجرة قال ابن
عباس ومحمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقال ابن مسعود شجرة العنب وقال ابن جريج شجرة التين
وقال قتادة شجرة العلم وفيها من كل شيء وقال علي شجرة الكافور فتكونا فتصيرا من الظالمين
اي من الضارين بانفسكما بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فازلهما اي استزل
آدم وحواء اي دعاهما الى الزلة وقرأ حمزة فازالهما اي نحاهما الشيطان فيعال من
شطن اي بعد سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة عنها عن الجنة فاخرجهما مما كانا فيه من
النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس آدم وحواء فمنعته الخزنة فاتى الحية
وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان
الجنة فسألها ابليس ان تدخله في فمها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته
الجنة وقال الحسن انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل
الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فاتاه من قبل
الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما

وهو اول من ناح فقال لهما ما يبكيك قال ابكي عليكما تموتان وتفارقان ما انتما
فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل
ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا
ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى اكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى اكلها وكان
سعيد بن المسيب يحلف بالله ما اكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا
سكر قادته اليها فاكل قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن
عباس وقتادة قال الله تعالى لآدم ألم تكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب
وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط من الجنة وكانا ياكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله
فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ان آدم لما اكل من الشجرة
التي نهى الله عنها قال الله عز وجل يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء
قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء
عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما اكلا منها تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا
من الجنة فذلك قوله وقلنا اهبطوا انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس فهبط
آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نوذ وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية
باصبهان بعضكم لبعض عدو اراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين
المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس قال الله ان الشيطان لكم عدو وعن عكرمة عن
ابن عباس قال لا اعلمه الا رفع الحديث انه كان يامر بقتل الحيات وقال من تركهن خشية
او مخافة ثائر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سالمناهن منذ حاربناهن
ولكم في الارض مستقر موضع قرار ومتاع بلغة ومستمتع الى
حين الى انقضاء آجالكم فتلقى فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو
التعلم آدم من ربه كلمات قراءة العامة آدم برفع الميم كلمات بخفض التاء وقرأ
ابن كثير آدم بالنصب كلمات برفع التاء يعني جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت
سبب توبته واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هي قوله ربنا

ظلمنا انفسنا الاية وقال محمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب
عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب
عملت سوءا فظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انت ارحم الراحمين وقال عبيد بن عمير ان آدم
قال يا رب ارايت ما اتيت اشئ ابتدعته من تلقاء نفسي ام شئ قدرته علي قبل ان تخلقني
قال الله تعالى لا بل شئ قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب كما قدرته علي فاغفر لي وقيل
هي ثلثة اشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحوا على ما فاتهما من نعيم الجنة
مائتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حوا مائة سنة وروى المسعودي عن
يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد انهما قالا لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع
داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت
دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم لما اهبط الى الارض
مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه حياء من الله عز وجل فتاب عليه فتجاوز عنه انه هو التواب
يقبل توبة عباده الرحيم بخلقه قلنا اهبطوا منها جميعا يعني هؤلاء الاربعة
وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض فاما
ياتينكم اي فان ياتكم يا ذرية آدم مني هدى اي رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب
ورسول فمن تبع هداي فلا خوف قرا يعقوب فلا خوف بالفتح كل القران والاخرون بالضم والتنوين عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة والذين كفروا جحدوا وكذبوا باياتنا القران
اولئك اصحاب النار يوم القيمة هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون
فيها يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب ومعنى اسرائيل عبد الله وايل هو الله وقيل
صفوة الله وقرا ابو جعفر اسرايل بغير همزة اذكروا احفظوا والذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان وقيل اراد به الشكر وذكر بلفظ الذكر لان في الشكر ذكرا وفي الكفران نسيانا
قال الحسن ذكر النعمة شكرها نعمتي اي نعمي لفظها واحد ومعناها جمع كقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها التي انعمت عليكم اي على اجدادكم واسلافكم قال النعم التي خصت
بها بنو اسرائيل من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال

المن والسلوى وانزال التوراة في نعم كثيرة لا تحصى وقال غيره جميع النعم التي خص الله عز
وجل على عباده واوفوا بعهدي بامتثال الامر اوف بعهدكم بالقبول والثواب
قال قتادة ومجاهد اراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى ان قال لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم وقال الحسن
هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة فهو شريعة التوراة
وقال مقاتل هو قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقال الكلبي عهد الله الى
بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي
ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم واياي فارهبون فخافوني
في نقض العهد واثبت يعقوب الياءات المحذوفة في الخط مثل فارهبوني فاتقوني
واخشوني والاخرون يحذفونها على الخط وآمنوا بما انزلت يعني القران مصدقا موافقا
لما معكم يعني التورية في التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلعم نزلت في كعب بن الاشرف
واصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم ولا تكونوا اول كافر به اي بالقران يريد
من اهل الكتاب لان قريشا كفرت قبل اليهود بمكة معناه ولا تكونوا اول من كفر بالقران فيتابعكم
اليهود على ذلك فتبوؤا باثمكم واثمهم ولا تشتروا اي لا تستبدلوا باياتي ببيان
صفة محمد صلعم ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم
كانت لهم ماكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم ياخذون منهم كل عام شيئا
معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا انهم ان بينوا صفة محمد صلعم وتابعوه
ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الاخرة واياي فاتقون
فاخشون ولا تلبسوا اي لا تخلطوا يقال لبس الثوب يلبس لبسا ولبس عليه الامر يلبس
لبسا اي خلط يقول لا تخلطوا ذكر الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلعم بالباطل
الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته والاكثرون على انه اراد لا تلبسوا الاسلام باليهودية
والنصرانية قال مقاتل ان اليهود اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضها ليصدقوا
في ذلك فقال لا تلبسوا الحق الذي تقرون به بالباطل يعني بما تكتمونه فالحق بيانهم

والباطل بكتمانكم وتكتموا الحق اى لا تكتموه يعنى نعت محمد صلعم وانتم تعلمون انه نبى
مرسل واقيموا الصلوة يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها واتوا الزكوة ادوا زكوة
اموالكم المفروضة هى ماخوذة من زكى الزرع اذا نما وكثر وقيل من تزكى اى تطهر وكلا المعنيين
موجود فى الزكوة لان فيها تطهيرا وتنمية للمال واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع المصلين محمد
صلعم واصحابه ذكر بلفظ الركوع لان الركوع ركن من اركان الصلوة ولان صلوة اليهود لم يكن فيها ركوع
فكانه قال صلوا صلاة ذات ركوع قيل اعادته بعد قوله واقيموا الصلوة لهذا اى صلوا مع الذين فى
صلوتهم ركوع فالاول مطلق فى حق الكل وهذا فى قوم مخصوصين وقيل هذا حث على اقامة
الصلوة جماعة كانه قال صلوا مع الذين سبقوكم بالايمان اتامرون الناس بالبر اى بالطاعة
نزلت فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن
امر محمد صلعم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل هو خطاب لاحبارهم حيث امروا
اتباعهم بالتمسك بالتورية ثم خالفوا وغيروا نعت محمد صلعم وتنسون تتركون انفسكم فلا تتبعونه
وانتم تتلون الكتاب تقرؤن التورية فيها نعته وصفته افلا تعقلون انه حق فتتبعونه
والعقل ماخوذ من عقال الدابة وهو ما يشد به ركبة البعير فيمنعه من الشرود فكذلك العقل
يمنع صاحبه من الكفر والجحود عن انس بن مالك ان رسول الله صلعم قال رايت ليلة اسرى بى رجالا
تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء خطباء امتك
يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب وعن ابى وائل قال اسامة سمعت رسول
الله صلعم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه اى تنقطع امعاؤه فى النار
فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون اى فلان ما شانك اليس كنت تا
مرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر واتيه وقال شعبة
عن الاعمش فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه واستعينوا على ما يستقبلكم من انواع البلاء وقيل
على طلب الاخرة بالصبر والصلوة اراد حبس النفس عن المعاصى وقيل اراد بالصبر على اداء الفرائض وقال
مجاهد الصبر هو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر وذلك لان الصوم يزهده فى الدنيا والصلوة
ترغبه فى الاخرة وقيل الواو بمعنى على اى واستعينوا بالصبر على الصلوة كما قال الله تعالى وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها وانها ولم يقل وانهما رد الكناية الى كل واحد منهما اى وان كل خصلة منهما كما قال

كلتا الجنتين اتت اكلها اى كل واحد منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر وانه لكبيرة وبالصلوة وانها
لكبيرة فحذف احدهما اختصارا وقال المؤرج رد الكناية الى الصلوة لانها اعم كقوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها رد الكناية الى الفضة لانها اعم وقيل رد الكناية الى الصلوة
لان الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضا الرسول
داخل فى رضا الله عز وجل وقال الحسين بن الفضل رد الكناية الى الاستعانة لكبيرة ثقيلة الا
على الخاشعين يعنى المؤمنين وقال الحسن الخائفين وقيل المطيعين وقال مقاتل بن حيان
المتواضعين واصل الخشوع السكون قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فالخاشع ساكن الى طاعة
الله عز وجل الذين يظنون يستيقنون والظن من الاضداد يكون شكا ويقينا كالرجاء يكون
امنا وخوفا انهم ملاقوا ربهم معاينوا ربهم فى الاخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل المراد
من اللقاء الصيرورة اليه وانهم اليه راجعون فيجزيهم باعمالهم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين اى عالمى زمانكم وذلك التفضيل وان
كان فى حق الاباء ولكن يحصل به الشرف للابناء واتقوا يوما واخشوا عذاب يوم لا تجزى
لا تقضى نفس عن نفس شيئا اى حقا لزمها وقيل لا تغنى شيئا من الشدائد ولا يقبل منها شفا
عة قرا ابن كثير واهل البصرة وابو عمرو بالتاء لتانيث الشفاعة وقرا الباقون بالياء لان الشفيع والشفا
عة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة فالتذكير على المعنى والتانيث على اللفظ كقوله تعالى قد جائكم مو
عظة من ربكم وقال فى موضع آخر فمن جاءه موعظة اى لا تقبل منها شفاعة اذا كانت كافرة ولا يؤ
خذ منها عدل اى فداء سمى به لانه مثل المفدى والعدل المثل ولا هم ينصرون اى يمنعون
من عذاب الله واذ نجيناكم يعنى اسلافكم واجدادكم فاعتدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم
من آل فرعون اتباعه واهل دينه وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط
من العماليق عمر اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب
اشد العذاب واسواه وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالابل السائمة
فى البرية وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال فصنف يبنون وصنف
يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم فى عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا اصنافا
فى اعمال فرعون فذووا القوة يسلخون السوارى من الجبال حتى قرحت اعناقهم وايديهم ودبرت
ظهورهم من قطعها ونقلها وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون

البنين ويقتلون الابكار وطائفة بحادون وحدادون والضعفة منهم يضربون عليهم الخراج
ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه الى عنقه
شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما ذكر بعده
وهو قوله يذبحون ابناءكم فهو مذكور على وجه البدل من قوله يسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم يتركونهن احياء وذلك ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت
من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك
وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال
ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه
قتل في طلب موسى اثني عشر الف صبي وقال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد قالوا
واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع
في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون
ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة
التي يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء المحنة اي في سومهم اياكم سوء
العذاب محنة عظيمة وقيل البلاء النعمة وفي انجائي اياكم منهم نعمة عظيمة والبلاء يكون بمعنى النعمة
وبمعنى الشدة فالله تعالى يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال الله تعالى ونبلوكم بالشر و
الخير فتنة واذ فرقنا بكم البحر قيل معناه فرقنا لكم وقيل فرقنا البحر بدخولكم اياه وسمي
البحر بحرا لاتساعه ومنه قيل للفرس بحر اذا اتسع في جريه وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر
الله تعالى موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر ليلا فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم
الى الصبح واخرج الله كل ولد زنا في القبط من بني اسرائيل اليهم وكل ولد زنا في بني اسرائيل من القبط
الى القبط حتى رجع كل الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم
حتى اصبحوا حتى طلعت الشمس وخرج موسى في ستمائة الف وعشرين الف مقاتل لا يعدون ابن
العشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا
ما بين رجل وامرأة وعن ابن مسعود رض قال كان اصحاب موسى ستمائة وسبعين الفا وعن عمرو بن ميمون
قال كانوا ستمائة الف فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى
مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا

يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا
فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين موضع قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم فصمت
اذناه عن قولي فكان يمر بين رجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت ارأيتك
ان دللتك على قبره ان تعطيني كل ما سألتك فابى عليها وقال حتى اسأل ربي فامره الله عز وجل
بايتاء سؤالها فقالت اني عجوز كبيرة لا استطيع المشي فاحملني واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في
الاخرة فاسألك الا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في جوف الماء في النيل فادع الله
حتى يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر يوسف فحفر
موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا
وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ونذر بهم فرعون فجمع قومه وامرهم ان لا يخرجوا في طلب بني
اسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح الديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني اسرائيل وعلى
مقدمته هامان في الف الف وسبعمائة الف فكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات
وقال محمد بن كعب كان في عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم سوى سائر الشيات وكان فرعون
يكون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف ناشب ومائة الف اصحاب
حراب ومائة الف اصحاب الاعمدة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء في غاية الزيادة
فنظروا فاذا هم بفرعون حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع واين ما وعدتنا
هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا قال الله تعالى فلما تراءى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ابا خالد باذن الله فا
نفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل
طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر كل
سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل
اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء شبكات كالطاقات يرى بعضهم بعضا
ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا فلقنا بكم البحر فانجيناكم
من آل فرعون والغرق واغرقنا آل فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه
منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا ادخلوا البحر

فيقتلوا اباه الا فتنبه تحتجبن وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو
ملعون مردود توبته واصلت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه
وصديقه وجاره فلم يمكنه المضي لامر الله تعالى قالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم ضبابة
وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم من الصباح الى المساء فلما كثر القتل
دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله
السحابة وامرهم ان يكفوا عن القتل فكشفت عن الوف من القتلى روي عن علي انه قال كان عدد
القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول
الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم اي
فعلتم ما امرتم به فتاب عليكم وتجاوز عنكم انه هو التواب القابل للتوبة الرحيم بخلقه
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وذلك ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس
من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم وقال لهم
صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا
نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى الى طور سيناء من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل
كله ودخل في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا
كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب
وسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض
مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا
له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معاينة وذلك ان العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم
ان المراد منها العيان فاخذتكم الصاعقة اي الموت وقيل نار جاءت من السماء فاحرقتهم وانتم
تنظرون اي ينظر بعضكم الى بعض حين اخذكم الموت وقيل تعلمون والنظر يكون بمعنى العلم فلما هلكوا
جعل يبكي ويتضرع ويقول ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم رجلا بعد رجل
بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم
من بعد موتكم احييناكم والبعث اثارة الشيء عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث
لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام في التيه تقيكم حر الشمس والغمام من الغم واصله التغطية والستر سمي
السحاب

غماما لانه يغطي وجه الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه كن يسترهم فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض
رقيقا اطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم الليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن
والسلوى اي في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقال مجاهد هو شيء كالصمغ كان يقع على
الاشجار طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال الزجاج جملة المن ما يمن الله به من غير تعب وعن
سعيد بن زيد قال قال النبي صلعم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان هذا المن يقع
كل ليلة على اشجارهم مثل الثلج لكل انسان منهم صاع فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا
ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه بعث
الله سحابة فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح وكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من
طلوع الفجر الى طلوع الشمس فياخذ كل واحد ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة اخذ كل واحد منهم
ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات حلالات ما رزقناكم
ولا تدخروا لغد فخبؤوا لغد فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروا فقال الله تعالى وما ظلمونا وما
بخسوا بحقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل
عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لولا بنو اسرائيل
لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية سميت القرية قرية لانها تجمع اهلها ومنه المقراة للحوض لانه يجمع الماء قال ابن عباس
هي اريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق
وقيل بلقا وقال مجاهد بيت المقدس وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر وقال
مقاتل ايليا وقال ابن كيسان الشام فكلوا منها حيث شئتم رغدا موسعا عليكم وادخلوا
الباب يعني بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب سجدا اي ركعا خضعا منحنين قال
وهب فاذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله تعالى وقولوا حطة قال قتادة حط عنا خطايانا امروا
بالاستغفار وقال ابن عباس لا اله الا الله لانها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا مسالتنا حطة
نغفر لكم خطاياكم من الغفر وهو الستر فالمغفرة تستر الذنوب وقرأ اهل المدينة بالياء وضمها
وفتح الفاء وقرأ ابن عامر بالتاء وضمها وفي الاعراف قرأ جميعا ويعقوب بالتاء وضمها وقرأ الاخرون
فيهما بنصب النون وكسر الفاء وسنزيد المحسنين ثوابا من فضلنا فبدل الذين ظلموا
انفسهم وقالوا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حنطة اي

سجدا شكرا ثم ان يقولوا حطة اي استغفارا بامر الله تعالى وقال مجاهد طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ان يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وقالوا قولا غير الذي قيل لهم عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلعم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا من السماء قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون يعصون ويخرجون من امر الله وإذ استسقى موسى لقومه طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال فقلنا اضرب بعصاك وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى قال مقاتل اسم العصا نبعة الحجر اختلفوا فيه قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي امر بسقيهم وقال الآخرون كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر راس الرجل كان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقال عطاء كان للحجر اربعة اوجه لكل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين وقيل كان من الكذان فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقي كل يوم ستمائة الف وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففر بثوبه ومر به على ملا من بني اسرائيل حين رموه بالادرة فلما وقف اتاه جبريل فقال ان الله يقول ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فرفعه ووضعه في مخلاته قال عطا كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المراة فيعرق ثم يسيل ثم يتفجر الانهار واكثر اهل التفسير يقولون انبجست وانفجرت واحد وقال ابو عمرو بن العلاء انبجست عرقت وانفجرت سالت فذلك قوله تعالى فانفجرت اي فضرب فانفجرت اي سالت منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط قد علم كل اناس مشربهم موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه كلوا واشربوا اي وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم بلا مشقة ولا تعثوا في الارض مفسدين والعيث اشد الفساد يقال عثي يعثى عثيا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام

واحد وذلك انهم اجمعوا سئموا من اكل المن والسلوى وانما قال طعام وهما اثنان لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل كانوا ياكلون احدهما بالآخر فكان طعاما واحدا وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحدا فادع لنا فاسال لاجلنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز وقال عطاء الحنطة وقال القتيبي الحبوب التي تؤكل كلها وقال الكلبي الثوم وعدسها وبصلها قال لهم موسى أتستبدلون الذي هو أدنى اي اخس واردى بالذي هو خير اشرف وافضل وجعل الحنطة ادنى في القيمة وان كان هو خيرا من المن والسلوى او اراد انها اسهل وجودا على العادة ويجوز ان يكون الخير راجعا الى اختيار الله لهم واختيارهم لانفسهم اهبطوا مصرا يعني فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقال الضحاك هو مصر موسى وفرعون والاول اصح لانه لو اراده لم يصرفه فان لكم ما سالتم من نبات الارض وضربت عليهم جعلت عليهم والزموا الذلة الذل والهوان قيل بالجزية وقال عطا بن السائب هو الكستيج والزنار وزي اليهودية والمسكنة الفقر سمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا مياسير كانهم فقراء وقيل الذلة فقر القلب فلا ترى في اهل الملل اذل واحرص على المال من اليهود وباءوا بغضب من الله رجعوا ولا يقال باء الا بشر وقال ابو عبيدة احتملوا واقروا به ومنه الدعاء ابوء بنعمتك وابوء بذنبي اي اقر ذلك اي الغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله بصفة محمد صلعم وآية الرجم في التورية ويكفرون بالانجيل والقرآن ويقتلون النبيين تفرد نافع بهمز النبي وبابه فيكون معناه المخبر من انبا ينبئ ونبا ينبئ والقراءة المعروفة ترك الهمزة وله وجهان احدهما هو ايضا من الانباء وتركت الهمزة فيه تخفيفا لكثرة الاستعمال والثاني هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع فعلى هذا يكون النبيين على الاصل بغير الحق اي بلا جرم فان قيل لم قال بغير الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق قيل ذكره وصفا للقتل والقتل تارة يوصف بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لا ان الحكم ينقسم الى الجور والحق ويروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلهم في آخر النهار ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي إن الذين آمنوا والذين هادوا يعني اليهود سموا به لقولهم

إنا هدنا إليك أي ملنا إليك وقيل لأنهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل لأنهم مالوا عن
دين الإسلام وعن دين موسى عم وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة
التورية ويقولون إن السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التورية والنصارى
سموا به لقول الحواريين نحن أنصار الله وقال مقاتل لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل
لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عم والصابئين قرأ أهل المدينة الصابين
والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة وأصله الخروج يقال صبأ فلان إذا خرج من دين
إلى دين آخر وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها وصبأ ناب البعير إذا خرج فهؤلاء سموا
به لخروجهم من دين إلى دين قال عمر وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح
أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم قال مجاهد هم قبيلة نحو الشام
بين اليهود والمجوس قال الكلبي هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم ويجبون
مذاكيرهم قال قتادة هم قوم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة أخذوا
من كل دين شيئا قال عبد العزيز بن يحيى انقرضوا من آمن بالله واليوم الآخر فإن قيل كيف يستقيم
قوله من آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الآية إن الذين آمنوا قيل اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم أراد
بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم
طلاب الدين مثل حبيب النجار وقيس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني
وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي فمنهم من أدرك النبي صلى عم
وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين
هادوا والذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا وماتوا
على ذلك قالوا وهذان الاسمان لزماهم زمن موسى وعيسى حيث كانوا على الحق كالإسلام لأمة محمد عم والصابئون
زمن استقامة أمرهم من آمن بالله أي من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة ويجوز أن
يكون الواو مضمرا أي ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيمة وقال بعضهم إن المذكورين بالإيمان في أول الآية
على طريق المجاز دون الحقيقة ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل
أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية
والنصرانية بعد التبديل والصابئين بعض أصناف الكفار من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان

٢٥

وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم إنما ذكر بلفظ الجمع لأن من يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر
والمؤنث ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وإذ أخذنا ميثاقكم عهدكم يا معشر اليهود
ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم وهو قول مجاهد وقالوا ما من لغة في
الدنيا إلا وهي في القرآن وقال الأكثرون ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى قرآنا عربيا وإنما هذا
وأشباهه وفاق وقع بين اللغتين وقال ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله
حتى قام على رؤوسهم وذلك أن الله تعالى أنزل التورية على موسى عم فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا
بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للآصار والأثقال التي فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبرئيل عم فقلع
جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل كالظلة وقال لهم
إن لم تقبلوا التورية أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله فوق رؤوسهم الطور
وبعث الله نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم خذوا ما آتيناكم أعطيناكم بقوة بجد
واجتهاد ومواظبة واذكروا وادرسوا ما فيه وقيل احفظوه واعملوا به لعلكم تتقون لكي تنجوا
من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم في هذا البحر
وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم
سجود فصار سنة في اليهود ولا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب
عنا ثم توليتم أعرضتم من بعد ذلك من بعد ما قبلتم التورية فلولا فضل الله عليكم ورحمته
يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم لكنتم لصرتم من الخاسرين من المغبونين بالعقوبة
وذهاب الدنيا والآخرة وقيل من المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالإمهال ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت أي جاوزوا الحد وأصل السبت القطع وقيل سمي بذلك يوم السبت لأن الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل
لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال والقصة فيه أنهم كانوا زمن داود عم بأرض يقال لها أيلة حرم
الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن
خراطيمهن من الماء لأمنها حتى لا يرى الماء من كثرتها فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى
منها شيء فذلك قوله إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم إن الشيطان
وسوس إليهم قال إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا
منه إليها الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض

فلا يقدر فوز على الخروج لبعد عمقها وقلة ما بها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل كانوا ينصبون الحبائل
والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤا
على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا وقد احل لنا فاخذوا واكلوا وملحوا وباعوا واثروا فكثر ما
لهم فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف
امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثني عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله
لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنين فلعنهم داود وغضب الله عليهم
لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا بابهم
فلما ابطؤوا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعا قردة لها اذناب يتعاوون قال قتادة صار
الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلثة ايام ولم يتوالدوا
لذا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة امر تحويل وتكوين خاسئين مبعدين مطرودين
قيل فيه تقديم وتاخير اي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات والخسأ الطرد والابعاد
وهو لازم ومتعد يقال خسأته فخسأ وخسئ وانخسأ مثل رجعته فرجع فجعلناها اي جعلنا عقوبتهم
بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة
جزاء عليه ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع واصل النكل القيد وجمعه انكال لما بين يديها
قال قتادة اراد بما بين يديها ما سبقت من الذنوب اي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنو
بهم قبل نهيهم عن اخذ الصيد وما خلفها ما حضر من الذنوب التي اخذوا بها وهي العصيان
باخذ الحيتان وقال ابو العالية والربيع عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم ان يستنوا
بسنتهم وما الثانية بمعنى من وقيل جعلناها اي جعلنا قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها اي القرى
التي كانت مبنية في الحال وما خلفها ما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره
فجعلناها وما خلفها اي ما اعد لهم من العذاب في الاخرة نكالا وجزاء لما بين يديها اي لما تقدم من
ذنوبهم باعتدائهم في السبت وموعظة للمتقين للمؤمنين من امة محمد صلعم فلا يفعلوا مثل فعلهم واذ
قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة البقرة هي الانثى من البقر يقال هي ماخوذة
من البقر وهو الشق سميت به لانها تشق الارض للحراثة والقصة فيه انه كان في بني اسرائيل
رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى فالقاه

بفنائهم ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم القتل فسالهم موسى فجحدوا
فاشتبه امر القتيل على موسى قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعو الله
ليبين لهم بدعائه فامرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا اي تستهزئ بنا نحن نسالك عن امر القتيل وتامرنا بذبح البقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين
في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه قرا حمزة هزؤا وكفؤا بالتخفيف وقرا الاخرون بالتثقيل وبترك
الهمزة حفص قال موسى اعوذ بالله امتنع بالله ان اكون من الجاهلين من المستهزئين بالمؤ
منين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لان الجواب لا على وفق السؤال جهل فلما علم القوم
ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوه ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزات
عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل
صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات
الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا
بوالدته وكان يقسم الليل ثلثة اثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح
انطلق فاحتطب على ظهره فياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي
والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع
اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى
فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين
يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني
فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله
بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله
وينطلق معك لفعل لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الا
حتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم ابيعها قالت بثلثة دنانير ولا تبع
بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته
وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلثة
دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستامر امك فقال الفتى

بوا عطيتني وزنها ذهبا ثم لم اخذه الا برضا امي فردها الى امه فاخبرها بالخبر فقالت ارجع فبعها بستة
دنانير على رضى مني فانطلق بها الى السوق واتى الملك فقال استامرت امك فقال الفتى انها امرتني
ان لا انقصها من ستة على ان استامرها فقال الملك فاني اعطيك اثني عشر على ان لا تستامرها فابى
الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان الذي ياتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فاذا اتاك
فقل انا مرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فقعل فقال له اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان
موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملئ مسكها دنانير فامسكوها
وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافاة
له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما سنها
قال موسى انه يقول يعني فسال الله فقال الله يعني ان الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا والبكر الفتاة
الصغيرة التي لم تلد قط وحذف الهاء منهما للاختصاص بالاناث كالحائض عوان نصف بين
ذلك اي بين السنين يقال عونت المراة تعوينا اذا زادت على الثلثين قال الاخفش العوان التي
نتجت مرارا وجمعها عون فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكرروا السوال قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها شديد الصفرة وقال
قتادة صاف وقال الحسن الصفراء السوداء والاول اصح لانه لا يقال اسود فاقع انما يقال اصفر فاقع
واسود حالك واحمر قاني واخضر ناضر وابيض يقق للمبالغة تسر الناظرين اليها ويعجبهم حسنها
وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اسائمة ام عاملة ان البقر تشابه ولم يقل تشابهت
لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر وقال الزجاج اي جنس البقر تشابه علينا اي التبس و
واشتبه امره علينا فلا نهتدي اليه وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلعم وايم
الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل
يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلول بينة الذل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث
اي ليست بساقية مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها لا لون لها سوى لون جميع جلدها
قال عطاء لا عيب فيها قال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد قالوا الآن جئت بالحق اي بالبيان
التام الشافي الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها الا مع الفتى فاشتروها بملئ مسكها
ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها باجتماع

او صافها وقيل ما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها واذ قتلتم نفسا هذا اول
القصة وان كانت موخرة في التلاوة واسم القتيل عاميل فادارأتم فيه اصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال وادخلت الالف مثل قوله اثاقلتم قال ابن عباس ومجاهد معناه فاختلفتم وقال الربيع بن
انس تدافعتم اي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه فيها
والله مخرج مظهر ما كنتم تكتمون فان القاتل كان يكتم القتل فقلنا اضربوه يعني القتيل
ببعضها اي ببعض البقرة واختلفوا في ذلك البعض فقال ابن عباس واكثر المفسرين ضربوه بالعظم
الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال مجاهد وسعيد بن جبير بعجب الذنب لانه اول ما يخلق
وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها وقال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام وقال
عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقيل بعضو منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله
واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر
ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اضمار تقديره فضرب فحيي كذلك يحيي الله الموتى كما
احيا عاميل ويريكم آياته لعلكم تعقلون قيل تمنعون انفسكم من المعاصي اما حكم هذه المسئلة
في الاسلام اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان واللوث ما
يغلب به على القلب صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب
ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية كلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب انهم قتلوه
فادعى الولي على بعضهم يحلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه ان كان الاولياء جماعة توزع الا
يمان عليهم ثم بعدما حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل
عمد فمن ماله ولا قود على قول الاكثرين وذهب بعضهم الى وجوب القود وهو قول عمر بن عبد العزيز
وبه قال مالك واحمد وان لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ثم يحلف يمينا واحدة
ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا
لامر الدم وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام
خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلا ثم ياخذ الدية من سكانها والد
ليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة ان عبد الله بن سهل
ومحيصة بن مسعود خرجا الى خيبر فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن اخو
المقتول وحويصة بن مسعود الى رسول الله صلعم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله صلعم

خسيس بينا وتستحقون ذمه هاجيكم اولى تلكم فقالوا يا رسول الله ما شهدنا وما حضرنا فقال رسول الله صلعم فمن قتله

يهود خيبر بينا فقالوا يا رسول الله وكيف نقبل ايمان قوم كفار فوداه النبي صلعم من عنده مائة بكرة

قال سهيل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربد لنا اخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب

وفيه الدليل على الحديث ان النبي صلعم بدأ بايمان المدعين ليقول فاتهم بالموت وطواف عبد الله بن سهل وجد قتيلا

في خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الانصار واهل خيبر وكان يغلب على القلب انهم قتلوه واليمين ابدا

تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته وكان

القول قوله مع يمينه ثم قست قلوبكم يبست وجفت وجفاف القلب خروج الرحمة واللين عنه وقيل

غلظت وقيل اسودت من بعد ذلك من بعد ظهور الدلالات قال الكلبي قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله فلم يكونوا

قط اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك فهي في الغلظة والشدة كالحجارة او اي بل

اشد قسوة وقيل او بمعنى الواو كقوله تعالى مائة الف او يزيدون بل يزيدون او ويزيدون وانما شبهها

بالحجارة ولم يشبهها بالحديد مع انه اصلب من الحجارة لان الحديد قابل لللين فانه يلين بالنار وقد لان لداود والحجارة لا

تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قيل اراد به جميع الحجارة

وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للاسباط وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اراد به عيونا

دون الانهار وان منها لما يهبط ينزل من اعلى الجبال الى اسفله من خشية الله وقلوبكم لا تلين ولا

تخشع يا معشر اليهود فان قيل الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى قيل الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه ومذهب

اهل السنة ان لله تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة

وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شيء الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته و

تسبيحه وقال الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الاية فيجب على المرء الايمان

به ويكل علمه الى الله روي ان النبي صلعم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فاني اخاف ان

تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء الي الي يا رسول الله وعن جابر بن سمرة قال قال رسول

الله صلعم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان وعن علي رضي الله عنه قال كنت مع

رسول الله صلعم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شيء من الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل الا قال السلام

عليك يا رسول الله وعن ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول كان النبي صلعم اذا

خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية كحنين

الناقة حتى سمعها اهل المسجد حتى نزل رسول الله صلعم فاعتنقها فسكنت قال مجاهد لا ينزل حجر من اعلى

الى اسفل الا من خشية الله ويشهد بما قلنا قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من

خشية الله وما الله بغافل ساه عما تعملون وعيد وتهديد وقيل بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم

به قرأ ابن كثير يعملون بالياء والاخرون بالتاء افتطمعون افترجون يريد محمدا صلعم واصحابه ان

يؤمنوا لكم تصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله يعني التوراة

ثم يحرفونه يغيرون ما فيها من الاحكام من بعد ما عقلوه علموه كما غيروا صفة محمد صلعم واية

الرجم وهم يعلمون انهم كاذبون هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة وقال ابن

عباس ومقاتل نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا بعد ما سمعوا

كلام الله الى قومهم اما الصادقون فادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه

ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فهذا تحريفهم وهم يعلمون انه الحق واذا لقوا

الذين امنوا قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني منافقي اليهود الذين امنوا بالسنتهم اذا لقوا

المؤمنين المخلصين قالوا امنا كايمانكم واذا خلا رجع بعضهم الى بعض كعب بن الاشرف

وكعب بن اسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود لاموهم على ذلك قالوا اتحدثونهم بما فتح

الله عليكم بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق والفتاح القاضي وقال الكسائي

بما بينه الله لكم قال الواقدي بما انزل الله عليكم من العلم بصفة النبي صلعم ونعته وقال نظيره لفتحنا عليهم

بركات من السماء اي انزلنا وقال ابو عبيدة بما من الله عليكم واعطاكم ليحاجوكم به ليخاصموكم يعني اصحاب

محمد صلعم ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولون قد اقررتم بانه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك انهم

قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلعم امنوا به فانه حق ثم قال بعضهم لبعض اتحدثونهم

بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم في الدنيا والاخرة وقيل انهم اخبروا المؤمنين بما عذبهم

الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما انزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند

ربكم ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله وقال مجاهد هو قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين

قال لهم النبي صلعم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم

افلا تعقلون قال الله اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون يخفون وما يعلنون يبدون يعني

اليهود ومنهم اميون اي من اليهود اميون لا يحسنون القراءة ولا الكتابة جمع امي منسوب الى

الام كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني قرأ ابو

جعفر اماني بتخفيف الياء كل القرآن حذف احدى الياءين استخفافا وقرأ العامة بالتشديد

الامنية وهي التلاوة قال الله تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي في قراءته قال ابو عبيدة الا تلاوة
وقراءة عن ظهر القلب يقرؤونه من كتاب وقيل يعلمونها حفظا وقراءة لا يعرفون معناه وعن ابن عباس
غير عارفين بمعاني الكتاب وقال مجاهد وقتادة الا كذبا وباطلا قال الفراء الاماني الاحاديث المفتعلة
قال عثمان ما تمنيت منذ اسلمت اي ما كذبت واراد بها الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند انفسهم ثم
اضافوها الى الله عز وجل من تغيير نعت النبي صلعم وغيره وقال الحسن وابو العالية هي من التمني وهي امانيهم
الباطلة التي يتمنونها على الله مثل قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ولن تمسنا النار الا اياما
معدودة وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فعلى هذا الا بمعنى لكن معناه لا يعلمون الكتاب لكن
يتمنون اشياء لا تحصل لهم وان هم وما هم الا يظنون ظنا وتوهما لا يقينا قاله قتادة والربيع وقال
مجاهد يكذبون فويل قال الزجاج ويل كلمة يقولها كل واقع في هلكة وقيل هو دعاء الكفار على انفسهم
بالويل والثبور وقال ابن عباس شدة العذاب قال سعيد بن المسيب ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال
الدنيا لانماعت من شدة حرها وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فهو كذلك للذ
ين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وذلك ان احبار اليهود
خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى ع م المدينة فاحتالوا في تعويق
اليهود عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التورية وكان صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل
العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم
عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفا لما في التورية فيكذبونه قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت
ايديهم يعني كتبوا بانفسهم اختراعا من تغيير نعته صلعم وويل لهم مما يكسبون من الماكل
ويقال من المعاصي وقالوا يعني اليهود لن تمسنا لن تصيبنا النار الا اياما معدودة
قدرا مقدورا ثم يزول عنا العذاب واختلفوا في هذه الايام فقال ابن عباس ومجاهد كان
اليهود يقولون هذه الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع
العذاب بعد سبعة ايام وقال قتادة وعطاء يعنون اربعين يوما التي عبد آباؤهم فيها العجل
وقال الحسن وابو العالية قالت اليهود ان ربنا عتب علينا في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما
فلن تمسنا النار الا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله عز وجل تكذيبا لهم قل يا محمد اتخذتم
الف استفهام دخلت على الف الوصل عند الله عهدا موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة

فلن يخلف الله عهده وعده وقال ابن مسعود عهدا بالتوحيد يدل عليه قوله تعالى الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا يعني قول لا اله الا الله ام تقولون على الله ما لا تعلمون ثم قال بلى وبلى وبل حرفا استد
راك ومعناهما نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل من كسب سيئة يعني الشرك واحاطت به خطيئته
وقرا اهل المدينة خطيئاته بالجمع والاحاطة الاحداق بالشيء من جميع نواحيه قال ابن عباس وعطاء
والضحاك وابو العالية والربيع وجماعة هي الشرك يموت عليه وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة به ان يصر
عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خثيم وقال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل
ذنبا ارتفعت حتى تغشى القلب وهو الرين قال الكلبي اوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى الا ان يحاط
اي تهلكوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل في التورية والميثاق العهد الشديد لا تعبدون
الا الله قرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء وقرا الاخرون بالتاء لقوله وقولوا للناس
حسنا معناه ان لا تعبدوا فلما حذف ان صار الفعل مرفوعا وقرا ابي بن كعب لا تعبدوا على النهي
وبالوالدين اي ووصيناهم بالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما
فيما لا يخالف امر الله تعالى وذي القربى اي وبذي القربى والقربى مصدر كالحسنى واليتامى جمع
يتيم وهو الطفل الذي لا اب له والمساكين يعني الفقراء وقولوا للناس حسنا صدقا وحقا في شان محمد صلعم
فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا امره هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج
ومقاتل وقال سفيان الثوري مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والمعاشرة
بحسن الخلق وقرا حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتح الحاء والسين اي قولا حسنا واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة ثم توليتم اعرضتم عن العهد والميثاق الا قليلا منكم وذلك ان قوما منهم آمنوا
وانتم معرضون كاعراض آبائكم واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم لا تريقون دماءكم
اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم سفكتم دماء
انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تسيئوا جوار
من جاوركم فتلجئوهم الى الخروج بسوء جواركم ثم اقررتم بهذا العهد انه حق وانتم
تشهدون اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتقرون بالقبول ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء وهؤلاء
للتنبيه تقتلون انفسكم اي بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بتشديد الظاء اي تتظاهرون ادغمت التاء في الظاء وقرا عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء

تحذفوا تاء التفاعل وابقوا تاء الخطاب كقوله تعالى ولا تعاونوا وسعناها جميعا تعاونون
والتظاهر التعاون بالاثم والعدوان بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى وقرأ حمزة أسرى
وهما جمع اسير ومعناهما واحد تفدوهم بالمال وتنقذوهم وقرأ اهل المدينة وعاصم والكسائي
ويعقوب تفادوهم اي تبادلوهم اراد مفاداة الاسير بالاسير وقيل معنى القراءتين واحد ومعنى
الآية قال السدي ان الله اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه فكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب سمير فيقاتل بنو قريظة
وحلفاؤهم النضير وحلفاؤهم واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها واذا اسر رجل من
الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وان كان الاسير من عدوهم فتعيرهم العرب وتقول كيف تقاتلونهم
وتفدونهم قالوا انا امرنا ان نفديهم فيقولون فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيي ان تستذل حلفاؤنا
فعيرهم الله تعالى فقال تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الآية تقديم وتأخير ونظمها
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم
وان ياتوكم اسارى تفدوهم وكان الله قد اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك
المظاهرة عليهم مع اعدائهم وفداء اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله افتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض قال مجاهد يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وانت تقتله بيدك فما
جزاء من يفعل ذلك منكم يا معشر اليهود الا خزي عذاب وهوان في الحيوة الدنيا فكان خزي قريظة
القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم الى اذرعات واريحا من الشام ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وهو عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون قرأ ابن كثير ونافع
وابو بكر بالياء والباقون بالتاء اولئك الذين اشتروا استبدلوا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله عز وجل ولقد آتينا اعطينا موسى الكتاب
التوراة جملة واحدة وقفينا اتبعنا من بعده بالرسل رسولا بعد رسول وآتينا عيسى بن مريم
البينات الدلالات الواضحات وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران وايدناه وقيل اراد الانجيل وايد
ناه بروح القدس قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان مثل الرعب
والرعب واختلفوا في روح القدس قال الربيع وغيره اراد الروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى
اضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله كما قال فنفخنا فيه من روحنا وقيل اراد بالقدس

الطاهرة يعني الروح الطاهر سمى روحه قدسا لانه لم يتضمنه اصلاب الفحول ولم يشتمل عليه ارحام
الطوامث انما كان امرا من امر الله قال قتادة والسدي والضحاك روح القدس جبريل عليه السلام وقيل وصف
جبرئيل بالقدس اي بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا قال الحسن القدس هو الله وروحه جبرئيل قال الله
تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وتأييد عيسى بجبرئيل انه امر ان يسير معه حيث سار حتى
صعد به الى السماء وقيل سمى جبرئيل روحا للطافته ولمكانه من الوحي الذي هو سبب حيوة القلوب
وقال ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس هو اسم الله الاعظم به كان يحيي الموتى ويري الناس العجائب
وقيل هو الانجيل جعل له روحا كما جعل القرآن روحا لمحمد صلعم لانه سبب لحياة القلب فقال تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص
علينا من الانبياء فعلت فأتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله عز وجل افكلما جاءكم يا معشر
اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم تكبرتم وتعظمتم عن الايمان ففريقا طائفة كذبتم مثل
عيسى ومحمد وفريقا تقتلون اي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الانبياء عليهم
السلام وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع الاغلف وهو الذي عليه غشاء معناه عليها غشاوة فلا تعي
ولا تفقه ما تقول قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة وقرأ ابن عباس غلف
بضم اللام وهي قراءة الاعرج وهو جمع غلاف اي قلوبنا اوعية لكل علم فلا تحتاج الى علمك قاله ابن
عباس وعطاء وقال الكلبي معناه اوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك لا تعقله
ولا تعيه ولو كان فيه خير لفهمته ووعته قال الله بل لعنهم الله طردهم الله وابعدهم من كل خير
بكفرهم فقليلا ما يؤمنون قال قتادة معناه لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين اكثر
ممن آمن من اليهود اي فقليلا يؤمنون ونصب قليلا على الحال وقال معمر لا يؤمنون الا بقليل
مما في ايديهم ويكفرون باكثره اي فبقليل يؤمنون ونصب قليلا بنزع الخافض وما صلة على قولهما
وقال الواقدي معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا كقول الرجل للآخر ما اقل ما تفعل كذا اي لا تفعله اصلا
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق موافق لما معهم يعني التوراة وكانوا يعني
اليهود من قبل من قبل مبعث محمد صلعم يستفتحون يستنصرون على الذين كفروا على مشركي العرب
وذلك انهم كانوا يقولون اذا حزبهم امر ودهمهم عدو اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون فكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان
نبي يخرج

زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمد صلعم
من غير بني إسرائيل وعرفوا نعته وصفته كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا
به أنفسهم بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الأفعال معناه بئس
الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق وقيل الاشتراء ههنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا
به حظ أنفسهم أي اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنار أن يكفروا بما أنزل الله يعني القرآن بغيا أي حسدا
وأصل البغي الفساد يقال بغى الجرح إذا فسد والبغي الظلم وأصله الطلب والباغي طالب الظلم والحاسد
يظلم المحسود ويجهد طلبا لإزالة نعمة الله عنه أن ينزل الله من فضله النبوة والكتاب على من يشاء
من عباده محمد صلعم قرأ أهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتخفيف إلا في سبحان موضعين وننزل من القرآن
وحتى تنزل علينا فإن ابن كثير يشدد هما ويشدد البصري في الأنعام على أن ينزل آية زاد يعقوب
بما ينزل في النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف ينزل الغيث في سورة لقمان وحم عسق والآخرون
يشددون الكل ولم يختلفوا في تشديد وما ننزله إلا في الحجر فباءوا رجعوا بغضب على غضب أي مع غضب
قال ابن عباس وهي هذا الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلعم
قال قتادة الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل والثاني بالكفر بمحمد صلعم والقرآن وقال السدي الأول
بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد صلعم وللكافرين الجاحدين بنبوة محمد صلعم من الناس كلهم
عذاب مهين مخز يهانون فيه وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعني القرآن قالوا نؤمن
بما أنزل علينا يعني التوراة يكفينا ذلك ويكفرون بما وراءه أي بما سواه من الكتب كقوله تعالى
فمن ابتغى وراء ذلك أي سواه وقال أبو عبيدة بما بعده وهو الحق يعني القرآن مصدقا نصب على الحال
لما معهم من التوراة قل لهم يا محمد فلم تقتلون أي قتلتم أنبياء الله من قبل وهم أصلا بما تجد
في الآية فرق بين الخبر والاستفهام كقوله فيهم وإيهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة وقد نهيتم فيها
عن قتل الأنبياء عليهم السلام ولقد جاءكم موسى بالبينات بالدلالات الواضحة والمعجزات ثم
اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم
بقوة واسمعوا أي استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سمعا على المجاز لأنه سبب الطاعة
والإجابة قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك وقيل سمعنا بالآذان وعصينا بالقلوب قال أهل
المعاني إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم لكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتساعا

وأشربوا في قلوبهم العجل أي حب العجل معناه أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كإشراب اللون
لشدة الملازمة يقال فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة وفي القصص أن موسى عليه السلام
أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل
ظهرت سحالة الذهب على شاربه بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم أن تعبدوا العجل
من دون الله أي بئس إيمان يأمر بعبادة العجل إن كنتم مؤمنين بزعمكم وذكر أنهم قالوا نؤمن بما أنزل
علينا فكذبهم الله عز وجل قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله وذكر أن اليهود ادعوا دعاوي
باطلة مثل قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقولهم نحن
أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة
يعني الجنة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت أي فأريدوه واسألوه لأن من علم
أن الجنة مأواه حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني إن كنتم صادقين
في قولكم وقيل فتمنوا الموت أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة روي عن ابن عباس أن النبي صلعم قال لو تمنوا
الموت لغص كل إنسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه
أبدا بما قدمت أيديهم لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون وأراد بما قدمت أيديهم ما قدموه من الأعمال
وأضاف إلى اليد لأن أكثر جنايات الإنسان تكون باليد فيضيف إلى اليد أعماله وإن لم يكن لليد فيها عمل والله
عليم بالظالمين ولتجدنهم اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود
أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا قيل هو متصل بالأول أي أحرص من الذين أشركوا وقيل
تم الكلام بقوله على حياة ثم ابتداء وصف الذين أشركوا وأراد بالذين أشركوا المجوس قال أبو العالية
والربيع سموا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة يود يريد ويتمنى أحدهم لو يعمر ألف سنة يعني
تعمير ألف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان يقول الله تعالى
اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه بمباعده من العذاب من النار
أن يعمر أي طول عمره لا يبعده من العذاب [illegible] يقال زحزحته فتزحزح وتزحزح
زحزحته فتزحزح والله بصير بما يعملون قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس
إن حبرا من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي صلعم أي ملك يأتيك من السماء قال جبريل
قال ذاك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال [illegible]

وانه عادانا مرارا وكان اشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل
يقال له بختنصر واخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل
في طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وكبر بختنصر
نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل
قالت اليهود ان جبريل عدونا لانه امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقال قتادة وعكرمة
والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وممره على مدراس اليهود فكان اذا اتى
ارضه ياتيهم ويسمع منهم فقالوا ما في اصحاب محمد احب الينا منك انهم يمرون بنا فيؤذوننا وانت
لا تؤذينا وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل
عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلعم وارى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة
قال جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة
وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال
فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل
عدو لجبريل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل
فانه عدو لجبريل ومن كان عدوا لهما فان الله عدو له ثم رجع عمر الى رسول الله صلعم فوجد جبريل قد سبقه
بالوحي فقرأ رسول الله صلعم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني بعد ذلك
في دين الله اصلب من الحجر فانه يعني جبريل نزله يعني القرآن كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد
باذن الله بامر الله مصدقا لما بين يديه لما قبله من الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما
في قوله وملائكته تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان خص النخل والرمان
بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة والواو فيه بمعنى او يعني من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه عدو للكل لان الكافر بالواحد
كافر بالكل فان الله عدو للكافرين قال عكرمة جبر وميك واسراف هي العبد بالسريانية وايل
هو الله ومعناهما عبد الله وعبد الرحمن وقرا ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز [illegible]
قال حسان وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء وقرا حمزة والكسائي
بالهمزة والاشباع بوزن سلسبيل وقرا ابو بكر بالاختلاس وقرا الآخرون بكسر الجيم غير
مهموز ميكائيل قرا اهل البصرة وحفص [illegible] بغير همز [illegible]

بوزن [illegible] جبريل وكذلك اسرافيل وقال آخرون [illegible] جبريل وميكائيل
وقرا [illegible] ميكائيل وقرا الآخرون بالهمزة والاشباع بوزن [illegible]
قوله فقال [illegible] فانزل الله ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات
مفصلات [illegible] وما يكفر بها الا الفاسقون الخارجون عن امر الله [illegible]
او كلما [illegible] الالف للاستفهام [illegible] عاهدوا عهدا يعني اليهود عاهدوا لئن خرج
محمد لنؤمنن به فلما خرج كفروا به قال ابن عباس لما ذكر رسول الله صلعم لهم ما اخذ الله عليهم وعهد
اليهم في محمد ان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهدا فانزل الله هذه الآية يدل
عليه قراءة [illegible] او كلما عوهدوا [illegible] نبذه فريق منهم وقال عطاء هي العهود التي كانت
بين رسول الله صلعم وبين اليهود ان لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل قريظة والنضير
دليله قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم نبذه طرحه ونقضه فريق طوائف منهم
من اليهود بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا صلعم مصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم يعني التوراة وقيل القرآن كأنهم
لا يعلمون قال الشعبي كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها وقال سفيان بن عيينة ادرجوها في الحرير
والديباج وحلوها [illegible] فذلك النبذ قوله تعالى واتبعوا يعني اليهود ما
تتلوا الشياطين اي ما تلت والعرب تضع المستقبل موضع الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل
ما كانت تتلوا تقرأ قال ابن عباس تتبع [illegible] وقال عطاء تحدث وتكلم به على ملك سليمان
اي في ملكه وعهده وقصة الآية ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن
برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت كرسيه حين نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات
استخرجوها وقالوا للناس ان ما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ
الله ان يكون هذا من علم سليمان واما السفلة فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب
انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا صلعم وانزل الله عليه براءة
سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي كانت الشياطين تصعد الى السماء فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون
في الارض من موت وغيره فياتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة [illegible]
فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس
الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشياطين تعلم الغيب [illegible]

الا عن بين خلفه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب وطول
من بعد عليهم فتمثل شيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل ادلكم على كنز لا تاكلونه
ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم واراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا
ولكني هاهنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا
واخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم
طار الشيطان وفشى في الناس ان سليمان كان ساحرا واخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك اكثر ما يوجد
السحر في اليهود فلما جاء محمد صلعم برأ الله سليمان من ذلك فانزل في عذر سليمان واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان بالسحر وقيل لم يكن سليمان كافرا يسحر ويعمل ولكن الشياطين كفروا
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن الشياطين مخففة النون والشياطين رفع وقرا الاخرون ولكن بتشديد
النون الشياطين نصب وكذلك ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى وصفح لكن بمعنى الجزم اليه واثبات المستقبل
يعلمون الناس السحر قيل معنى السحر العلم والحذق قال الله تعالى وقالوا يا ايها الساحر اي العالم والصحيح
ان السحر عبارة عن التمويه والتخييل والسحر وجوده حقيقة عند اهل السنة وعليه اكثر الامم ولكن العمل به
كفر حكي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به فهو من
عمل الشياطين يتلقاه الساحر منه بتعليمه اياه فاذا تلقاه منه استعمله في غيره وقيل انه يؤثر في قلب الا
عيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب والاصح ان ذلك تخييل قال الله تعالى
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى لكنه يؤثر في الابدان بالامراض والموت والجنون وللكلام تاثير في الطباع
والنفوس وقد يسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وربما يحم منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو
بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الابدان قوله تعالى وما انزل على الملكين اي ويعلمون الذي انزل على
الملكين اي الهما وعلما فالانزال بمعنى الالهام والتعليم فيه واتبعوا ما انزل على الملكين وقرا ابن عباس والحسن
الملكين بكسر اللام قال ابن عباس هما رجلان ساحران كانا ببابل وقال الحسن علجين لان الملائكة لا يعلمون
السحر ببابل وهي بابل العراق سميت بابل لتبلبل الالسن بها عند سقوط صرح نمرود اي تفرقها قال
قال ابن مسعود بابل ارض الكوفة وقيل جبل دنباوند والقراءة المعروفة على الملكين بالنصب فان قيل كيف
يجوز تعليم السحر من الملائكة قيل له تاويلان احدهما انهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران
بطلانه ويأمران باجتنابه والتعليم بمعنى الاعلام فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم من صنعتهما والثاني
وهو الاصح ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما فيكفر به ومن

سعد يتركه فيبقى على الايمان ويزداد المعلمان بالتعليم عذابا ففيه ابتلاء المعلم والمتعلم ولله
ان يمتحن عباده بما شاء فله الامر والحكم هاروت وماروت اسمان سريانيان وهما
في محل الخفض على تفسير الملكين الا انهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما على ما ذكره ابن
عباس والمفسرون ان الملائكة راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس
عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم فهم يعصونك
فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا
فقالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى
الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وقال الكلبي قال الله
تعالى لهم اختاروا ثلثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت وغير اسمهما لما قارفا
الذنب وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة واهبطهم الى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس
بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزائيل فانه لما وقعت الشهوة
في قلبه استقال ربه وساله ان يرفعه الى السماء فاقاله فسجد اربعين سنة ثم رفع راسه ولم يزل بعد
ذلك مطاطئا راسه حياء من الله عز وجل واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك فكانا يقضيان
بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما
شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من اجمل النساء قال
علي بن ابي طالب رضه وكانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما راياها اخذت بقلوبهما
فراوداها عن نفسها فابت فانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت
لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه
الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي انفسهما
من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلوة لغير
الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فانتشيا ووقعا بالمراة فزنيا فلما
فرغا راهما انسان فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال
بعضهم جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم اليهما زوجها فقال احدهما للآخر اسقط في نفسك
مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال وهل لك ان تقضي لها على زوجها قال له صاحبه اما تعلم ما
عند الله من العذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت

لا الا ان تغضبا الى علي زوجي فتغضبا ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما اما
نعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال صاحبه اما نعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم
سالاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما تعبدانه او اتيتما تصليان له من عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه
مثل القول الاول وقال صاحبه مثله فصليا معها فتمسخت شهابا قال علي بن ابي طالب والكلبي والسدي
انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السما فقالا باسم الله الاكبر فقالت ما
انتما بمدركي حتى تعلماني به فقال احدهما لصاحبه علمها فقال اني اخاف الله قال الاخر فاين رحمة
الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي
الزهرة بعينها وانكر الاخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي اقسم الله بها فقال
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت امراة كانت تسمى زهرة لجمالها
فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود
الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عم فاخبراه بامرهما
وسالاه ان يشفع لهما الى الله وقالا له انا راينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل
الارض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله
بن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال عطا بن ابي رباح رؤسهما مطرقة
تحت اجنحتهما قال قتادة كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما قال مجاهد جعلا في جب ملئت
نارا قال عمر بن سعد منكوسان يضربان بسياط الحديد وروي ان رجلا قصد هاروت
وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين
السنتهما وبين الما الا اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله
الا الله فلما سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس قالا من اي امة قال من امة محمد
قالا او قد بعث محمد قال نعم قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل وما استبشاركما
وهذه حالكما قالا ان محمدا نبي الساعة وقد دنا انقضا عذابنا قوله تعالى وما يعلمان من احد اي احدا
من زائدة حتى يقولا اي ينصحاه اولا ويقولا انما نحن فتنة ابتلا ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر فتعمل
به فتكفر واصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما بالنار ليتميز الجيد من الردي وانما وحده وهما اثنان لان الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع

وقيل انهما يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات قال عطا والسدي فان ابى الا التعلم قالا له
ايت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السما فتلك المعرفة وينزل شي اسود شبه
الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله قال مجاهد ان هاروت وماروت لا يصل
اليهما احد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسالة اختلافة واحدة فيتعلمون منهما يعني من
الشياطين والملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه وهو ان يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد منهما الى صاحبه قال الله تعالى وما هم اي قيل اي السحرة وقيل الشياطين بضارين به من احد اي بالسحر
احدا اي احدا الا باذن الله اي بعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله يكون قال سفيان الثوري
معناه الا بقضائه وقدره ومشيته ويتعلمون ما يضرهم يعني السحر يضرهم ولا ينفعهم ولقد
علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر ما له في الاخرة في الجنة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا
باعوا به انفسهم حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون فان
قيل اليس قد قال ولقد علموا لمن اشتراه فما معنى قوله لو كانوا يعلمون بعدما اخبر انهم علموا قيل
اراد بقوله ولقد علموا يعني الشياطين وبقوله لو كانوا يعلمون يعني اليهود وقيل كلاهما في اليهود ولكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا ولو انهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران واتقوا اليهودية والسحر لمثوبة من عند الله لكان ثواب الله اياهم خير لهم لو كانوا
يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وذلك ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول
الله من المراعاة اي ارعنا سمعك اي فرغ سمعك لكلامنا يقال ارعى الى الشي وراعاه واراعاه اي
اصغى اليه واستمعه وكانت هذه اللفظة شيئا قبيحا بلغة اليهود وقيل كان معناه عندهم اسمع
لا سمعت وقيل هي من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا بمعنى يا احمق فلما سمع
اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان وكانوا
ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف
لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلعم لاضربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فانزل الله تعالى لا تقولوا راعنا لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم النبي صلعم
وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل انتظرنا وتان بنا يقال نظرت فلانا وانتظرته ومنه قوله تعالى
انظرونا نقتبس من نوركم قال مجاهد فهمنا واسمعوا ما تؤمرون به واطيعوا وللكافرين
يعني اليهود عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وذلك ان المسلمين كانوا
اذا قالوا لحلفائهم من اليهود امنوا بمحمد صلعم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه

ولو ودوا لكان خيرا فانزل الله تكذيبا لهم ما يود ما يحب ويتمنى الذين كفروا من اهل
الكتاب يعني اليهود ولا المشركين جره بالنسق على من ان ينزل عليكم من خير من ربكم
اي خير ونبوة ومن صلة والله يختص برحمته بنبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وهو الفضل ابتداء احسان بلا علة وقيل المراد بالرحمة الاسلام والهداية وقيل معنى
الآية ان الله تعالى بعث الانبياء من ولد اسحق فلما بعث النبي صلعم من ولد اسمعيل لم
يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم واما المشركون فانهم لم يقع بودهم لانه جاء بتضليلهم وعيب
آلهتهم فنزلت الآية فيه ما ننسخ من آية الآية وذلك ان المشركين قالوا ان محمدا يامر
اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلاف ما يقوله وما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما اخبر الله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من آية فبين وجه الحكمة في النسخ في اللغة شيئان احدهما
بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل
القرآن منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل اي ذهبت
به وابطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخ وبعضه منسوخ وهو المراد من الآية وهذا
على وجوه احدها ان يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للاقارب وآية عدة الوفاة
بالحول وآية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحوها قال ابن عباس في قوله ما ننسخ من آية قال
يثبت خطها ويبدل حكمها ومنها ان يرفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم ومنها ان يرفع
التلاوة عن المصحف وعن القلوب كما روي عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان قوما من الصحابة قاموا
ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلعم فاخبروه فقال رسول
الله صلعم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها وقيل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة
فرفع اكثرها تلاوة وحكما ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما ان القبلة نسخت من
بيت المقدس الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول الى اربعة
اشهر وعشر ومصابرة الواحد العشرة في القتال نسخت بمصابرة الاثنين ومنها ما يرفع ولا يقام
غيره مقامه كامتحان النساء والنسخ انما يعترض على الاوامر والنواهي دون الاخبار اما معنى
الآية قوله ما ننسخ من آية قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ اي نرفعها وقرا ابن عامر بضم
النون وكسر السين من الانساخ وله وجهان احدهما نجعله في المنسوخ والثاني ان نجعله نسخة له

يقال نسخت الكتاب كتبته وانتسخته غيري اذا جعلته نسخة له او ننسها اي ننسها على قلبك وقال ابن عباس
نتركها لا ننسخها قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوه فتركهم وقيل ننسها اي نامر بتركها يقال
انسيت الشيء اذا امرت بتركه فيكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء ينسخ من غير
اقامة غيره مقامه وقرا ابن كثير وابو عمرو او ننسأها بفتح النون الاول والسين مهموزة اي نؤخرها
فلا نبدلها يقال نسأ الله في اجله وانسأ اجله وفي معناه قولان احدهما نرفع تلاوتها ونؤخر
حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم والقول الثاني قال سعيد بن المسيب
وعطاء اما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة او ننسأها اي نؤخرها ونتركها
في اللوح فلا ننزل نأت بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجركم لا ان آية خير من آية لان
كلام الله واحد وكله خير او مثلها في المنفعة والثواب فكل ما نسخ الى الايسر فهو اسهل في العمل وما نسخ
الى الاشق فهو في الثواب اكثر الم تعلم ان الله على كل شيء قدير من النسخ والتبديل لفظه استفهام ومعناه
تقرير اي انك تعلم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم يا معشر الكفار عند نزول العذاب
من دون الله مما سوى الله من ولي قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور ولا نصير ناصر
يمنعكم من العذاب ام تريدون ان تسألوا رسولكم نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى موسى بالتوراة فقال تعالى ام تريدون يعني اتريدون والميم صلة وقيل بل تريدون ان تسألوا
رسولكم محمد صلعم كما سئل موسى من قبل سأله قومه ارنا الله جهرة وقيل انهم سألوا رسول الله صلعم فقالوا
لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما ان موسى سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففيه منعهم عن السؤالات
المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ومن يتبدل يستبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل اخطأ وسط الطريق وقيل قصد السبيل ود كثير من اهل الكتاب الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا
لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن
اهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر
بمحمد صلعم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد
نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلعم
فاخبراه بذلك فقال اصبتما خيرا وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير اي تمنى واراد كثير من اهل
الكتاب من اليهود لو يردونكم يا معشر المؤمنين من بعد ايمانكم كفارا حسدا نصب على
المصدر اي يحسدونكم حسدا من عند انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يامرهم [illegible]

ما يتبين لهم الحق في التورية ان قول محمد صدق ودينه حق فاعفوا أي تركوا واصفحوا أي تجاوزوا
فالعفو المحو والصفح الاعراض وهذا كان قبل اية القتال حتى يأتي الله بأمره بعذابه القتل والسبي
لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس وقال قتادة هو أمره بقتالهم في قوله
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقال ابن كيسان بعلمه وحكمه فيهم حكم لبعضهم بالاسلام
ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا
لأنفسكم من خير أي طاعة وعمل صالح تجدوه أي تجدوا ثوابه عند الله وقيل أراد بالخير المال
كقوله تعالى ان ترك خيرا أراد من زكوة أو صدقة تجدوه عند الله التمرة واللقمة مثل أحد ان الله بما
تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أي يهودا قال الفراء حذف الياء الزائدة
ورجع الى الفعل من اليهودية وقال الأخفش الهود جمع هائد مثل عائذ وعوذ وحائل وحول أو نصارى
... وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا اليهودية وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا النصرانية وقيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى
اجتمعوا في مجلس رسول الله صلعم مع اليهود وكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى تلك أمانيهم أي شهواتهم الباطلة
التي تمنوها على الله بغير حق قل يا محمد هاتوا أحضروا برهانكم حجتكم على ما زعمتم ان كنتم صا
دقين ثم قال ردا عليهم بلى من أسلم أي ليس كما قالوا بل الحكم للاسلام وانما يدخل الجنة من أسلم
وجهه لله أي أخلص دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله وأصل الاسلام
الاستسلام والخضوع وخص الوجه لأنه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن
في عمله وقيل مؤمن وقيل مخلص فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود
نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلعم أتاهم أحبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى
...م والانجيل وقالت لهم النصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتورية فأنزل الله
تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب
وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب قد رفعنا ليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب
ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل كذلك قال الذين لا يعلمون يعني آباءهم الذين مضوا
مثل قولهم وقال مجاهد عوام النصارى وقال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد
صلعم وأصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين وقال عطاء أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح

وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في نبيهم انه ليس على شيء فالله يحكم بينهم يقضي بين المحق والمبطل
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون من الدين ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه
الاية نزلت في ططيوس بن اسبيانوس الرومي وأصحابه وذلك انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا
مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه
الخنازير فكان خرابا الى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضه وقال قتادة والسدي هو
بخت نصر وأصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى ططيوس
الرومي وأصحابه من أهل الروم قال السدي من أجل انهم قتلوا يحيى بن زكريا وقال قتادة حملهم
بغض اليهود على معاونة بخت نصر فأنزل الله ومن أظلم أي أكفر وأعتى ممن منع مساجد الله يعني
بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها
الا خائفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها
بعد عمارتها رومي الا خائفا لو علم به قتل وقال قتادة ومقاتل لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى
الا متنكرا لو قدر عليه لعوقب قال السدي أخيفوا بالجزية وقيل هذا خبر بمعنى الأمر أي أجهضوهم
بالجهاد حتى لا يدخلها أحد منهم الا خائفا من القتل والسبي أي ما ينبغي لهم في الدنيا خزي عذاب
وهوان قال قتادة هو القتل للحربي والجزية على الذمي قال مقاتل والكلبي تفتح مدائنهم الثلاث
قسطنطينية ورومية وعمورية ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو النار وقال عطاء وعبد الرحمن
بن زيد نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله صلعم وأصحابه من حجه والصلوة فيه عام
الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا
خائفين يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر
النبي صلعم مناديا فنادى ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك فهذا خوفهم وثبت الشرع أن لا
يمكن مشرك من دخول الحرم لهم في الدنيا خزي الذل والهوان والقتل والسبي والنفي ولله
المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول
الله صلعم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلوة فتحروا القبلة
وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلعم
عن ذلك فنزلت هذه الاية وقال عبد الله بن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت
به راحلته وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلعم يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به

قال عكرمة نزلت في تحويل القبلة قال ابو العالية لما صرفت القبلة الى الكعبة عيّرت اليهود المؤمنين وقالوا
ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل
مجاهد والحسن لما نزلت وقال ربكم ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت ولله المشرق والمغرب
على وفق فاينما تولوا تحولوا وجوهكم فثم هناك وجه الله قال الكلبي فثم الله يعلم ويرى والوجه
صلة كقوله كل شيء هالك الا وجهه وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله
والوجهة وجهة القبلة وقيل رضا الله ان الله واسع اي غني يعطي من السعة قال الفراء الجواد الذي
يسع عطاؤه كل شيء قال الكلبي واسع المغفرة عليم بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا وقالوا اتخذ الله
ولدا قرا ابن عامر قالوا بلا واو وقرا الاخرون وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث
قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب قالوا الملائكة بنات
الله سبحانه نزه وعظم نفسه روي عن ابن عباس عن النبي صلعم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه
اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا بل له ما في السموات والارض عبيدا وملكا
كل له قانتون قال مجاهد وعطاء والسدي مطيعون وقال عكرمة ومقاتل مقرون بالعبودية
وقال ابن كيسان قائمون بالشهادة واصل القنوت القيام قال النبي صلعم افضل الصلوة طول
القنوت واختلفوا في حكم الاية فذهب جماعة الى ان حكم الاية خاص قال مقاتل هو راجع الى عزير
والمسيح والملائكة وعن ابن عباس انه قال هو راجع الى اهل طاعته دون ساير الناس وذهب
جماعة الى ان حكم الاية عام في جميع الخلق لان كل تقتضي الاحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء ثم
سلكوا في الكل طريقين قال مجاهد يسجد ظلالهم لله على كره منهم قال الله تعالى وظلالهم
بالغدو والاصال قال السدي هذا يوم القيمة دليله وعنت الوجوه للحي القيوم وقيل
القانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له بديع السموات والارض اي مبدعهما ومنشئهما
من غير مثال سبق واذا قضى امرا اي قدره وقيل احكمه واتقنه واصل القضاء الفراغ ومنه
قيل لمن مات قضي عليه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء الله وقدره لانه فرغ منه تقديرا وتدبيرا
فانما يقول له كن فيكون قرا ابن عامر كن فيكون بنصب النون في جميع المواضع الا في ال عمران
كن فيكون الحق من ربك وفي سورة الانعام كن فيكون قوله الحق وانما نصبها لان جواب الامر بالفاء يكون
منصوبا وقرا الاخرون بالرفع على معنى فهو يكون فان قيل كيف قال فانما يقول له كن فيكون والمعدوم

لا يخاطب قيل قال ابن الانباري معناه فانما يقول له اي لاجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب
وقيل هو وان كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح
الخطاب وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس اليهود وقال مجاهد النصارى وقال قتادة مشركوا
العرب لولا هلا يكلمنا الله عيانا بانك رسوله وكل ما في القران لولا فمعناه هلا الا واحدا
وهو قوله فلولا انه كان من المسبحين معناه فلولم يكن او تاتينا اية دلالة وعلامة على صدقك
قال الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية مثل قولهم تشابهت قلوبهم
اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة وطلب المحال قد بينا الايات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق اي بالصدق كقوله ويستنبئونك احق هو اي صدق قال ابن عباس بالقران دليله
بل كذبوا بالحق لما جاءهم قال ابن كيسان بالاسلام وشرايعه دليله قوله عز وجل وقل جاء الحق
وقال مقاتل معناه لم نرسلك عبثا انما ارسلناك بالحق كما قال وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق بشيرا اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب الكريم ونذيرا منذرا مخوفا
لاعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم ولا تسال قرا نافع ويعقوب ولا تسال على النهي
قال عطاء عن ابن عباس وذلك ان النبي صلعم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت
هذه الاية وقيل هو على معنى قولهم لا تسال عن شر فلان فانه فوق ما تحسب وليس على النهي وقرا
الاخرون ولا تسال بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤول عنهم كما قال تعالى فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب عن اصحاب الجحيم والجحيم معظم النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسالون النبي صلعم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه
فانزل الله هذه الاية معناه وانك ان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا
ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في القبلة وذلك ان يهود المدينة
ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلعم حين كان يصلي الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة
ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم
دينهم وقبلتهم ولن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية والملة الطريقة
قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الذي لا زيادة عليه وما تتحروا هو انتم في عبادتكم
الاصنام وغيرها فانما هو هوى والدليل عليه ولئن اتبعت اهواءهم قيل الخطاب مع رسول
الله صلعم والمراد به الامة كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك بعد الذي جاءك من العلم البيان

بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبلة إبراهيم وهي الكعبة ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم
الكتاب قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا
اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك هم من آمن من اليهود
عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله
ابن صوريا وقال قتادة وعكرمة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته
قال الكلبي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس والهاء راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون
هي عائدة على الكتاب واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه ويحلون
حلاله ويحرمون حرامه وقال الحسن يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما أشكل عليهم
إلى عالمه وقال مجاهد يتبعونه حق اتباعه أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وإذ ابتلى إبراهيم
ربه بكلمات فأتمهن قرأ ابن عامر أبراهام بالألف في أكثر المواضع وهو اسم أعجمي ولذلك لا
يجر وهو إبراهيم بن تارخ ابن ناحور وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل
بكوثى وقيل بكسكر وقيل بحران ولكن أباه نقله إلى بابل أرض نمرود بن كنعان ومعنى الابتلاء
الاختبار والامتحان والأمر وطلب الصحيح وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم
بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها
إبراهيم فقال عكرمة عن ابن عباس هي ثلاثون سهما هن شرائع الإسلام لم يبتل أحد بهذا
الدين فأقامه كله إلا إبراهيم فكتب له البراءة فقال وإبراهيم الذي وفى عشر في براءة التائبون
العابدون إلى آخرها وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل
وقد أفلح المؤمنون وقوله إلا المصلين في سأل سائل وقال طاوس عن ابن عباس ابتلاه
بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك
وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء
بالماء وفي الخبر أن إبراهيم أول من قص الشارب وأول من اختتن وأول من قلم الأظفار
وأول من رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا قال الوقار قال يا رب زدني وقارا قال
مجاهد هي الآيات التي بعدها في قوله قال إني جاعلك للناس إماما إلى آخر القصة قال الربيع

وقتادة هي مناسك الحج قال الحسن ابتلاه بسبعة أشياء بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر
وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها
قال سعيد بن جبير هو قول إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان البيت ربنا تقبل منا الآية فرفعاها بسبحان
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال يمان بن رئاب هن محاجة قومه قال الله تعالى
وحاجه قومه إلى قوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم وقيل هي قوله الذي خلقني فهو يهدين إلى آخر
الآيات فأتمهن قال قتادة أداهن قال الضحاك قام بهن وقال يمان عمل بهن قال إني
جاعلك للناس إماما يقتدى بك في الخير قال إبراهيم ومن ذريتي أي ومن أولادي أيضا فاجعل منهم
أئمة يقتدى بهم قال الله لا ينال لا يصيب عهدي الظالمين قرأ حمزة وحفص بإسكان الياء
والآخرون بفتحها أي من كان منهم ظالما لا يصيبه قال عطاء بن أبي رباح عهدي رحمتي قال السدي
نبوتي وقيل الإمامة وقال مجاهد ليس لظالم أن يطاع في ظلمه ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك
من النبوة والإمامة من كان ظالما من ولدك وقيل أراد بالعهد الأمان من النار وبالظالم المشرك
كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وإذ جعلنا البيت يعني الكعبة
مثابة للناس مرجعا لهم قال مجاهد وسعيد بن جبير يثوبون إليه من كل جانب ويحجون وقال
ابن عباس معاذا وملجأ وقال قتادة وعكرمة مجمعا وأمنا أي مأمنا يأمنون فيه من إيذاء
المشركين فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال
الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وعن ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة
لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس
يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم قال إلا الإذخر واتخذوا قرأ نافع وابن عامر واتخذوا
بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون بكسرها على الأمر من مقام إبراهيم مصلى قال يمان المسجد كله مقام إبراهيم
وقال إبراهيم النخعي الحرم كله مقام إبراهيم وقيل أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
وسائر المشاهد والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة وذلك الحجر الذي
قام عليه إبراهيم عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي
قال قتادة ومقاتل والسدي أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله وعن
أنس قال عمر وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

ما نزل الله عز وجل واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلعم بعض
نسائه فدخلت عليهن قلت ان انتهيتن او ليبدلن الله رسوله خيرا منكن فانزل الله عز وجل
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن ورواه محمد بن اسمعيل ايضا عن عمرو بن
عون حدثنا هشيم عن حميد عن انس قال قال عمر وافقت ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذ
ت من مقام ابرهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى اما بدو قصة المقام روى
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء ابرهيم باسمعيل وهاجر ووضعهما بمكة واتت على ذلك
ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل منهم امراة وماتت هاجر استاذن ابرهيم سارة ان
يأتي هاجر فاذنت له وشرطت ان لا ينزل فقدم ابرهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت
اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيصيد
فقال لها ابرهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي وسالها عن عيشهم فقالت في ضيق
وشدة فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب
ابرهيم فجاء اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامراته جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا
كالمستخفة بشانه قال فما قال لك قالت قال اقرأي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه
قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابرهيم
ما شاء الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل
فجاء ابرهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو
يجيء الان ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن
واللحم وسالها عن عيشهم فقالت نحن بخير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز
او بر او شعير او تمر لكانت اكثر ارض الله برا او شعيرا او تمرا فقالت له انزل حتى اغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن
ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه فقال لها اذا جاء زو
جك فاقرأيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال
لامراته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت
له كذا وغسلت راسه وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابرهيم وانت العتبة امرني ان امسكك

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضا قال ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري
نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد
ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر تعينني عليه قال اعينك قال ان الله امرني ان ابني ههنا بيتا فعند
ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء
بهذا الحجر فوضعه له فقام ابرهيم على حجر المقام وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي الخبر الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا ما مسته
ايدي المشركين لاضاء ما بين المشرق والمغرب وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي امرناهما واوصينا اليهما
قيل سمي اسمعيل لان ابرهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا وهو يقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما
رزق سماه به ان طهرا بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تخصيصا وتفضيلا اي ابنياه على الطهارة
والتوحيد قال سعيد بن جبير وعطاء طهراه من الاوثان والريب وقيل بخراه وخلقاه قرا اهل
المدينة وحفص بيتي بفتح الياء ههنا وفي سورة الحج زاد حفص في سورة نوح عليه السلام للطائفين الدائرين
حوله والعاكفين المقيمين المجاورين والركع جمع الراكع السجود جمع الساجد وهم المصلين قال
الكلبي ومقاتل الطائفين هم الغرباء والعاكفين اهل مكة قال عطاء وهي طواف للغرباء
افضل والصلوة لاهل مكة افضل واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يعني مكة وقيل الحرم بلدا
امنا اي ذا امن يامن فيه اهله وارزق اهله من الثمرات انما دعا بذلك لانه كان بواد غير
ذي زرع وفي القصص ان الطائف كانت من مدائن الشام باردن فلما دعا ابرهيم هذا
الدعاء امر الله جبرائيل عم حتى قلعها من اصلها وادارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الذي هي
الان فيه فمنها اكثر ثمرات مكة من امن منهم بالله واليوم الاخر دعا للمؤمنين خاصة قال الله تعالى
ومن كفر فامتعه قرا ابن عامر فامتعه خفيفا والاخرون بالتشديد ومعناهما واحد قليلا اي سارزق
الكافر ايضا قليلا الى منتهى اجله وذلك ان الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم
وانما قيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل ثم اضطره اي الجئه في الاخرة الى عذاب النار وبئس المصير
الى المرجع يصير اليه قال مجاهد وجد عند المقام كتاب فيه انا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس
والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة املاك حنفاء يأتيها رزقها من
ثلث سبل مبارك لاهلها في اللحم والماء واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل روى
الرواة ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت
الارض

من جنتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكى الى الله فانزل الله البيت المعمور من ياقوتة
من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر له باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت
ايام بالاذان اهبطت اليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي
وانزل الحجر وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من ارض الهند الى مكة ماشيا
وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا بر
حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من
الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة يدخله كل يوم
سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث جبريل حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له
من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابرهيم ثم ان الله تعالى امر ابرهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق
ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله تعالى ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت
وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية وامر ابرهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابرهيم حتى
اتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوي الحجفة هذا قول علي والحسن رضي الله عنهما وقال
ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابرهيم يمشي في ظلها الى ان وافقت مكة ووقفت على
موضع البيت فنودي منها ابرهيم ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ارسل الله جبريل ليدله على
موضع البيت فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت فبنى ابرهيم واسمعيل البيت فكان
ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت يعني اسسه
واحدتها قاعدة وقال الكسائي جدر البيت قال ابن عباس انما بني البيت من خمسة اجبل طور سينا
وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء
وهو جبل بمكة فلما انتهى ابرهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس
علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن من هذا فمضى اسمعيل يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابرهيم
ان لك عندي وديعة فخذها فاخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى بنى في السماء
بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراح وامر الملائكة ان يبنوا الكعبة في الارض بحياله على قدره
ومثاله وقيل اول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم اظهره الله لابرهيم حتى بناه ربنا
تقبل منا فيه اضمار اي ويقولان ربنا تقبل منا بناءنا البيت انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك ومن ذريتنا

قال الامام محي السنة [illegible] ان يتلقى الحاج بالترحيب ويصافحه تبركا به ويلتمس ان يستغفر له قبل ان يدخل بيته فانه مغفور له

اي اولادنا امة جماعة والامة اتباع الانبياء مسلمة لك خاضعة لك وارنا علمنا وعرفنا
قرأ ابن كثير ساكنة الراء وابو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر وابو بكر
في الاسكان في حم السجدة واصله ارئنا فحذفت الهمزة طلبا للخفة ونقلت حركتها الى الراء ومن سكن
قال ذهبت الحركة مناسكنا شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مواضع حجنا وقال مجاهد
مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب
الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابرهيم
قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا تجاوز عنا انك انت التواب الرحيم
ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة من ذرية ابرهيم واسمعيل وقيل في اهل مكة رسولا منهم
اي مرسلا منهم اراد به محمدا صلعم [illegible] رسول الله صلعم قال اني عند الله مكتوب
خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم باول امري انا دعوة ابرهيم وبشارة
عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور اضاءت منه قصور الشام واراد
بدعوة ابرهيم هذا فانه دعا ان يبعث في بني اسمعيل رسولا منهم قال ابن عباس كل الانبياء
من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين يتلو يقرأ عليهم آياتك يعني القرآن والآية
من القرآن كلام متصل الى انقطاعه وقيل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم
ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة قال مجاهد فهم القرآن وقال مقاتل مواعظ
القرآن وما فيه من الاحكام قال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما
وقيل هي السنة وقيل هي الاحكام والقضاء وقيل الحكمة الفقه قال ابو بكر بن دريد كل كلمة وعظتك
او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك والذنوب وقيل
يأخذ زكاة اموالهم وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء
بالبلاغ من التزكية وهو التعديل انك انت العزيز الحكيم قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد
مثله وقال الكلبي المنتقم بيانه قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام وقيل المنيع الذي لا تناله
الايدي ولا يصل اليه شيء وقيل القوي والعزة القوة قال الله تعالى فعززنا بثالث اي قوينا
وقيل الغالب قال الله تعالى اخبارا وعزني في الخطاب اي غلبني ويقال في المثل من عز بز اي
من غلب سلب ومن يرغب عن ملة ابرهيم وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني

ابني اخيه ... فدعاهما الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله عز وجل قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
ان يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته يقال رغب في
الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا تركه وقوله ومن لفظه استفهام ومعناه التقريع والتوبيخ يعني ما
يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قال ابن عباس من خسر نفسه وقال الكلبي ضل من قبل نفسه
وقال ابو عبيدة اهلك نفسه قال ابن كيسان والزجاج معناه جهل نفسه والسفاهة الجهل وضعف
الرأي وكل سفيه جاهل وذلك ان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف ان الله خلقها وقد
جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك واعرفني
فقال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف اعرفك فاوحى الله اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء
واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء وقال الاخفش معناه سفه في نفسه ونفسه على هذا القول نصب بنزع
حرف الصفة وقال الفراء نصب على التفسير وكان الاصل سفهت نفسه فلما اضاف الفعل الى صاحبها خرجت
النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا اي ضاق ذرعي به ولقد اصطفيناه اخترناه
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني مع الانبياء في الجنة وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام
واثبت عليه لانه كان مسلما قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وقال الكلبي اخلص
دينك وعبادتك لله وقال عطاء اسلم نفسك الى الله وفوض امورك اليه قال اسلمت اي فوضت
امري لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي في النار
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب قرأ اهل المدينة والشام واوصى بالالف وكذلك هو في مصاحفهم
وقرأ الباقون ووصى مشددا وهما لغتان مثل نزل وانزل معناه ووصى ابراهيم بنيه ووصى يعقوب
بنيه قال الكلبي ومقاتل يعني كلمة الاخلاص لا اله الا الله قال ابو عبيدة ان شئت رددت الكناية الى
الملة لانه ذكر ملة ابراهيم وان شئت رددتها الى الوصية اي اوصى ابراهيم بنيه الثمانية اسمعيل وامه هاجر
القبطية واسحق وامه سارة وستة امهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد
وفاة سارة ويعقوب سمي به لانه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن امه
وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني ووصى
يعقوب ايضا بنيه الاثني عشر يا بني معناه يا بني ان الله اصطفى اي اختار لكم الدين اي دين

الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون والنهي
في ظاهر الكلام وقع على الموت وانما نهوا في الحقيقة عن ترك الاسلام معناه داوموا على الاسلام
حتى لا يصادفكم الموت الا وانتم مسلمون وعن الفضيل بن عياض رحمه الله انه قال الا وانتم مسلمون اي
محسنون بربكم الظن وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ام كنتم شهداء يعني اكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء
حضورا اذ حضر يعقوب الموت حين قرب يعقوب من الموت قيل نزلت في اليهود حين
قالوا للنبي صلعم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون
الخطاب لليهود اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر العامل فيهما شهداء وقال الكلبي لما دخل
يعقوب مصر راهم يعبدون ... من بعدي وقال عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى
يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال انظرني حتى اسأل ولدي واوصيهم ففعل
الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي قالوا
نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق وكان اسمعيل عما لهم والعرب تسمي
العم ابا كما تسمي الخالة اما قال النبي صلعم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا علي ابي
فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وذلك انهم قتلوه الها
واحدا نصب على البدل من قوله الهك وقيل نعرفه الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة جماعة
قد خلت مضت لها ما كسبت من العمل ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني
يسأل كل عن عمله لا عن عمل غيره وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس
نزلت في رؤس يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابي ياسر
بن اخطب وفي نصارى اهل نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين
في الدين كل فرقة تزعم انها احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التورية
افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى
نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت
بمحمد والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فقال
الله عز وجل قل يا محمد بل ملة ابراهيم حنيفا بل نتبع ملة ابراهيم وقال الكسائي هو نصب
على الاغراء كانه يقول اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل نكون على ملة ابراهيم فحذف على فصار

منصوبا حنيفا نصب على الحال عند نحاة البصرة وعند نحاة الكوفة نصب على القطع اراد بل ملة
ابرهيم الحنيف فلما اسقطت الالف واللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب قال ابن عباس
الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام واصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم
وقال سعيد بن جبير الحنيف هو الحاج المختتن وقال الضحاك اذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج
واذا لم يكن معه المسلم فهو المسلم قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم الامهات والبنات والاخوات والعمات
والخالات واقامة المناسك وما كان من المشركين ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال جل ذكره قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن وما انزل الى ابرهيم وهو عشر صحف واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط يعني اولاد يعقوب واحدهم سبط وهم اثنا عشر سبطا سموا بذلك لانه ولد لكل واحد
منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلعم والاسباط من
بني اسرائيل كالقبائل من العرب من بني اسمعيل والشعوب من العجم وكان في الاسباط انبياء ولذلك
قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم انبياء وما اوتي موسى يعني التورية وعيسى
يعني الانجيل وما اوتي اي اعطي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي نؤمن بالكل لا نفرق
بين احد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال
رسول الله صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الاية فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به وكذلك كان يقرؤها ابن عباس والمثل صلة كقوله تعالى ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير اي ليس هو كشيء وقيل معناه فان آمنوا بجميع ما آمنتم به اي اتوا بايمان كايمانكم
وتوحيد كتوحيدكم وقيل معناه فان آمنوا مثل ما آمنتم والباء زائدة كقوله وهزي اليك بجذع
النخلة وقال ابو معاذ النحوي معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا فانما
هم في شقاق قال ابن عباس وعطاء اي في خلاف ومنازعة يقال شاق مشاقة اذا خالف
كأن كل واحد اخذ في شق غير شق صاحبه قال الله تعالى لا يجرمنكم شقاقي اي خلافي وقيل في عداوة
دليله قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله اي عادوا الله فسيكفيكهم الله يا محمد اي يكفيك شر اليهود
والنصارى وقد كفى باجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو
السميع لاقوالهم العليم باحوالهم صبغة الله قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن
دين الله وانما سماه صبغة لانه يظهر اثر الدين على المتدين كما يظهر الصبغ على الثوب وقيل لان المتدين يلزمه

فلا يتغير كما الصبغ يلزم الثوب وقال مجاهد فطرة الله وهو قريب من الاول وقيل سنة الله
وقيل اراد به الختان لانه يصبغ صاحبه بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لهم ولد
فاتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليطهروه بذلك مكان الختان
فاذا فعلوا به ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله تعالى ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصا
رى وهو نصب على الاغراء يعني الزموا دين الله قال الاخفش هو بدل من قوله ملة ابرهيم ومن
احسن من الله صبغة اي دينا وقيل تطهيرا ونحن له عابدون مطيعون قل يا محمد لليهود والنصارى أ
تحاجوننا في الله اي في دين الله والمحاجة المجادلة في الله لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان الانبياء كانوا منا
وعلى ديننا وديننا اقدم فنحن اولى بالله منكم فقال الله تعالى قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم
اي نحن وانتم سواء في الله فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لكل واحد جزاء عمله
ونحن له مخلصون فكيف تدعون انكم اولى بالله ونحن له مخلصون وانتم به مشركون قال سعيد بن
جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل
ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله
عنهما ام يقولون يعني ايقولون صيغة الاستفهام ومعناه التوبيخ وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى قل أتحاجوننا في الله وقال بعده أأنتم اعلم ام الله
وقرأ الاخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى قل يا محمد أأنتم اعلم بدينهم ام الله وقد اخبر الله تعالى ان ابرهيم
لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم اخفى شهادة عنده من الله
وهي علمهم بان ابرهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق ورسول اشهدهم الله عليه في كتبهم وما الله
بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون كرره
تاكيدا سيقول السفهاء اي الجهال من الناس ما ولاهم صرفهم وحولهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها يعني بيت المقدس الى مكة والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة
طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة فقال مشركو مكة قد تردد على محمد امره واشتاق
الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم فقال الله تعالى قل لله المشرق والمغرب
ملكا والخلق عبيده يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم نزلت في رؤساء اليهود
قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم [illegible]

منا ابن عباس فقال شهادة ذا انا على حق وعدل فانزل الله وكذلك ... هكذا وقيل الكاف للتشبيه كما اخترنا
ابراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك جعلناكم امة وسطا مردودة على قوله ولقد اصطفيناه
في الدنيا وسطا اي عدلا قال الله تعالى قال اوسطهم اي خيرهم واعدلهم وخير الاشياء اوسطها
وقال الكلبي يعني اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في الدين وعن ابي سعيد الخدري
قال قام فينا رسول الله صلعم يوما بعد العصر فما ترك شيئا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك
حتى اذا كانت الشمس على رؤوس النخل واطراف الحيطان فقال اما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى
منها الا كما بقي من يومكم هذا الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخرها واكرمها
على الله عز وجل لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم قال ابن جريج
قلت لعطاء ما معنى لتكونوا شهداء على الناس قال امة محمد شهداء على من يترك الحق من الناس
اجمعين ويكون الرسول محمد رسول الله عليكم شهيدا معدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع
الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا
من نذير فيسأل الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة
وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فيقول الامم الماضية
من اين علموا انهم اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا
كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلعم فيسأل عن حال
امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم قال الاعمش ثنا ابو صالح عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلعم يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فتسأل امته هل بلغكم فيقولون
ما جاءنا من نذير فيقال له من شهودك فيقول محمد صلعم وامته فقال رسول الله صلعم فيجاء بكم
فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلعم وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي تحويلها يعني بيت المقدس
فيكون من باب حذف المضاف ويحتمل ان يكون المفعول الثاني للجعل محذوفا على تقدير وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه التي انت عليها وهي الكعبة كقوله كنتم خير امة اي انتم
الا لنعلم من يتبع الرسول فان قيل ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قيل
اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما
يوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل الا لنعلم اي لنرى ونميز من

يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فيرتد وفي الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم
من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه وقال اهل المعاني معناه الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كانه سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم
وضلالة قوم وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى فلم تقتلون انبياء الله اي فلم قتلتم
وان كانت اي وقد كانت لكبيرة اي تولية القبلة وقيل الكناية راجعة الى القبلة وقيل الى الكعبة
قال الزجاج وان كانت التحويلة لكبيرة ثقيلة شديدة الا على الذين هدى الله اي هداهم الله
قال سيبويه وان تأكيد شبيه باليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها وما كان الله ليضيع ايمانكم
وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس
ان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات
على الضلالة فقال المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات
منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة من المسلمين اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن
معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلعم فقالوا يا رسول الله
قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله
عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلواتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لرؤوف رحيم قرأ اهل
الحجاز وابن عامر وحفص لرؤوف مشبع على وزن فعول لان اكثر اسماء الله على فعول وفعيل كا
لغفور والشكور وغيرهما وابو جعفر يلين الهمزة وقرأ الاخرون بالقصر مثل على وزن فعل
قال جرير ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم والرأفة اشد الرحمة قد نرى تقلب
وجهك في السماء هذه الاية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها راس القصة وامر
القبلة اول ما نسخ من امور الشرع وذلك ان رسول الله صلعم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر
الى المدينة امره الله ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى
قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة فصلى بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس
وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة ابيه ابراهيم عم وقال مجاهد كان يحب ذلك من
اجل ان اليهود كانوا يقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل عم وددت لو حولني الله
الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك
فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلعم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل
بما يحب

مما كان امرهم بالقبلة فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة فلنحولنك الى قبلة
ترضاها اي تحبها وتهواها فول اي حول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه واراد به الكعبة والحرام
المحرم وحيث ما كنتم من بر او بحر شرق او غرب فولوا وجوهكم شطره عند الصلوة روي عن عطاء قال
سمعت ابن عباس قال لما دخل النبي صلعم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وعن البراء ان النبي صلعم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده
او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون
قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلوة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر
على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلعم قبل مكة فداروا كما هم قبل
البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس واهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت
انكروا ذلك وقال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول
فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال
بدر بشهرين قال مجاهد وغيره نزلت هذه الاية ورسول الله صلعم في مسجد بني سلمة وقد صلى با
صحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وبيان التحويل خارج الصلوة بين الصلوتين
واهل قبا وصل الخبر اليهم في صلوة الصبح وعن عبد الله بن دينار ان عبد الله بن عمر قال بينما
الناس في قبا في صلوة الصبح اذ جاءهم آت وقال لهم ان رسول الله صلعم قد انزل عليه الليلة
قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى
الكعبة فلما تحولت القبلة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي
الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فا
نزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني امر الكعبة الحق من
ربهم في صدورهم وما الله بغافل عما تعملون قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي
بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزا
ئكم وقرا الباقون بالياء يعني ما انا بغافل عما يفعل اليهود فاجازيهم في الدنيا والاخرة ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى قالوا ائتنا باية على ما تقول فقال تعالى
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية حجة ومعجزة ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما انت بتابع

قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب
والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال ما بين المشرق والمغرب
قبلة واراد به في حق اهل المشرق واراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم في السنة وبالمغرب مغرب
الصيف في اطول يوم في السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره
كان وجهه الى القبلة ولئن اتبعت اهواءهم مراد منه الخطاب مع النبي صلعم والمراد به الامة من
بعد ما جاءك من العلم من الحق في القبلة انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب يعني مؤمني
اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه يعني يعرفون محمدا صلعم كما يعرفون ابناءهم
من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رض لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل على نبيه الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف
ابني ومعرفتي بمحمد صلعم اشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من
الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما يصنع النساء فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت
وان فريقا منهم ليكتمون الحق يعني صفة محمد صلعم وامر الكعبة وهم يعلمون ثم قال الحق اي هذا الحق
خبر ابتداء مضمر وقيل رفع باضمار فعل اي جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين
ولكل وجهة اي لكل اهل ملة والوجهة اسم للمتوجه اليه هو موليها اي مستقبلها ومقبل اليها
يقال وليته وتوليت اليه اذا اقبلت عليه ووليت عنه اذا ادبرت عنه قال مجاهد هو موليها
وجهه وقال الاخفش هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الامم الى قبلتهم وقرا ابن عامر
هو مولاها اي المستقبل مصروف اليها فاستبقوا الخيرات اي الى الخيرات يريد بادروا بالطا
عات والمراد المبادرة الى القبول اينما تكونوا انتم واهل الكتاب يات بكم الله جميعا يوم
القيامة فيجزيكم باعمالكم ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون قرا ابو عمرو بالياء والباقون بالتاء ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وانما كرر لتاكيد النسخ
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم اختلفوا في تاويل هذه الاية ووجه قوله الا فقال
بعضهم معناه حولت القبلة الى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولون
ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم قريش واليهود واما قريش فتقول رجع الى الكعبة لانه علم انها
الحق وانها قبلة آبائه فكذلك يرجع الى ديننا واما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه

انه حق الا انه يجعل بمعنى ... وقال قوم "لئلا يكون للناس عليكم حجة" يعني اليهود وكانت
حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم الى بيت المقدس انهم كانوا يقولون ما درى
محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم نحن وقوله الا الذين ظلموا وهم مشركوا مكة وحجتهم
انهم قالوا لما صرفت القبلة الى الكعبة ان محمدا تحير في دينه وسيعود الى ملتنا كما عاد الى
قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة وعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحا
وقوله الا الذين ظلموا يعني لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش فانهم يحاجونكم ويجادلونكم
بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وموضع
الذين خفض كانه قال الا للذين ظلموا قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء وقوله منهم
يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم
بالباطل كما قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل
ما لك عندي حق الا ان تظلم قال ابو روق لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة وذلك
انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابرهيم ووجدوا في التورية ان محمدا سيحول اليها فحوله الله
اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول اليها ولم تحول انت فلما
حول اليها ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا يعني الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق وقال ابو
عبيدة قوله الا الذين ظلموا ليس باستثناء ولكن الا في موضع واو العطف يعني والذين ظلموا
ايضا لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
معناه والفرقدان ايضا يفترقان فمعنى الاية تحولوا الى الكعبة لئلا يكون للناس يعني اليهود
عليكم حجة فيقولون لم تركتم الكعبة وهي قبلة ابرهيم وانتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم
مشركوا مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها الى قبلة اليهود فلا تخشوهم في انصرا
فكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة فاني وليكم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة
واخشوني ولاتم نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكي اتم نعمتي عليكم
بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم فيتم لكم الملة الحنيفية قال علي بن ابي طالب رض تمام النعمة
الموت على الاسلام قال سعيد بن جبير لا يتم نعمة على المسلم الا ان يدخل الجنة ولعلكم تهتدون
لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب كما ارسلنا فيكم هذه الكاف للتشبيه وتحتاج
الى شيء ترجع اليه فقال بعضهم ترجع الى ما قبلها معناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم رسولا

قال محمد بن جرير دعا ابرهيم بدعوتين احديهما قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك والثانية قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله الرسول وهو محمد صلعم ووعد
اجابة الدعوة الثانية بان يجعل من ذريته امة مسلمة يعني كما اجبت دعوته ببعث الرسول كذلك
اجيب دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية
وقال مجاهد وعطاء والكلبي هو متعلق بما بعده وهو قوله فاذكروني اذكركم معناه كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم فاذكروني وهذه الاية خطاب لاهل مكة والعرب يعني كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب
رسولا منكم محمدا صلعم يتلو عليكم اياتنا يعني القران ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة قيل
الحكمة السنة وقيل مواعظ القران ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من الاحكام وشرايع الاسلام فاذكروني
اذكركم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتكم اذ
كركم بمغفرتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء بيانه فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون وعن الاعمش قال سمعت ابا صالح يخبر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم
يقول الله انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا
ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه
باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن انس قال اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلعم هكذا انا
هذه العشرة ان رسول الله صلعم قال ان الله يقول يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في ملا خير منهم
وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت
الي هرولت اليك وان هرولت الي سعيت اليك وان سالتني اعطيتك وان لم تسالني غضبت
عليك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
وعن عبد الله بن بشر المازني قال جاء اعرابي الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل
قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله واشكروا لي ولا تكفرون يعني واشكروا لي
بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فان من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين بالعون والنصرة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله اموات نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من
المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب
عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء ولكن

لا تشعرون كما قال في شهداء أحد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
قال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الوجع ولنبلونكم ولنختبرنكم يا أمة محمد
صلعم واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن
عالما به بشيء من الخوف والجوع قال ابن عباس يعني خوف العدو والجوع يعني القحط ونقص من الأموال
بالخسران والهلاك والأنفس يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب والثمرات يعني الجوائح
في الثمار وحكي عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله عز وجل والجوع صيام رمضان ونقص من
الأموال أداء الزكاة والصدقات والأنفس الأمراض والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة
قلبه وعن ابن سنان قال دفنت ابني سنانا وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت
الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال ألا أبشرك حدثني الضحاك بن عرزب عن أبي موسى الأ
شعري قال قال رسول الله صلعم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي
قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم فماذا قال قالوا استرجع وحمدك قال ابنوا له
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين على البلايا والرزايا ثم وصفهم فقال الذين
إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله عبيدا وملكا وإنا إليه راجعون في الآخرة وعن مولى أم سلمة
عن أم سلمة زوج النبي صلعم أنها قالت سمعت رسول الله صلعم يقول ما من مصيبة تصيب عبدا
فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في
مصيبته وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة عزم الله لي فقلت اللهم أجرني في
مصيبتي وأخلف لي خيرا منها قالت فأخلف الله لي رسول الله صلعم وقال سعيد بن جبير ما
أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطي يعقوب
ألا تسمع إلى قوله في فقد يوسف يا أسفى على يوسف أولئك أهل هذه الصفة عليهم صلوات
أي رحمة فإن الصلاة من الله الرحمة من ربهم ورحمة ذكر الرحمة تأكيدا وجمع الصلوات
أي رحمة بعد رحمة وأولئك هم المهتدون إلى الاسترجاع وقيل إلى الحق والصواب وقيل إلى الجنة
والثواب قال عمر رضي نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلا
وة الهداية وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو
الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو إسحق إبراهيم بن

عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة
أنه قال سمعت أبا الحباب سعيد بن يسار يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلعم
من يرد الله به خيرا يصب منه وعن أبي هريرة عن النبي صلعم قال ما يصيب المسلم من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه
وعنه قال جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يشفيني
قال إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل
أصبر ولا حساب علي وروي عن سعد قال سئل رسول الله صلعم أي الناس أشد بلاء قال الأ
نبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا ابتلي على قدر ذلك وإن
كان في دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب وعن أنس بن مالك
عن النبي صلعم أنه قال إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي
فله الرضى ومن سخط فله السخط وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا يزال البلاء بالمؤمن
أو المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وعنه قال قال رسول الله صلعم مثل المؤ
من كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة
الأرز لا تهتز حتى تستحصد وعن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال رسول الله صلعم عجبا
للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر
في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته إن الصفا والمروة من شعائر الله الصفا
جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة
ونوى والمروة الحجر الرخو جمعها مروات وجمع الكثير مرو مثل تمرة وتمرات وتمر وإنما
عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة ولذلك أدخل الألف واللام وشعائر الله أعلام دينه
أصلها من الإشعار وهو الإعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب
به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله
ومثلها المشاعر والمراد بالشعائر هاهنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا
والمروة منها حتى يطاف بهما فمن حج البيت أو اعتمر فالحج في اللغة القصد والعمرة الزيارة
وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة فلا جناح عليه أي لا إثم عليه وأصله من جنح أي مال
عن القصد أن يطوف بهما أي يدور بهما وأصله أن يتطوف أدغمت التاء في الطاء وسبب نزول الآية

انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما إساف ونائلة فكان إساف على الصفا ونائلة
على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحونهما فلما
جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين
فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي
بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال
الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن
سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال الثوري وأصحاب الرأي على من
تركه دم واحتج من أوجبه بما روت صفية بنت شيبة قالت أخبرتني بنت أبي تجراة إحدى
نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين ننظر إلى رسول الله
صلعم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول اني
لأرى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وعن هشام بن عروة عن أبيه
قال قلت لعائشة زوج النبي عم أرأيت قول الله إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت
أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كانت
كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما نزلت هذه في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت
مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا
رسول الله صلعم عن ذلك فأنزل الله عز وجل إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية وقال عاصم
قلت لأنس بن مالك أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لأنها كانت من
شعائر الجاهلية حتى أنزل الله إن الصفا والمروة من شعائر الله وعن جابر بن عبد الله أنه
قال سمعت رسول الله صلعم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول نبدأ بما بدأ الله به فبدأ
بالصفا وقال كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك قال
كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى يخرج منه
قال نبي الله حج موسى عم على جمل أحمر وعليه عباءتان قطوانيتان وطاف بالبيت ثم صعد
الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو يلبي فيقول لبيك اللهم لبيك فقال الله لبيك عبدي وأنا
معك فخر موسى ساجدا ومن تطوع خيرا قرأ حمزة والكسائي يطوع بالياء وتشديد الطاء

الطاء وجزم العين وكذلك الثانية بمعنى يتطوع ووافق يعقوب في الأولى وقرأ الآخرون بالتاء وفتح العين
على الماضي قال مجاهد معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة وقال مقاتل والكلبي فمن تطوع أي
زاد في الطواف بعد الواجب وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الواجبة عليه وقال الحسن وغيره
أراد سائر الأعمال يعني فعل غير المفترض عليه من صلاة وزكاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات
فإن الله شاكر مجاز بعمله عليم بنيته والشكر من الله أن يعطي فوق ما يستحق يشكر اليسير
ويعطي الكثير إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب نزلت في علماء اليهود وكتمانهم صفة محمد صلعم وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في التورية
أولئك يلعنهم الله وأصل اللعن الطرد ويلعنهم اللاعنون أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون
اللهم العنهم واختلفوا في هؤلاء اللاعنين قال ابن عباس جميع الخلائق إلا الجن والإنس وقال قتادة
هم الملائكة وقال عطاء الجن والإنس وقال الحسن جميع عباد الله وقال ابن مسعود ما تلاعن اثنان
من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد صلعم وصفته وقال مجاهد
اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وقالت هذا من شؤم
ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال إلا الذين تابوا من الكفر أسلموا وأصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم
وبينوا ما كتموا فأولئك أتوب عليهم أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم وأنا التواب الرحيم رجاع بقلوب
عبادي المنصرفة عني إلي الرحيم بهم بعد إقبالهم علي إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك
عليهم لعنة الله والملائكة أي ولعنة الملائكة والناس أجمعين قال أبو العالية هذا يوم القيامة
يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فإن قيل فقد قال والناس أجمعين والملعون
هو من جملة الناس فيلعن نفسه قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله ويلعن بعضكم بعضا وقيل إنهم يلعنون
الظالمين فيكون فيه وبين لعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه خالدين فيها مقيمين في اللعنة
وقيل في النار لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون ولا يؤجلون وقال أبو العالية لا ينظرون
فيعتذروا كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وإلهكم إله واحد سبب نزول هذه الآية أن كفار
قريش قالوا يا محمد صف وانسب لنا ربك فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص والواحد
الذي لا نظير له ولا شريك له وعن أسماء بنت يزيد أنها قالت سمعت النبي صلعم يقول في هاتين الآيتين
اسم الله الأعظم وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم والله لا إله إلا هو الحي القيوم قال أبو
الضحى لما نزلت هذه الآية قال المشركون إن محمدا يقول إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان

من الشفاء ... قوله تعالى ان في خلق السموات والارض ذكر السموات بلفظ الجمع والارض
بلفظ الواحد لان كل سماء من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية في السموات
سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مدها
وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار والجواهر والنبات واختلاف الليل
اي تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر خلفه اي بعده
نظيره وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء اراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان
والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع والنهار جمعه نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لانه اقدم منه
الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار والفلك التي تجري في البحر يعني السفن واحده وجمعه سواء
يؤنث وفي الواحد يذكر قال الله تعالى في الواحد والتذكير الى الفلك المشحون وقال في الجمع
والتأنيث حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح والفلك التي تجري في البحر والآية في الفلك تسخيرها
وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا تغرق بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في
والمكاسب وانواع المطالب وما انزل الله من السماء من ماء يعني المطر قيل اراد بالسماء السحاب يخلق
الله الماء في السحاب ثم ينزل وقيل اراد به السماء المعروفة يخلق الله الماء في السماء ثم ينزل من السماء الى السحاب ثم
من السحاب ينزل الى الارض فاحيا به الارض اي بالماء بعد موتها اي بعد يبوستها وجدوبتها وبث
اي فرق فيها من كل دابة وتصريف الرياح قرا حمزة والكسائي الريح بغير الف وقرا الباقون
وكل ريح في القرآن ليس فيها الف ولام اختلف القراء في جمعها وتوحيدها الا في الذاريات الريح العقيم اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الاول من سورة
الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها وقرا ابو جعفر سائرها على الجمع والقراء مختلفون فيها
والريح يذكر ويؤنث وتصريفها انها تتصرف الى الشمال والجنوب والقبول والدبور والنكباء
وقيل تصريفها انها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة حارة وتارة باردة قال ابن عباس
اعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضي ما هبت ريح الا
لشفاء سقيم او لسقم صحيح والبشارة في ثلث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب اما
الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية اربعة للرحمة واربعة للعذاب فاما التي
للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات واما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر
والعاصف والقاصف في البحر والسحاب المسخر اي الغيم المذلل سمي سحابا لانه يسحب اي يجر في مره

كانه يسحب اي يجر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا
وصانعا وقال وهب بن منبه ثلثة لا يدرى من اين تجيء الرعد والبرق والسحاب ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا اي اصناما يعبدونها يحبونهم كحب الله اي يحبون
آلهتهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم اشركوها
مع الله فسووا بين الله وبين اوثانهم في المحبة والذين آمنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم
على حبه لانهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا احسن منه طرحوا
الاول واختاروا الثاني قال قتادة ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على
الله كما اخبر الله عنهم فقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض
عن الله تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء قال سعيد بن جبير ان الله عز وجل يامر يوم القيامة
من احرق نفسه في الدنيا على [illegible] الاصنام ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان
عذاب جهنم على الدوام [illegible] بين ايدي الكفار ان كنتم احبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون
فيها وينادي مناد من تحت العرش والذين آمنوا اشد حبا لله وقيل انما قال والذين آمنوا اشد
حبا لله لان الله احبهم [illegible] ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم قال الله تعالى يحبهم
ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرا نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرا الآخرون
بالياء وجواب لو هاهنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي
لكان هذا القرآن فمن قرا بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا انفسهم في شدة العذاب
لرايت امرا فظيعا ومن قرا بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب اي لو
راوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من
الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب قرا ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ان القوة
لله جميعا اي بان القوة [illegible] وان الله [illegible] وقرا ابو جعفر ويعقوب ان
القوة وان الله شديد العذاب بكسر الالف على الاستئناف والكلام تام عند قوله اذ يرون
العذاب مع اضمار الجواب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا [illegible]
[illegible] هذا قول اكثر المفسرين وقال السدي هم
الشياطين يتبرؤون من الانس وراوا العذاب اي يتبرؤون في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت بهم
الاسباب اي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصداقة وصارت
[illegible]

فاتبعوهم عداوة وقال ابن جريج الارحام كما قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ وقال السدي يعني الاعمال
التي كانوا يعملونها في الدنيا كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واصل
السبب ما يوصل به الى شيء من ذريعة او قرابة او مودة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق سبب
وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم اي من المتبوعين
كما تبرءوا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب كذلك يريهم الله وقيل كتبرؤ بعضهم
من بعض يريهم الله اعمالهم حسرات ندامات عليهم جمع حسرة قيل يريهم ما ارتكبوا من السيئات
فيتحسرون لم عملوا وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها قال ابن كيسان
انهم اشركوا بالله الاوثان رجاء ان تقربهم الى الله عز وجل فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه
تحسروا وندموا قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله فيقال
لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون وما هم بخارجين من
النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فالحلال
ما احله الشرع طيبا قيل ما يستطاب ويستلذ والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام وقيل
الطيب الطاهر ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقرأ ابو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص
ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلاته وقيل هي
النذور في المعاصي وقال ابو عبيدة هي المحقرات من الذنوب وقال الزجاج طرقه انه لكم عدو
مبين بين العداوة وقيل مظهر العداوة وقد اظهر عداوته بابائه السجود لآدم وغروره اياه
حتى اخرجه من الجنة وابان يكون لازما ومتعديا ثم ذكر عداوته فقال انما يأمركم بالسوء
بالاثم واصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اي احزنه وسوءته فسيء
اي احزنته فحزن والفحشاء المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالبأساء والضراء
روى باذان عن ابن عباس قال الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء
من الذنوب ما لا حد فيه وقال السدي هي الزنا وقيل هي البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
من تحريم الحرث والانعام واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قيل هذه القصة عائدة الى
والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور روي عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام
فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا واعلم منا

فانزل الله هذه الآية وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم
عائدة على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا قالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه
آباءنا من عبادة الاصنام وقيل معناه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله في تحليل ما حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والهاء والميم عائدة على الناس في قوله تعالى يا ايها الناس
كلوا قالوا بل نتبع قرأ الكسائي بل نتبع بادغام اللام في النون وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والثاء
والزاي والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في التاء والسين ما الفينا وجدنا عليه آباءنا
من التحريم والتحليل قال الله تعالى اولو كان آباؤهم اي وكيف يتبعون آباءهم وآباؤهم لا يعقلون
شيئا والواو في اولو واو العطف ويقال لها ايضا واو التعجب دخلت عليه الف الاستفهام للتوبيخ
والمعنى ايتبعون آباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون لفظه عام ومعناه الخصوص اي لا يعقلون
شيئا من امر الدين لانهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون ثم ضرب لهم مثلا فقال جل
ذكره ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع والنعق صوت الراعي بالغنم معناه مثلك
يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي ينعق بالغنم وقيل مثل واعظ الكفار وداعيهم
معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا ونداء فاضاف المثل الى الذين كفروا لدلالة
الكلام عليه كقوله واسأل القرية معناه كما ان البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال
لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك انما يسمع صوتك وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم وعقلهم
عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى
للمنعوق به والكلام خارج على الناعق وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك ويقلبون الكلام لايضاح
المعنى عندهم يقولون فلان يخافك كخوف الاسد اي كخوفه الاسد وقال تعالى ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة وانما العصبة تنوء بالمفاتح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل
الناعق بالغنم فلا ينتفع من نعقه بشيء غير انه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له في دعاء
الآلهة وعبادتها الا العناء والبلاء كما قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم وقيل معنى الآية ومثل الكفار في دعاء الاوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع صوتا يقال
له الصدى لا يفهم منه شيئا فمعنى الآية كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق الا دعاء ونداء صم
يقول العرب لمن يسمع ولا يعقل كأنه اصم بكم عن الخير لا يقولونه عمي عن الهدى لا يبصرونه
فهم لا يعقلون يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات حلالات ما رزقناكم

... قال رسول الله صلعم يا ايها الناس ان الله طيب ولا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به
المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم
ذكر الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب اشعث اغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك واشكروا لله على النعم ان كنتم اياه تعبدون ثم بين المحرم
فقال انما حرم عليكم الميتة قرا ابو جعفر الميتة في كل القرآن بالتشديد والباقون بشدد والبعض
فالميتة كلما لم يذكى مما يذبح والدم اراد به الدم الجاري يدل عليه قوله تعالى او دما مسفوحا
واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فاحلها وعن ابن عمر قال قال رسول
الله صلعم احلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الحوت والجراد والدمان الكبد
والطحال ولحم الخنزير اراد جميع اجزائه فعبر عن ذكر باللحم لانه معظمه وما اهل به لغير الله اي
ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت كانوا اذا ذبحوا لالهتهم يرفعون اصواتهم
بذكرها فجرى ذلك من امرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل وقال الربيع بن انس وغيره
وما اهل به لغير الله ما ذكر عليه غير الله فمن اضطر بكسر النون واخواته عاصم وحمزة ووافق ابو عمرو
الا في اللام والواو مثل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ويعقوب الا في الواو ووافق ابن عامر في
التنوين والباقون كلها بالضم فمن كسر قال لان الجزم يحرك الى الكسر ومن ضم فلضمة اول الفعل نقل
حركتها الى ما قبلها وابو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر الى اكل الميتة اي احوج والجئ اليه غير
نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رايت غير تصلح في موضعها لا فهي حال واذا صلح في موضعها الا
فهي استثناء غير باغ ولا عاد اصل البغي قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا ترامى الى الفساد
واصل العدو الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدوا وعدوانا اذا ظلم واختلفوا في معنى قوله
غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ اي غير خارج على السلطان ولا عاد اي متعد عاص بسفره
بان خرج لقطع الطريق او لفساد في الارض وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقالوا
لا يجوز للعاصي بسفره ان ياكل الميتة اذا اضطر اليه ولا ان يترخص برخص المسافرين حتى
يتوب وبه قال الشافعي لان في اباحته اعانة له على فساده وذهب جماعة الى ان البغي والعدوان
راجعان الى الاكل واختلفوا في تفسيره فقال الحسن وقتادة غير باغ اي باكله من غير اضطرار ولا عاد اي لا
يعدو لشبعه وقيل غير باغ اي غير طالبها وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له فياكل حتى يشبع
ولكن ياكل منها قوتا مقدار ما يمسك رمقه وقال مقاتل بن حيان اي غير مستحل لها ولا عاد اي متزود

منها وقيل غير باغ اي مجاوز للقدر الذي احل له ولا عاد اي لا يقصر فيما ابيح له فيدعه وقال
مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف
العلماء في مقدار ما يحل للمضطر اكله من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يمسك رمقه وهو قول ابي حنيفة
واحد قولي الشافعي والقول الآخر يجوز ان ياكل حتى يشبع وبه قال مالك وقال سهل بن عبد الله
غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع تناول المحرم عند الضرورة
فلا اثم عليه فلا حرج عليه في اكلها ان الله غفور لمن اكل في حال الاضطرار رحيم حيث رخص
للعباد في ذلك ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم
كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما
بعث محمد صلعم من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد صلعم فغيروها
ثم اخرجوها اليهم فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلعم
فلا يتبعونه فانزل الله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب يعني صفة محمد صلعم ونبوته
ويشترون به بالمكتوم ثمنا قليلا عوضا يسيرا يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار يعني الا ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين فلما
كان يفضي ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوا النار وقيل معناه انه يصير نارا في بطونهم ولا يكلمهم
الله يوم القيامة اي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ وقيل اراد به يكون عليهم
غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا اذا كان عليه غضبان ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من
دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار قال عطاء والسدي هو ما الاستفهام معناه ما الذي
صبرهم واي شيء صبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل وقال الحسن وقتادة
والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجراهم على العمل الذي يقربهم الى النار وقال
الكسائي ما اصبرهم على عمل اهل النار اي ما ادومهم عليه ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق يعني ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب بالحق فانكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك
في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بان الله اي لان الله نزل
الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وقيل معناه ذلك اي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف
والاجتراء على الله من اجل ان الله نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى ان الذين كفروا سواء

عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وإن الذين اختلفوا في الكتاب
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق بعيد أي في خلاف وضلال بعيد ليس البر أن
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قرأ حمزة وحفص ليس البر بنصب الراء والباقون برفعها
فمن رفع جعل البر اسم ليس وخبره في قوله أن تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب
جعل أن تولوا في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كله كقوله تعالى ما كان
حجتهم إلا أن قالوا والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية فقال
قوم عني بها اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى
قبل المشرق وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه
ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان وقال الآخرون المراد بها المؤمنون
وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة
إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلعم ونزلت الفرائض وحددت
الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله تعالى هذه الآية فقال ليس كل البر أن تصلوا قبل
المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك ولكن البر ما ذكر في الآية وعلى هذا القول ابن عباس
ومجاهد وعطاء والضحاك ولكن البر قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة النون البر رفع وقرأ الباقون
بتشديد النون ونصب البر من آمن جعل من وهو اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد
واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موضع المصدر جعله خبر للبر كأنه قال ولكن البر الإيمان بالله
والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل وأنشد الفراء لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما
الفتيان كل فتى ندي فجعل نبات اللحية خبرا للفتى وقيل فيه إضمار معناه ولكن البر بر من آمن
بالله فاستغنى بذكر الأول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أي الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن
ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى هم درجات عند الله أي ذوو درجات وقيل معناه ولكن البار من
آمن بالله كقوله تعالى والعاقبة للتقوى أي للمتقي والمراد من البر هاهنا الإيمان والتقوى بالله واليوم
الآخر والملائكة كلهم والكتاب يعني الكتب المنزلة والنبيين أجمع وآتى المال أي أعطى المال
على حبه اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير إنها راجعة إلى المال أي أعطى المال في حال صحته
ومحبته قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وعن
أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلعم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق

وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان
كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقيل هي عائدة على الله أي على حب الله ذوي القربى أهل القرابة
وعن سلمان بن عامر يبلغ به النبي صلعم قال الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذوي الرحم
ثنتان صدقة وصلة واليتامى والمساكين وابن السبيل قال مجاهد يعني المسافر المنقطع
عن أهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل
قال النبي صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والسائلين يعني الطالبين وعن
ابن بجيد الأنصاري وهو عبد الرحمن بن بجيد عن جدته أم بجيد أن رسول الله صلعم قال ردوا
السائل ولو بظلف محرق وفي رواية قال لها رسول الله صلعم إن لم تجدي شيئا إلا ظلفا محرقا
فادفعيه إليه وفي الرقاب يعني المكاتبين قاله أكثر المفسرين وقيل عتق النسمة وفك الرقبة
وقيل فداء الأسارى وأقام الصلاة وآتى الزكاة أي وأعطى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا
فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا ونذروا
أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدوا واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف
على خبر ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديره هم والموفون كأنه عد أصنافا
ثم قال هم والموفون كذا وقيل رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون إذا عاهدوا ثم قال
والصابرين وفي نصبها أربعة أوجه قال أبو عبيدة نصبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب
أن تغير الإعراب إذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء والمقيمين الصلاة وفي
سورة المائدة والصابئون والنصارى وقيل معناه وأعني الصابرين وقيل نصبه نسقا على قوله
ذوي القربى أي وآتى الصابرين وقال الخليل نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح
والذم كأنهم يريدون إفراد الممدوح والمذموم فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه فالمدح
كقوله والمقيمين الصلاة والذم كقوله ملعونين أينما ثقفوا في البأساء أي في الشدة
والفقر والضراء المرض والزمانة وحين البأس أي القتال والحرب وعن علي بن أبي طالب
رض قال كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلعم فما يكون أحد أقرب إلى
العدو منه يعني إذا اشتد الحرب أولئك الذين صدقوا في إيمانهم وأولئك هم المتقون يا أيها
الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى قال الشعبي والكلبي وقتادة نزلت هذه الآية في
حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكانت بينهما قتلى وجراحات

ثم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام قال مقاتل بن حيان كان بين قريظة والنضير
قال سعيد بن جبير كان بين الاوس والخزرج قتال وجيئا وكان لاحد الحيين طول على الآخر في
الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة
منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا امرهم
الى النبي صلعم فانزل الله تعالى هذه الآية وامر بالمساواة فرضوا وسلموا قوله كتب عليكم اي فرض عليكم
القصاص في القتلى والقصاص المساواة والمماثلة في الجراحات والديات واصله من قص الاثر اذا
اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله ثم بين فقال الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد المسلمين او الاحرار من
المعاهدين او العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر اذا قتل بالذكر وبالانثى والانثى اذا قتلت
بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد
بالحر والولد بالوالد هذا قول اكثر العلم من الصحابة ومن بعدهم وعن ابي جحيفة قال سألت
عليا هل عندكم من النبي صلعم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا
ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وما في الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير
ولا يقتل مؤمن بكافر وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لا تقام الحدود في المساجد
ولا يقاد بالولد الوالد وذهب الشعبي والنخعي واصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالكافر الذمي
والى ان الحر يقتل بالعبد والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي ويقتل الجماعة
بالواحد روي عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قتل خمسة او سبعة برجل قتلوه غيلة وقال لو
تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا ويجري القصاص في الاطراف كما يجري في النفوس الا في شيء
واحد وهو ان الصحيح السوي يقتل بالمريض الزمن وفي الطرف لو قطع يدا شلاء او ناقصة باصبع
لا تقطع بها الصحيحة الكاملة وذهب اصحاب الرأي الى ان القصاص في الطرف لا يجري الا بين حرين
او حرتين ولا يجري بين الذكر والانثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين الطرف في القصا
ص يقاس على النفس وعن انس ان الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فأبوا
فعرضوا الارش فابوا فاتوا رسول الله صلعم وابوا الا القصاص فامر رسول الله بالقصا
ص فقال انس بن النضر يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها
فقال رسول الله صلعم يا انس كتاب الله القصاص فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله صلعم ان من

قتلوه خ

فعفوا خ

عباد الله من لو اقسم على الله لابره فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه
وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل
العمد وقوله من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ المقتول والكنايتان في قوله وفي اخيه يرجعان
الى من وهو القاتل وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى يسقط القود لان شيئا من
الدم قد بطل فاتباع بالمعروف اي على الطالب للدية ان يتبع بالمعروف فلا يطالب اكثر من حقه وقوله
واداء اليه باحسان اي على المطلوب منه اداء الدية باحسان من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان
فيما له وعليه ومذهب اكثر العلماء من الصحابة والتابعين ان ولي الدم اذا عفى عن القصاص على الدية
فله اخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال قوم لا دية له الا برضا القاتل وهو قول الحسن والنخعي
واصحاب الرأي وحجة المذهب الاول ما روي عن ابن شريح الكعبي ان رسول الله صلعم قال انتم يا خزا
عة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وانا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلا فاهله بين
خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا العقل ذلك تخفيف من ربكم ورحمة اي ذلك الذي
ذكرت من العفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم وذلك ان القصاص في النفس والجراح كان
حتما في التورية على اليهود ولم يكن لهم اخذ الدية وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص
فخير الله تعالى هذه الامة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفا منه ورحمة فمن اعتدى بعد
ذلك فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا قال ابن جريج
يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل لان الله تعالى خا
طبه بعد القتل بخطاب الايمان فقال يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص وقال في آخر الآية
فمن عفي له من اخيه شيء واراد به اخوة الايمان فلم يقطع الاخوة بينهما بالقتل ولكم في القصاص
حيوة اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه
وبقاء من هم بقتله وقيل في المثل القتل قلل القتل وقيل معنى الحيوة سلامته من قصاص الآخرة
فانه اذا اقتص منه حيي في الآخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة يا اولي الالباب
لعلكم تتقون اي تنتهون عن القتل مخافة القود كتب عليكم اي فرض عليكم اذا حضر احد
كم الموت اي جاءه اسباب الموت وآثاره من العلل والامراض ان ترك خيرا اي مالا نظيره
قوله تعالى وما تنفقوا من خير الوصية للوالدين والاقربين كانت الوصية فريضة في ابتداء الا
سلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ثم نسخت باية الميراث وعن عمرو بن خارجة قال كنت

آخذا بزمامها ثم ناقة النبي صلعم فقال الا ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث ثم ذهب طائفة
الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الاقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون
من الوالدين والاقارب وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن قال طاوس من اوصى
لقوم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت في ذوي قرابته وذهب الاكثرون الى ان
الوجوب صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون وعن ابن عمر ان رسول
الله صلعم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة بالمعروف اي بالعدل لا يزيد
بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير قال ابن مسعود الوصية للاخر فالاخر
اي الاحوج فالاحوج وعن سعد بن مالك قال جاءني النبي صلعم يعودني فقلت يا رسول الله اوصي
بمالي كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك
اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس بايديهم وعن ابن مليكة ان رجلا قال لعائشة اني
اريد ان اوصي قالت كم مالك قلت ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قلت اربعة قالت انما قال الله ان
ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وقال علي لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي
بالربع ولان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقال الحسن
البصري يوصي بالسدس او الخمس او الربع وقال الشعبي انما كانوا يوصون بالخمس والربع حقا نصب
على المصدر وقيل على المفعول اي جعل الوصية حقا على المتقين المؤمنين فمن بدله اي غير الوصية من
الاوصياء او الاولياء او الشهود بعد ما سمعه اي بعد ما سمع قول الموصي ولم يذكر الكناية
مع كون الوصية مؤنثة وقيل الكناية راجعة الى الايصاء كقوله تعالى فمن جاءه موعظة رد الكناية
الى الوعظ فانما اثمه على الذين يبدلونه والميت بريء منه ان الله سميع لما اوصى به الموصي
عليم بتبديل المبدل او سميع لوصيته عليم بنيته فمن خاف اي علم كقوله تعالى فان خفتم الا
يقيما حدود الله اي علمتم من موص قرأ حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد
الصاد لقوله تعالى ما وصى به نوحا ووصينا الانسان وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف
الصاد لقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم من بعد وصية يوصي بها او دين جنفا اي جورا
وعدولا عن الحق والجنف الميل او اثما اي ظلما وقال السدي وعكرمة والربيع الجنف الخطأ
والاثم العمد فاصلح بينهم فلا اثم عليه واختلفوا في معنى الاية قال مجاهد معناها ان الرجل
اذا حضر مريضا وهو يوصي فرآه يميل اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج

على من حضره ان يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي وللورثة وقال الآخرون اراد به انه
اذا اخطأ الميت في وصيته او جاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والي امور المسلمين ان يصلح بعد
موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه ان الله غفور
رحيم وقال طاوس جنفه توليجه وهو ان يوصي لبني بنيه يريد ابنه ولولد ابنته يريد ابنته ولزوج
ابنته يريد بذلك ابنته قال الكلبي كان الاولياء والاوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى فمن بدله
بعد ما سمعه الاية وان استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء ثم نسخها قوله تعالى فمن خاف من موص
جنفا الاية وقال ابن زيد فعجز الموصي ان يوصي للوالدين والاقربين كما امر الله وعجز الموصي ان
يصلح فانتزع الله ذلك منهم ففرض الفرائض روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم ان الرجل ليعمل
والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو
هريرة من بعد وصية الى قوله غير مضار يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام اي فرض واوجب
والصوم والصيام في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لان الشمس
اذا بلغت كبد السماء وقفت وامسكت عن السير سويعة ومنه قوله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن
صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام وفي الشريعة الصوم هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع
مع النية في وقت مخصوص كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم واختلفوا في هذا
التشبيه قال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام
وقال جماعة من اهل العلم اراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما
كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم
فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف
فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم ان ملكا منهم اشتكى فمه
فجعل لله عليه ان هو برئ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم
مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال اتموه خمسين يوما وقال مجاهد اصابهم موتان فقالوا
زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم
الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك ان النصارى فرض عليهم شهر رمضان
فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صا
روا الى خمسين يوما فذلك قوله كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون يعني بالصوم لان الصوم

وصلة جعله الى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات وقيل لعلكم تحذرون عن الشهوات من الاكل
والشرب والجماع اياما معدودات قيل كان في ابتداء الاسلام صوم ثلثة ايام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشورا فصاموا كذلك من الربيع الى شهر رمضان سبعة عشر شهرا ثم نسخ بصوم
رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان
قبل بدر بشهر وايام ... عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت كان يوم عاشورا يوما تصومه
قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلعم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلعم المدينة صامه
وامر بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشورا فمن شاء صامه ومن
شاء تركه وقيل المراد من قوله تعالى اياما معدودات شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب اياما
على الظرف اي في ايام معدودات وقيل على التفسير وقيل على خبر ما لم يسم فاعله فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة اي فافطر فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة والعدة والعدد من ايام اخر غير ايام مرضه
وسفره واخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت وعلى الذين يطيقونه اختلف العلماء في
تاويل هذه الاية وحكمها فذهب اكثرهم الى ان الاية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع
وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفتدوا خيرهم
الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في الشيخ الفاني الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق
عليه رخص له في ان يفطر ويفدي ثم نسخ وقال الحسن هذا في المريض الذي هو مستطيع للصوم خير بين
ان يصوم وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبتت الرخصة للذين لا
يطيقون وذهب جماعة الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم
الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها اي يكلفون الصوم وتاوله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة
لا يستطيعان الصوم والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا
ويطعموا مكان كل يوم مسكينا وهو قول سعيد بن جبير وجعل الاية محكمة فدية طعام مسكين قرأ اهل
المدينة والشام مضاف وكذلك في المائدة كفارة طعام اضاف الفدية الى الطعام وان كان واحدا لا
ختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقوله مسجد الجامع وربيع الاول وقرأ الاخرون فدية وكفارة
منونة طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع ههنا اهل المدينة والشام والاخرون على التوحيد فمن جمع نصب

النون ومن وحد فخفض النون ونونها والفدية الجزاء ويجب ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من الطعام
بمد النبي صلعم وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد هذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض اهل العراق
عليه لكل مسكين نصف صاع من قمح او صاع من غيره وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه
الذي افطره وقال ابن عباس يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له اي زاد
على مسكين واحد فاطعم مكان كل يوم مسكينين فاكثر قاله مجاهد وعطاء وطاوس وقيل من زاد على
القدر الواجب عليه فاعطى صاعا وعليه مد فهو خير وان تصوموا خير لكم فمن ذهب الى النسخ قال معناه
الصوم خير من الفدية وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وان شق عليه خير له من ان يفطر ويفدي
ان كنتم تعلمون واعلم انه لا رخصة لمؤمن مكلف في افطار رمضان الا لثلثة احدهم يجب عليه القضاء
والكفارة والثاني عليه القضاء دون الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضاء اما الذي عليه القضاء
والكفارة فالحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما فانهما تفطران وتقضيان وعليهما مع القضاء
الفدية وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد واليه ذهب الشافعي وقال قوم لا فدية عليهما وبه
قال الحسن وعطاء وابراهيم النخعي والزهري واليه ذهب الاوزاعي والثوري واصحاب الراي اما
الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمريض والمسافر والحائض والنفساء واما الذي عليه الكفارة دون
القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه ثم بين الله تعالى ايام الصيام فقال شهر
رمضان رفعه على معنى هو شهر رمضان وقال الكسائي كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهرا
لشهرته واما رمضان فقال مجاهد هو من اسماء الله تعالى يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله والصحيح
انه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة وهم كانوا يصومون في الحر الشديد فكانت ترمض
فيه الحجارة من الحرارة الذي انزل فيه القرآن سمي القرآن قرآنا لانه يجمع السور والاي والحروف وجمع
فيه القصص والامر والنهي والوعد والوعيد واصل القرء الجمع وقد يحذف الهمز فيقال قريت الماء
في الحوض اذا جمعته وقرأ ابن كثير بفتح الراء غير مهموز وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو
من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتورية والانجيل روي عن مقسم عن ابن عباس انه سئل عن قوله
عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه
في ليلة مباركة وقد نزل في ساير الشهور وقال عز وجل وقرآنا فرقناه فقال انزل القرآن جملة
واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل
عليه السلام على رسول الله صلعم نجوما عشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم قال داود بن ابي هند

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن انما كان ينزل في سائر السنة قال بلى ولكن جبرائيل كان
يعارض محمدا عليه السلام في رمضان ما نزل اليه فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء وروى
عن ابي ذر عن النبي صلعم قال انزلت صحف ابراهيم في ثلث ليال مضين من رمضان ويروى في اول
ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى في ثلث
عشرة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثماني عشرة مضت من رمضان وانزل القرآن
على محمد صلعم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها هدى للناس من الضلالة وهي في محل النصب
على القطع لان القرآن معرفة وهدى نكرة وبينات اي دلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود
والاحكام من الهدى والفرقان اي الفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي فمن كان
مقيما في الحضر فادركه الشهر واختلف اهل العلم فيمن ادركه الشهر وهو مقيم ثم سافر روي عن
علي انه لا يجوز له الفطر وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي الشهر كله
وذهب اكثر الصحابة والفقهاء الى انه اذا انشأ السفر في شهر رمضان جاز له ان يفطر ومعنى
الاية فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه اي فمن شهد منكم الشهر فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما
روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم
افطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلعم ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر اباح الفطر بعذر المرض والسفر واعاد هذا الكلام ليعلم ان
هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر فذهب اهل الظاهر
الى ان ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام العطاردي
دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال انه وجعت اصبعي وقال الحسن وابراهيم
النخعي هو المرض الذي يجوز معه الصلاة قاعدا وذهب الاكثرون الى انه مرض يخاف من الصوم
زيادة علته غير محتملة وفي الجملة انه اذا اجهده الصوم افطر وان لم يجهده فهو كالصحيح واما السفر فا
لفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة اهل العلم الا ما روي عن ابن عباس وابي هريرة وعروة
بن الزبير وعلي بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا
بقول النبي صلعم ليس من البر الصوم في السفر وذلك عند الاخرين في حق من يجهده الصوم فالاولى
ان يفطر والدليل عليه ما روي عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلعم في سفر فرأى
زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصوم في السفر والدليل على جواز

الصوم ما روي عن ابي سعيد قال كنا نسافر مع رسول الله صلعم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر
فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم واختلفوا في افضل الامرين فقالت طائفة الفطر في السفر افضل
من الصوم روي ذلك عن ابن عمر واليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي وذهب قوم الى ان الصوم افضل
روي ذلك عن معاذ وانس وبه قال ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقالت طائفة افضل الامرين ايسرهما عليه
لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز ومن اصبح مقيما صائما ثم سافر
في اثناء النهار لا يجوز له ان يفطر ذلك اليوم عند اكثر اهل العلم وقالت طائفة له ان يفطر وهو قول الشعبي
وبه قال احمد اما المسافر اذا اصبح صائما يجوز له ان يفطر بالاتفاق والدليل عليه ما روي عن جابر
ان رسول الله صلعم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى اذا بلغ كراع الغميم فصام
الناس معه فقيل يا رسول الله ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب
والناس ينظرون فافطر بعض الناس وصام بعض فبلغه ان ناسا صاموا فقال اولئك العصاة
واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر فقال قوم مسيرة يوم وذهب جماعة الى مسيرة يومين وهو قول
الشافعي وذهب جماعة الى مسيرة ثلثة ايام وهو قول الثوري واصحاب الرأي يريد الله بكم
اليسر باباحة الفطر في حالة المرض والسفر ولا يريد بكم العسر قرأ ابو جعفر العسر واليسر
ونحوهما بضم السين وقرأ الاخرون بالسكون قال الشعبي ما خير رجل بين امرين فاختار
ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى الله عز وجل ولتكملوا العدة قرأ ابو بكر بتشديد الميم
وقرأ الاخرون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والواو في قوله ولتكملوا
واو النسق واللام لام كي تقديره ويريد لتكملوا العدة اي عدة ايام الشهر بقضاء ما افطرتم
في مرضكم وسفركم قال عطاء ولتكملوا العدة اي عدة ايام الشهر روي عن ابن عمر ان رسول الله صلعم
قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا
العدة ثلثين وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين
الا ان يوافق ذلك صوما كان يصومه احدكم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا
ثلثين ثم افطروا ولتكبروا الله على ما هداكم ارشدكم الى ما رضي به من صوم شهر
رمضان وخصكم به دون سائر اهل الملل قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر وروى الشافعي
عن ابن المسيب وعروة وابي سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر
بها الا من كان حاجا فذكره التلبية ولعلكم تشكرون الله على نعمه وقد ورد اخبار في فضل

شهر رمضان وثواب صيامه وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين
وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وعنه قال قال رسول الله صلعم اذا كان اول ليلة من
شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت
ابواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر اقصر ولله عتقاء
من النار وذلك كل ليلة وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعن سلمان قال
خطبنا رسول الله صلعم في آخر يوم من شعبان فقال يا ايها الناس انه قد اظلكم شهر عظيم شهر مبارك
شهر فيه ليلة خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من
الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه فريضة كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه
وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد في الرزق من فطر فيه صائما كان
مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان ينتقص من اجره شيء قالوا يا رسول
الله صلعم ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله صلعم يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما
على مذقة لبن او تمرة او شربة ماء ومن اشبع صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل
الجنة وهو شهر اوله رحمة واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من اربع خصال
خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما اما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم
فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون
به من النار وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف قال الله الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من اجلي للصائم
فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك الصوم
جنة الصوم جنة وعن سهل بن سعد عن النبي صلعم قال في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله الا الصائمون وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلعم قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد
يقول الصيام رب اني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني ويقول القرآن رب اني منعته
النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان ﴿واذا سألك عبادي عني فاني قريب﴾ روى الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس قال قال يهود اهل المدينة يا محمد كيف يسمع دعاءنا ربنا وانت تزعم ان بيننا وبين
السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الضحاك سأل بعض

الصحابة النبي صلعم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى واذا سألك يا محمد
عبادي عني فاني قريب وفيه اضمار كأنه قال فقل لهم اني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء كما
قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وعن ابي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلعم
خيبر او قال لما توجه رسول الله صلعم الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم
بالتكبير الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلعم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا
غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم ﴿اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾ قرأ اهل المدينة
غير قالون وابو عمرو باثبات الياء فيهما في الوصل والباقون بحذفها وصلا ووقفا وكذلك اختلف
القراء في اثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة ويثبت يعقوب جميعها وصلا
ووقفا واتفقوا على اثبات ما هو مثبت في الخط وصلا ووقفا ﴿فليستجيبوا لي﴾ قيل الاستجابة بمعنى
الاجابة اي فليجيبوا لي بالطاعة والاجابة في اللغة الطاعة واعطاء ما سئل فالاجابة من الله
العطاء ومن العبد الطاعة وقيل فليستجيبوا لي اي ليستدعوا مني الاجابة وحقيقته فليطيعوني
﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ لكي يهتدوا فان قيل ما وجه قوله تعالى اجيب دعوة الداع
وقوله ادعوني استجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب قلنا اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء
هاهنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما تقديرهما
اجيب دعوة الداع ان شئت كما قال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء او اجيب دعوة الداع
ان وافق القضاء او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه ان لم يسأل محالا وعن ابي هريرة
عن النبي صلعم قال يستجاب لاحدكم ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا وما الاستعجال
يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب وقد دعوتك يا رب فلا اراك تستجيب فيستحسر
عند ذلك فيدع الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله اجيب اي اسمع ويقال ليس في الآية اكثر من اجابة الد
عوته واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فيها وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤاله
فالاجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة وقيل معنى الآية انه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل اعطاه
وان لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة او كف عنه سوءا والدليل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت ان
النبي صلعم قال ما على الارض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه الله اياها او كف عنه من السوء
مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وقيل ان الله يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء مراده ليدعوه
فيسمع صوته ويعجل اعطاء من لا يحبه لانه يبغض صوته وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهي اسباب

الإجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن اخل بها فهو من اهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق
الجواب • أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم • الرفث الجماع قال ابن عباس ان الله حيي كريم
يكني كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما عنى به الجماع وقال
الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء قال اهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل
حل له الطعام والشراب والجماع فيه الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء
او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع
اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلعم فقال يا رسول الله
اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت
رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلعم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام
رجال فاعترفوا بمثله فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة الصيام اي في ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم • هن لباس لكم • اي سكن لكم • وانتم لباس • سكن • لهن • دليله قوله
وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الآخر وقيل سمي
كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد
منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه قال الربيع بن انس هن فراش لكم وانتم لحاف لهن قال ابو
عبيدة وغيره يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وازارك وقيل اللباس اسم لما يواري الشيء
فيجوز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي
دينه • علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم • اي تخونونها وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء قال
البراء لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم
فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم • فتاب عليكم • تجاوز عنكم • وعفا عنكم • محا ذ
نوبكم • فالآن باشروهن • جامعوهن حلالا سميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد
منهما بصاحبه • وابتغوا ما كتب الله لكم • اي اطلبوا ما قضى الله وقيل ما كتب في اللوح المحفوظ يعني
الولد قاله اكثر المفسرين قال مجاهد ان لم تلد هذه فهذه وقال قتادة ابتغوا الرخصة التي كتب
الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقال معاذ بن جبل وابتغوا ما كتب الله لكم
يعني ليلة القدر • وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر • نزلت
في رجل من الانصار اسمه ابو صرمة بن قيس بن صرمة وقال عكرمة ابو قيس بن صرمة وقال

الكلبي ابو قيس بن صرمة بن انس بن صرمة وذلك انه ظل نهاره يعمل في ارض له وهو صائم فلما امسى
رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المرأة ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت تعمل له
سخينة وكان في الابتداء من صلى العشاء او نام حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه
اذا هي به قد نام وكان قد اعيا وكل فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح
صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى رسول الله صلعم فلما رآه رسول الله قال
له يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلعم فانزل الله تعالى وكلوا
يعني في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود يعني بياض النهار من سواد
الليل سميا خيطا لان كل واحد يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط وعن سهل بن سعد قال انزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له
رؤيتهما فانزل الله تعالى بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار وعن عدي بن حاتم قال لما نزلت
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود والى عقال ابيض فجعلتهما
تحت وسادتي فجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلعم فذكرت ذلك
له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان رسول
الله صلعم قال ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم قال
وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر فجران كاذب
وصادق فالكاذب يطلع اولا مستطيلا كذنب السرحان يصعد الى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل
ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيرا ينتشر سريعا
في الافق فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم وعن سمرة بن جندب قال قال
رسول الله صلعم لا يمنعنكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق • ثم
اتموا الصيام الى الليل • فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد الى غروب
الشمس فاذا غربت حصل الفطر وعن هشام بن عروة قال سمعت ابي يقول سمعت عاصم بن عمر بن
الخطاب عن ابيه قال قال رسول الله صلعم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت
الشمس فقد افطر الصائم • ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد • والاعتكاف هو
الاقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الاقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة فلا يجوز في غير
المسجد

ويجوز في جميع المساجد وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان
حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده • والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون
في المسجد فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل فرجع إلى المسجد فنهوا
عن ذلك ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم والجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به الاعتكاف
أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف
عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قولي الشافعي كما لا يبطل به الحج وقالت طائفة يبطل اعتكافه وهو قول
مالك وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا كالصوم أما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ لا
يفسد به الاعتكاف لما روي عن عائشة أنها قالت كان رسول الله صلعم إذا اعتكف أدنى إلي رأسه فأرجله
وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان • تلك حدود الله • يعني تلك الأحكام التي ذكرناها في الصيام
والاعتكاف حدود الله أي ما منع الله عنها قال السدي شروط الله وقال شهر بن حوشب فرائض
الله وأصل الحد في اللغة المنع ومنه قيل للبواب حداد لأنه يمنع الناس من الدخول وحدود الله ما
منع الناس من مخالفتها • فلا تقربوها • فلا تأتوها • كذلك • هكذا • يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون • لكي يتقوها فينجوا من العذاب • ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل • قيل نزلت هذه الآية
في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلعم مالا فأراد أن
يحلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشيء الذاهب والأكل
بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني ونحوها
وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة • وتدلوا بها إلى الحكام • أي تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين
أربابها إلى الحكام وأصل الإدلاء إرسال الدلو وإلقاؤه في البئر يقال أدلى دلوه إذا أرسله
ودلاه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال
ويخاصم فيه إلى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه قال مجاهد هذا في هذه الآية لا تخاصم
وأنت ظالم قال الكلبي هو أن يقيم شاهد الزور وقوله وتدلوا في محل الجزم بتكرير حرف النهي
معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام وقيل معناه لا تأكلوا بالباطل وتنسبوه إلى الحكام قال قتادة لا تدل
بمال أخيك إلى الحكام وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول إني
لأقضي لك وإني لأظنك ظالما ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرني من البينة وإن قضائي لا يحل لك

حراما وعن أم سلمة زوج النبي صلعم أن رسول الله صلعم قال إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم
أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنه
فإنما أقطع له قطعة من النار • لتأكلوا فريقا • طائفة • من أموال الناس بالإثم • بالظلم وقال ابن عباس
باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه • وأنتم تعلمون • أنكم مبطلون • يسألونك عن الأهلة • نزلت في معاذ
بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى
يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة فأنزل الله تعالى يسألونك عن الأهلة وهي جمع هلال
مثل رداء وأردية سمي هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل
الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية • قل هي مواقيت
جمع ميقات • للناس والحج • أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار
وآجال الديون وعدد النساء وغيرها فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة • وليس البر
بأن تأتوا البيوت من ظهورها • قال أهل التفسير كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم
الرجل منهم بالحج والعمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقبا
في ظهر بيته يدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة
والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك برا إلا أن يكون من
الحمس وهم قريش وكنانة فدخل رسول الله صلعم ذات يوم بيتا لبعض من الأنصار فدخل رجل من
الأنصار يقال له رفاعة بن تابوت على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله صلعم
لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلعم إني أحمسي
فقال الرجل إن كنت أحمسيا فإني أحمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقال الزهري كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء وكان الرجل
يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل
سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته
حتى بلغنا أن رسول الله صلعم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار
من بني سلمة فقال النبي صلعم لم فعلت ذلك قال لأني رأيتك دخلت فقال صلعم إني أحمسي فقال الأنصاري
وأنا أحمسي يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر البيوت والغيوب والعيون والشيوخ بكسر أوائلهن لمكان

الباء وقرأ الباقون بالضم على الاصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي جيوب بكسر الجيم وقرأ حمزة
وابو بكر الغيوب بكسر الغين ولكن البر من اتقى البر بر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها في حال الا
حرام واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله في طاعة الله الذين يقاتلونكم كان في ابتداء الاسلام
امر الله تعالى رسوله صلعم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتلهم بهذه
الاية قال الربيع بن انس هذه اول آية نزلت في القتال ثم امر بقتال المشركين كافة فقاتلوا بقوله اقتلوا
المشركين فصارت هذه الاية منسوخة بها وقيل نسخ بقوله اقتلوا المشركين قريب من سبعين اية ولا
تعتدوا اي لا تبدؤهم بالقتال وقيل هذه الاية محكمة غير منسوخة امر النبي صلعم بقتال المقاتلين ومعنى
قوله ولا تعتدوا اي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من القى اليكم السلم
هذا قول ابن عباس ومجاهد وعن سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان النبي صلعم اذا بعث جيشا
قال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا امراة ولا وليدا
ولا شيخا كبيرا وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الاية في صلح الحديبية وذلك ان رسول
الله صلعم خرج مع اصحابه للعمرة وكانوا الفا واربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون
عن البيت الحرام فصالحهم على ان يرجع عامه ذلك على ان يخلوا له مكة عام قابل ثلثة ايام فيطوف بالبيت
فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلعم واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي قريش بما قالوا
وان يصدوهم عن البيت وكره اصحاب رسول الله صلعم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله
تعالى وقاتلوا في سبيل الله يعني محرمين الذين يقاتلونكم يعني قريشا ولا تعتدوا بالقتال في الحرم محرمين
ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم قيل نسخت الاية الاولى بهذه الاية واصل
الثقافة الحذق والبصر بالامر ومعناه واقتلوهم حيث ابصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم واخرجوهم
من حيث اخرجوكم وذلك انهم اخرجوا المسلمين من مكة فقال اخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم
من دياركم والفتنة اشد من القتل يعني شركهم بالله عز وجل اشد واعظم من قتلكم اياهم
في الحرم والاحرام ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم
قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم بغير الف فيهن من القتل على معنى فلا تقتلوا
بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وانما قتلوا بعضهم وقرأ الباقون بالالف من القتال كان
هذا في ابتداء الاسلام كان لا يحل بداءتهم بالقتال في البلد الحرام ثم صار منسوخا بقوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة هذا قول قتادة وقال مقاتل بن حيان قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث ادركتموهم

في الحل والحرم صارت هذه الاية منسوخة بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها اية السيف
في براءة فهي ناسخة منسوخة وقال مجاهد وجماعة هذه الاية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال
في الحرم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم اي غفور لما سلف
رحيم بالعباد وقاتلوهم يعني المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا
يقبل من الوثني الا الاسلام فان ابى قتل ويكون الدين اي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد
شيء دونه قال نافع جاء رجل الى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك ان تخرج قال يمنعني ان الله
حرم دم اخي قال الا تسمع ما ذكر الله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فقال يا ابن اخي لان اعير
بهذه الاية ولا اقاتل احب الي من ان اعير بالاية الاخرى التي يقول الله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال
الم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال قد فعلنا على عهد رسول الله صلعم اذ كان الاسلام قليلا وكان
الرجل يفتتن في دينه اما يقتلونه واما يعذبونه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله وانتم
تريدون ان تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عمر كيف
ترى في قتال الفتنة فقال هل تدري ما الفتنة كان محمد صلعم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة
وليس يقاتلهم على الملك فان انتهوا عن الكفر واسلموا فلا عدوان فلا سبيل الا على الظالمين قاله ابن
عباس يدل عليه قوله تعالى ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي اي فلا سبيل علي وقال اهل المعاني العدوان
الظلم اي فان اسلموا فلا نهب ولا اسر ولا قتل الا على الظالمين الذين بقوا على الشرك وما يفعل باهل
الشرك من هذه الاشياء لا يكون ظلما وسماه عدوانا على طريق المجازاة والمقابلة كما قال فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا وكقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الكافر ظالما لانه يضع العبادة في غير موضعها
الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلعم خرج معتمرا في ذي القعدة فصده
المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقابل
فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلعم عامه ذلك ورجع في العام المقابل في ذي القعدة فقضى عمرته
سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه وقضيتم فيه
عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست والحرمات قصا
ص والحرمات جمع حرمة وانما جمعها لانه اراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام
والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يقتص للفاعل بمثل ما فعل وقيل هذا في امر القتال معناه
ان بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فانه قصاص بما فعلوا فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه

وما تلوه بعشر ما عندي عليكم يسمى الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها نحو اتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله اراد به الجهاد وكل خير هو سبيل الله ولكن اطلاقه ينصرف الى الجهاد ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء في قوله بايديكم زايدة يريد لا تلقوا ايديكم اي انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن الانفس كقوله بما كسبت ايديكم اي بما كسبتم وقيل الباء في موضعها وفيه حذف اي ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة اي الهلاك وقيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته الى الهلاك اي ولا تاخذوا في ذلك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه والعرب لا تقول للانسان القى بيده الا في الشر واختلفوا في تاويل هذه الاية فقال بعضهم هذا في البخل وترك الانفاق يقول ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بترك الانفاق في سبيل الله تعالى وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء قال ابن عباس في هذه الاية انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم واحد او مشقص ولا يقولن احدكم اني لا اجد شيئا وقال السدي فيها انفق في سبيل الله ولو عقالا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة لا تقل ليس عندي شيء وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان لما امر الله بالانفاق قال رجال امرنا بالنفقة في سبيل الله ولو انفقنا اموالنا بقينا فقراء فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد فيها لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة وعن عياض بن غطيف قال اتينا ابا عبيدة نعوده قال سمعت رسول الله صلعم يقول من انفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن انفق نفقة على اهله فالحسنة عشر امثالها وقال زيد بن اسلم كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان يقطع بهم واما ان كانوا عيالا فامرهم الله عز وجل بالانفاق على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق فلا يخرج بغير نفقة ولا قوة فيلقي بيده الى التهلكة فالتهلكة ان يهلك من الجوع والعطش او المشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد قال ابو ايوب الانصاري نزلت فينا معشر الانصار وذلك ان الله تعالى لما اعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا سرا من رسول الله صلعم انا قد تركنا اهلنا واموالنا حتى فشى الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى اهلينا واموالنا فاقمنا فيها واصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد في سبيل الله حتى كان اخر غزاة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في اصل سور قسطنطينية وهم يستسقون به وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من

النفاق وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني الالقاء الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله قال ابو قلابة هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله عز وجل عن ذلك قال الله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واحسنوا ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله وقرا علقمة وابراهيم النخعي واقيموا الحج والعمرة لله واختلفوا في اتمامهما فقال بعضهم هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وابراهيم النخعي ومجاهد واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعي وحلق الراس او التقصير وللحج تحللان واسباب التحلل ثلثة رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد شيئان من هذه الاشياء الثلثة حصل التحلل الاول وبالثالث حصل التحلل الثاني وبعد التحلل الاول يستبيح جميع محظورات الاحرام الا النساء وبعد الثاني يستبيح الكل واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق قال سعيد بن جبير وطاوس تمام الحج والعمرة ان تحرم بهما مفردين مستانفين من اهلك وسئل علي بن ابي طالب عن قول الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فقال ان تحرم بهما من دويرة اهلك ومثله عن ابن مسعود قال قتادة تمام العمرة ان تعمل في غير اشهر الحج فان كان في اشهر الحج ثم اقام حتى حج فهي متعة وعليه فيها الهدي ان وجده او الصيام ان لم يجد الهدي وتمام الحج ان يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقال الضحاك اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقال سفين الثوري اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفد كثير والحاج قليل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا واختلفوا في وجوب العمرة فذهب اكثر اهل العلم الى وجوبها وهو قول عمر وعلي وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جبير واليه ذهب الثوري والشافعي في اصح قوليه وذهب قوم الى انها سنة وهو قول جابر وبه قال الشعبي واليه ذهب مالك واهل العراق وتاولوا قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله على معنى اتموهما اذا دخلتم فيهما اما ابتداء الشروع فيها فتطوع واحتج من لم يوجبها بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلعم انه سئل عن العمرة اواجبة هي فقال لا وان تعتمروا خير لكم والقول الاول اصح ومعنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اي ابتدؤهما فاذا دخلتم فيهما فاتموهما فهو امر بالابتداء والاتمام اي اقيموهما كقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل اي ابتدؤه واتموه وعن عبد الله قال قال رسول الله صلعم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما

ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة جزاء الا
الجنة. وقال ابن عمر ليس من خلق الله احد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان ان استطاع الى ذلك سبيلا
كما قال الله تعالى فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع. واتفقت الامة على انه يجوز اداء الحج والعمرة على ثلثة
اوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد ان يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر وصورة التمتع
ان يعتمر في اشهر الحج ثم بعد الفراغ من اعمال العمرة يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة
القران ان يحرم بالحج والعمرة معا او يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قا
رنا. واختلفوا في الافضل من هذه الوجوه فذهب جماعة الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران
وهو قول مالك والشافعي وعن عائشة ام المؤمنين انها قالت خرجنا مع رسول الله صلعم عام حجة
الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج واهل رسول الله صلعم
بالحج فاما من اهل بعمرة فحل واما من اهل بالحج او جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم
النحر. وعن جابر وهو يحدث عن حجة النبي صلعم قال خرجنا مع رسول الله صلعم لا ننوي الا الحج ولا
نعرف العمرة. وروي عن ابن عمر ان النبي صلعم افرد الحج وذهب قوم الى ان القران افضل وهو قول
الثوري واصحاب الراي واحتجوا بما روى حميد قال قال انس بن مالك اهل رسول الله صلعم فقال
لبيك بحجة وعمرة وذهب قوم الى ان التمتع افضل وهو قول احمد بن حنبل واسحق بن راهويه واحتجوا
بما روي عن سالم بن عبد الله ان ابن عمر قال تمتع رسول الله صلعم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى
فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلعم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج فتمتع الناس مع
النبي صلعم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي
صلعم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن
منكم اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم
ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله فطاف حين قدم مكة واستلم الركن اول شيء ثم خب
ثلثة اطواف ومشى اربعا فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فا
تى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اطواف ثم لم يحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر
هديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله
صلعم من اهدى وساق الهدي من الناس. وعن ابن شهاب عن عروة ان عائشة اخبرته
عن النبي صلعم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول

الله صلعم. قال شيخنا الامام رضي الله عنه قد اختلفت الرواية في احرام النبي صلعم كما ذكرنا وذكر
الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزا في ان اصحاب رسول الله صلعم كان منهم المفرد
والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه
امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما
يقال بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلعم رجم ماعزا وانما امر برجمه
واختار الشافعي الافراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة
جابر النبي صلعم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها ولفضل حفظ عائشة وقرب
ابن عمر من النبي صلعم ومال في اختلاف الاحاديث الى التمتع وقال ليس شيء من الاختلاف ايسر من
هذا وان كان الغلط فيه قبيحا من جهة انه مباح لان الكتاب ثم السنة ثم ما لا اعلم فيه خلافا يدل
على ان التمتع بالعمرة الى الحج وافراد الحج والقران واسع كله وقال من قال انه افرد الحج يشبه ان يكون
قاله على ما يعرف من اهل العلم الذين ادركوا دون زمن رسول الله صلعم ان احدا لا يكون مقيما على
الحج الا وقد ابتدا احرامه بحج. قال شيخنا الامام رضي الله عنه ومما يدل على انه كان متمتعا ان
الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع
رسول الله صلعم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان عائشة اخبرته عن النبي
صلعم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس
قال رسول الله صلعم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة صنعها رسول الله
صلعم وصنعناها معه. قال شيخنا الامام رضي الله عنه وما روي عن جابر انه قال خرجنا لا
ننوي الا الحج لا ينافي التمتع لان خروجهم كان لقصد الحج ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من اهل بالحج
الى ان امره النبي صلعم ان يجعله متعة. • فان احصرتم فما استيسر من الهدي • اختلف العلماء في
الاحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من احرامه فذهب جماعة الى ان كل مانع يمنعه من الوصول
الى البيت الحرام والمضي في احرامه من عدو او مرض او جرح او ذهاب نفقة او ضلال راحلة
يبيح له التحلل وبه قال ابن مسعود وهو قول ابرهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة
وعروة بن الزبير واليه ذهب سفين الثوري واهل العراق وقالوا لان الاحصار في كلام
العرب هو حبس العلة من المرض قال الكسائي وابو عبيدة ما كان من مرض وذهاب نفقة
يقال منه احصر فهو محصر وما كان من حبس عدو او سجن يقال منه حصر فهو محصور وانما جعل

ههنا حبس العدو احصاراً قياساً على المرض اذا كان في معناه واحتجوا بما روي عن عكرمة عن
الحجاج بن عمرو الانصاري قال قال رسول الله صلعم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل قال
عكرمة فسألت ابن عباس وابا هريرة فقالا صدق وذهب جماعة الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس
العدو وهو قول ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو وروي معناه عن ابن عمر وعبد الله
بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق وقالوا
الحصر والاحصار بمعنى واحد وقال ثعلب تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور
واحصره العدو اذا منعه عن السير فهو محصر واحتجوا بان نزول هذه الاية في قصة الحديبية وكان
ذلك حبساً من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الاية فاذا امنتم والامن يكون من الخوف وضعفوا
حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو وتأوله بعضهم
على انه انما يحل بالكسر والعرج اذا كان قد شرط ذلك في عقد الاحرام كما روي ان ضباعة بنت الزبير كانت
وجعة فقال لها النبي صلعم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني ثم المحصر يتحلل بذبح
الهدي وحلق الراس والهدي شاة وهو المراد بقوله تعالى فما استيسر من الهدي ومحل ذبحه حيث
احصر عند اكثر اهل العلم لان النبي صلعم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب قوم الى ان المحصر يقيم
على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل وهو قول اهل العراق واختلف
القول في المحصر اذا لم يجد هدياً ففي قول لا بدل له فيتحلل والهدي في ذمته الى ان يجد والقول الثاني له
بدل فعلى هذا اختلف القول فيه ففي قول عليه صوم التمتع وفي قول تقوم الشاة دراهم
ويجعل الدراهم طعاماً فيتصدق به فان عجز عن الطعام صام عن كل مد من الطعام يوماً
كما في فدية الطيب واللبس فان المحرم اذا احتاج الى ستر راسه لحر او برد او الى لبس قميص ونحوه
او احتاج الى مداواة بدواء فيه طيب فعل وعليه الفدية وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح
شاة فان لم يجد يقوم الشاة دراهم والدراهم طعاماً فيتصدق به فان عجز صام عن كل مد
يوماً ثم المحصر ان كان احرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته وان كان بحج تطوع
فهل عليه القضاء اختلفوا فيه فذهب جماعة الى انه لا قضاء عليه وهو قول مالك والشافعي وذهب
قوم الى ان عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي واصحاب الرأي قوله فما استيسر من
الهدي اي فعليه ما تيسر من الهدي ومحله رفع وقيل ما في محل النصب اي فاهدوا ما استيسر من الهدي
جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى الى بيت الله تقرباً اليه وما استيسر من الهدي شاة قال علي بن

ابي طالب وابن عباس لانه اقرب الى اليسر قال الحسن وقتادة اعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه
شاة ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله واختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه
اليه فقال بعضهم هو ذبحه بالموضع الذي احصر فيه سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث
يحل ذبحه واكله وعن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول
الله صلعم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلث مرات
فلما لم يقم منهم احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب
ذلك اخرج ثم لا تكلم احداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احداً
منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً
حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً وقال بعضهم محل هدي المحصر الحرم فان كان حاجاً فمحله يوم النحر
وان كان معتمراً فمحله يوم يبلغ هديه الحرم فمن كان منكم مريضاً او به اذى من راسه معناه لا
تحلقوا رؤوسكم في حال الاحرام الا ان يضطر الى حلقه لمرض او لاذى براسه من هوام او صداع ففد
ية فيه اضمار اي فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عجرة وعن مجاهد قال حدثني عبد الرحمن ابن
ابي ليلى عن كعب بن عجرة ان رسول الله صلعم راه وقمله يسقط على وجهه فقال ايؤذيك هوامك
قال نعم فامره رسول الله صلعم ان يحلق وهو بالحديبية لم يتبين لهم انهم يحلون بها وهم على طمع
ان يدخلوا مكة فانزل الله الفدية فامره رسول الله صلعم ان يطعم فرقاً بين ستة مساكين او يهدي
شاة او يصوم ثلثة ايام قوله تعالى ففدية من صيام اي ثلثة ايام او صدقة اي ثلثة اصوع على
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع او نسك واحدتها نسيكة اي ذبيحة اعلاها بدنة وادناها
شاة واوسطها بقرة ايتها شاء ذبح فهذه الفدية على التخيير والتقدير يتخير بين ان يذبح او
يصوم او يتصدق وكل هدي او طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم الا هدياً
يلزم المحصر فانه يذبح حيث احصر اما الصوم فله ان يصوم حيث شاء فاذا امنتم اي من خوفكم
وبرأتم من مرضكم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله بن الزبير الى
ان معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة وخرج من احرامه بعمل عمرة واستمتع
باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في
العام القابل وقال بعضهم معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تقضوا
عمرة واخرتم العمرة الى السنة القابلة فاعتمرتم في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى

ثم أحرمتم بالحج ﴿فما استيسر من الهدي﴾ فعليكم ما استيسر من الهدي وهو قول علقمة وإبراهيم
النخعي وسعيد بن جبير وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق
في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالا بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالإ
حلال من العمرة إلى إحرامه بالحج فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه
في الإحرام إلى إحرامه بالحج ولوجوب هدي التمتع أربع شرائط أحدها أن يحرم بالعمرة في أشهر
الحج والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة والثالث أن يحرم بالحج في مكة فلا يعود إلى
الميقات لإحرامه والرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه
ما استيسر من الهدي وهو دم شاة ويذبحه يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما أحرم بالحج يجوز عند
بعض أهل العلم كدماء الجبرانات وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الأ
ضحية ﴿فمن لم يجد الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أي صوموا ثلاثة أيام يصوم يوما قبل التروية
ويوم التروية ويوم عرفة ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج يجوز ولا يجوز يوم النحر ولا أيام
التشريق عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلث في أيام التشريق يروى
ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحق ﴿وسبعة إذا
رجعتم﴾ أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أهليكم وبلدكم فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى
أهله لا يجوز وهو قول أكثر أهل العلم روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز أن يصومها
بعد الفراغ من أعمال الحج وهو المراد من الرجوع في الآية ﴿تلك عشرة كاملة﴾ ذكرها على وجه التأكيد
وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان
وقيل فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم فهي كاملة قيل
كاملة في الثواب والأجر وقيل كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدي وقيل كاملة بشرا
ئطها وحدودها وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي فأكملوها ولا تنقصوها ﴿ذلك﴾ أي هذا الحكم ﴿لمن
لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ واختلفوا في حاضري المسجد الحرام فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة
وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج أهل عرفة والرجيع وضجنان
ونخلتان وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد
الحرام وقال عكرمة هم من دون الميقات وقيل هم أهل الميقات فما دونه وهو قول أصحاب الرأي
ودم القران كدم التمتع والمكي إذا قرن وتمتع فلا هدي عليه قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال

أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي صلعم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله
صلعم اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء
ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فإذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدي فجمعوا نسكين
في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس غير أهل مكة قال الله ذلك
لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ومن فاته الحج وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر
يوم النحر فإنه يتحلل بعمل العمرة وعليه القضاء من قابل والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع
والقران روى سليمان بن يسار أن هبار بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه
فقال يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد كنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر اذهب إلى مكة
فطف أنت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا إن كان معكم ثم احلقوا
أو قصروا ثم ارجعوا فإذا كان عام قابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة
إذا رجع ﴿واتقوا الله﴾ في أداء الأوامر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ على ارتكاب المناهي ﴿الحج
أشهر معلومات﴾ أي وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة
إلى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل واحد من
اللفظين صحيح غير مختلف فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الأيام فإن آخر
أيامها يوم عرفة وهو اليوم التاسع وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها
وقت والعرب تسمي الوقت تاما بقليله وكثيره فتقول أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه
ويقولون زرتك العام وإنما زاره في بعضه وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لأن معنى الجمع ضم
شيء إلى شيء فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة
وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال فقد صغت قلوبكما أي قلباكما وقال عروة بن الزبير
وغيره أراد بالأشهر شوالا وذا القعدة وذا الحجة بكماله لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه
فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى وكانت في حكم الحج ﴿فمن فرض فيهن
الحج﴾ أي فمن أوجب على نفسه بالإحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد
إحرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي
والشافعي وقال ينعقد إحرامه بالعمرة لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في
غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أنه علق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل

وفيه لا ينعقد احرامه عن الفرض وذهب جماعة الى انه ينعقد احرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وابي
حنيفة اما العمرة فجميع ايام السنة وقت لها الا ان يكون متلبسا بالحج روي عن انس انه كان بمكة فكان
اذا حمم راسه خرج فاعتمر فلا رفث ولا فسوق قرا ابن كثير واهل البصرة فلا رفث ولا فسوق
بالرفع والتنوين فيهما وقرا الاخرون بالنصب من غير تنوين كقوله ولا جدال وقرا ابو جعفر كلها بالرفع
والتنوين واختلفوا في الرفث قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجا
هد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وابرهيم النخعي وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
الرفث غشيان النساء والقبلة والغمز وان تعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس
اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق
الطير ننك لميسا فقلت له اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النساء وقال طاوس الرفث
التعريض للنساء بالجماع وذكره بين ايديهن قال عطاء الرفث التحشش والقول القبيح اما الفسوق
قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقر
ظي وقال ابن عمر ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الاشعار
وما اشبههما وقال ابرهيم وعطاء ومجاهد هو السباب بدليل قول النبي صلعم سباب المسلم فسوق
قال الضحاك هو التنابز بالالقاب بدليل قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان وعن سيار ابي الحكم قال سمعت ابا حازم قال سمعت ابا هريرة قال سمعت النبي صلعم
يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن مسعود وابن
عباس الجدال ان يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير
وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة وقال القاسم بن محمد هو ان يقول بعضهم الحج اليوم ويقول
بعضهم الحج غدا وقال القرظي كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا اتم من حجكم وقال
هؤلاء حجنا اتم وقال مقاتل هو ان النبي صلعم قال لهم في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا
اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا جدالهم وقال
ابن زيد كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم ان موقفه موقف ابرهيم يتجادلون فيه وقيل
هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج
في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول ما فعلته هو الصواب فقال جل ذكره ولا جدال
في الحج اي استقر امر الحج على ما فعله الرسول صلعم فلا اختلاف فيه من بعده وذلك معنى قول النبي صلعم

الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض قال مجاهد معناه ولا شك
في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء قال اهل المعاني ظاهر الاية نفي ومعناه نهي اي ولا ترفثوا ولا
تفسقوا ولا تجادلوا كقوله تعالى لا ريب فيه اي لا ترتابوا وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي لا
يخفى عليه فيجزيكم به وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا
يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت الله افلا يطعمنا فاذا
قدموا مكة سالوا الناس وربما يفضي الحال بهم الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا
اي ما تتبلغون وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها
فان خير الزاد التقوى من السوال والنهب واتقون يا اولي الالباب يا ذوي العقول ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا كانت
في الجاهلية فلما كان الاسلام تاثموا من التجارة فيها فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم في مواسم الحج قرا ابن عباس كذا وروي عن ابي امامة التيمي قال قلت لابن عمر انا
قوم نكري في هذا الوجه يعني الى مكة فيزعمون ان لا حج لنا فقال الستم تحرمون كما يحرمون وتطو
فون كما يطوفون وترمون كما يرمون قلت بلى قال انت حاج جاء رجل الى النبي صلعم فساله عن
الذي سالتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبرائيل بهذه الاية ليس عليكم جناح الى قوله ان تبتغوا
فضلا رزقا من ربكم يعني بالتجارة في مواسم الحج فاذا افضتم دفعتم والافاضة دفع بكثرة
واصله من قول العرب افاض الرجل ماءه اي صبه من عرفات هي جمع عرفة جمع بما حو
لها وان كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب اخلاق فاختلفوا في المعنى الذي لاجله سمي الموقف
عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبرائيل يري ابرهيم المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت
عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان ادم لما اهبط وقع بالهند
وحوا بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم
عرفة والموضع عرفات وقال السدي لما اذن ابرهيم في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتاه
من اتاه وامره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان
يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه فكبر فطار
فوقع على الجمرة الثالثة فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابرهيم حتى اتى ذا المجاز
فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت

عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي المزدلفة روي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان ابراهيم رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح روّى يومه اجمع اي فكر امن الله
هذه الرؤيا ام من الشيطان فسمي اليوم يوم التروية ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف
ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي
بذلك من العرف وهو الطيب وسمي منى لانه يمنى فيه الدم اي يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا
يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها فيكون طيبة فاذكروا الله بالدعاء والتلبية عند المشعر الحرام
وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى محسر وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر وسمي
مشعرا من الشعار وهو العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام من المنع فهو ممنوع من ان يفعل
فيه ما لم يؤذن فيه وسمي المزدلفة جمعا لانه يجمع فيه بين صلوتي المغرب والعشاء والافاضة من
عرفات تكون بعد غروب الشمس ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر قال طاوس كان اهل الجاهلية
يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد ان تطلع الشمس ويقولون اشرق ثبير
كيما نغير فاخر الله هذه وقدم هذه روي عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن اسامة
بن زيد انه سمعه يقول دفع رسول الله صلعم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ
فلم يسبغ الوضوء فقلت له الصلاة يا رسول قال الصلوة امامك فركب فلما جاء المزدلفة
نزل فتوضأ واسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلوة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله
ثم اقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا وقال جابر دفع رسول الله صلعم حتى اتى المزدلفة
فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر
فصلى الفجر حتى تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل
القبلة فدعاه فكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس
وعن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلعم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل
من المزدلفة الى منى فكلاهما قالا لم يزل النبي صلعم يلبي حتى رمى جمرة العقبة واذكروه كما هداكم
اي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله
لمن الضالين اي وقد كنتم وقيل وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله وان نظنك لمن الكاذبين
اي ما نظنك الا من الكاذبين والهاء في قوله من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول كناية عن
غير مذكور ثم افيضوا من حيث افاض الناس قال اهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها

ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه ولا
نخلف الحرم ولا نخرج منها ويتعظمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا
يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان
يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى جمع مع سائر الناس واخبرهم انه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين وقوله من حيث افاض الناس من جمع اي ثم افيضوا من
جمع الى منى وقالوا لان الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف يسوغ ان يقول فاذا
افضتم من عرفات فاذكروا الله ثم افيضوا من عرفات والاول قول اكثر اهل التفسير وفي الكلام تقديم
وتاخير تقديره فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم افيضوا من حيث افاض
الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل ثم بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله
تعالى ثم كان من الذين آمنوا واما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس وقال الكلبي هم اهل اليمن
وربيعة وقال الضحاك الناس ههنا ابراهيم عليه وحده كقوله تعالى ام يحسدون الناس
واراد به محمدا وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون لسان قومه وقال الزهري
الناس ههنا آدم عم وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض
الناسي بالياء وقال هو آدم نسي عهد الله وعن عروة عن ابيه انه قال سئل اسامة وانا
جالس كيف كان رسول الله عم يسير في حجة الوداع حين دفع قال كان يسير العنق فاذا
وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق وعن ابن عباس انه دفع النبي صلعم
يوم عرفة فسمع النبي صلعم وراءه زجرا شديدا وضربا بالابل فاشار بسوطه اليهم وقال
ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وذبحتم نسائككم اي ذبائحكم يقال نسك الرجل
ينسك نسكا اذا ذبح نسيكته وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله
بالتكبير والتحميد والثناء عليه كذكركم آباءكم وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج
وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها فامرهم الله بذكره وقال فاذكروني فانا الذي
فعلت ذلك بكم وبآبائكم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس وعطاء معناه فاذكروا الله
كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي اول ما يتكلم يلهج بذكر ابيه لا بذكر غيره
فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبي اباه او اشد ذكرا وسئل ابن عباس عن قوله

فاذكروا الله كذكركم آباءكم نفير قد بان على الرجل اليوم لا يذكر فيه آباءه قال ابن عباس ليس
كذلكم ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عُصي اشدّ من غضبك لوالديك اذا شُتما قوله او
او اشدّ ذكرا يعني واشدّ وبل اشدّ اي واكثر ذكرا • فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا
اراد به المشركين كانوا لا يسألون الله في الحج الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا
وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل
ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب • وما له في الآخرة من
خلاق • حظ ونصيب • ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
يعني المؤمنين واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن ابي طالب رضي في الدنيا حسنة امرأة صالحة
وفي الآخرة حسنة الجنة وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن رسول الله صلعم قال الدنيا كلها متاع وخير
متاعها المرأة الصالحة وقال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة وقال السدي
وابن حيان في الدنيا حسنة رزق حلالا وعملا صالحا وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب وعن ابي
امامة عن النبي صلعم قال ان اغبط اوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة
ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر
على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وقال قتادة في الدنيا عافية وفي
الآخرة عافية وقال عوف في هذه الآية من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد
اوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وعن انس بن مالك قال رأى النبي صلعم رجلا قد صار مثل الفرخ
فقال هل كنت تدعو الله بشيء او تسأله اياه قال يا رسول الله كنت اقول اللهم ما كنت
معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت
اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة • وقنا عذاب النار • وعن انس قال كان رسول
الله صلعم يكثر ان يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعن
عبد الله بن السائب انه سمع النبي صلعم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الاسود ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • اولئك لهم نصيب اي حظ
مما كسبوا من الخير والدعاء بالثواب والجزاء • والله سريع الحساب • يعني اذا حاسب
فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعي صدر ولا الى روية وفكر قال الحسن اسرع من
لمح البصر وقيل معناه اتيان القيمة قريب لان ما هو كائن لا محالة فهو قريب قال الله

وما يدريك لعل الساعة قريب • واذكروا الله • يعني التكبيرات ادبار الصلوات وعند الجمرات
يكبر مع كل حصاة وغيرها من الاوقات • في ايام معدودات • الايام المعدودات هي ايام
التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن كقوله دراهم معدودة و
والايام المعلومات عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر هذا قول اكثر اهل العلم وروي عن ابن
عباس المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات ايام التشريق وعن علي رضي المعلو
مات يوم النحر وثلثة ايام بعده وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة والنحر
وايام التشريق وقال محمد بن كعب هما شيء واحد وهي ايام التشريق وروي عن نبيشة
الهذلي قال قال رسول الله صلعم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في
ايام التشريق التكبير واختلفوا فيه فروي عن عمر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يكبران
بمنى تلك الايام خلف الصلوات وفي المجلس وعلى الفراش وفي الفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس
بتكبيرهما ويتأولان هذه الاية والتكبير ادبار الصلوات مشروع في هذه الايام في حق
الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم الى انه يبتدأ التكبير عقيب
صلوة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من يوم النحر يروى ذلك عن ابن مسعود وبه
قال ابو حنيفة وقال قوم يبتدأ عقيب صلوة الظهر من يوم النحر ويختم بعد الصبح من آخر
التشريق يروى ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي قال الشافعي لان الناس فيه
تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر بعد صلوة الظهر
ولفظ التكبير كان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاثا نسقا وهو قول
اهل المدينة واليه ذهب الشافعي وقال بما زاد من ذكر الله فحسن وعند اهل العراق يكبر اثنتين
يروى ذلك عن ابن مسعود • فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه • اراد ان من نفر من الحاج في اليوم الثاني من
ايام التشريق فلا اثم عليه وذلك ان على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق
ويرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة بسبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة
لرعاء الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثاني من ايام التشريق واراد ان ينفر ويدع
البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن
لم ينفر حتى غربت الشمس عليه ان يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر • ومن تأخر فلا اثم عليه
يعني لا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث فلا اثم عليه

في تأخره وقيل معناه من تعجل فقد ترخص فلا اثم عليه بالرخصة ومن تأخر فلا اثم عليه بترك الرخصة
وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب عليه تعجل او تأخر كما روينا من حج فلم يرفث رجع كيوم
ولدته امه وهذا قول علي وابن مسعود • لمن اتقى • اى لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئا نهاه الله
كما قال من حج فلم يرفث ولم يفسق قال ابن مسعود انما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله
في حجه وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه لمن اتقى الصيد لا يحل له ان يقتل صيدا حتى يخلو ايام
التشريق وقال ابو العالية ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره • واتقوا الله واعلموا انكم اليه
تحشرون • ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا • قال الكلبي ومقاتل وعطاء نزلت في الاخنس
بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وسمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة من بني زهرة يظهر
الاسلام ويقول اني احبك ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا فكان رسول الله صلعم يدني مجلسه
فنزل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا اى تستحسنه ويعظم في قلبك يقال
في الاستحسان اعجبني كذا وفي الانكار والكراهية عجبت من كذا • ويشهد الله على ما في قلبه • يعني قول
المنافق والله اني بك مؤمن ولك محب • وهو الد الخصام • اى شديد الخصومة يقال لددت
يا هذا وانت تلد لدا ولدادة واذا اردت انه غلب خصمه قلت لده يلده لدا يقال رجل الد
وامرأة لداء وقوم لد قال الله تعالى وتنذر به قوما لدا قال الزجاج اشتقاقه من لديدي
العنق وهو صفحتاه وتأويله انه في اى وجه اخذ من يمين او شمال في ابواب الخصومة غلب
والخصام مصدر خاصمه خصاما ومخاصمة قاله ابو عبيد وقال الزجاج هو جمع خصم يقال
خصم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور وقال الحسن الد الخصام اى كاذب
القول وقال قتادة شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة وعن
عائشة عن النبي صلعم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم • واذا تولى • اى اذا
ادبر واعرض عنك • سعى في الارض • اى عمل وقيل سار ومشى • ليفسد فيها • قال ابن جريج
قطع الرحم وسفك دماء المسلمين • ويهلك الحرث والنسل • وذلك ان الاخنس كان بينه وبين
ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فاحرق زروعهم واهلك مواشيهم قال مقاتل خرج الى الطائف
مقتضيا مالا له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا والنسل نسل كل دابة والناس منهم وقال
الضحاك واذا تولى اى ملك الامر وصار واليا سعى في الارض قال مجاهد في قوله عز وجل واذا
تولى سعى في الارض قال اذا ولي فعمل بالعدوان والظلم امسك الله المطر واهلك الحرث والنسل
بشوم ظلمه

97

والله لا يحب الفساد • اى لا يرضى بالفساد قال سعيد بن المسيب قطع الدراهم من الفساد في الارض
• واذا قيل له اتق الله • اى خف الله • اخذته العزة بالاثم • اى الظلم اى حملته العزة وحمية الجاهلية
على الفعل والعزة التكبر والمنعة وقيل معناه اخذته العزة للاثم الذي في قلبه فاقام الباء مقام
اللام • فحسبه جهنم • اى كافيه • ولبئس المهاد • اى الفراش قال عبد الله بن مسعود ان من اكبر
الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر بن الخطاب اتق
الله فوضع خده على الارض تواضعا لله عز وجل • ومن الناس من يشري نفسه • اى يبيع نفسه ابتغاء
مرضات الله • اى يطلب رضى الله • والله رءوف بالعباد • وروي عن ابن عباس والضحاك ان
هذه الاية نزلت في سرية الرجيع وذلك ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلعم وهو بالمدينة
انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث
رسول الله صلعم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن ابي مرثد الغنوي وخالد بن بكير
وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامّر عليهم عاصم بن ثابت
بن ابي الافلح الانصاري قال ابو هريرة بعث رسول الله صلعم عشرة عينا وامّر عليهم عاصم
بن ثابت الانصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة
فاكلوا فمرت عجوز فابصرت النوى فرجعت الى قومها بمكة وقالت قد سلك هذا الطريق اهل
يثرب من اصحاب محمد فركب سبعون رجلا معهم الرماح حتى احاطوا بهم وقال ابو هريرة ذكروا
لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى
وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما احس بهم عاصم
واصحابه لجأوا الى فدفد فاحاط بهم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ونثر عاصم
بن ثابت كنانته وفيها سبعة اسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال اللهم
اني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار ثم احاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه
ارادوا حز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين اصاب
ابنها يوم احد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فارسل الله رجلا من الدبر
وهي الزنابير فحمت عاصما فلم يقدروا عليه فسمي حمي الدبر فقالوا دعوه حتى تمسي فتذهب
عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء ومطرت مطرا كالعزالي فبعث الله الوادي فاحتمل
عاصما فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وكان عاصم قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه

مشركا ولا يمس مشركا ابدا وكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ان الدبر منعته عجبا لحفظ
الله العبد المؤمن كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ابدا فمنعه الله بعد
وفاته كما امتنع في حياته واسر المشركون خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما
الى مكة فاما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بابيهم
وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا حتى اجمعوا على قتله فا
ستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحد بها فاعارته فدرج بني لها وهي غا
فلة فما راع المراة الا خبيب قد اجلس الصبي على فخذه والموسى بيده فصاحت المراة فقال
خبيب اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان الغدر ليس من شاننا فقالت المراة
بعد والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل قطفا من عنب في
يده وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان كان الا رزقا رزقه الله خبيبا ثم انهم خرجوا
به من الحرم ليقتلوه في الحل وارادوا ان يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني اصلي ركعتين ثم
تركوه وكان خبيب هو اول من سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة فركع ركعتين ثم قال لولا
ان تحسبوا ان ما بي جزع لزدت اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا
وانشا يقول فلست ابالي حين اقتل مسلما * على اي شق كان في الله مصرعي * وذلك في ذات
الاله وان يشا * يبارك في اوصال شلو ممزع * فصلبوه حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس احد
حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي ثم قام ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله
ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان ابو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثديي
خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا وطعنه فانفذه وذلك قوله عز
وجل واذا قيل له اتق الله يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن
امية ليقتله بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله واجتمع
رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد
اتحب ان محمدا عندنا الان بمكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا
الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت
من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلعم هذا
الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي
ينزل

المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى اتيا التنعيم ليلا واذا حول
الخشبة اربعون رجلا من المشركين نيام نشاوى فانزلاه فاذا هو رطب ينثني لم يتغير منه
شيء بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك
فحمله الزبير على فرسه وساروا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم
سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض فقال الزبير ما
جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية
بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان رابضان يدفعان عن شبليهما فان
شئتم ناضلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدما على رسول الله صلعم وجبرئيل عنده
فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك فنزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما لانزال خبيب من خشبته وقال اكثر المفسرين
نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم فقال لهم
صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني
وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فاقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة
فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال وبيعك فلا تخسر ماذاك
فقال انزل الله فيك وقرا عليه هذه الاية وقال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا نحو
النبي صلعم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش
قد علمتم اني من ارماكم رجلا والله لا اضع سهما مما في كنانتي الا في قلب رجل وايم الله لا تصلون
الي حتى ارمي بكل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم
دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم ففعل ذلك فانزل الله هذه الاية وقال الحسن اتدرون
فيمن نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها
فقال المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل حتى قتل وقيل نزلت الاية في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال ابن عباس ارى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيامر هذا
بتقوى الله واذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشري نفسي فقاتله كان علي اذا
قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر بن الخطاب انسانا يقرا هذه الاية
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل

انها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتلوه اي اماما ان رجلا قال يا رسول الله اي الجهاد افضل
قال افضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر • يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة •
قرأ اهل الحجاز والكسائي السلم ههنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها وفي سورة الانفال بالكسر
ابو بكر الباقون بالفتح وفي سورة محمد صلعم بالكسر حمزة وابو بكر نزلت الآية في مؤمني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام النضيري واصحابه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الابل والبانها
ما اسلموا وقالوا يا رسول الله ان التورية كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فانزل الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي في الاسلام قال مجاهد في احكام الاسلام واعماله
كافة اي جميعا وقيل ادخلوا في الاسلام الى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة الى غيره واصل السلم
من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل للصلح سلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام
ثمانية اسهم فعد الصلوة والزكوة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقال قد خاب من لا سهم له • ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره فيما زين لكم من تحريم
السبت ولحوم الابل وغيره • انه لكم عدو مبين • وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلعم حين اتاه عمر
فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال امتهوكون انتم كما تهوكت
اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي
• فان زللتم • ضللتم وقيل ملتم يقال زلت قدمه تزل زلا وزللا اذا دحضت قال ابن
عباس يعني الشرك قال قتادة قد علم الله انه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك واو
عد فيه ليكون له الحجة عليهم • من بعد ما جاءتكم البينات • اي الدلالات الواضحات • فاعلموا
ان الله عزيز • في نقمته • حكيم • في امره فالعزيز الغالب الذي لا يفوته شيء والحكيم ذو الاصابة
في الامر • هل ينظرون • اي هل ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان
يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد فاذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه او الى لم يكن الا بمعنى الرؤية
• الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام • وهو السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم اي يستر
قال مجاهد هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم قال مقاتل كهيئة الضبابة ابيض
قال الحسن في سترة من الغمام فلا ينظر اليها اهل الارض • والملائكة • قرأ ابو جعفر بالخفض عطفا
على الغمام تقديره مع الملائكة تقول العرب اقبل الامير والعسكر اي مع العسكر وقرأ الباقون بالرفع على
معنى الا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام والاولى في هذه الآية وفي ما شاكلها ان يؤمن

الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله ويعتقد ان الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث على ذلك
مضت ائمة السلف وعلماء السنة قال الكلبي هذا من المكتوم الذي لا يفسر وكان مكحول والزهري
والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد واسحق يقولون فيه وفي
امثاله امروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره
قراءته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله • وقضي الامر • اي وجب العذاب وفرغ
من الحساب وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة • والى الله ترجع الامور • قرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ترجع بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم
• سل بني اسرائيل • اي يا محمد يهود المدينة • كم آتيناهم • اعطيناهم آباءهم واسلافهم • من آية
بينة • دلالة واضحة على نبوة موسى عم مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها وقيل معناه
الدلالات التي آتاهم في التورية والانجيل على نبوة محمد صلعم • ومن يبدل • يغير • نعمة الله • كتاب الله
وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلعم • من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب •
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا • الاكثرون على ان المزين هو الله تعالى والتزيين من الله تعالى هو انه
خلق الاشياء الحسنة والمناظر العجيبة فنظر الخلق اليها باكثر من قدرها فاعجبهم فافتتنوا به وقال
الزجاج زين لهم الشيطان قيل نزلت الآية في مشركي العرب ابي جهل واصحابه كانوا يتنعمون بما
بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد • ويسخرون من الذين آمنوا • اي يستهزئون بالفقراء
من المؤمنين قال ابن عباس اراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا
وبلالا وامثالهم وقال مقاتل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا
ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم
محمد انه يغلب بهم وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع
سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله ان يعطيهم اموال بني قريظة والنضير بغير قتال ويسخرون
من الذين آمنوا لفقرهم • والذين اتقوا • يعني هؤلاء الفقراء • فوقهم يوم القيامة • لانهم في اعلى
عليين وهم في اسفل السافلين وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلعم وقفت على باب
الجنة فرأيت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت اكثر اهلها النساء واذا اهل الجد
محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار وعن سهل بن سعد الساعدي انه
قال مر رجل على رسول الله صلعم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من اشراف الناس

هذا والله خير ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال فسكت رسول الله صلعم ثم مر
رجل فقال له رسول الله صلعم ما رايك في هذا فقال يا رسول الله رجل من فقراء المسلمين هذا حري
ان خطب الا ينكح وان شفع الا يشفع وان قال الا يسمع لقوله فقال رسول الله صلعم هذا
خير من ملء الارض مثل هذا ● والله يرزق من يشاء بغير حساب ● قال ابن عباس يعني كثيرا
بغير مقدار لان كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل يريد يوسع على من يشاء من عباده
وقال الضحاك يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الاخرة وقيل هذا يرجع الى
الله عز وجل معناه يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطي كل احد بقدر حاجته بل
يعطي الكثير من لا يحتاج اليه ولا يعطي القليل من يحتاج اليه فلا يعترض عليه ولا يحاسب فيما
يرزق ولا يقال لم اعطيت هذا اكثر مما اعطيت ذاك وقيل معناه لا يخاف نفاد خزائنه فيحتاج
الى حساب ما يخرج منها لان الحساب من المعطي انما يكون لما يخاف من نفاده ● قوله تعالى كان
الناس امة واحدة ● على دين واحد قال مجاهد اراد آدم وحده سمي الواحد بلفظ الجمع
لانه اصل النسل وابو البشر ثم خلق الله حواء ونشر منهما الناس فكانوا مسلمين الى ان قتل قابيل
هابيل فاختلفوا ● فبعث الله النبيين ● قال الحسن وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم
الى مبعث نوح امة واحدة على ملة الكفر امثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين
وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون
كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله اليهم نوحا وكان
اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين وقال الكلبي هم اهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا
بعد وفاة نوح وروي عن ابن عباس قال كان الناس على عهد ابرهيم امة واحدة
كفارا كلهم فبعث الله ابرهيم وغيره من النبيين وقيل كان العرب على دين ابرهيم حتى غيره عمرو
بن لحي وروي عن ابي العالية عن ابي بن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم واخرجوا
من ظهره واقروا بالعبودية امة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا امة واحدة قط غير ذلك
اليوم ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
فبعث الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا ● مبشرين ● بالثواب من آمن واطاع
● ومنذرين ● محذرين بالعقاب من كفر وعصى ● وانزل معهم الكتاب ● اي الكتب تقديره

وانزل مع كل واحد منهم الكتاب ● بالحق ● بالعدل والصدق ● ليحكم بين الناس ● قرا ابو جعفر ليحكم بضم
اليا وفتح الكاف هنا وفي آل عمران وفي سورة النور موضعين لان الكتاب لا يحكم في الحقيقة انما يحكم
به وقرا العامة بفتح اليا وضم الكاف اي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه ● فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه
اي في الكتاب ● الا الذين اوتوه ● اي اعطوا الكتاب ● من بعد ما جاءتهم البينات ● يعني احكام
التورية والانجيل قال الفراء ولاختلافهم معنيان احدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله
تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله تعالى يحرفون
الكلم عن مواضعه وقيل الاية راجعة الى محمد وكتابه اختلف فيه اهل الكتاب من ما جاءتهم
البينات صفة محمد صلعم في كتبهم ● بغيا ● ظلما وحسدا ● بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا
فيه ● اي الى ما اختلفوا فيه ● من الحق باذنه ● بعلمه وارادته فيهم قال ابن زيد في هذه الاية اختلفوا
في القبلة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى المغرب ومنهم من يصلي الى بيت المقدس
فهدانا الله للكعبة واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فاخذت
اليهود السبت والنصارى الاحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في ابرهيم فقالت اليهود كان
يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود
لفرية وجعلته النصارى الها فهدانا الله للحق فيه ● والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ● قال قتادة والسدي نزلت هذه الاية في غزوة الخندق حين اصاب
المسلمين ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال الله تعالى
وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد وقال عطاء لما دخل رسول الله صلعم واصحابه
المدينة اشتد عليهم الضر خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم بايدي المشركين وآثروا
رضاء الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلعم واسر قوم النفاق فانزل الله
تطييبا لقلوبهم ام حسبتم معناه احسبتم والميم صلة قاله الفراء وقال الزجاج بل حسبتم ومعنى
الاية اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ● ولما يأتكم ● وما ياتكم ● مثل الذين خلوا ● شبه
الذين مضوا ● من قبلكم ● من النبيين والمؤمنين ● مستهم ● اصابتهم ● البأساء ● الفقر والشدة
والبلاء ● والضراء ● المرض والزمانة ● وزلزلوا ● اي حركوا بانواع البلايا والرزايا وخوفوا
● حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ● ما زال البلاء بهم حتى استبطئوا النصر

قال الله تعالى الا ان نصر الله قريب وقرا نافع حتى يقول بالرفع معناه حتى قال واذا كان الفعل
الذى يلى حتى فى معنى الماضى ولفظه لفظ المستقبل فله فيه وجهان الرفع والنصب فالنصب على ظاهر
اللفظ لان حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع لان معناه الماضى وحتى لا تعمل فى الماضى يسئلونك ماذا
ينفقون نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله ماذا ننفق
وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون وفى قوله ماذا وجهان من الاعراب
احدهما ان يكون محله نصبا بقوله ينفقون تقديره اى شىء ينفقون والاخر ان يكون رفعا
بما ومعناه ما الذى ينفقون قل ما انفقتم من خير اى من مال فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم يجازيكم به قال
اهل التفسير كان هذا قبل فرض الزكوة فنسخت بالزكوة كتب عليكم القتال فرض عليكم الجهاد
واختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله
صلعم دون غيرهم واليه ذهب الثورى واحتج من ذهب الى هذا بقوله تعالى فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا
فرضا لم يكن يعده الحسنى وجرى بعضهم على ظاهر الاية وقال الجهاد فرض على كافة المسلمين الى
قيام الساعة وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلعم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو
مات على شعبة من النفاق وقال قوم وعليه الجمهور ان الجهاد فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن الباقين الفرض مثل صلوة الجنازة ورد السلام قال الزهرى
والاوزاعى كتب الله الجهاد على الناس غزوا او قعدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو
عدة ان استعين اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد وهو كره لكم اى شاق
عليكم وقال بعض اهل المعانى هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال
ومشقة النفس وخطر الروح لا انهم كرهوا امر الله وقال عكرمة نسخها قوله سمعنا واطعنا
يعنى انهم كرهوه ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
لان فى الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا
يعنى القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من فوات الغنيمة والاجر والله يعلم وانتم
لا تعلمون يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلعم بعث
عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبى صلعم فى جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة

71

عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابى وقاص الزهرى
وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل
بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا
وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على
اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل
وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل
بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخير فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال
لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع
ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجران اضل
سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يتعقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى ببقية اصحابه
حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطايف فبينا هم كذلك مرت عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطايف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل
بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلعم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان
القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف
عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك فى اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا
يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن
الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو بن
الحضرمى بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول
اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا
على رسول الله صلعم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء
واخذ الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك فعظم على اصحاب السرية وظنوا
انهم قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم
امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى

والكفر الناس في ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلعم العير فعزل منه الخمس فكان اول
خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية وكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة
في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما
قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلعم بالمدينة فقتل يوم بئر
معونة شهيدا واما عثمان بن عبدالله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب
بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب
المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلعم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب
نزول الآية يسئلونك عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه قتال فيه اي عن قتال فيه قل
قتال فيه كبير عظيم تم الكلام ههنا ثم ابتداء فقال وصد عن سبيل الله اي وصدكم المسلمين عن الا
سلام وكفر به اي كفركم بالله والمسجد الحرام اي بالمسجد الحرام وقيل وصدكم عن المسجد الحرام واخراج
اهله اي اخراج اهل المسجد منه اكبر اعظم وزرا عند الله والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر
من القتل اي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن انيس الى
مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله من
مكة ومنعهم المسلمين عن البيت ثم قال ولا يزالون يعني مشركي مكة وهو فعل لا مصدر له مثل
عسى يقاتلونكم يا معشر المؤمنين حتى يردوكم يصرفوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت بطلت اعمالهم حسناتهم في الدنيا
والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فقال اصحاب السرية يا رسول الله
هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزوا فانزل الله تعالى ان الذين
آمنوا والذين هاجروا فارقوا عشائرهم ومنازلهم واموالهم وجاهدوا المشركين في سبيل
الله لطاعة الله فجعلها جهادا اولئك يرجون رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة والله غفور
رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل ونفر من
الانصار اتوا رسول الله صلعم فقالوا افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة
للمال فانزل الله تعالى هذه الآية وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله المفسرون ان الله انزل
في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم نزلت في مسئلة عمر ومعاذ

رضي الله عنه يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلعم
ان الله تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس الى ان صنع
عبدالرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من اصحاب النبي صلعم واتاهم بخمر فشربوا وسكروا
وحضرت صلوة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون كذا الى آخر السورة بحذف لا فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات الصلوة فلما نزلت هذه الآية تركها
قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلوة وتركها قوم في اوقات الصلوة وشربوها
في غير حين الصلوة حتى كان الرجل يشرب بعد صلوة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب
بعد الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين
فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اخذت منهم
ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار
وفخر لقومه فاخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق
سعد الى رسول الله صلعم وشكى اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا رايك في الخمر بيانا شافيا
فانزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله فهل انتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام
فقال عمر انتهينا يا رب قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش
اعجب منها وما حرم عليهم شيء اشد من الخمر وعن عبدالعزيز بن صهيب قال قال انس بن مالك ما
كان لنا خمر غير فضيخكم فاني لقائم اسقي ابا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت
الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا انس قال فما سالوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل واختلف
العلماء في ماهية الخمر فقال قوم هو عصير العنب والرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار
فيه واتفقت الامة على ان هذا الخمر نجس يحد شاربه ويفسق ويكفر مستحله وذهب سفين
الثوري وابو حنيفة وجماعة الى ان التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرها كالمتخذ من الحنطة
والشعير والذرة والعسل والفانيذ الا ان يسكر منه فيحرم وقالوا اذا طبخ عصير العنب والرطب
حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره وان طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه
الا ان السكر منه حرام ويحتجون بما روي ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان ارزق
المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وراى ابو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث

وقال قوم اذا طبخ العصير ادنى طبخ صار حلالا وهو قول اسمعيل بن علية وذهب اكثر اهل
العلم الى ان كل شراب اسكر كثيره فهو خمر قليله حرام يحد شاربه واحتجوا بما روي عن عائشة
زوج النبي صلعم انها قالت سئل رسول الله صلعم عن البتع فقال كل شراب اسكر حرام وعن جابر بن عبد
الله ان رسول الله صلعم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم كل
مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة
وعن ابن عمر قال خطب عمر على منبر رسول الله صلعم فقال انه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة
اشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وروى الشعبي عن النعمان بن بشير
قال قال رسول الله صلعم ان من العنب خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير
خمرا فثبت ان الخمر لا تختص بما يتخذ من العنب والرطب وعن ابن شهاب عن السائب بن يزيد
انه اخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شراب
الطلاء وانا سائل عما شرب فان كان يسكر جلدته فجلده عمر الحد تاما وما روي عن عمر
وابي عبيدة ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن ان يكون مسكرا سئل ابن عباس عن الباذق
فقال سبق محمد صلعم الباذق فما اسكر فهو حرام قوله تعالى والميسر يعني القمار قال ابن عباس كان
الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله تعالى
هذه الآية والميسر مفعل من قولهم يسر لي الشيء اذا وجب ييسر يسرا وميسرا ثم قيل للقمار ميسر
وللمقامر ياسر ويسر وكان اصل الميسر في الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون
جزورا فينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الا
زلام والاقلام السبعة منها انصباء وهي الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان
والرقيب وله ثلثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة
وثلثة منها لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى
الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج قدحا
منها باسم رجل منهم فايهم خرج سهمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج فاذا خرج له واحد من
هذه الثلثة التي لا انصباء لها كان لا ياخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله وقال بعضهم كان
لا ياخذ ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون
منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البرم وهو اصل القمار

٧٦

الذي كانت تفعله العرب والمراد من الآية انواع القمار كلها قال طاوس وعطاء ومجاهد كل شيء
فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وروي عن علي في النرد والشطرنج انه
من الميسر قوله تعالى قل فيهما اثم كبير وزر عظيم من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش قرا حمزة
والكسائي اثم كثير بالثاء المثلثة وقرا الباقون بالباء فالاثم في الخمر والميسر ما ذكر الله تعالى في
سورة المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة ومنافع للناس فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما
يصيبون من الربح بالتجارة فيها ومنفعة الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وارتفاق الفقراء
به والاثم فيه انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه وقصده بالسوء واثمهما
اكبر من نفعهما قال الضحاك وغيره اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما اكبر من
نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل من العداوة والبغضاء ويسئلونك ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله
صلعم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال قل العفو قرا ابو عمرو العفو بالرفع معناه الذي
ينفق هو العفو وقرا الآخرون بالنصب على معنى قل انفقوا العفو واختلفوا في معنى العفو فقال
قتادة وعطاء والسدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر
النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ باية الزكوة وقال مجاهد معناه التصدق
عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلا على الناس وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم خير الصدقة ما كان
عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال عمرو بن دينار الوسط من
غير اسراف ولا اقتار قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقال طاوس ما
يسر والعفو اليسر من كل شيء ومنه قوله تعالى خذ العفو اي الميسور من اخلاق الناس عنه قال
جاء رجل الى النبي صلعم فقال يا رسول الله عندي دينار فقال انفقه على نفسك قال عندي آخر قال انفقه
على ولدك قال عندي آخر قال انفقه على اهلك قال عندي آخر قال انفقه على خادمك قال عندي
آخر قال انت اعلم كذلك يبين الله لكم الآيات قال الزجاج انما قال كذلك على الواحد وهو
يخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه قال كذلك ايها القبيل وقيل هو خطاب للنبي
صلعم لان خطابه يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء لعلكم تتفكرون
في الدنيا والآخرة قيل معناه يبين الله لكم الآيات في امر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا
فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى

وقال اكثر المفسرين معناها هكذا يبين الله لكم الآيات في امر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال
الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها • ويسالونك عن اليتامى •
قال ابن عباس وقتادة لما نزلت قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموال
اليتامى عن اموالهم حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه حتى يفسد فاشتد ذلك
عليهم وسالوا رسول الله صلعم فانزل الله تعالى هذه الآية • قل اصلاح لهم خير • اي الاصلاح لاموالهم
لهم من غير اجرة ولا اخذ عوض خير واعظم اجرا قال مجاهد يوسع عليه من طعام نفسه ولا
يتوسع من طعام اليتيم • وان تخالطوهم • هذه اباحة المخالطة اي تشاركوهم في اموالهم
وتخلطوها باموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم
عوضا من قيامكم باموره او تكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم • فاخوانكم • اي فهم
اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح
والرضا • والله يعلم المفسد من المصلح • لاموالهم يعني يعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وافساد
مال اليتيم واكله بغير حق من الذي يقصد الاصلاح • ولو شاء الله لاعنتكم • اي لضيق
عليكم وما اباح لكم مخالطتهم وقال ابن عباس ولو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى
موبقا لكم واصل العنت الشدة والمشقة ومعناه لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم • ان الله عزيز
حكيم • والعزيز الذي يامر بعزة سهل على العباد او شق عليهم • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن •
سبب نزول هذه الآية ان ابا مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلعم الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في
الجاهلية فاتته وقالت يا ابا مرثد الا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا
وبين ذلك قالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلعم فاستامره فقالت
ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة
وانصرف الى رسول الله صلعم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق وقال يا رسول الله ايحل لي
ان اتزوجها فانزل الله • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن • وقيل الآية منسوخة في حق الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فان قيل كيف اطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر
نبوة محمد صلعم قال ابو الحسين بن فارس لانه يقول القرآن كلام غير الله فقد اشرك مع الله

غيره وقال قتادة وسعيد بن جبير اراد بالمشركات الوثنيات فان عثمان تزوج نايلة بنت
الفرافصة وكانت نصرانية فاسلمت تحته وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية وتزوج حذيفة
يهودية • ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم • بجمالها ومالها نزلت في خنساء
وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان فقال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على
سوادك ودمامتك وانزل الله عز وجل ذكرك في كتابه فاعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت
في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم فزع فاتى النبي صلعم واخبره
بذلك فقال له وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان
وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها و
لاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا اتنكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة
فانزل الله هذه الآية • ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا • هذا اجماع لا يجوز للمسلمة ان تنكح المشرك
• ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك • يعني المشركين • يدعون الى النار • اي الى الاعمال
الموجبة للنار • والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه • اي بقضائه وارادته • ويبين آياته • اوامره
ونواهيه للناس لعلهم يتذكرون • يتعظون • ويسالونك عن المحيض • عن انس بن مالك ان اليهود
كانت اذا حاضت منهم المراة اخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها
في البيت فسئل رسول الله صلعم عن ذلك فانزل الله تعالى ويسالونك عن المحيض • قل هو اذى
فاعتزلوا النساء في المحيض فقال رسول الله صلعم جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء غير النكاح
وقالت اليهود ما يريد هذا الرجل ان يدع شيئا من امرنا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير
وعباد بن بشر الى النبي صلعم فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا ننكحهن
في المحيض فتمعر وجه رسول الله صلعم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من
لبن الى رسول الله صلعم فبعث في آثارهما فسقاهما فظننا انه لم يجد عليهما قوله تعالى ويسالونك
عن المحيض اي الحيض وهو مصدر حاضت المراة تحيض حيضا ومحيضا كالسير والمسير واصل
الحيض الانفجار والسيلان قل هو اذى اي قذر والاذى ما يكره من كل شيء فاعتزلوا النساء
في المحيض اراد بالاعتزال ترك الوطء • ولا تقربوهن • اي لا تجامعوهن اما الملامسة
والمضاجعة معها فجائزة عن عائشة قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلعم من اناء واحد
كلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حائض وكان يخرج راسه الي وهو معتكف

فاغسله وانا حائض وعن زينب بنت ابي سلمة حدثته ان ام سلمة قالت حضت وانا مع النبي
صلعم في الخميلة فانسللت فخرجت منها فاخذت ثياب حيضتي فلبستها فقال لي رسول الله صلعم
انفست قلت نعم فدعاني فادخلني معه في الخميلة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اشرب
وانا حائض فاناوله النبي صلعم فيضع فاه على موضع فيّ واتعرق العرق فيتناوله فيضع فاه
في موضع فيّ فوطئ الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزره الامام ان علم ذلك
واختلف اهل العلم في وجوب الكفارة عليه فذهب اكثرهم الى انه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب
اليه وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه منهم قتادة والاوزاعي واحمد واسحق لما روي عن ابن عباس
ان النبي صلعم قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال ان كان الدم عبيطا فليتصدق بدينار وان
كان صفرة فنصف دينار ويروى هذا موقوفا على ابن عباس ويمنع الحيض جواز [illegible]
ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه حتى اذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلوة
وعن عائشة قالت كنا نحيض عند رسول الله صلعم ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا
بقضاء الصلوة ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا مس المصحف ولا
قراءة القران ولا يجوز للزوج غشيانها وعن جسرة بنت دجاجة قالت سمعت عائشة تقول
جاء رسول الله صلعم ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد
فاني لا احل المسجد لحائض ولا جنب ﴿حتى يطهرن﴾ قرأ عاصم برواية ابي بكر وحمزة والكسائي
بتشديد الطاء والهاء يعني يغتسلن وقرأ الاخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخففا ومعناه حتى
يطهرن من الحيض وينقطع دمهن ﴿فاذا تطهرن﴾ يعني اغتسلن ﴿فأتوهن﴾ اي فجامعوهن ﴿من
حيث امركم الله﴾ اي من حيث امركم ان تعتزلوهن منه وهو الفرج قاله مجاهد وقتادة وعكرمة
قال ابن عباس طؤوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره اي اتقوا الادبار وقيل من بمعنى في اي
حيث امركم الله وهو الفرج كقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة وقيل فأتوهن من الوجه
الذي امركم الله ان تأتوهن وهو الطهر قال ابن الحنفية من قبل الحلال دون الفجور وقيل لا تأتوهن
صائمات ولا معتكفات ولا محرمات واتوهن وغشيانهن لكم حلال واعلم انه لا يرتفع
شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا تحريم الصوم فان الحائض
اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم ووقع غسلها بالنهار صح صومها والطلاق في حال الحيض
يكون بدعيا واذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيا وذهب ابو حنيفة الى انه اذا انقطع

دمها لاكثر الحيض وهو عنده عشرة ايام يجوز للرجل غشيانها قبل الغسل وقال مجاهد وطاوس
اذا اغتسلت فرجها للزوج غشيانها واكثر اهل العلم على التحريم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم
الماء لان الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين بانقطاع الدم والغسل فقال حتى يطهرن
يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد
منه الغسل كقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اي اغتسلوا فدل على ان قبل الغسل لا يحل الوطئ
﴿ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي يحب التوابين
من الذنوب والمتطهرين بالماء من الاحداث والنجاسات وقال مقاتل بن حيان التوابين من
الذنوب والمتطهرين من الشرك وقال سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب
وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها والتواب الذي
كلما اذنب تاب نظيره قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى
شئتم﴾ وعن ابن عباس قال جاء عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله هلكت قال وما
الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى النبي نساؤكم حرث لكم فأتوا
حرثكم انى شئتم يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة وعن ابن المنكدر سمع جابر بن عبد
الله يقول كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها ان الولد يكون احول فنزلت
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن
اهل الكتاب ان لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك استر ما تكون المرأة وكان هذا الحي من الانصار
قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات
ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع
بها ذلك فانكرت عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فان شئت فاصنع ذلك والا فاجتنبني
حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلعم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم يعني موضع الولد
فأتوا حرثكم انى شئتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات وانى حرف استفهام يكون سؤالا عن
الحال والمحل معناه كيف شئتم وحيث شئتم بعد ان يكون في صمام واحد وقال عكرمة انى شئتم انما
هو الفرج ومثله عن الحسن وقيل حرث لكم اي مزرع لكم ومنبت للولد بمنزلة الارض تزرع وفيه
دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وقال سعيد بن المسيب
هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثكم

ان شئت فاعزل وان شئت فلا وروي عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية
وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروي عن مالك عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف
فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم فقال تدري فيما نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل
اتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليها فنزلت هذه الآية وحكي عن مالك اباحة ذلك وانكر ذلك اصحابه
عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن
يرى باسا باتيان النساء في ادبارهن قال كذب العبد واخطأ انما قال عبد الله يؤتين في فروجهن
من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار ما روي عن خزيمة بن ثابت ان رجلا سأل النبي
صلعم عن اتيان النساء في ادبارهن فقال النبي صلعم في اي الخربتين او في اي الخرزتين او في اي الخصفتين
أمن دبرها في قبلها فنعم ام من دبرها في دبرها فلا فان الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء
في ادبارهن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ملعون من اتى امرأة في دبرها • وقدموا
لانفسكم • قال عطاء التسمية عند الجماع قال مجاهد وقدموا لانفسكم يعني اذا اتى اهله فليدع
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لو ان احدكم اذا اراد ان يأتي اهله قال بسم الله اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان
ابدا وقيل قدموا لانفسكم يعني طلب الولد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اذا مات
الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقيل هو
التزوج بالعفايف ليكون الولد صالحا وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال تنكح المرأة لاربع لمالها
ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقيل معنى الآية تقديم الافراط
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فتمسه النار الا
تحلة القسم وقال الكلبي والسدي وقدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية واتقوا
الله واعلموا انكم ملاقوه صائرون اليه فيجزيكم باعمالكم • وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم • نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه على اخته بشير بن النعمان شيء فحلف عبد
الله ان لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه واذا قيل له فيه قال حلفت بالله ان لا افعل
فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الآية وقال ابن جريج نزلت في ابي بكر الصديق حين
حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة اصلها الشدة والقوة ومنه
قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لقوتها عليه ثم قيل لكل ما صلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا المرأة

هي عرضة النكاح اذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية لا تجعلوا الحلف بالله
سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى صلة رحم او بر فيقول حلفت بالله ان لا افعله
فيعتل بيمينه في ترك البر • ان تبروا • معناه ان لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا
تضلوا • وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال من حلف
بيمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير • لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم •
اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف اهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الآية فقال قوم
ما يسبق الى اللسان على عجلة لصلة كلام من غير عقد وقصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله
وعن عائشة انها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله ورفعه بعضهم والى هذا ذهب
الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي ويروى عن عائشة رضي الله عنها ايمان اللغو ما كان في الهزل
والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب وقال قوم هو ان يحلف على شيء يرى انه صا
دق ثم تبين له خلاف ذلك وهو قول الزهري والحسن وابراهيم النخعي وقتادة ومكحول
وبه قال ابو حنيفة وقالوا لا كفارة فيه ولا اثم وقال علي هو اليمين في الغضب وبه قال طاوس
وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها ويكفر وقال مسروق
ليس عليه كفارة أيكفر خطوات الشيطان وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية
كفارته ان يتوب منها وكل يمين لا يحل لك ان تفي بها فليس فيها كفارة ولو امرته
بالكفارة لامرته ان يتم على قوله وقال زيد بن اسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول الانسان
اعمى الله بصري ان لم افعل كذا اخرجني الله من مالي ان لم آتك غدا ويقول هو كافر
ان فعل كذا فهذا كله لغو لا يؤاخذه الله به ولو آخذهم به لعجل الله لهم العقوبة قال الله
تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وقال ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم • ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم • اي عزمتم وقصدتم الى اليمين
وكسب القلب العقد والنية • والله غفور حليم • واعلم ان اليمين لا تنعقد الا بالله او باسم من
اسمائه او صفة من صفاته فاليمين بالله ان يقول والذي اعبده والذي اصلي له والذي نفسي بيده
ونحو ذلك واليمين باسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفاته كقوله وعزة الله وعظمة
الله وجلال الله وقدرة الله ونحوها فاذا حلف بشيء منها على امر في المستقبل فحنث يجب عليه
الكفارة واذا حلف على امر ماض انه كان ولم يكن او على انه لم يكن وقد كان ان كان عالما به حالة
ما حلف

فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر ويجب به الكفارة عند بعض أهل العلم عالما كان أو جاهلا وبه
قال الشافعي ولا يجب عند بعضهم وهو قول أصحاب الرأي وقالوا إن كان عالما فهو كبيرة لا كفارة لها كما في سائر
الكبائر وإن كان جاهلا فهو يمين اللغو عنده ومن حلف بغير الله مثل أن قال والكعبة وبيت الله ونبي الله
أو حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون يمينا ولا يجب الكفارة إذا خالف وهو يمين مكروهة وقال الشافعي وأخشى
أن تكون معصية وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلعم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب
وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلعم إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله
أو ليصمت * للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر * يؤلون يحلفون والألية اليمين والمراد
من الآية اليمين على ترك وطي المرأة قال قتادة كان الإيلاء طلاق أهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب
كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها غيره فيحلف
أن لا يقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام فضرب الله أجلا
في الإسلام واختلف أهل العلم فيه فذهب أكثرهم إلى أنه إن حلف لا يقرب زوجته أبدا أو سمى
مدة أكثر من أربعة أشهر يكون موليا فلا يتعرض له قبل مضي أربعة أشهر وبعد مضيها يوقف
ويؤمر بالفيء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة والفيء هو الرجوع عما قال بالوطي إن قدر عليه وإن
لم يقدر فبالقول فإن لم يفئ ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة وذهب إلى الوقف بعد مضي
المدة عمر وعثمان وعلي وأبو الدرداء وابن عمر رضي الله عنهم قال سليمان بن يسار أدركت
بضعة عشر من أصحاب النبي صلعم كلهم يقولون يوقف المولي وإليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان
بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحق وقال بعض أهل العلم إذا مضت
أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثو
ري وأصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع طلقة رجعية ولو حلف أن لا يطأها
أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا بل هو حالف إذا وطئها قبل مضي تلك المدة عليه كفارة اليمين
ولو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لا يكون موليا عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة لأن بقاء
المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالفيء والطلاق وقد مضت المدة وعند من لا يقول بالوقف
يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي
لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة
وعند مالك وأبي حنيفة تتنصف مدة العنة بالرق غير أن عند أبي حنيفة تتنصف برق المرأة وعند مالك

برق الزوج كما قاله في الطلاق قوله تربص أربعة أشهر أي انتظار أربعة أشهر والتربص التثبت
والتوقف فإن فاؤوا أي رجعوا عن اليمين بالوطي فإن الله غفور رحيم وإذا وطي خرج عن الإيلاء و
ويجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم وقال الحسن وإبراهيم وقتادة لا كفارة عليه لأن الله تعالى
وعد المغفرة فقال فإن الله غفور رحيم وذلك عند الأكثرين في إسقاط العقوبة لا في الكفارة ولو قال
لزوجته إن قربتك فعبدي حر أو ضرتك طالق أو لله علي عتق عبد أو صوم أو صلاة فهو مول لأن
المولي من يلزمه أمر بالوطي ويوقف بعد مضي المدة فإن فاء يقع الطلاق والعتق المعلق
به وإن التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قول وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من
الإعتاق والصلاة والصيام * وإن عزموا الطلاق * أي حققوه بالإيقاع * فإن الله سميع لقو
لهم * عليم * بنياتهم وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لأنه
شرط فيه العزم وقال فإن الله سميع عليم فدل على أنه يقتضي مسموعا والقول هو الذي يسمع
* والمطلقات * أي المخليات من حبال أزواجهن * يتربصن * ينتظرن * بأنفسهن ثلثة قروء * فلا
يتزوجن والقروء جمع قرء مثل قرع وجمع القليل أقرؤ والجمع الكثير أقراء وقروء واختلف
أهل العلم في القرء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس
وبه قال الحسن ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بأن النبي صلعم قال
للمستحاضة دعي الصلاة أيام أقرائك وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها وذهب جماعة
إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة وهو قول الفقهاء السبعة والزهري
وبه قال ربيعة ومالك والشافعي واحتجوا بأن ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلعم
لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة
التي أمر الله أن تطلق لها النساء فأخبر أن زمان العدة هو الطهر ومن جهة اللغة قول الشاعر
* ففي كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لأقصاها عزيم عزائكا * مورثة مالا وفي
الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * أراد أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه
فتضيع أقراؤهن وإنما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف تظهر في أن المعتدة
إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهارا وتحسب بقية الطهر الذي وقع
فيه الطلاق قرءا قالت عائشة إذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه
فقد برئت منه وبرئ منها ومن ذهب إلى أن الأقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من

من الحيضة الثالثة وهذا الاختلاف من حيث ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال اقرأت
المرأة اذا حاضت واقرأت اذا طهرت فهي مقرئ واختلفوا في اصله قال ابو عمرو بن العلاء
جيدة هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه يقال رجع فلان لقرئه ولقارئه اي لوقته وهذا قال
الرياح اي وقت هبوبها قال مالك بن الحرث الهذلي كرهت العقر عقر بني شليل اذا هبت
لقاريها الرياح اي لوقتها والقرء يصلح للوجهين لان الحيض يأتي لوقت والطهر مثله يأتي
لوقت وقيل هو من القرء وهو الحبس والجمع يقول العرب ما قرأت الناقة سلا قط اي لم تضم رحمها على
ولد ومنه قريت الماء في المقراة وهي الحوض اي جمعته بترك همزها فالقرء ههنا احتباس الدم
واجتماعه فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لانه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه ويرسله
وجملة الحكم في العدد ان المرأة اذا كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل سواء وقعت الفرقة بينها
وبين الزوج بالطلاق او بالموت لقول الله عز وجل واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
وان لم تكن حاملا نظر ان وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها ان تعتد باربعة اشهر وعشر
سواء مات الزوج قبل الدخول بها او بعده وسواء كانت المرأة ممن تحيض او لا تحيض لقول
لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
وان وقعت الفرقة في الحياة نظر ان كان قبل الدخول بها فلا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وان كان
بعد الدخول بها نظر ان كانت المرأة ممن لم تحض قط او بلغت في الكبر سن الآيسات فعدتها
بثلاثة اشهر لقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة
اشهر وان كانت ممن تحيض فعدتها بثلاثة اقراء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء وقوله يتربصن بانفسهن لفظه خبر ومعناه امر وعدة الامة ان كانت حاملا بوضع
الحمل كالحرة وان كانت حائلا ففي الوفاة عدتها شهران وخمس ليال وفي الطلاق ان كانت
ممن تحيض فعدتها قرءان وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالقرءين
في حق من تحيض قال عمر بن الخطاب ينكح العبد امرأتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين
فان لم تكن تحيض فشهرين او شهرا ونصفا ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
قال عكرمة يعني الحيض وهو ان يريد الرجل مراجعتها فتقول قد حضت الثالثة وقال ابن
عباس وقتادة يعني الحبل ومعنى الاية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل

ليبطل حق الزوج من الرجعة والولد ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر معناه ان هذا من فعل
المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول اد حقي ان كنت مؤمنا يعني اداء
الحقوق من فعل المؤمنين وبعولتهن يعني ازواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل سمي الزوج بعلا لقيامه
بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك احق بردهن اولى برجعتهن اليهم في ذلك اي
في حال العدة ان ارادوا اصلاحا اي ارادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الاضرار كما كانوا
يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها
فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها ولهن اي
للنساء على الازواج مثل الذي عليهن للازواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه اني احب
ان اتزين لامرأتي كما تحب امرأتي ان تتزين لي لان الله قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وعن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان
تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وعن جعفر
بن محمد عن ابيه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت اخبرني عن حجة رسول الله صلعم فذكر قصة
حجة الوداع الى ان ذكر خطبته يوم عرفة قال فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان
فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد
تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسألون عني فما انتم قائلون
قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها
الى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلث مرات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان
اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائكم وللرجال عليهن درجة قال ابن
عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقال قتادة بالجهاد وقيل بالعقل وقيل
بالشهادة وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالطلاق لان الطلاق بيد الرجال وقيل بالرجعة وقال
سفين وزيد بن اسلم بالامارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة بالحق والله
عزيز حكيم وعن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي صلعم فيها ثم رجع فرأى
رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي صلعم فقال النبي صلعم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها الطلاق مرتان روي عن عروة بن الزبير قال كان الناس في الابتداء

يطلقون من غير حصر ولا عدد وكان الرجل يطلق امرأته فاذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها
كذلك ثم راجعها يقصد مضارتها فانزلت الآية الطلاق مرتان يعني الطلاق الذي تملك الرجعة
عقيبه مرتان فاذا طلق ثلثا لا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر فامساك بمعروف قيل اراد بالامساك
الرجعة بعد الثانية والصحيح ان المراد منه الامساك بعد الرجعة يعني اذا راجعها بعد الطلقة الثانية
فعليه ان يمسكها بالمعروف والمعروف كل ما يعرف في الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة او
تسريح باحسان هو ان يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقيل الطلقة الثالثة قوله او تسريح
باحسان وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلثة الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة
الصريح هو لفظ الطلاق وجملة الحكم فيه ان الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها يجوز
له مراجعتها بغير رضاها ما دامت في العدة وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل
الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلثا فلا تحل له
ما لم تنكح زوجا غيره اما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج
آخر واختلف اهل العلم فيما اذا كان احد الزوجين رقيقا فذهب اكثرهم الى انه يعتبر عدد الطلاق
بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلث طلقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال
عبد الله بن مسعود الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي
قدر العدة حال المرأة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس وبه قال عطاء وسعيد بن
المسيب واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب قوم الى ان الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق
فيملك العبد على زوجته الحرة ثلث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان
الثوري واصحاب الرأي ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن اعطيتموهن شيئا من
المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله نزلت في جميلة
بنت عبد الله بن ابي اوفى ويقال في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت
تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني
فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره المرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها وقال فرجعت
اليه الثانية وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله
صلعم فشكت اليه زوجها واراته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول
الله صلعم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك قال والذي بعثك بالحق ما على وجه الارض احب الي منها غيرك

قال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلعم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله
ولكن خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك
خلافه هو من اكرم الناس محبة لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت قد اعطيتها حديقة
فقل لها فلتردها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال
رسول الله صلعم خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وعن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت
النبي صلعم فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما اعيب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام
قال رسول الله صلعم أتردين عليه حديقته قالت نعم قال رسول الله صلعم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة
قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله قرأ ابو جعفر وحمزة ويعقوب الا ان يخافا بضم الياء اي
يعلم ذلك منهما يعني يعلم القاضي والوالي ذكر من الزوجين بدليل قوله فان خفتم فجعل الخوف لغير الزو
جين ولم يقل فان خافا وقرأ الآخرون يخافا بفتح الياء اي يعلم الزوجان من انفسهما ان لا يقيما
حدود الله تخاف المرأة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته ان
يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيئا مما آتاها الا ان يكون النشوز من
قبلها فقالت لا اطيع لك امرا ولا ابر لك قسما ونحو ذلك قال الله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود
الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي فيما افتدت المرأة نفسها منه قال الفراء اراد بقوله
عليهما الزوج دون المرأة فذكرهما جميعا لاقترانهما كقوله تعالى نسيا حوتهما وانما الناسي فتى
موسى دون موسى وقيل اراد لا جناح عليهما جميعا لا جناح على المرأة في النشوز اذا خشيت الهلاك و
المعصية ولا فيما افتدت به واعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج
فيما اخذ منها من المال اذا اعطته طائعة وذهب اكثر اهل العلم الى ان الخلع جائز على اكثر مما اعطا
ها وقال الزهري لا يجوز باكثر مما اعطاها من المهر وقال سعيد بن المسيب لا يأخذ منها جميع ما اعطا
ها بل يترك شيئا ويجوز الخلع في غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب وعن ابن
عمر قال قال رسول الله صلعم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن ثوبان يرفعه الى النبي صلعم ايما امرأة
سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وقال طاوس الخلع يختص بحالة خوف
النشوز لظاهر الآية والآية خرجت على وفق العادة في ان الخلع لا يكون الا في حال خوف النشوز غا
لبا واذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقص به العدد
واختلف اهل العلم في الخلع فذهب اكثرهم الى انه تطليقة بائنة ينتقص به الطلاق وهو قول عمر

وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي واليه ذهب
مالك والثوري والاوزاعي واصحاب الراي وهو اظهر قولي الشافعي وذهب قوم الى انه فسخ لا ينتقص
به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وبه قال عكرمة وطاوس واليه ذهب
احمد واسحق واحتجوا بان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا ومن قال
بالاول جعل الطلقة الثالثة او تسريح باحسان تلك حدود الله اي هذه اوامر الله ونواهيه
وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه فلا تعتدوها اي لا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون فان طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد اي بعد الطلقة الثالثة حتى
تنكح زوجا غيره اي غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا نزلت في تميمة وقيل
عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي
فطلقها ثلثا وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها انه سمعها تقول جاءت امراة رفاعة القرظي الى
رسول الله صلعم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير
وان ما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلعم فقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى النبي صلعم
فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلعم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الآخر
فلبثت حتى قبض النبي صلعم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى الزوج الاول
فان زوجي الآخر مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلعم حين اتيته
وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ذلك فقال لها لئن
رجعت اليه لارجمنك فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا يعني فان طلقها الزوج الثاني
بعد ما جامعها فلا جناح عليهما يعني على المراة وعلى الزوج الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد
ان ظنا اي علما وقيل رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله ان يقيما حدود الله اي
يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة وقال مجاهد معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة واراد
بالدلسة التحليل وهو مذهب سفين والاوزاعي ومالك واحمد واسحق قالوا اذا تزوجت
المطلقة ثلثا زوجا آخر ليحلها للزوج الاول ان النكاح فاسد وذهب جماعة الى انه اذا لم يشترط
في النكاح مع انه انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل غير انه يكره اذا كان في عزمهما

٧٨

ذلك وعن ابن مسعود عن النبي صلعم انه لعن المحلل والمحلل له قال نافع اتى رجل ابن عمر فقال ان
رجلا طلق امراته ثلثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة
كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلعم قال رسول الله لعن الله المحلل والمحلل له وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون يعني يعلمون ما امرهم به واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في رجل
من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امراته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها
يقصد مضارتها قوله فبلغن اجلهن اي اشرفن على ان يبن بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة
انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة وفي
قوله تعالى بعد هذا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول
المعنيين يقال بلغت المدينة اذا قربت منها واذا دخلتها فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف
قيل المراجعة بالمعروف ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء او سرحوهن
بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا
اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة لتعتدوا لتظلموهن بتطويل الحبس فتلجؤهن الى الافتداء
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي اضر بنفسه بمخالفة امر الله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا
وانقال الكلبي يعني قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وكل من خالف امر الشرع فهو
متخذ آيات الله هزوا وقال ابو الدرداء هو ان الرجل كان يطلق ثم يقول كنت لاعبا ويعتق
ويقول مثل ذلك وينكح ويقول مثل ذلك وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم بالايمان وما انزل عليكم
من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني السنة وقيل مواعظ القرآن يعظكم به واتقوا الله ان الله
بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في جميلة بنت يسار اخت معقل بن
يسار المزني كانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها وعن الحسن قال
حدثني معقل بن يسار قال زوجت اختا لي من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها
جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك واكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود
ترجع اليك ابدا وكان رجلا لا باس به وكانت المراة تريد ان ترجع اليه فانزل الله تعالى
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن فقلت الآن افعل يا رسول الله قال فزوجها اياه
قوله فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اي لا تمنعوهن عن النكاح والعضل

ونم الخبر خمس جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح والرجعة والنذر

المنع وأصله الضيق والشدة يقال عضلت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها فضاق عليها الخروج والداء العضال الذي لا يطاق علاجه وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقيل الآية خطاب مع الأزواج منعهم من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم والأول أصح «إذا تراضوا بينهم بالمعروف» بعقد حلال ومهر جائز «ذلك» الذي ذكر من النهي «يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر» وإنما قال ذلك موحدا والخطاب للأولياء لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليس بكاف خطاب فقالوا ذلك فإذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في الاثنين والجمع والمؤنث وقيل هو خطاب للنبي صلعم فلذلك وحد ثم رجع إلى خطاب المؤمنين فقال «ذلكم أزكى لكم» أي خير لكم «وأطهر» لقلوبكم من الريبة وذلك أنه إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون «والله يعلم» من حب كل واحد منهما لصاحبه «وأنتم لا تعلمون» «والوالدات يرضعن أولادهن» أي المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن يرضعن خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها «حولين كاملين» أي سنتين وذكر الكمال للتأكيد كقوله تعالى تلك عشرة كاملة وقيل إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج أشهر معلومات وإنما هو شهران وبعض الثالث وقال ومن تعجل في يومين فلا إثم عليه وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وإنما أقام به حولا وبعض آخر فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا واختلف أهل العلم في هذا الحد فمنهم من قال هو حد لبعض المولود فروى عكرمة عن ابن عباس أنها إذا وضعت لستة أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين وإن وضعت لسبعة أشهر ترضعه ثلثة وعشرين شهرا وإن وضعت لتسعة أشهر ترضعه أحدا وعشرين شهرا كل ذلك تمام ثلثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال قوم هو حد لكل مولود بأي وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين إلا باتفاق الأبوين فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه لقوله تعالى فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس وقيل المراد

من الآية بيان الرضاع الذي تثبت به الحرمة ما يكون في الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين قال قتادة فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال «لمن أراد أن يتم الرضاعة» أي هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود إنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به «وعلى المولود له» يعني الأب «رزقهن» طعامهن «وكسوتهن» لباسهن «بالمعروف» أي على قدر الميسرة «لا تكلف نفس إلا وسعها» أي طاقتها «لا تضار والدة بولدها» قرأ ابن كثير وأهل البصرة لا تضار برفع الراء نسقا على قوله لا تكلف وأصله تضارر فأدغمت الراء في الراء وقرأ الآخرون بنصب الراء وقالوا لما أدغمت الراء في الراء حركت إلى أخف الحركات وهو النصب ومعنى الآية لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه «ولا مولود له بولده» أي لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا تضار والدة فتكره على إرضاعه إذا كرهت هي إرضاعه وقبل الصبي من غيرها لأن ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده فيحمل على أن يعطي الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع الولد من غيرها فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضارر بفتح الراء الأولى على الفعل المجهول والوالدة والمولود له مفعولان ويحتمل أن يكون الفعل لهما ويكون تضار بمعنى تضارر بكسر الراء الأولى على تسمية الفاعل والمعنى لا تضار والدة فتأبى أن ترضع ولدها لتشق على أبيه ولا مولود له أي لا يضار الأب أم الصبي فينزعه منها ويمنعها من إرضاعه وعلى هذه الأقوال يرجع الضرار إلى الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز أن يكون الضرار راجعا إلى الصبي أي لا يضار كل واحد منهما الصبي فلا ترضعه الأم حتى يموت ولا ينفق الأب أو ينزعه من الأم حتى يضر بالصبي فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده وكل هذه الأقوال مروية عن المفسرين «وعلى الوارث مثل ذلك» اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته ثم اختلفوا في أي وارث هو فقال بعضهم هو عصبة الصبي من الرجال مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وهو قول عمر بن الخطاب وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا إذا لم يكن للصبي ما ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه وقيل هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد وإسحق وقالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا أو غيرهم وقال بعضهم من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى

نفقة مراده بالآية وهو قول ابي حنيفة وذهب جماعة الى ان المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي وارث
ابيه المتوفى يكون اجرة رضاعه ونفقته في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي الا
الوالدين وهو قول مالك والشافعي وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان
على الاب من اجرة الرضاع والنفقة والكسوة وقيل ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك
المضارة وبه قال الشعبي والزهري فان ارادا يعني الوالدين فصالا اي فطاما قبل الحولين عن
تراض منهما اي اتفاق من الوالدين وتشاور اي يشاورون اهل العلم به حتى يخبروا ان الفطام
في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي فلا جناح عليهما اي لا حرج عليهما في الفطام
قبل الحولين وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت
امهاتهم ان يرضعنهم او تعذر لعلة بهن اي انقطاع لبن او اردن النكاح فلا جناح عليكم
اذا سلمتم الى امهاتهم ما آتيتم ما سميتم لهن من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن وقيل اذا سلمتم
اجور المراضع اليهن بالمعروف وقرأ ابن كثير ما أتيتم من ربا بقصر الالف ومعناه ما فعلتم يقال
اتيت جميلا اذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد [illegible] لا بمعنى تسليم
الاجرة يعني اذا سلمتم لامره وانقدتم لحكمه وقيل اذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق
دون الضرار واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم اي يموتون
وتتوفى آجالهم وتوفي واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفي اخذ الشيء وافيا ويذرون يتركون ازواجا
يتربصن ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي يعتددن بترك الزينة والطيب والنقلة
على فراق ازواجهن هذه المدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل وكانت عدة الوفاة في الابتداء
حولا كاملا لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج ثم نسخت باربعة اشهر وعشرا وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد كانت هذه العدة يعني اربعة
اشهر وعشرا واجبة عند اهل زوجها فانزل الله عز وجل متاعا الى الحول فجعل لها تمام السنة سبعة اشهر
وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل غير اخراج
فان خرجن فلا جناح عليكم فالعدة كما هي واجبة عليها وقال عطاء قال ابن عباس نسخت هذه الآية
عدتها عند اهلها فتعتد حيث شاءت وقال عطاء ان شاءت اعتدت عند اهله وسكنت في وصيتها
وان شاءت خرجت قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب لها
الاحداد في عدة الوفاة وهو ان تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها باي دهن كان

سواء كان فيه طيب او لم يكن ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه فان كان فيه طيب فلا يجوز
لها ان تكتحل بكحل فيه طيب او فيه زينة كالكحل الاسود ولا بأس بالكحل الفارسي الذي لا زينة
فيه وان اضطرت الى كحل فيه زينة فقد رخص فيه كثير من اهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان
بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك واصحاب الرأي وقال الشافعي تكتحل به ليلا وتمسحه
بالنهار قالت ام سلمة دخل علي رسول الله صلعم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال انه يشب
الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي
ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالاحمر
والاصفر والاخضر الناضر ويجوز ما صبغ لغير زينة كالاسود والكحلي وقال سفين لا تلبس المصبوغ
بحال وعن حميد بن نافع عن زينب بنت ابي سلمة انها اخبرته هذه الاحاديث الثلاثة قالت زينب
دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلعم حين توفي ابوها ابو سفين بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة
خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني
سمعت رسول الله صلعم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال
الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها عبد
الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلعم يقول على
المنبر لا يحل لامرأة ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب
وسمعت امي ام سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي
عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلعم لا ثم قال انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت
احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة
على رأس الحول فقالت زينب كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها
ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طير فتفتض به
فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من
طيب او غيره قال مالك تفتض تمسح جلدها وقال سعيد بن المسيب الحكمة في هذه العدة ان فيها
تنفخ الروح في الولد ويقال ان الولد يرتكض اي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل واربعة اشهر
وعشر قريب من نصف مدة الحمل وانما قال عشرا بلفظ المؤنث لانه اراد الليالي لان العرب اذا
ابهمت العدد بين الليالي والايام غلبت عليها الليالي فيقولون صمنا عشرا والصوم لا يكون

الا بالنهار وقال المبرد انى انث العشر لانه اراد المدد اى عشر مدد كل مدة يوم وليلة واذا كانت

المتوفى عنها زوجها حاملا فعدتها بوضع الحمل عند اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم فروى عن علي وابن

عباس انها تنتظر آخر الاجلين من وضع الحمل او اربعة اشهر وعشرا قال عبد الله بن مسعود انزلت سورة

النساء القصرى بعد الطولى اراد بالقصرى سورة الطلاق وبالطولى سورة البقرة واراد به ان قوله

تعالى في سورة الطلاق واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن نزلت بعد قوله يتربصن بانفسهن

اربعة اشهر وعشرا في سورة البقرة فحمله على النسخ وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما روى

عن المسور بن مخرمة ان سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت رسول الله صلعم فاستاذنته

ان تنكح فاذن لها فنكحت فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم خطاب

للاولياء فيما فعلن في انفسهن اى من اختيار الازواج دون العقد فان العقد الى الولي وقيل فيما

فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع بالمعروف والله بما تعملون خبير والاحداد واجب

على المراة في عدة الوفاة اما المعتدة عن الطلاق فينظر ان كانت رجعية فلا احداد عليها في العدة لان

لها ان تصنع ما يشوق قلب الزوج اليها ليراجعها وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلث قولان احدهما

عليها الاحداد كالمتوفى عنها زوجها وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال ابو حنيفة والثاني لا احداد عليها

وهو قول عطاء وبه قال مالك ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء اى النساء المعتدات

واصل التعريض هو التلويح بالشيء والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض

بالخطبة مباح في العدة وهو ان يقول رب راغب فيك من يجد مثلك انك لجميلة وانك لصالحة وانك

على كريمة واني فيك لراغب وان من غرضي ان اتزوج وان جمع الله بيني وبينك بالحلال

اعجبني ولئن تزوجتك لاحسنن اليك ونحو ذلك من الكلام من غير ان يقول انكحيني والمراة تجيبه

بمثله ان رغبت فيه وقال ابراهيم لا باس ان يهدي لها ويقوم بشغلها في العدة اذا كانت من

شانه وروي ان سكينة بنت حنظلة تايمت من زوجها فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر

في عدتها وقال يا بنت حنظلة انا من قد علمت قرابتي من رسول الله صلعم وحق جدي علي وقدمي

في الاسلام فقالت سكينة اتخطبني وانا في العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي

من رسول الله صلعم قد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة وهي في عدة من زوجها ابي سلمة فذكر لها

منزلته من الله عز وجل وهو متكئ على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده والتعريض

بالخطبة جائز في عدة الوفاة واما المعتدة عن فرقة الحياة فينظر ان كانت ممن لا يحل لمن بانت منه

نكاحها كالمختلعة المطلقة ثلثا والمبانة باللعان والرضاع يجوز خطبتها

تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير تعريضا فيه قولان احدهما يجوز كالمطلقة وان كانت ممن يحل

للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير

تعريضا فيه قولان احدهما يجوز كالمطلقة ثلثا والثاني لا يجوز لان المعاودة ثابتة لصاحب

العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضها بالخطبة وقوله من خطبة النساء الخطبة التماس النكاح

وهو مصدر خطب الرجل المراة يخطب خطبة وقال الاخفش الخطبة الذكر والخطبة التشهد فيكون

معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن او اكننتم اضمرتم في انفسكم من نكاحهن يقال

اكننت الشيء وكننته لغتان وقال ثعلب اكننت الشيء اخفيته في نفسي وكننته سترته قال السدي

هو ان يدخل فيسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم علم الله انكم ستذكرونهن بقلوبكم ولكن

لا تواعدوهن سرا اختلفوا في السر المنهي عنه فقال قوم هو الزنا وكان الرجل يدخل على المراة

من اجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك

هذا قول الحسن وقتادة وابراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس قال زيد بن اسلم

اى لا ينكحها سرا فيمسكها فاذا حلت اظهر ذلك وقال مجاهد هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك

فاني ناكحك وقال الشعبي والسدي لا ياخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره وقال عكرمة لا يخطبها في

العدة قال الشافعي السر هو الجماع قال الكلبي اى لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول

اتيتك الاربعة والخمسة واشباه ذلك ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرؤ القيس الا زعمت

بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي وانما قيل للزنا وللجماع سر لانه

يكون في خفاء بين الرجل والمراة الا ان تقولوا قولا معروفا هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة

ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اى لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة

حتى يبلغ الكتاب اجله اى حتى تنقضي العدة وسماها كتابا لانها فرض من الله كقوله

كتب عليكم اى فرض عليكم واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه اى فخافوا الله

واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم

تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اى ولم تمسوهن ولم تفرضوا نزلت في رجل من الانصار

تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الاية فقال رسول

الله صلعم امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال صلعم متعها ولو بقلنسوتك قرا حمزة والكسائي

ما لم تماسوهن بالالف ههنا وفي الاحزاب على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه
كما قال تعالى من قبل ان يتماسا وقرا الباقون تمسوهن بلا الف لان الغشيان يكون من فعل الرجل
دليله قوله تعالى ولم يمسسني بشر قوله او تفرضوا لهن فريضة اى توجبوا لهن صداقا فان قيل
فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث ابغض الحلال الى
الله الطلاق فنفى الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم
ان طلقتموهن قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة وقيل لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس
في اي وقت شئتم حائضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بخلاف
المدخول بها لا يجوز تطليقها في حال الحيض ومتعوهن اى اعطوهن من مالكم ما يتمتعن
به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد على الموسع اى الغني قدره وعلى المقتر اى الفقير
قدره امكانه وطاقته قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال
فيهما وقرا الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل القدر بالسكون المصدر وبالفتح الاسم متاعا
نصب على المصدر اى متعوهن متاعا بالمعروف اى بما امركم الله به من غير ظلم حقا على المحسنين
وبيان حكم الاية ان من تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها المتعة
بالاتفاق وان طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الاكثرين ولها نصف المهر
المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة الى انه لا متعة لها لانها تستحق المهر
وهو قول اصحاب الراى وذهب جماعة الى انها تستحق المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد واليه ذهب الشافعي لان
استحقاقها المهر بمقابلة ما اتلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق فعلى
القول الاول لا متعة الا لواحدة وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وعلى القول الثاني لكل مطلقة
متعة الا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس قال عبد الله بن عمر لكل مطلقة متعة الا التي
فرض لها ولم يمسها زوجها فحسبها نصف المهر وقال الزهري متعتان يقضي باحدهما السلطان
ولا يقضي بالاخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى فاما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل
الفرض والمسيس وهو قوله حقا على المحسنين والتي يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها السلطان
فهي المطلقة بعد المسيس وهي قوله حقا على المتقين وذهب الحسن وسعيد بن جبير الى ان لكل مطلقة
متعة سواء كان قبل الفرض والمسيس او بعد الفرض قبل المسيس لقوله تعالى وللمطلقات متاع ولقوله في سورة

الاحزاب فمتعوهن وقالا معنى قوله ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة ولم تفرضوا لهن فريضة وقال بعضهم المتعة غير واجبة والامر بها امر ندب واستحباب
روي ان رجلا طلق امراته وقد دخل بها فخاصمته الى شريح في المتعة فقال شريح لا تاب ان تكون
من المحسنين ولا تاب ان تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن
عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية او شيء من الورق
وبه قال الشعبي والزهري وهو مذهب الشافعي قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب
واقلها اقل ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وطلق عبد الرحمن بن عوف امراته وحممها جارية سوداء
اى متعها ومتع الحسن بن علي امراة له بعشرة آلاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والاية تدل على انه
يعتبر حال الزوج في العسر واليسر ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر يصح
النكاح وللمراة مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان
طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات احدهما قبل الدخول والفرض واختلف اهل العلم في انها
هل تستحق المهر ام لا فذهب جماعة الى ان لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى ان لها المهر لان
الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري و
اصحاب الراى واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود انه سئل عن رجل تزوج امراة ولم يفرض لها صداقا
ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها صداق نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها
الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال قضى رسول الله صلعم في بروع بنت واشق
امراة منا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود وقال الشافعي فان ثبت حديث بروع بنت
واشق فلا حجة في قول احد دون النبي صلعم وان لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث وكان علي
يقول في حديث بروع لا نقبل قول اعرابي من اشجع على كتاب الله وسنة رسول الله صلعم وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم هذا في المطلقة
بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض وان مات احدهما قبل المسيس فلها كمال المهر
المفروض والمراد بالمس المذكور في الاية الجماع واختلف اهل العلم فيما لو خلا الرجل بامراته ثم
طلقها قبل ان يدخل بها فذهب جماعة الى انه لا يجب لها الا نصف الصداق ولا عدة عليها لان الله تعالى

او جب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال
الشافعي وقال قوم يجب لها كمال المهر وعليها العدة لما روي عن عمر انه قال اذا ارخيت الستور فقد
وجب الصداق ومثله عن زيد بن ثابت وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق اليها اذا
سلمت نفسها لا على تقرير الصداق وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في الاحزاب فما لكم عليهن من
عدة تعتدونها فمتعوهن فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية واوجب للمطلقة
المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها قوله تعالى وقد فرضتم لهن فريضة اي سميتم
لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي لها نصف المهر المسمى الا ان يعفون يعني النساء اي الا ان
تترك المراة نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اختلفوا
فيه فذهب بعضهم الى ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي وبه قال ابن عباس معناه الا ان
تعفو المراة بترك نصيبها الى الزوج ان كانت ثيبا من اهل العفو او يعفو وليها فيترك نصيبها
ان كانت المراة بكرا او غير جائزة الامر فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري
وذهب بعضهم الى انه انما يجوز عفو الولي اذا كانت المراة بكرا فان كانت ثيبا فلا يجوز عفو
وليها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول علي وبه قال سعيد بن المسيب
وجبير والشعبي وشريح ومجاهد وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك شيء من صداقها بكرا كانت
او ثيبا كما لا يجوز ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لا يجوز ان يهب شيئا من مالها وقالوا معنى
الآية الا ان تعفو المراة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج او يعفو الزوج بترك
نصيبه فيكون لها جميع الصداق فعلى هذا التاويل وجه الآية الذي بيده عقدة نكاح نفسه في كل
حال قبل الطلاق وبعده وان تعفوا اقرب للتقوى موضعه رفع بالابتداء اي والعفو اقرب للتقوى
والخطاب للرجال والنساء جميعا لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه وعفو
بعضكم عن بعض اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم اي افضال بعضكم على بعض
باعطاء الرجل تمام الصداق او ترك المراة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان ان الله بما تعملون
بصير حافظوا على الصلوات اي واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدو
دها واتمام اركانها والصلاة الوسطى ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها
دلالة على فضلها والوسطى تانيث الاوسط ووسط الشيء خيره واعدله واختلف العلماء من
الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن

عباس ومعاذ وجابر وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد واليه ذهب مالك والشافعي لان الله تعالى قال
وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت
ولان الله تعالى خصها في اية اخرى من بين الصلوات فقال وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا
يعني يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار ولانها
بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وذهب قوم الى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت
وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد لانها في وسط النهار وهي اوسط صلوات النهار روي عن عمرو
بن ابي حكيم قال سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله
صلعم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب النبي صلعم منها فنزلت حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى وذهب الاكثرون الى انها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلعم
وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وعايشة وبه قال ابرهيم النخعي وقتادة
والحسن وعن ابي يونس مولى عايشة انه قال امرتني عايشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت
هذه الاية فاذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عايشة سمعتها من رسول الله
صلعم وعن حفصة مثل ذلك وعن زر بن حبيش قال قلت لعبيدة سل عليا عن الصلاة الوسطى فساله
فقال كنا نرى انها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله صلعم يقول يوم الخندق شغلونا عن صلاة الوسطى
صلاة العصر ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا ولانها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وقد خصها النبي
صلعم بالتغليظ وعن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر
فان النبي صلعم قال من ترك صلاة العصر حبط عمله وقال قبيصة بن ذويب هي صلاة المغرب لانها
وسط ليس باقلها ولا اكثرها ولم يعرف احد من السلف انها صلاة العشاء وذكر بعض المتاخرين
لانها بين صلاتين لا تقصران وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها ابهم الله تعالى تحريضا
للعباد على المحافظة على اداء جميعها كما اخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة
في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي
مطيعين قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس والقنوت الطاعة قال الله
تعالى امة قانتا لله اي مطيعا قال الكلبي ومقاتل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين
فقوموا انتم في صلاتكم مطيعين وقيل القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة وعن زيد بن

اُرْقم قال كنا نتكلم خلف رسول الله صلعم في الصلوة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله
قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال بعض اهل ... قال ومن القنوت طول الركوع
وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان
يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امر الدنيا الا ناسيا وقيل المراد
من القنوت طول القيام عن جابر قال قيل للنبي صلعم اي الصلوة افضل قال طول القنوت وقيل
قانتين اي داعين ودليله ما روي عن ابن عباس قال قنت رسول الله صلعم شهرا متتابعا يدعو
على احياء من سليم على رعل وذكوان وعصية وقيل معناه مصلين كقوله تعالى امن
هو قانت آناء الليل اي مصل • فان خفتم فرجالا او ركبانا • فرجالا اي رجالة يقال راجل
ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام او ركبانا على دوابهم وهو جمع راكب معناه
ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موقنين للصلوة حقها لخوف فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا
على ظهور دوابكم وهذا في حال المقاتلة والمسايفة يصلي حيث كان وجهه راجلا وراكبا مستقبل
القبلة وغير مستقبلها ويؤمي بالركوع والسجود ويجعل السجود اخفض من الركوع وكذلك اذا
قصده سبع او غشيه سيل فخاف منه على نفسه فعدا امامه مصليا بالايماء يجوز والصلوة في
حال الخوف على اقسام فهذه صلوة شدة الخوف وسائر الاقسام سيأتي بيانها في سورة
النساء ان شاء الله تعالى ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند اكثر اهل العلم وروي عن
مجاهد عن ابن عباس قال فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
وفي الخوف ركعة وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة انه يصلي في حال شدة الخوف
ركعة وقال سعيد بن جبير اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلوتك • فاذا امنتم فاذكروا الله • اي
فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها • كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • والذين يتوفون منكم
يا معشر الرجال • ويذرون • يتركون • ازواجا • اي زوجات • وصية لازواجهم • قرأ اهل البصرة
وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع
اي كتبت عليكم الوصية • متاعا • نصب على المصدر اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا
والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكناها وما تحتاج اليه • الى الحول • صفة لمتاعا • غير
اخراج • نصب على الحال وقيل بنزع حرف الصفة اي من غير اخراج نزلت الآية في رجل من اهل الطائف

٨٦
يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة وله اولاد ومعه ابواه وامرأته فمات فانزل الله هذه
الآية فاعطى النبي صلعم والديه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها
من تركة زوجها حولا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها
من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم
تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان
يوصي بها وكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة
الحول باربعة اشهر وعشر • فان خرجن • يعني من قبل انفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة • فلا
جناح عليكم • يا اولياء الميت • فيما فعلن في انفسهن من معروف • يعني التزين للنكاح ولرفع الجناح
عن الرجال وجهان احدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والآخر
لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها
الله تعالى بين ان تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج الى ان نسخ باربعة اشهر وعشر
• والله عزيز حكيم • وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين • انما اعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة
معنى وذلك ان في غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل
لانه لما نزل قوله ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت
فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فقال الله تعالى وللمطلقات متاع جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال
حقا على المتقين يعني المؤمنين المتقين الشرك • كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم • قال اكثر اهل التفسير كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع
بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما
ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا
لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب
عامة اهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك
من اسفل الوادي وآخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة ان
عمر بن الخطاب خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بالشام فاخبره عبد الرحمن
بن عوف ان رسول الله صلعم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه فرجع عمر من سرغ وقال الكلبي ومقاتل والضحاك انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من

من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدو لهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت
فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع
منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك
قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في انفسهم حتى
يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة لهم فماتوا
جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم
فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا
في مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال وهب اربعة آلاف وقال مقاتل
والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال السدي بضعة وثلاثين الفا وقال ابن جريج
اربعون الفا وقال عطاء بن رباح سبعون الفا واولى الاقاويل قول من قال كانوا زيادة
على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف ولا يقال
لما دون عشرة آلاف الوف قالوا فاتى على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر
عليهم نبي يقال له حزقيل بن بوذي ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بوذي ع
بامر بني اسرائيل كان بعد موسى يوشع بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن
العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها قال الحسن
ومقاتل هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر
حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا فأوحى الله تعالى اليه تريد ان اريك آية قال
نعم فأحياهم الله وقيل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فأحياهم وقال مقاتل والكلبي هم كانوا قوم
حزقيل احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى
فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت
وحيدا لا قوم لي فأوحى الله اليه اني جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا
قال مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وعاشوا
دهرا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي
كتبت لهم قال ابن عباس فانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة
مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا مدة آجالهم ولو جاءت آجالهم ما

بعثوا فذلك قوله تعالى الم تر اي الم تعلم باخباري اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعاني هو تعجيب يقول
هل رأيت مثلهم كما تقول الم تر الى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن الم تر ولم يعاينه النبي صلعم فهذا
وجهه الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف جمع الف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع آلف مثل قاعد
وقعود والصحيح ان المراد منه العدد حذر الموت اي من خوف الموت فقال لهم الله موتوا امر تحويل
كقوله تعالى كونوا قردة ثم احياهم بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس قيل هو على العموم في حق الكافة
في الدنيا وقيل هو على الخصوص في حق المؤمنين ولكن اكثر الناس لا يشكرون اما الكفار فلم يشكروا
واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعة الله اعداء الله واعلموا ان الله
سميع عليم قال اكثر اهل التفسير هذا خطاب للذين احيوا امروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم
فرارا من الجهاد فاماتهم الله ثم احياهم وامرهم ان يجاهدوا وقيل هو خطاب لهذه الامة امرهم
بالجهاد من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله
تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما اعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملونه لطلب ثوابه قال الكسائي القرض
ما اسلفت من عمل صالح او سيء واصل القرض في اللغة القطع سمي به القرض لانه يقطع من ماله شيئا يعطيه
ليرجع اليه مثله وقيل في الآية اختصار مجازه من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه كقوله
تعالى ان الذين يؤذون الله اي عباد الله كما جاء في الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان الله
تعالى يقول يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين
قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي قوله يقرض الله
اي ينفق في طاعة الله قرضا حسنا قال الحسين بن علي الواقدي محتسبا طيبة بها نفسه وقال ابن
المبارك من مال حلال وقيل لا يمن به ولا يؤذي فيضاعفه له قرأ ابن كثير وابو جعفر وابن عامر
ويعقوب فيضعفه وبابه بالتشديد ووافق ابو عمرو في سورة الاحزاب وقرأ الآخرون فيضاعفه بالالف
مخففا وهما لغتان ودليل التشديد قوله اضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
بنصب الفاء وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام وقيل باضمار ان وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقا
على قوله يقرض اضعافا كثيرة قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله عز وجل وقيل سبعمائة ضعف
والله يقبض ويبسط قرأ اهل البصرة وحمزة يبسط ههنا وفي الاعراف بسطة بالسين كنظائرهما
وقرأهما الآخرون بالصاد وقيل يقبض بامساك الرزق والنفس ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض
بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل هو الاحياء والاماتة فمن اماته فقد قبضه ومن مد له
في عمره فقد بسط له وقيل هذا في القلوب لما امرهم الله بالصدقة اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه قال

يقبض بعض القلوب فلا تنشط للخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً كما جاء في الحديث القلوب بين
اصبعين من اصابع الله يقلبها واليه ترجعون اي الى الله تعودون فيجزيكم باعمالكم وقال
قتادة الهاء راجعة الى التراب كناية عن غير مذكور اي من التراب خلقهم واليه تعودون الم تر
الى الملأ من بني اسرائيل والملأ من القوم وجوههم واشرافهم واصل الملأ الجماعة من الناس
لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والابل والخيل والجيش وجمعه املاء من بعد موسى اي من بعد
موت موسى اذ قالوا لنبي لهم واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف وقال السدي اسمه شمعون وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاماً
فاستجاب الله دعاءها فولدت غلاماً فسمته شمعون تقول سمع الله دعائي والسين تصير شيناً
بالعبرانية وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وقال سائر المفسرين
هو اشمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بال بن علقمة وقال مقاتل هو من نسل هرون وقال
مجاهد هو اشمويل بن هلقايا قال وهب وابن اسحق والكلبي وغيرهم كان سبب مسألتهم اياه
ذلك انه لما مات موسى خلف بعده في بني اسرائيل يوشع يقيم فيهم التورية وامر الله حتى قبضه
الله ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله ثم حزقيل حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث في بني
اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبياً فدعاهم الى الله
وكانت الانبياء من بني اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التورية ثم خلف
بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وخلفت فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم
عدو يقال لهم البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر و
فلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم
واسروا من ابناء ملوكهم اربعين واربعمائة غلام وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو
اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق
منهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة
بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسمته اشمويل
تقول سمع الله دعائي فكبر الغلام فاسلمته ليتعلم التورية في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم
وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبرائيل وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأمن عليه احداً فدعاه
بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعاً الى الشيخ فقال يا ابتاه دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا
فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام

١٢٨

دعوتني فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبرائيل فقال له
اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبياً فلما اتاهم كذبوه وقالوا
استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا ان كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية
من نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم فكان
الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له امره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه وقال وهب
بعث الله اشمويل نبياً فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا
لاشمويل ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك قال لهم هل
عسيتم استفهام شك يقول لعلكم وقرأ نافع عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهي
اللغة الفصيحة بدليل قوله عسى ربكم ان كتب فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ألا تقاتلوا اي
ان لا تقاتلوا اما تقولون ولا تقاتلوا معه قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله فان قيل ما وجه دخول
ان في هذا الموضع والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل وانما يقال ما لك لا تفعل قيل دخول ان وحذفها
لغتان صحيحتان فالاثبات قوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف قوله وما لكم لا تؤمنون
بالله وقال الكسائي معناه وما لنا في ان لا نقاتل فحذف في وقال الفراء ما يمنعنا ان نقاتل في سبيل الله
كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقال الاخفش ان هاهنا زائدة معناه وما لنا لا نقاتل وقد اخرجنا من
ديارنا وابنائنا اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان
الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم واوطانهم وانما اخرج من اسر
منهم ومعنى الآية انهم قالوا مجيبين لنبيهم انا انما كنا نزهد في الجهاد اذا كنا ممنوعين في بلادنا
لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا واولادنا قال
الله تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلاً منهم
وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي ان شاء الله والله عليم
بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً وذلك ان اشمويل سأل الله تعالى ان
يبعث لهم ملكاً فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله
طول هذه العصا وانظر القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي
في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه بالعبرانية شاول
بن قيس من اولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان اطول من كل احد برأسه

وسكينه وكان رجلا دباغا يعمل الأديم قاله وهب وقال السدي كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل
حماره فخرج في طلبه وقيل كان خربندجا وقال وهب بل ضلت حمر لأبي طالوت فارسله وغلاما له
في طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن امر الحمير
ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شان الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل
فقاس طالوت بالعصا وكان على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس
ثم قال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكه عليهم فقال طالوت اما علمت ان سبطي
ادنى اسباط بني اسرائيل وبيتي ادنى بيوت بني اسرائيل فقال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع
وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك فقال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى من اين
يكون له الملك علينا ونحن احق اولى بالملك منه وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة
وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة
يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين
ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع
الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمون سبط الاثم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا لانه لم يكن من سبط المملكة
ومع ذلك قالوا هو فقير ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه اختاره عليكم وزاده
بسطة فضيلة وسعة في العلم وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل في وقته وقيل انه اتاه الوحي حين
اوتي الملك وقال الكلبي وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم بالطول وقيل والجسم بالجمال وكان
طالوت اجمل رجل في بني اسرائيل واعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قيل الواسع ذو
السعة وهو الذي يعطي عن غنى والعليم العالم وقيل العليم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له فما آية ملكه وقال
لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت ان الله تعالى انزل تابوتا على
آدم فيه صور الانبياء وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند
آدم الى ان مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم ثم كان عند
اسمعيل لانه كان اكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع
فيه التورية ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداولته انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل
وكان فيه ما ذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في السكينة ما هي قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هي ريح
خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وعن مجاهد شيء يشبه الهرة له رأس

كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان
من زمرد وزبرجد فكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر وكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت
قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وعن ابن عباس قال هي طست من ذهب من
الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء وعن وهب بن منبه قال هي روح من الله يتكلم اذا اختلفوا في شيء تخبرهم
ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال
قتادة والكلبي السكينة فعيلة اي طمأنينة من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون نفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض
من الالواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن
الذي كان ينزل على بني اسرائيل وكان التابوت عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم
وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وفسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي الذي ربى اشمويل ابنان
شابان وكان عيلي حبرهم وصاحب قربانهم فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان
منوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما اخرجا كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه
كلاليب وكانا النساء يصلين في القدس ويتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل انطلق الى عيلي
فقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وقدسي وان يعصياني
فلانزعن منك الكهانة ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر اشمويل عيلي بذلك ففزع
فزعا شديدا فسار اليهم عدو ممن حولهم فامر ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا
واخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه
فقال ان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو
فشهق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله لهم
طالوت ملكا فسألوا البينة فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت
ان الذين سبوا التابوت اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت
صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه
وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت
التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم

فأخذوا [?] تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن
إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم فأخرجوه إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك
القرية فأرًا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتًا قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه
في مخرأة لهم وكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فقالت لهم امرأة كانت
عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت
فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين
وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فأقبلا حتى
وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد
لبني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني إسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله فذلك قوله تعالى
تحمله الملائكة أي تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض
وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي
طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يو
شع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فأقروا بملكه إن في ذلك لآية
لكم إن كنتم مؤمنين قال ابن عباس إن التابوت وعصا موسى في بحيرة الطبرية وإنهما يخرجان
قبل يوم القيامة فلما فصل طالوت بالجنود أي خرج بهم وأصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شا
خصًا إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفًا
لم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت
لم يشكوا في النصر فتسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي في كل ما أرى لا يخرج معي رجل
بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج
امرأة ولم يبن بها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفًا ممن شرط
وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا إن المياه لا تحملنا فادع
الله أن يجري لنا نهرًا قال طالوت إن الله مبتليكم مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بنهر قال ابن
عباس والسدي هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين الأردن وفلسطين عذب
فمن شرب منه فليس مني أي ليس من أهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشربه فإنه مني إلا من
اغترف غرفة بيده قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو غَرفة بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين

٩١

وهما لغتان قال الكسائي الغُرفة بالضم الذي يحصل بالكف من الماء إذا اغترف والغَرفة بالفتح
الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر فشربوا منه إلا قليلا منهم نصب على الاستثناء واختلفوا
في القليل الذين لم يشربوا فقال السدي كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وهو الصحيح وعن البراء قال كنا أصحاب محمد صلعم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة
أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة
ويروى ثلثمائة وثلثة عشر فلما وصلوا إلى النهر وقد ألقي عليهم العطش فشرب منه الكل
إلا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمره الله قوي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالمًا
وكفته الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفا
ههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا على لقاء العدو فلم يجاوزوه ولم
يشهدوا الفتح وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال إلا القليل الذين لم يشربوا فلما جاوزه
يعني النهر هو يعني طالوت والذين آمنوا معه يعني القليل قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا
أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال ابن عباس
والسدي فانحرفوا ولم يجاوزوا قال الذين يظنون يستيقنون أنهم ملاقو الله وهم الذين
ثبتوا مع طالوت كم من فئة جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعها فئات وفئون في الرفع
وفئين في النصب والخفض قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله بقضائه وإرادته والله مع
الصابرين بالنصرة والمعونة ولما برزوا يعني طالوت وجنوده المؤمنين لجالوت وجنوده
المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى قالوا ربنا أفرغ
أنزل واصبب علينا صبرًا وثبت أقدامنا قوّ قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
بإذن الله وقتل داود جالوت وصفة قتله قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فيمن عبر
إيشا أبو داود في ثلثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة وقال لأبيه يومًا
يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئًا إلا صرعته فقال أبشر يا بني فإن الله جعل رزقك في قذافتك ثم
أتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدًا رابضًا فركبته فأخذت بأذنيه
فلم يهجني فقال أبشر يا بني فإن هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يومًا آخر فقال يا أبتاه إني
لأمشي بين الجبال فأسبح فما يبقى جبل إلا سبح معي فقال أبشر فإن هذا خير أعطاكه الله فأرسل
جالوت إلى طالوت أن ابرز إلي أو أبرز إلي من يقاتلني فإن قتلني فلكم ملكي وإن قتلته فلي

ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس
جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو فدعا الله في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس
وتنور من حديد وقيل ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على راسه فيغلي الدهن
حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه ويكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه
لا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد
ايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت ايشا فقال اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا
امثال السواري فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فقال هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا فقال النبي يا رب
انه زعم ان لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال النبي ان ربي كذبك فقال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا
صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو
في شعب كذا وكان داود رجلا قصيرا مسقاما مصفارا ازرق اصغر فدعاه طالوت ويقال
بل خرج طالوت اليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح اليها فوجده يحمل
شاتين شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما راه قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم
البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه ووضع القرن على راسه ففاض واجلسه في التنور فملاه
فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم
وهل انست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او
الذئب فياخذ شاة فاقوم اليه فافتح لحييه عنها واخرقهما الى قفاه فرده الى عسكره فمر داود
في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا فحمله
في مخلاته ثم مر بحجر اخر فقال احملني فاني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا فحمله في مخلاته
ثم مر بحجر اخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل بي جالوت وقد خبأني الله لك فوضعه في مخلاته
فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت فسال المبارزة انتدب له داود فاعطاه طالوت
فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله
جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شانك فقال ان الله ان لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح
شيئا فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى
نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة
فيها ثلثمائة رطل حديد فلما نظر الى داود القي في قلبه الرعب فقال انت تبرز لي قال نعم وكان

الخوف

جالوت على فرس ابلق عليه السلاح قال فاتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال نعم انت
شر من الكلب قال لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود او يقسم
الله لحمك فقال داود باسم اله ابرهيم واخرج حجرا ثم اخرج الاخر باسم اله اسحق ووضعه
في مقلاعه ثم اخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت الاحجار كلها
حجرا واحدا ودور داود المقلاع ورمى فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة فخالط
بدن طالوت ~~ففرح المسلمون فرحا شديدا~~ دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلثين رجلا
وهزم الله الجيش وخر جالوت قتيلا فاخذه يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون
فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت
وقال انجز لي ما وعدتني فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا
وليس لي شيء قال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا غلف فاذا قتلت
منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل منهم رجلا نظم
غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت فالقى اليه وقال ادفع الي امرأتي فزوجه
ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد
قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك مقتول الليلة
قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك
عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك ما استطيع خروجا
ولكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير فدخل
طالوت نصف الليل فقال لها اين بعلك قالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف
ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج
فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك
مني ثاره فاشتد حجابه وحرسه واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات
العيون فاعمى الله سدنته وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع
سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت
بصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف
عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي آمنه فلما كان في الليلة القابلة اتاه ثانيا

اي ضعفت بسبب النوم

واعمى الله الجب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان
يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما اصبح طالوت
ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد
داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله فركض على اثره فاشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك
فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء
العنكبوت قال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود واتى الجبل
مع المتعبدين فتعبد فيه وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت
لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله واغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني اسرائيل
يطيق قتله الا قتله حتى اتي بامرأة تعلم اسم الله الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز
وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل واقبل على
البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم
ان لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر عليهم ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان
قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد بذلك بكاء وحزنا فرحمه الخباز فقال مالك ايها الملك
فقال تعلم هل لي في الارض عالما اسأله هل لي من توبة فقال الخباز انما مثلك مثل ملك نزل قرية
عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في القرية ديكا الا ذبحتموه فلما اراد ان ينام قال
لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى ندلج فقالوا وهل تركت ديكا يسمع صوته وانت هل
تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال ارأيتك ان دللتك على عالم
لعلك ان تقتله قال لا فتوثق عليه الخباز فاخبره ان المرأة العالمة عنده قال انطلق بي اليها
اسألها هل لي من توبة وكان انما يعلم ذلك الاسم اهل بيت اذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم
فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز انها اذا رأتك فزعت فخلفه خلفه ثم دخل عليها فقال لها الست
اعظم الناس منة عليك انجيتك من القتل وآويتك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة هذا طالوت
يسأل هل له من توبة فغشي عليها من الفرق فقال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت
لا والله لا اعلم لطالوت توبة ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي فانطلق بهما الى قبر اشمويل فصلت ودعت
الله عز وجل ثم نادت صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم
ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة قال اشمويل
المرأة والخباز
وطالوت

91

يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيئا الا فعلته وجئت اطلب التوبة قال كم لك من
الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم
تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط ميتا
ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه
فدخل عليه اولاده فقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدوني قالوا بلى نفديك بما قدرنا
عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما اقول لكم قالوا فاعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول
قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز بماله وولده فتقدم ولده
وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال
قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه فكان ملك طالوت من اوله الى ان
قتل اربعين سنة واتى بنو اسرائيل بداود واعطوه خزائن طالوت وملكوه على انفسهم قال الضحاك
والكلبي ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله
تعالى وآتاه الله الملك والحكمة يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن من قبل بل كان
الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة هو العلم مع العمل وعلمه مما يشاء قال الكلبي وغيره يعني
صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل منطق الطير وكلام
الحكل والنمل وقيل هو الزبور وقيل الصوت الطيب والالحان فلم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته
كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى تؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة ويركد الماء الجاري
وتسكن الريح وروى الضحاك عن ابن عباس رضوان الله عليه قال اعطاه سلسلة موصولة
بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة
بالجواهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فعلم
داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن
تعدى على صاحبه وانكر له حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها
ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخديعة فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع
رجلا جوهرة ثمينة فلما استردها انكر فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة
فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة
فقال صاحبه ما اعرف لك عندي من وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل

للمنكر قوله انت فتنا ولنا فقال لصاحب الجوهرة خذ عكازي هذه فاحفظها حتى اتناول السلسلة فـ
اخذها فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلـ
فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيهما واصبحوا وقد رفع الله السلسلة. ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض. قرأ اهل المدينة ويعقوب دفاع الله بالالف هاهنا وفي سورة الحج وقرأ الاخرون
بغير الف لان الله تعالى لا يغالبه احد وهو الدافع وحده ومن قرأ بالالف قال قد يكون الدفاع من
واحد مثل قول العرب احسن الله عنك الدفاع قال ابن عباس ومجاهد ولولا دفع الله بجنود المسلمين
لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقال سائر المفسرين لولا دفع الله
بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله تعالى يدفع بالمؤمن عن الكافر
وبالصالح عن الفاجر وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة
اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض. لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين. تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين. تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله. اي كلمه الله يعني موسى عم. ورفع بعضهم درجات يعني محمد صلعم
قال الشيخ الامام وما اوتي نبي آية الا واوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل
انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع على مفارقته وتسليم الحجر والشجر وكلام البهائم والشهادة
برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى واظهرها القرآن
الذي عجز اهل السماء والارض عن الاتيان بمثله وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ما من نبي
من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه
الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلعم قال اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما
رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة
وكان النبي صلعم يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلعم قال فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون. وآتينا عيسى ابن مريم
البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم. اي من بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن. ثبت على ايمانه بفضل الله ومنهم من كفر

اي الذين بعثوا بعد الرسل

... تأكيدا ولكن الله يفعل ما يريد. يوفق من يشاء فضلا
... ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين
... قال بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال
... رزقناكم. قال السدي اراد به
... يوم لا بيع فيه
اذن الله
...
...لمت
...رفه
فعنك
...
...ال اما
...ر فعنك الى رسول
...كلمات ينفعك الله بها
...هو الحي القيوم حتى تختم الآية
...ليلة سبيله فاصبحت فقال لي
يعلمني كلمات ينفعني الله بها في بيت
الكرسي من اولها حتى تختم الآية
...الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح

٩٢

بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا اعاده تاكيدا ولكن الله يفعل ما يريد يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا سأل رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السوال قال بحر عميق لا تلجه فاعاد السوال قال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم قال السدي اراد به الزكوة المفروضة وقال غيره اراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي لا فدا فيه سماه بيعا لان الفداء شراء نفسه ولا خلة اي لا صداقة ولا شفاعة الا باذن الله وقرا ابن كثير واهل البصرة كلها بالنصب وكذلك في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرا الاخرون كلها بالرفع والتنوين والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها الله لا اله الا هو الحي القيوم عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلعم ابا المنذر اي آية من كتاب الله اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم ثم قال والذي نفس محمد بيده ان لهذه الآية لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وعن ابي هريرة قال وكلني رسول الله صلعم بحفظ زكوة رمضان فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام فاخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلعم قال اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فاصبحت فقال النبي صلعم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلعم انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلعم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال لا اعود فرحمته فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلعم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك قلت يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلعم وهذا آخر ثلث مرات انك تزعم لا تعود قال دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي قال اذا اويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فانك لن يزال من الله تعالى حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلعم ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي من اولها حتى تختم الآية الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح

للمنكر ثم انشقت ولها فقال لصاحب الجوهرة خذها
خذها فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان ها
مد يده فتناولها فتعجب القوم و
بعضهم بعض قرا اهل
بغير الياء لان الله
واحد

خمسا لم يعطهن
رجل منا امتي اذ در
وكان النبي صلعم يبعث اي
صلعم قال فضلت على الانبيا
لي الارض مسجدا وطهورا واز
البينات وايدناه بروح القدس
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا

وكانوا احرص شيء على الخير فقال النبي صلعم اما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ
ثلث ليال يا ابا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من قرأ
حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك
حتى يمسي فان قرأهما حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح قوله الله الهنا رفع بالابتداء وفي
لا اله الا هو الحي الباقي الدائم على الابد وهو من له الحيوة والحياة صفة الله تعالى القيوم وقرأ
عمرو بن مسعود القيام وقرأ علقمة القيم وكلها لغات بمعنى واحد قال مجاهد القيوم القائم
على كل شيء قال الكلبي القائم على كل نفس بما كسبت وقيل هو القائم بالامور وقال ابو عبيدة الذي لا يزال
لا تأخذه سنة ولا نوم السنة النعاس وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم و
واليقظان يقال منه وسن يوسن وسنا وسنة والنوم هو الثقيل المزيل للقوة والعقل وقال
المفضل الضبي السنة في الرأس والنوم في القلب فالسنة اول النوم وهو النعاس في الرأس و
والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء نفى
الله تعالى عن نفسه النوم لانه آفة وهو منزه عن الآفات ولانه تغير ولا يجوز عليه التغير وعن
ابي موسى قال قام فينا رسول الله صلعم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وروى المسعودي عن عمرو بن مرة وقال
حجابه النار له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه بامره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال مجاهد وعطاء والسدي ما بين ايديهم
من امر الدنيا وما خلفهم من امر الآخرة وقال الكلبي ما بين ايديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم من الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن جريج ما بين ايديهم ما مضى
امامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم وقال مقاتل ما بين ايديهم ما كان قبل خلق الملائكة وما
خلفهم اي ما كان بعد خلقهم وقيل ما بين ايديهم ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه
ولا يحيطون بشيء من علمه اي من علمه الا بما شاء ان يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم
الغيب الا بما شاء مما اخبر به الرسل كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وسع
كرسيه السموات والارض اي ملأ واحاط به واختلفوا في الكرسي قال الحسن هو العرش نفسه
وقال ابو هريرة الكرسي موضوع امام العرش ومعنى قوله وسع كرسيه السموات والارض اي سعته

مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي
في جنب العرش كحلقة في فلاة ويروى عن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت
في ترس وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين وهو بين يدي
العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم تحت الصخرة التي تحت الارض
السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عم وهو يسأل للآدميين الرزق
والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة
وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل الرزق للسباع
من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفي
بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور
غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة سنة لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش وروى سعيد
بن جبير عن ابن عباس قال اراد بالكرسي علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل لصحيفة العلم كراسة ولا يؤوده
اي لا يثقله ولا يشق عليه يقال آدني اي اثقلني حفظهما اي حفظ السموات والارض وهو العلي
الرفيع فوق خلقه والمتعالي عن الاشباه والانداد وقيل العلي بالملك والسلطنة العظيم الكبير الذي
لا شيء اعظم منه لا اكراه في الدين قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت امرأة من الانصار
تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش ولدها جعلته في
اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارا
دت الانصار استردادهم وقالوا ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله
صلعم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقال مجاهد كان
ناس مسترضعين في اليهود من الاوس فلما امر النبي صلعم باجلاء بني النضير قال الذين كانوا
مسترضعين فيهم لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم اهلوهم فنزلت لا اكراه في الدين وقال
مسروق كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف ابنان تنصرا قبل مبعث النبي صلعم ثم قدما
المدينة في نفر من الانصار يحملون الطعام فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا
الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه
في الدين فخلى سبيلهما وقال قتادة وعطاء نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك ان العرب
كانت امة امية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام فلما اسلموا طوعا او كرها انزل الله تعالى

لا اكراه في الدين فامر بقتال اهل الكتاب الى ان يسلموا او يقروا بالجزية فنزل اعلى منهم الجزية
ثم نكرة على الاسلام وقيل كان هذا في الابتدا قبل ان يؤمر بالقتال فصارت منسوخة باية السيف
وهو قول ابن مسعود قد تبين الرشد من الغي اي الايمان من الكفر والحق من الباطل فمن يكفر
بالطاغوت يعني الشيطان وقيل ما عبد من دون الله وقيل كل ما يطغي الانسان فعلوت من الطغيان
زيدت التاء فيه بدلا من لام الفعل كقولهم حانوت وتابوت فالتاء فيهما مبدلة من
هاء التانيث ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في
الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله عز وجل
لا انفصام لها لا انقطاع لها والله سميع عليم قيل سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم
بحرصك على ايمانهم الله ولي الذين آمنوا ناصرهم ومعينهم وقيل متولي امورهم لا يكلهم الى غيره
وقال الحسن ولي هداهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان قال الواقدي كل
ما في القران من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والايمان غير الذي في الانعام وجعل الظلمات
والنور فان المراد منه الليل والنهار وسمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت قال مقاتل يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وسائر
رؤوس الضلالة يخرجونهم يدعونهم من النور الى الظلمات والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا
وواحدا وجمعا قال تعالى في المذكر والواحد يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به
وقال في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وقال في الجمع يخرجونهم من النور الى الظلما
ت فان قيل كيف يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط قيل هم اليهود كانوا مؤمنين
بمحمد قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به وقيل هو على العموم في حق جميع
الكفار وقالوا منعهم اياهم عن الدخول فيه اخراج كما يقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك ولم يكن فيه
كما قال تعالى اخبارا عن يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه معناه هل انتهى اليك
خبر الذي حاج ابراهيم في ربه اي خاصمه وجادله وهو نمرود وهو اول من وضع التاج على راسه
وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان آتاه الله الملك اي لان الله آتاه الملك فطغى اي كانت
تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران اما المؤ
منان فسليمان وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المناظرة

قال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا
اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وقال آخرون كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا
على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه الرجل في طلب الطعام سا
له من ربك فان قال انت باع منه الطعام فاتاه ابراهيم فيمن اتاه فقال له نمرود من ربك قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئا فرجع ابراهيم فمر على كثيب من رمل اعفر
فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله ووضع متاعه نام فقامت امراته الى
متاعه ففتحته فاذا هو اجود طعام مارآه احد فصنعت له منه فقربته اليه فلما انتبه قال من
اين هذا من الطعام الذي جئت به فعرف ان الله رزقه فحمد الله تعالى اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت هذا جواب عن سوال غير مذكور تقديره قال له من ربك فقال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت قرا حمزة ربي الذي باسكان الياء وكذلك حرم ربي الفواحش وعن آياتي الذين يتكبرون
وقل لعبادي الذين وآتاني الكتاب ومسني الضر ومسني الشيطان وعبادي الصالحون وعبادي
الشكور وان ارادني الله فان اهلكني الله ارسل الياء فيهن حمزة ووافق ابن عامر والكسائي
في لعبادي الذين وابن عامر في آياتي الذين وفتحها الآخرون قال نمرود انا احيي واميت قرا
اهل المدينة انا باثبات الالف والمد في الوصل اذا اتفقها الف مفتوحة او مضمومة والباقون
بحذف الالف ووقفوا جميعا بالالف قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيى الآخر
فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى لا عجزا فان حجته كانت لازمة لانه اراد بالا
حياء احياء الميت فكان له ان يقول فاحي من امت ان كنت صادقا فانتقل الى حجة اوضح من
الاولى قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر اي
تحير ودهش وانقطعت حجته فان قيل كيف بهت وكان يمكنه ان يعارض ابراهيم فيقول
سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قيل انما لم يقله لانه خاف ان لو سال ذلك دعا ابراهيم ربه فكان
زيادة في فضيحته وانقطاعه والصحيح ان الله صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه او معجزة لابراهيم
والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية هذه معطوفة على الاية الاولى تقديره الم تر الى الذي
حاج ابراهيم او الى الذي مر على قرية وقيل تقديره هل رايت كالذي حاج ابراهيم في ربه وهل رايت كالذي
مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فقال قتادة وعكرمة والضحاك هو عزير بن شرخيا وقال وهب
بن منبه هو ارميا بن حلقيا وكان من سبط هارون وهو الخضر وقال مجاهد كان رجلا كافرا شك في البعث

واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض التي
اهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت
المقدس وهي خاوية ساقطة يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصور اذا سقط وخوى
البيت بالفتح خواء ممدود اذا خلا على عروشها سقوفها واحدها عرش وكل بناء عرش ومنه
ان السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وكان السبب
في ذلك على ما روى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه ان الله بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك
بني اسرائيل يسدده في ذلك ويأتيه بالخبر من الله عز وجل فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا
المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا
اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى انا الهمك فقام
ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة
وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى واني احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها
الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث اهل بابل وهم
من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما
سمع الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني
قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله عز وجل وعزتي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر
في ذلك من قبلك ففرح بذلك ارميا وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى
بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا
ربنا فبذنوب كثيرة وان عفا عنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلث سنين لم يزدادوا
الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم
يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا
اتى الخبر الملك فقال لارميا اين ما زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد
وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله الى ارميا ملكا قد تمثل له رجلا من بني اسرائيل فقال له
ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم آت
اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال احسن فيما بينك وبين الله

وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه
فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك استفتيك في شأن اهلي فقال له ارميا اما ظهرت
لك اخلاقهم بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة يأتيها احد من الناس الى
اهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال له النبي ارجع الى اهلك فاحسن اليهم اسأل الله الذي
يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما وقد نزل بخت نصر وجنوده حول
بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك
الله قال اني بربي واثق ثم اقبل الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر
بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت فقال انا الذي اتيتك في شأن اهلي مرتين
فقال النبي الم يأن لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم
قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله فقال النبي على اي عمل رأيتهم قال على عمل عظيم
من سخط الله فغضبت لله ولذلك اتيتك لاخبرك واني اسألك بالله الذي بعثك بالحق الا ما دعوت
الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان
كانوا على سخطك وعلى ما لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من في ارميا ارسل الله صاعقة من السماء في
بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسفت سبعة ابواب من ابوابها فلما رأى ذلك ارميا
صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذي
وعدتني فنودي انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن النبي انها فتياه وان
ذلك السائل كان رسول ربه فطار ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت
المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس ثم امر جنوده ان
يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملأوه ثم امرهم ان يجمعوا
من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من بني اسرائيل فاختار منهم
سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وكان من
اولئك الغلمة دانيال وحنانيا وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلث فرق فقتل ثلثا واسر ثلثا
وسبى ثلثا وترك ثلثا بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما
ولى عنهم بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارميا على حمار له معه عصير عنب
في ركوة وسلة تين حتى غشي ايليا فلما وقف عليها ورأى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها

وقال الكلبي قال ان لما كان عزيرا وبخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم سبي بني اسرائيل
ببابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له
حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل
من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب
القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا في البعث رجعنا الى حديث
وهب قال ثم ربط ارميا حماره بحبل جديد فالقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح
مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع
الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس
يقال له نوشك فقال ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايلياء حتى يعود
اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونه
واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت ببابل
وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلثين سنة وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا
عليه فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر
الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك
ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي
لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام باذن الله ونهق وعمر الله ارميا
فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى فاماته الله مائة عام ثم بعثه اي احياه
قال كم لبثت مكثت يقال لما احياه الله بعث اليه ملكا فساله كم لبثت قال لبثت يوما وذلك ان
الله اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت
يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال
له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني العصير لم يتسنه اي لم
يتغير فكان التين كانه قطف من ساعته قال الكسائي كانه لم تات عليه السنون وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وكذلك فبهداهم اقتده وقرا الآخرون بالهاء فيهما وصلا
ووقفا فمن اسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال اصله لم يتسنى فحذف الياء بالجزم وابدل
منه هاء في الوقف وقال ابو عمرو هو من التسنن بنونين وهو التغير كقوله تعالى من حمإ مسنون

اي متغير فعلى هذا تكون الهاء اصلية ... كقوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط وكقوله وقد
خاب من دساها واصله دسسها ومن اثبت الهاء في الحالين جعل الهاء اصلية لام الفعل وهذا على قول
من جعل اصل السنة سنهة وتصغيرها سنيهة والفعل منه المسانهة وانما قال لم يتسنه ولم يتغيرا مع
انه اخبر عن شيئين رد التغيير الى اقرب اللفظين به وهو الشراب واكتفى بذكر احد المذكورين لانه
في معنى الآخر وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض فركب الله العظام بعضها على بعض
فكساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر ولنجعلك آية للناس قيل الواو زائدة مقحمة وقال الفراء
ادخل الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك آية فعلنا ذلك يريد فعلنا ذلك لنجعلك
آية اي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك وغيره هو انه عاد الى قريته
شابا واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز وهو اسود الراس واللحية وانظر الى العظام
كيف ننشزها قرا اهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحييها يقال انشر الله الميت انشارا ونشره
نشورا قال الله تعالى ثم اذا شاء انشره وقال في اللازم واليه النشور وقرا الآخرون بالزاي
اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشيء رفعه
وازعاجه يقال انشزته فنشز اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الآية فقال الاكثرون
اراد به عظام حماره وقال السدي ان الله احيا عزيرا ثم قال انظر الى حمارك قد هلك
وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت بها الطير والسباع
فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم
كسا العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه
فقام الحمار ونهق باذن الله وقال قوم اراد به عظام هذا الرجل وذلك ان الله لم يمت حما
ره فاحيا الله عينيه وراسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر حماره قائما واقفا
كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدا لم يتغير وتقدير
الآية وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها هذا قول قتادة والضحاك وفي الآية
تقديم وتاخير وتقديرها وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك آية للناس
وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس والسدي عن ابي صالح عن ابن عباس لما احيا الله عزيرا
بعدما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر الناس ومنازله فانطلق
على وهم حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة

لهم فخرج عزير عنهم وطلب بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا
منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت احدا منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيرا
قال فاني انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال فاني
انا عزير كان الله اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة
يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد الي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك
فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت
صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن
لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد
جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم
ان الله كان اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة
سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير وقال السدي والكلبي لما رجع عزير
الى قريته وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فاتاه
ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله
التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم
قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعدما
ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وسيأتي القصة في سورة براءة ان شاء الله عز وجل. ثم
نكسوها لحما. فعادت العظام كهيئتها حية. فلما تبين له ان احيا. الموتى حيانا. قال اعلم. قرأ حمزة
والكسائي بجزم ما موصولا على الامر على معنى قال الله له اعلم وقرأ الآخرون اعلم بقطع الالف
اليهم على الخبر عن عزير قال لما رأى ذلك اعلم. ان الله على كل شيء قدير. واذ قال ابرهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى. قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج كان سبب هذا
السؤال من ابرهيم انه مر على دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار بساحل البحر قال
عطاء بحيرة طبرية قالوا فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر وكان اذا مد البحر جاءت الحيتان
ودواب البحر فاكلت منها فما وقع منها يصير في البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلن
منها فما وقع منها يصير ترابا في البر فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلن منها فما سقط
قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابرهيم تعجب منها وقال يا رب قد علمت لتجمعنها من بطون

السباع وحواصل الطيور واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين وازداد يقينا
فعاتبه الله. قال اولم تؤمن قال بلى. يا رب علمت وآمنت. ولكن ليطمئن. قلبي اي يسكن
قلبي الى المعاينة والمشاهدة اراد ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر
ليس كالمعاينة وقيل كان سبب هذا السؤال من ابرهيم انه لما احتج على نمروذ فقال ربي الذي
يحيي ويميت فقال نمروذ انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الآخر فقال ابرهيم ان الله
يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمروذ انت عاينته فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى
ثم سأل ربه ان يريه احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي واذا
قيل لي انت عاينته فاقول نعم قد عاينته وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابرهيم خليلا سأل ملك
الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابرهيم بذلك فاذن له فاتى ابرهيم ولم يكن في الدار فدخل داره
وكان ابرهيم اغير الناس اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار اليه ليأخذه
وقال له من اذن لك ان تدخل داري قال اذن لي رب هذه الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف
انه ملك فقال له ابرهيم من انت قال ملك الموت جئت ابشرك بان الله قد اتخذك خليلا فحمد
الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك وتحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابرهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انك اتخذتني خليلا وتجيبني
اذا دعوتك وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال نحن احق بالشك من ابرهيم اذ قال رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن
شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي واخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث
عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب بهذا الاسناد مثله وقال نحن احق بالشك من ابرهيم اذ قال
حكى محمد بن اسحق بن خزيمة عن ابي ابرهيم اسمعيل بن يحيى المزني انه قال على هذا الحديث
لم يشك النبي صلعم وابرهيم في ان الله قادر على ان يحيي الموتى وانما شكا انه هل يجيبهما الى ما سألا
لا وقال ابو سليمان الخطابي ليس في قوله نحن احق بالشك من ابرهيم اعتراف بالشك على نفسه
ولا على ابرهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابرهيم
اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث
يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام ان المسألة من ابرهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل
زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل

ما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلعم هذا القول تواضعا
منه وتقديما لابرهيم على نفسه قوله تعالى اولم تؤمن معناه قد آمنت فلم تسأل شهد له بالايمان
جريه الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح • يعني انتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي
بزيادة اليقين • قال فخذ اربعة من الطير • قال مجاهد وعطاء وابن جريج اخذ طاوسا وديكا
وحمامة وغرابا وحكى عن ابن عباس ونسرا بدل الحمامة وقال عطاء الخراساني اوحى الله اليه ان خذ
بطة خضراء وغرابا اسود وحمامة بيضاء وديكا احمر • فصرهن اليك • قرأ ابو جعفر وحمزة
فصرهن اليك بكسر الصاد اي قطعهن ومزقهن يقال صار يصير صيرا اذا قطع فانصار اي
انصار اي انقطع قال الفراء هو مقلوب من صريت اصري صريا اذا قطعت وقرأ الآخرون
فصرهن بضم الصاد معناه املهن اليك ووجههن يقال صرت الشيء اصوره اذا املته ورجل
اصور اذا كان مايل العنق وقال عطاء معناه اجمعهن واضممهن اليك يقال صار يصور
صورا اذا جمع ومنه قيل لجماعة النحل صور ومن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار معناه
فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاء بقوله • ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا • لانه يدل
عليه وقال ابو عبيدة فصرهن معناه قطعهن ايضا والصور القطع قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا قرأ عاصم برواية ابي بكر جزؤا مثقلا مهموزا والآخرون بالتخفيف والهمز وقرأ ابو جعفر
مشددة الزاي بلا همز واراد بعض الجبال قال المفسرون امر الله ابرهيم ان يذبح تلك الطيور
وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ثم امره ان
يجعل اجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الاجزاء فقال ابن عباس وقتادة امر ان يجعل
كل طاير اربعة اجزاء ويجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير وقيل جبل على جا
نب المشرق وجبل على جانب المغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقال ابن جريج والسدي
جزءها سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن ثم دعاهن تعالين باذن
الله فجعلت كل قطرة من دم طاير تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى
وكل عظم يصير الى الآخر وكل بضعة تصير الى الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا
في السماء بغير راس ثم اقبلن الى رؤسهن سعيا فكلما جاء طاير قال براسه فان كان راسه
دنا منه وان لم يكن تاخر حتى يلتقي كل طاير براسه فذلك قوله • ثم ادعهن ياتينك سعيا •
قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا

والحكمة في المشي دون الطيران كونه ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك
الطير وان ارجلها غير سليمة والله اعلم وقيل السعي بمعنى الطيران • واعلم ان الله عزيز حكيم • مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله • فيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون
اموالهم • كمثل زارع • حبة • واراد سبيل الله الجهاد وقيل جميع ابواب الخير • انبتت • اخرجت • سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة • فان قيل فما راينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضرب الله المثل به قيل
ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب المثل به وان لم يوجد معناه في كل سنبلة مائة
حبة ان جعل الله فيها وقيل موجود في الدخن وقيل معناه انها ان بذرت انبتت مائة حبة فما
حدث من البذر الذي كان فيها مضاف اليها وكذلك تاوله الضحاك فقال كل سنبلة انبتت مائة
حبة • والله يضاعف لمن يشاء • قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف
على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما
لا يعلمه الا الله عز وجل • والله واسع • غني • يعطي عن سعة • عليم • بنية من ينفق • الذين ينفقون اموا
لهم في سبيل الله • قال الكلبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف جاء عبد الرحمن بار
بعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلعم فقال كانت عندي ثمانية آلاف فامسكت منها لنفسي
وعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربي فقال له رسول الله صلعم بارك الله فيما امسكت
وفيما اعطيت واما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت
فيهما هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر
النبي صلعم فرايت النبي صلعم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم
فانزل الله • الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله • في طاعة الله • ثم لا يتبعون ما انفقوا منا • وهو
ان يمن عليه بعطائه فيقول اعطيتك كذا ويعدد نعمه عليه فيكدرها • ولا اذى • هو ان يعيره فيقول
الى كم تسأل وكم تؤذيني وقيل من الاذى ان يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال
سفيان منا ولا اذى هو ان يقول اعطيتك واعطيت فما شكرت قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله
على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن
الله افضال وتذكير • لهم اجرهم • اي ثوابهم • عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قول معروف اى كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل عدة حسنة وقال الكلبي دعاء صالح
يدعو لاخيه بظهر الغيب قال الضحاك نزلت في اصلاح ذات البين ومغفرة اى يستر عليه خلته ولا
يهتك ستره قال الكلبي والضحاك يتجاوز عن ظالمه وقيل يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه عند رده
خير من صدقة يدفعها اليه يتبعها اذى اى من وتعيير للسائل او قول يؤذيه والله غني اى
مستغن عن صدقة العباد حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم اى اجور صدقاتكم بالمن على السائل وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى
لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلا فقال كالذي ينفق اى كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس اى
مراءاة وسمعة ليروا نفقته ويقولون انه كريم سخي ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يريد ان الريا
يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لان الكافر معلن كفره
غير مراء فمثله اى مثل هذا المرائي كمثل صفوان وهو الحجر الاملس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا
فواحده صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفي وصفي عليه اى على الصفوان تراب فاصابه
وابل وهو المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا اى املس والصلد الحجر الصلب الاملس
الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي
ويري الناس في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة
بطل كله واضمحل لانه لم يكن لله عز وجل كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلدا
لا يقدرون على شيء اى على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين
وعن محمود بن لبيد ان النبي صلعم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله
وما الشرك الاصغر قال الريا يقول الله لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراءون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابي
توبة انبا ابو طاهر بن احمد بن الحارث انبا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي انبا عبد
الله بن محمود انبا ابراهيم بن عبد الله الخلال نبا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح
اخبرني الوليد بن ابي الوليد ابو عثمان المدايني ان عقبة بن مسلم حدثه ان شفيا الاصبحي حدثه
انه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقلت من هذا قالوا ابو هريرة فدنوت
منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له انشدك بحق الله لما

بما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلعم قال حدثني رسول الله صلعم يقول ان الله تعالى اذا
كان يوم القيمة ينزل على العباد ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القران
ورجل يقتتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي قال بلى يا رب
قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم به اناء الليل واناء النهار فيقول الله له كذبت
وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى
بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا
عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت
ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له
فبماذا قتلت فيقول يا رب امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول
الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلعم على
ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيمة ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى طلب رضا الله وتثبيتا من انفسهم قال
قتادة احتسابا وقال الشعبي والكلبي تصديقا من انفسهم اى يخرجون الزكوة طيبة بها انفسهم على
يقين بالثواب وتصديق بوعد الله يعلمون ان ما اخرجوا خير لهم مما تركوا وقيل على يقين باخلاف
الله عليهم وقال عطاء ومجاهد يتثبتون اين يضعون اموالهم قال الحسن كان الرجل اذا
هم بصدقة تثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وعلى هذا القول يكون التثبيت
بمعنى التثبت كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى تبتلا كمثل جنة اى بستان قال الفراء اذا كان في
البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة قرا ابن عامر وعاصم بربوة
والى ربوة في سورة المؤمنين بفتح الراء وقرا الاخرون بضمها وهو المكان المرتفع المستوي الذي
تجري فيه الانهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها احسن
وازكى اصابها وابل مطر شديد كثير فاتت اى اعطت اكلها ثمرها قرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بالتخفيف والاخرون بالتثقيل وزاد نافع تخفيف اكله والاكل وخفف ابو عمرو رسلنا
ورسلكم ورسلهم وسبلنا ضعفين اى ضعفت في الحمل قال عطاء حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها
في سنتين وقال عكرمة حملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اى فطش وهو المطر
الضعيف الخفيف ويكون دائما قال السدي هو الندى وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص

يقول كما ان هذه الجنة تريع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر او كثر كذلك يضعف الله صدقة
المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته او كثرت وذلك ان الطل اذا كان يدوم
يعمل عمل الوابل الشديد والله بما تعملون بصير ايود احدكم هذه الآية متصلة بقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قوله ايود احدكم اي ايحب احدكم ان تكون له جنة
من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء اولاد صغار ضعاف عجزة فاصابها اعصار وهو الريح العاصف التي ترتفع الى
السماء كانها عمود وجمعه اعاصير فيه نار فاحترقت هذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي
يقول عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة فاذا كبر وضعف وصار له اولاد
ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت احوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها
للهيبة لكبره وضعف اولاده عن اصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على اولاده ولا اولاده
ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم كذلك يبطل الله عمل المنافق
والمرائي حين لا مستغاث لهما ولا توبة ولا اقالة قال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب
النبي صلعم فيمن ترون هذه الآية نزلت ايود احدكم ان تكون له جنة قالوا الله اعلم فغضب
عمر فقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال عمر يا ابن
اخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس ضربت مثلا لعمل فقال عمر لاي عمل فقال ابن عباس
لعمل قال عمر لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات خيار وقال ابن مسعود
ومجاهد من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم
الى طيب وخبيث وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلعم ان اطيب ما اكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه وعن المقدام بن معدي كرب انه حدثه عن النبي صلعم انه قال ما اكل
احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وكان داود لا ياكل الا من عمل يده وعن عبد
الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق
منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار وان الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء
بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والزكوة واجبة في مال التجارة عند اكثر اهل العلم فيعد الحول
يقوم العروض فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كانت قيمتها عشرين دينارا او مائتي درهم قال

سمرة بن جندب كان رسول الله صلعم يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذي يعد للبيع وعن ابي عمرو بن
حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها فقال عمر الا تؤدي زكوتك
يا حماس فقلت ما لي غير هذا واهب في القرظ فقال ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فحسبها فاخذ
منها الزكوة ومما اخرجنا لكم من الارض يعني العشور من الثمار والحبوب واتفق
اهل العلم على ايجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان سقيا بماء السماء
او من نهر يجري اليه من غير مؤنة وان كان سقيا بساقية او بنضح ففيه نصف العشر وعن سالم
بن عبد الله عن ابيه عن النبي صلعم قال فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وفيما سقي با
النضح نصف العشر وعن عتاب بن اسيد ان رسول الله صلعم قال في زكوة الكرم يخرص كما
يخرص النخل ثم تؤدي زكوته زبيبا كما تؤدي زكوة النخل تمرا واختلف اهل العلم فيما سوى
النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات من الحبوب فذهب قوم الى انه لا عشر في شيء منها وهو
قول ابن ابي ليلى والشافعي وقال الزهري ومالك والاوزاعي تجب في الزيتون وقال ابو حنيفة
يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالثمار الا الحشيش والحطب وكل ثمرة اوجبنا فيها الز
كوة فانما تجب ببدو الصلاح ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وكل حب اوجبنا فيه العشر
فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الاخراج بعد الدياسة والتنقية ولا يجب العشر في شيء منها
حتى يبلغ خمسة اوسق عند اكثر اهل العلم وعند ابي حنيفة يجب في كل قليل وكثير منها واحتج من شرط
النصاب بما روي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة
وليس فيما دون خمس اواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة
وروي يحيى بن عمارة عن ابي سعيد ان النبي صلعم قال ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة
اوسق وقال قوم الآية في صدقة التطوع وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم ما من
مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه انسان او طير او بهيمة الا كانت له به صدقة
ولا تيمموا قرأ ابن كثير برواية البزي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي اخواتها وهي في احد
وثلثين موضعا في القرآن لانه في الاصل تاءان اسقطت احديهما فرد هو الساقطة وادغم
ثم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا الخبيث منه تنفقون روي عن عدي بن ثابت
عن البراء بن عازب قال كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل اقناء من التمر والبسر
فيعلقونها على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلعم فياكل منه فقراء المهاجرين فكان

يعمد فيعمد الى قنو الحشف وهو يظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل
ذلك ولا تيمموا الخبيث اي الحشف والردي وقال الحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار
ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث الردي
منه تنفقون ولستم باخذيه يعني الخبيث الا ان تغمضوا فيه والاغماض غض البصر واراد
ههنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم ياخذه الا وهو يرى انه
قد اغمض له عن حقه وتركه وقال الحسن وقتادة لو وجدتموه يباع في السوق ما اخذتموه
بسعر الجيد وروي عن البراء قال لو اهدي ذلك لكم ما اخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف
ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم هذا اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردي لان اهل السهمان
شركاؤه فيما عنده فان كان كل ماله رديا فلا باس باعطاء الردي واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم
حميد محمود في افعاله الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا ووعدته
شرا قال الله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة وقال في الشر النار وعدها الله الذين كفروا واذا
لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد
واصله من كسر الفقار ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك
اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشاء اي بالبخل ومنع الزكوة قال الكلبي كل فحشاء في القران
فهو الزنا الا هذا والله يعدكم مغفرة منه لذنوبكم وفضلا اي رزقا وخلفا والله واسع
عليم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان الله يقول يا ابن آدم انفق انفق عليك وقال
قال رسول الله صلعم يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ
خلق السماء والارض فانه لم ينقص ما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع
ويخفض وعن اسماء ان رسول الله صلعم قال انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله
عليك يؤتي الحكمة من يشاء قال السدي هي النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القران ناسخه
ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك
القران والفهم فيه وقال في القران مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال
وخمسمائة حرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل نهروان تاولوا آيات من القران
في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا
عليها بالضلال فعليكم بعلم القران فانه من علم فيما انزل لم يختلف في شيء منه وقال ابو العالية

القران والعلم والفقه وروى ابن ابي نجيح عنه الاصابة في القول والفعل وقال ابراهيم النخعي معرفة معاني
الاشياء وفهمها ومن يؤت الحكمة من في محل الرفع على اسم ما لم يسم فاعله والحكمة خبره وقرا يعقوب
يؤت الحكمة بكسر التاء اي من يؤته الله الحكمة دليله قراءة الاعمش ومن يؤته الله وحكي عن الحسن
ومن يؤت الحكمة قال الورع في دين الله فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر يتعظ الا اولوا الالباب ذوو
العقول وما انفقتم من نفقة فيما فرض الله عليكم او نذرتم من نذر اي ما اوجبتموه انتم
على انفسكم في طاعة الله فوفيتم به فان الله يعلمه ويحفظه حتى يجازيكم به وانما قال يعلمه ولم
يقل يعلمهما لانه رده الى الآخر منهما كقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وان
شئت حملته على ما كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين
الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء او يتصدقون من الحرام من انصار اعوان يدفعون
عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل شريف واشراف ان تبدوا الصدقات اي تظهروها فنعما
هي اي نعمت الخصلة هي وما في محل الرفع وهي في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت
رفعت فقلت نعم الرجل زيد واصله نعم ما فوصلت قرا اهل المدينة غير ورش وابو عمرو وابو
بكر فنعما بكسر النون وسكون العين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وقرا ابن
كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة
النساء وان تخفوها تسروها وتؤتوها اي تعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم وافضل
وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل وفي الحديث صدقة السر تطفئ
غضب الرب عن سعيد الخدري او عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلعم سبعة يظلهم الله في ظله
يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ بعبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا
خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه ورجل دعته امراة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة
فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقيل الاية في صدقة التطوع اما الزكوة المفروضة
فالاظهار فيها افضل حتى يقتدي به الناس كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل والنافلة في البيت
افضل وقيل الاية في الزكوة المفروضة كان الاخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله صلعم اما في زماننا
فالاظهار افضل حتى لا يساء به الظن ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن كثير واهل البصرة وابو
بكر بالنون ورفع الراء ونحن نكفر وقرا ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء ويكفر الله وقرا

اهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم نسقا على الفاء التي في قوله وهو خير لكم لان موضعها جزم بالجزاء وقوله من سيئاتكم قيل من صلة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم وقيل هو للتحقيق والتبعيض يعني يكفر الصغائر من الذنوب والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم قال الكلبي سبب نزوله ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم على ان يسلموا وقال سعيد بن جبير كانوا يتصدقون على فقراء اهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلعم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزل قوله ليس عليك هداهم فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله يهدي من يشاء واراد به هداية التوفيق اما هدى البيان والدعوة كان على رسول الله صلعم فاعطوهم بعد نزول الاية وما تنفقوا من خير اي مال فلانفسكم اي تعملونه لانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله جحد لفظه نفي ومعناه نهي اي لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير شرط كالاول ولذلك حذف النون منهما واثبت في الوسطى يوف اليكم يوفر لكم جزاؤه ومعناه يؤدى اليكم ولذلك ادخل الى وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا وهذا في صدقة التطوع اباح الله تعالى ان توضع في اهل الاسلام واهل الذمة فاما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا في المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة للفقراء الذين احصروا في سبيل الله واختلفوا في موضع هذه اللام قيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير للفقراء فانما تنفقون لانفسكم وقيل بعد الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر كانوا في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلعم وهم اصحاب الصفة فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى الذين احصروا في سبيل الله فيه اقاويل قال قتادة وهؤلاء حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم اهل الصفة الذين ذكرناهم وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله وقيل معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقال سعيد بن جبير هؤلاء قوم اصابتهم جراحات مع رسول الله صلعم في الجهاد فصاروا زمنى احصرهم المرض والزمانة عن الضرب

في سبيل الله للجهاد وقال ابن زيد معناه من كثرة ما جاهدوا صارت الارض كلها حربا عليهم فلا يستطيعون ضربا في الارض من كثرة اعدائهم يحسبهم قرأ ابو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة يحسبهم وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم انهم اغنياء والتعفف التفعل من العفة وهي الترك يقال عف عن الشيء اذا كف عنه وتعفف اذا تكلف في الامساك تعرفهم بسيماهم السيما والسيماء والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها ههنا قال مجاهد هو التخشع والتواضع قال السدي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقال الضحاك صفرة الوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم لا يسألون الناس الحافا قال عطاء اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل معناه لا يسألون الناس اصلا لانه قال من التعفف والتعفف ترك السؤال ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كان الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية ليس لهم سؤال فيقع فيه الحاف والالحاف الالحاح واللجاج عن هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير قال قال رسول الله صلعم لان يأخذ احدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس شيئا اعطوه او منعوه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فمن المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس وروي عن رسول الله صلعم انه قال من سأل وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا وعن قبيصة بن مخارق قال اني تحملت حمالة في قومي فاتيت رسول الله صلعم فقلت يا رسول الله اني تحملت حمالة في قومي واتيتك لتعينني فيها قال بل نحملها عنك يا قبيصة ونؤديها اليهم من الصدقة ثم قال يا قبيصة ان المسألة حرمت الا في احدى ثلاث في رجل اصابته جائحة فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواما من عيشه ثم يمسك وفي رجل اصابته حاجة حتى يشهد ثلاثة نفر من ذوي الحجى من قومه ان المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك وفي رجل تحمل حمالة فيسأل حتى اذا بلغ امسك وما كان غير ذلك فانه سحت يأكله صاحبه سحتا وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله

ينفقون

وما يغنيه قال يخشون دينارها او قيمتها من الذهب وما تنفقوا من خير مال فان الله به عليم
وعليه مجازيه الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية روى عن مجاهد عن ابن
عباس قال نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت عنده اربعة دراهم لا يملك
غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن الضحاك عن
ابن عباس قال لما نزلت للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير
كثيرة الى اصحاب الصفة وبعث علي بن ابي طالب في جوف الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية عنى بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن وبالليل سرا
صدقة علي وقال ابو امامة وابو الدرداء ومكحول والاوزاعي نزلت في الذين يربطون الخيل
للجهاد فانها تعلف ليلا ونهارا وسرا وعلانية وعن ابي سعيد قال سمعت سعيدا المقبري يحدث انه
سمع ابا هريرة يقول قال النبي صلعم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة فلهم اجرهم عند ربهم قال الاخفش جعل
الخبر بالفاء لان الذين بمعنى من وجواب من بالفاء في الجزاء ومعنى الاية من انفق كذا فله اجره عند ربه
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربا اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم
المقصود من المال لا يقومون يعني يوم القيمة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه اي يصرعه
الشيطان واصله من خبط البعير والوطي وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تطأ الناس
وتضرب الارض بقوائمها من المس اي الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعناه
ان آكل الربا يبعث يوم القيمة كمثل المصروع وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلعم في قصة الاسرى
قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون
وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر
لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم
احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم
مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا
تقم الساعة ابدا قال ويوم القيمة يقال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء
الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية

كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في
المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التاخير
فكذبهم الله تعالى واحل الله البيع وحرم الربوا واعلم ان الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى وما اتيتم من
ربا ليربوا في اموال الناس اي ليكثر فلا يربوا عند الله وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام
في الجملة انما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلعم فيما روى عن مسلم
بن يسار ورجل آخر وهو روى عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلعم قال لا تبيعوا الذ
هب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح الا
سواء عينا بعين يدا بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير
بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدا بيد كيف شئتم ونقص احدهما الملح او التمر وزاد احدهما فقد زاد
او ازداد فقد اربى وروى هذا الحديث من طريق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد
الله بن عتيك عن عبادة فالنبي صلعم نص على ستة اشياء وذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا
يثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل مال توجد فيه تلك الاوصاف ثم اختلفوا
في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها واحد وهو النفع واثبتوا الربا في جميع الاموال
وذهب الاكثرون الى ان الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة
بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فقال قوم يثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وهو
قول مالك والشافعي وقال قوم يثبت بعلة الوزن وهو قول اصحاب الرأي واثبتوا الربا في
جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها واما الاشياء الاربعة فذهب قوم
الى ان الربا يثبت فيها بعلة الكيل وهو قول اصحاب الرأي واثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوما
كان او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والو
زن فكل مطعوم هو مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون
وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعي في القديم وقال في الجديد يثبت فيها الربا بوصف الطعم
واثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت
او موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت اسمع رسول الله صلعم يقول الطعام بالطعام
مثلا بمثل فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا او مطعوما والربا نوعان ربا الفضل وربا
النساء واذا باع مال الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه او باع مطعوما بجنسه كالحنطة

اي البر والشعير والتمر والملح

كالزعفران

بالحنطة ونحوهما يثبت فيه كلا نوعي الربا فلا يجوز الا متساويا في معيار الشرع فان
كان موزونا كالدراهم والدنانير يشترط المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير
يباع بجنسه يشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد واذا باع مال الربا بغير
جنسه نظر ان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه
كما لو باع بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة
بالشعير او مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا وجزافا
ويثبت فيه ربا النساء حتى يشترط التقابض في المجلس لقول النبي صلعم في الحديث لا تبيعوا الذهب
بالذهب الى ان قال الا سواء بسواء فيه اثبات المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس وقوله
عينا بعين فيه تحريم النساء وقوله يدا بيد كيف شئتم فيه اطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع ايجاب
التقابض في المجلس فلا ربا في المبايعة ومن اقرض بشرط ان يرد عليه افضل فهو قرض جر منفعة
وكل قرض جر منفعة فهو ربا فمن جاءه موعظة من ربه تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل رده الى
الوعظ فانتهى عن اكل الربا فله ما سلف اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له وامره
الى الله بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل وامره
الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شيء ومن عاد بعد التحريم
الى اكل الربا مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعن عون بن ابي جحيفة
عن ابيه انه قال ان النبي صلعم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والوا
شمة والمستوشمة والمصور وعن جابر قال لعن رسول الله صلعم آكل الربا وموكله وكاتبه
وشاهديه وقال هم سواء وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم الربا سبعون بابا اهونهن عند
الله عز وجل كالذي ينكح امه يمحق الله الربا اي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته وقال الضحاك
عن ابن عباس يمحق الله الربا يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ويربي الصدقات
اي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الاجر والثواب في العقبى والله لا يحب
كل كفار بتحريم الربا اثيم فاجر باكله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان
بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر ان انتما اخذتما حقكما

لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل
طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنهاهما وانزل الله هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا
رؤس اموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان
في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله هذه
الاية وقال النبي صلعم في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي
موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان
مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوعة واول ربا اضع ربانا ربا العباس بن
عبد المطلب فانه موضوع كله وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد يا ليل وحبيب
وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلعم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة وطلبوا رباهم من بني
المغيرة فقالت بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فا
ختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلعم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلعم بقصة
الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان
كنتم مؤمنين اذ كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا اي ان لم تذروا ما بقي من الربا فاذنوا قرا حمزة وعاصم برواية
ابي بكر فآذنوا بالمد على وزن فآمنوا فاعلموا اغيركم انكم حرب الله ورسوله واصله من الاذن
اي اوقعوا في الآذان وقرا الآخرون فاذنوا مقصورا بفتح الذال فاعلموا انتم وايقنوا بحرب
من الله ورسوله قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب
قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف وان تبتم اي تركتم استحلال الربا و
رجعتم عنه فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون بطلب الزيادة ولا تظلمون بالنقصان عن راس
المال فلما نزلت هذه الاية قالت بنو عمرو والمربون بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا بحرب
الله ورسوله فرضوا براس المال فشكى بنو المغيرة العسرة وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا
ان يؤخروا فانزل الله وان كان ذو عسرة يعني وان كان عليه الدين معسرا رفع الكلام
باسم كان ولم يات لها بخبر وذكر جائز في النكرة تقول ان كان رجل صالح فاكرمه وقيل كان
بمعنى وقع وحينئذ لا يحتاج الى خبر قرا ابو جعفر عسرة بضم السين فنظرة امر في صيغة الخبر
تقديره فعليه نظرة الى ميسرة قرا نافع ميسرة بضم السين وقرا الآخرون بفتحها وقرا

مجاهد ميسُرة بضم السين مضافا ومعناه اليسار والسعة. وَأَنْ تَصَدَّقُوا اي
تتركوا رؤس اموالكم الى المعسر خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون. قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف
الصاد والآخرون بتشديدها وعن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه انه كان يطلب رجلا
بحق فاختبأ منه فقال ما حملك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فاعطاه
اياه قال سمعت رسول الله صلعم يقول من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب يوم القيمة وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلعم ان الملائكة لتلقت روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا
قط قال لا قالوا تذكر قال لا الا اني رجل كنت اداين الناس فكنت آمر فتياني ان ينظروا
الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى تجاوزوا عنه وعن ابي اليسر قال سمعت رسول الله
صلعم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله. **فصل في الدين وحسن
قضائه وتشديد امره** عن سلمة بن كهيل قال سمعت ابا سلمة بمنى يحدث عن ابي هريرة ان رجلا تقاضى
رسول الله صلعم فاغلظ له فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فاعطوه اياه
قالوا لا نجد الا افضل من سنه قال اشتروه فاعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلعم قال مطل الغني ظلم واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع وعنه ان رسول الله صلعم قال نفس
المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وعن عبد الله بن ابي قتادة الانصاري عن ابيه قال جاء رجل
الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر
يكفر الله عني خطاياي فقال رسول الله صلعم نعم فلما ادبر ناداه رسول الله صلعم او امر به فنودي
فقال رسول الله صلعم كيف قلت فاعاد عليه قوله فقال النبي نعم الا الدين كذلك قال جبريل عم
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قرأ اهل البصرة بفتح التاء اي تصيرون الى الله وقرأ الآخرون
بضم التاء وفتح الجيم اي تردون الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال ابن عباس
هذه آخر اية نزلت على رسول الله صلعم فقال جبريل عم ضعها على راس مائتين وثمانين اية من سورة
البقرة وعاش بعدها رسول الله صلعم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن
جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة
احدى عشرة من الهجرة وقال الشعبي عن ابن عباس آخر اية نزلت على رسول الله صلعم اية الربا. يا ايها
الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد
ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه ثم قال يا ايها الذين امنوا اذا

تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه قوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين يقال داينته اذا عاملته
بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطاة
فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ وقيل ذكره تاكيدا كقوله ولا طائر يطير بجناحيه الى اجل مسمى
مدة معلومة الاول والآخر والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق
الطلب قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند اكثر اهل العلم فاكتبوه اي اكتبوا الذي تداينتم به بيعا
كان او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انه امر استحباب
فان ترك فلا باس كقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقال قوم كانت كتابة الدين
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو
قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره وليكتب بينكم اي ليكتب كتاب الدين بين
الطالب والمطلوب كاتب بالعدل اي بالحق من غير زيادة ونقصان ولا تقديم اجل ولا تاخير ولا
يأب اي لا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد
فذهب قوم الى وجوبهما اذا طولب وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب اذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم
هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى
ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله اي كما شرطه الله وامره فليكتب وليملل الذي عليه الحق يعني
المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما
القرآن فالاملال ها هنا والاملاء قوله فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه يعني المملي ولا
يبخس منه اي لا ينقص من الحق الذي عليه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء
قاله مجاهد وقال الضحاك والسدي طفلا صغيرا وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله
او في دينه او ضعيفا اي شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون او لا يستطيع ان يمل هو
لخرس او عمى او عجمة او حبس او غيبة لا يمكنه حضور الكاتب او جهل بماله وعليه فليملل
وليه اي قيمه بالعدل اي بالصدق والحق وقال ابن عباس ومقاتل اراد بالولي صاحب الحق
يعني ان عجز من عليه الحق من الاملال فليملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لانه اعلم بحقه
واستشهدوا اي واشهدوا واستشهدوا شهيدين اي شاهدين من رجالكم يعني الاحرار المسلمين دون
العبيد والصبيان والكفار وهو قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد
فان لم يكونا رجلين اي لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان

واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جائزة مع الرجال في الاموال حتى يثبت برجل وامراتين
واختلفوا في غير الاموال فذهب جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات وهو قول
سفيان الثوري واصحاب الراي وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب
الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثيابة والبكارة ونحوها
ما يثبت بشهادة رجل وامراتين وشهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة
في العقوبات «ممن ترضون من الشهداء» يعني من كان مرضيا في ديانته وامانته وشرائط قبول
الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فشهادة
الكافر مردودة لان الله وصفه بالكذب على الناس لا تجوز شهادتهم فالذي يكذب على الله اولى
ان يكون مردود الشهادة وجوز اصحاب الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا
تقبل شهادة العبيد واجاز شريح وابن سيرين وهو قول انس بن مالك ولا قول للمجنون
حتى يكون له شهادة ولا تجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس من ذلك فقال لا تجوز لان الله
تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهي ان يكون الشاهد مجتنبا عن الكبائر
غير مصر على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل
الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه في شيء
منها ما يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب يعلم به قلة مروءته ترد شهادته وانتفاء التهمة
شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في
عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده ولوالده وان كان مقبول الشهادة على غيرهما ولا
تقبل شهادة من يجر الى نفسه بشهادته نفعا كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه او يدفع
عن نفسه بشهادته ضررا كالمشهود عليه يشهد بجرح من شهد عليه لتمكن التهمة في شهادته وعن
عائشة ترفعه لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على اخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة
ولا القانع مع اهل البيت «ان تضل احداهما» قرا حمزة ان تضل بكسر الالف «فتذكر» برفع الراء
ومعناه الجزاء والابتداء وموضع تضل جزم بالجزاء الا انه لا يتبين في التضعيف فتذكر رفع لان
ما بعد فاء الجزاء مبتدا وقراءة العامة بفتح الالف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الاول وتضل محله
نصب بان «فتذكر» منسوق عليه ومعنى الاية فرجل وامراتان كي «تذكر احداهما الاخرى» ومعنى تضل
الى نسي يريد اذا نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى فتقول الستا حضرنا مجلس كذا وسمعنا

كذا وقرا ابن كثير واهل البصرة فتذكر مخففا وقرا الباقون مشددا وذكر واذكر بمعنى واحد وهما
متعديان من الذكر الذي هو ضد النسيان وحكي عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما
الاخرى ذكرا اي تصير شهادتهما كشهادة ذكر والاول اصح لانه معطوف على النسيان «ولا
ياب الشهداء اذا ما دعوا» قيل اراد اذا دعوا لتحمل الشهادة سماهم شهداء على معنى انهم
يكونون شهداء وهو امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم تجب الاجابة اذا لم يكن غيره فان وجد
غيره فهو مخير وهو قول الحسن وقال قوم هو امر ندب وهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا
في اقامة الشهادة وادائها فمعنى الاية ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وهو
قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير قال الشعبي الشاهد بالخيار ما لم يشهد وقال الحسن الاية
في الامرين جميعا في التحمل والاقامة اذا كان فارغا «ولا تساموا» اي لا تملوا «ان تكتبوه» والهاء
راجعة الى الحق «صغيرا» كان الحق «او كبيرا» قليلا كان او كثيرا «الى اجله» الى محل الحق «ذلكم» اي الكتاب
«اقسط» اعدل «عند الله» لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه «واقوم للشهادة» لان الكتابة
تذكر الشهود «وادنى» واحرى واقرب «ان لا ترتابوا» تشكوا في الشهادة «الا ان تكون تجارة
حاضرة» قرا عاصم بالنصب على خبر كان والاسم مضمر مجازه الا ان تكون التجارة او المبايعة تجا
رة وقرا الباقون بالرفع وله وجهان احدهما ان تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه الا ان تقع تجا
رة والثاني ان تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله «تديرونها» تقديره الا ان تكون تجارة
حاضرة دائرة «بينكم» ومعنى الاية الا ان تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها
اجل «فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها» يعني التجارة «واشهدوا اذا تبايعتم» قال الضحاك هو
عزمة من الله عز وجل والاشهاد واجب في صغير الحق وكبيره نقده ونسائه وقال ابو سعيد الخدري
الامر فيه الى الامانة لقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا وقال الاخرون امر ندب «ولا يضار كاتب
ولا شهيد» هذا نهي الغائب واصله يضارر فادغمت احدى الرائين في الاخرى ونصبت لحق
التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فيه فمنهم من قال اصله يضارر بكسر الراء الاولى وجعل الفعل
للكاتب والشهيد معناه لا يضار الكاتب فيابى ان يكتب ولا الشهيد فيابى ان يشهد او لا
يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما املي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه
وهذا قول طاوس والحسن وقتادة وقال قوم اصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول
وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب او الشاهد وهما على شغل

…هم وان تفعلوا ما نهيتكم عنه من الضرار فانه فسوق بكم اي معصية وخروج عن الامر
واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن
مقبوضة قرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن بضم الراء والهاء وقرأ الباقون فرهان وهو جمع رهن
مثل بغل وبغال وجبل وجبال والرهن جمع الرهان جمع الجمع قاله الفراء والكسائي وقال ابو
عبيد وغيره هو جمع الرهن ايضا مثل سقف وسقف قال ابو عمرو وانما قرأنا فرهن ليكون
فرقا بينها وبين رهان الخيل وقرأ عكرمة فرهن بضم الراء وسكون الهاء والتخفيف والتثقيل في
الرهن لغتان مثل كتب وكتب ورسل ورسل ومعنى الآية وان كنتم في سفر ولم تجدوا آلات الكتابة
فارتهنوا ممن تداينونه رهونا لتكون وثيقة لكم باموالكم واتفقوا على ان الرهن لا يتم الا بالقبض
وقوله فرهن مقبوضة اي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم
فاذا سلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شيء من الحق باقيا ويجوز الرهن
في الحضر مع وجود الكاتب وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وعند
الآخرين خرج الكلام في الآية على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط والدليل عليه ما روي ان النبي صلعم
رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب فان امن بعضكم بعضا وفي
حرف ابي فان ائتمن يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به
فليؤد الذي اؤتمن امانته فليتقه على الامانة وليتق الله ربه في اداء الحق ثم رجع الى خطاب
الشهود فقال ولا تكتموا الشهادة اذا دعيتم الى اقامتها نهى عن كتمان الشهادة واوعد عليه
فقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي فاجر قلبه قيل ما اوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة
قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله والله بما تعملون عليم من بيان الشهادة وكتمانها
لله ما في السموات وما في الارض يعني ملكا واهلها وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم هي متصلة
بالآية الاولى نزلت في كتمان الشهادة معناه وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او
تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة وقال بعضهم نزلت فيمن يتولى الكافرين من
المؤمنين يعني وان تعلنوا ما في انفسكم من ولاية الكفار او تسروه يحاسبكم به الله وهو قول مقاتل كما ذكر
في سورة آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء الى ان قال قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله وذهب الاكثرون الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها

والدليل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما انزل على رسول الله صلعم لله ما في السموات وما في الارض
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله فاتوا
رسول الله صلعم ثم بركوا على الركب وقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام
والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلعم اتريدون ان تقولوا كما قال
اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فيغفر لمن
يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الحقير وكل ما يفعله عدل تعالى وشانه
والله على كل شيء قدير فلما اقترأها القوم ذلت بها السنتهم انزل الله تعالى في اثرها آمن الرسول بما
انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله
وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله تعالى عز وجل
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين قال نعم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس بمعناه وقال في كل ذلك قد فعلت بدل قوله نعم
هذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر واليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة و
والكلبي وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال ان الله تجاوز لامتي ما وسوست به انفسها ما لم تعمل او
تتكلم به وقال بعضهم الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد على الاخبار انما يرد على الامر والنهي وقوله
يحاسبكم به الله خبر لا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد اثبت الله للقلب كسبا فقال بما
كسبت قلوبكم فليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة في جوارحه او همة في قلبه الا يخبره الله ويحاسبه
عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا وقال آخرون معنى الآية ان الله عز وجل يحاسب خلقه
بجميع ما ابدوا من اعمالهم واخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبته على ما اخفوه مما لم يعملوه بما يحدث
لهم في الدنيا من النوائب والمصائب في الامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة قالت سألت
رسول الله صلعم فقال يا عائشة هذه معاتبة الله عز وجل العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة
والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها في ضبنه حتى ان المؤمن يخرج من ذنوبه
كما يخرج التبر الاحمر من الكير وعن انس بن مالك عن رسول الله صلعم انه قال اذا اراد الله بعبده الخير

الضبن بالكسر ما بين الابط والكشح

عجلها له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة وقال
بعضهم وان تبدوا ما في انفسكم يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه او تخفوه ولا تبدوه وانتم عازمون عليه
يحاسبكم به الله فاما ما حدثت به انفسكم مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولا يؤاخذ به دليله قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال عبد
الله بن المبارك قلت لسفين ايؤاخذ العبد بالهمة قال اذا كان عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة
الاخبار والتعريف ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحا
سبكم به الله يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعد
له وهذا معنى قول الضحاك ويروى ذلك عن ابن عباس يدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذ
كم والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما روي عن صفوان بن محرز قال كنت آخذا بيد عبد الله بن عمر
فاتاه رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلعم يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله صلعم يقول ان الله
يدني المؤمن يوم القيمة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول له اي عبدي تعرف ذنب كذا
وكذا فيقول نعم اي رب ثم يقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب حتى اذا قرره
بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى
كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا
لعنة الله على الظالمين قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء رفع الراء والباء ابو جعفر
وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمها الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق روى
طاوس عن ابن عباس فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا
يسال عما يفعل وهم يسالون والله على كل شيء قدير قوله تعالى آمن الرسول اي صدق بما انزل اليه من
ربه والمؤمنون كل آمن بالله يعني كل واحد منهم ولذلك وحد الفعل وملائكته وكتبه قرا حمزة
والكسائي وكتابه على الواحد يعني القرآن وقيل معناه الجمع وان ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب وقرا الآخرون وكتبه بالجمع لقوله وملائكته
ورسله لا نفرق بين احد من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
فيه اضمار تقديره ويقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبرا عن الرسول ومعناه
لا يفرق الكل وانما قال بين احد ولم يقل آحاد لان الاحد يكون للواحد وللجمع قال الله تعالى فما منكم
من احد عنه حاجزين وقالوا سمعنا قولك واطعنا امرك روي عن حكيم بن جابر ان جبريل عم

قال للنبي صلعم حين نزلت هذه الآية ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال بتلقين فقال
غفرانك وهو نصب على المصدر اي اغفر غفرانك او نسالك غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها ظاهر الآية قضاء الحاجة وفيها اضمار السؤال كانه قال وقالوا لا تكلفنا الا
وسعنا فاجاب لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق
عليه واختلفوا في تاويله فذهب ابن عباس وعطاء واكثر المفسرين الى انه اراد به حديث النفس
الذي ذكر في قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه كما ذكرنا وروي عن ابن عباس انه قال هم
المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال يريد الله بكم
اليسر وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفين بن عيينة عن قوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة
قوله لها ما كسبت اي للنفس ما عملت من الخير لها اجره وثوابه وعليها ما اكتسبت من الشر وعليها
وزره ربنا لا تؤاخذنا اي لا تعاقبنا ان نسينا جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو قال
الكلبي كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء
من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسالوه ترك مؤاخذتهم بذلك وقيل
هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم قوله تعالى او اخطانا قيل معناه القصد
والعمد يقال اخطا فلان اذا تعمد قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال عطاء ان نسينا
او اخطانا يعني ان جهلنا او تعمدنا وجعله الاكثرون من الخطا الذي هو الجهل والسهو لان ما كان
عمدا من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشية الله والخطأ معفو عنه قال النبي صلعم رفع عن امتي الخطأ
والنسيان وما استكرهوا عليه قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع
القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به
فعذبتهم هذا قول ابن عباس وقتادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى واخذتم على ذلكم
اصري اي عهدي وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الامر علينا كما شددت على من قبلنا من
اليهود وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة
ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها
من الاثقال والاغلال وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن انس وابي عبيدة وجماعة
يدل عليه قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقيل الاصر ذنب لا توبة له

معناه اعصمنا من مثله والآصر فيه الثقل والاحكام قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكي عن مكحول انه قال هو الغلمة وعن ابراهيم قال هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال العشق وقال ابن جريج هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها قوله تعالى واعف عنا اي تجاوز وامح عنا ذنوبنا واغفر لنا استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا فاننا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك انت مولانا ناصرنا وحافظنا وولينا فانصرنا على القوم الكافرين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل غفرانك ربنا قال الله غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى آخره قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلعم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلعم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا المقحمات عن ابي مسعود قال قال النبي صلعم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرا بهما في ليلة كفتاه وعن النعمان بن بشير ان رسول الله صلعم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلث ليال فيقربها شيطان

سورة آل عمران مائتان مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله قال الكلبي والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلعم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر يؤل اليهم امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم دخلوا مسجد رسول الله صلعم حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بلحرث بن كعب يقول من رآهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب

١١٠

فقال لهما رسول الله صلعم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلعم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال عز وجل الم الله مفتوح الميم موصول عند العامة وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين حرك الى اخف الحركات وقرا ابو يوسف يعقوب بن خليفة الاعشى عن ابي بكر الم الله مقطوعا سكن الميم على نية الوقف ثم قطع الهمزة للابتداء واجراه على لغة من يقطع الف الوصل وقوله الله ابتداء وما بعده خبره وهو لا اله الا هو الحي القيوم نعت له نزل عليك الكتاب اي القرآن بالحق بالصدق مصدقا لما بين يديه لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وانزل التوراة والانجيل وانما قال وانزل التوراة والانجيل لان التوراة والانجيل انزلا جملة واحدة وقال في القرآن نزل لانه نزل مفصلا والتنزيل للتكثير والتوراة قال البصريون اصلها وورية على وزن فوعلة مثل دوحلة وحوقلة فحولت الواو الاولى تاء وجعلت الياء المفتوحة الفا فصارت توراة ثم كتبت بالياء على اصل الكلمة وقال الكوفيون اصلها تفعلة مثل توصية وتوفية فقلبت الياء الفا على لغة طي فانهم يقولون للجارية جاراة وللتوصية توصاة واصلها من قولهم ورى الزند اذا خرجت ناره واوريته انا قال الله تعالى افرايتم النار التي تورون فسميت توراة لانه نور وضياء قال تعالى ضياء وذكرا للمتقين وقيل هو من التورية وهي كتمان السر والتعريض بغيره وكان اكثر التوراة معاريض من غير تصريح والانجيل افعيل من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلا لخروجه فسمي الانجيل به لان الله عز وجل اخرج به دارسا من الحق عافيا ويقال هو من النجل وهو سعة العين سمي به لانه انزل وسعة لهم ونورا وقيل التوراة بالعبرانية

تورية وهو ومعناه الشريعة والانجيل بالسريانية انقليون ومعناه الاكليل وقوله من قبل
متعلق بانزل وقوله هدى للناس هاديا لمن تبعه ولم يثنه لانه مصدر وانزل الفرقان
الفرق بين الحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديرها وانزل التورية
والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله
عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الا
رحام كيف يشاء ذكرا وانثى ابيض واسود حسنا وقبيحا تاما وناقصا لا اله الا هو العزيز
الحكيم وهذا في الرد على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله فكانه يقول كيف يكون
ولدا وقد صوره الله في الرحم وعن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول حدثنا
رسول الله صلعم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم
يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك او قال يبعث اليه الملك باربع
كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما
يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل
بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها
وعن حذيفة بن اسيد يبلغ به النبي صلعم قال يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم
باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب اشقي او سعيد فيكتبان فيقول اي رب اذكر
او انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها
ولا ينقص هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات مبينات مفصلات سميت
محكمات من الاحكام كانه احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها
هن ام الكتاب اي اصله الذي يعمل عليه في الاحكام وانما قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات
الكتاب لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله واحد وقيل معناه
كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية اي كل واحد منهما اية واخر جمع
اخرى ولم يصرفه لانه معدول عن الاخر مثل عمر وزفر متشابهات فان قيل كيف فرق ههنا
بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القران محكما في موضع اخر فقال الر كتاب احكمت اياته
وجعل كله متشابها فقال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها قيل حيث جعل الكل
محكما اراد ان الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها اراد ان بعضه

١١١

يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل ههنا بعضه محكما والبعض متشابها واختلف العلماء
فيهما فقال ابن عباس المحكمات هي الايات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات وعنه انه قال
المتشابهات حروف التهجي في اوايل السور وقال مجاهد وعكرمة المحكمات ما فيه الحلال والحرام
وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضها بعضا في الحق ويصدق بعضها بعضا كقوله وما يضل به
الا الفاسقين ويجعل الرجس على الذين لا يؤمنون وقال قتادة والضحاك والسدي المحكم النا
سخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به وروى علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس قال المحكمات القران ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرايضه وما يؤمن به ويعمل به
والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقيل المحكمات
ما اوقف الله الخلق على معناها والمتشابه ما استاثر الله بعلمه لا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن اشراط
الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى عم وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وقال محمد
جعفر بن الزبير المحكم ما لا يحتمل من التاويل غير وجه واحد والمتشابه ما احتمل اوجها وقيل المحكم
ما يعرف معناه ويكون حججه واضحة ودلايله لايحة لا تشتبه والمتشابه هو الذي يدرك علمه
بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى
والمتشابه ما لا يستقل بنفسه الا برده الى غيره وقال ابن عباس في رواية باذان المتشابه
حروف التهجي في اوايل السور وذلك ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن
الاشرف ونظراؤه فلما اتوا النبي صلعم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فننشدك بالله
انزلت عليك قال نعم قال فان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة
فهل انزل غيرها قال المص قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة سنة فهل غيرها قال الر قال
هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلثون سنة فهل غيرها قال المر قال هذه اكثر هي مائتان
واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن
لا نؤمن بهذا فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل شك
فيتبعون ما تشابه منه واختلفوا في المعني بهذه الاية قال الربيع هم وفد نجران خاصموا النبي
صلعم في عيسى وقالوا الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه

هذه الاية وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم اجل هذه الامة واستخراجها بحساب الجمل
وقال ابن جريج هم المنافقون وقال الحسن هم الخوارج وكان قتادة اذا قرا هذه
الاية فاما الذين في قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبابية فلا ادري من هم
وقيل هم جميع المبتدعة وعن عايشة قالت تلا رسول الله صلعم هذه الاية هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الى قوله الالباب قالت
قال رسول الله صلعم فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم
ابتغاء الفتنة طلب الشرك قاله الربيع والسدي وقال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس
ليضلوا بها جهالهم وابتغاء تاويله تفسيره وعلمه دليله قوله سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا وقيل ابتغاء عاقبته وطلب اجل هذه الامة من حساب الجمل دليله قوله تعالى ذلك خير
واحسن تاويلا اى عاقبة وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اختلف العلماء
في نظم هذه الاية فقال قوم الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني ان تاويل المتشابه
يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون امنا به وهذا قول مجاهد والربيع
وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا معناه والراسخون في العلم قايلين امنا به هذا كقوله تعالى ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى ثم قال للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم
الى ان قال والذين تبوءوا الدار والايمان ثم قال والذين جاءو من بعدهم وهذا عطف
على ما سبق ثم قال يقولون ربنا اغفر لنا يعني هم مع استحقاقهم للفيء يقولون ربنا اغفر لنا
اى قايلين على الحال وروي عن ابن عباس انه كان يقول في هذه الاية انا من الراسخين في العلم
وعن مجاهد انا ممن يعلم تاويله وذهب الاكثرون الى ان الواو في قوله والراسخون واو الا
ستيناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تاويله الا الله وهو قول ابي بن كعب وعايشة
وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره
الكسايي والفراء والاخفش وقالوا لا يعلم تاويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون للقران
تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع
الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عم ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه
بالايمان به وفي المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله ان تاويله الا عند الله
والراسخون في العلم يقولون امنا به وفي حرف ابي ويقول الراسخون في العلم امنا به وقال عمر بن

عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين في العلم بتاويل القران الى ان قالوا امنا به كل من
عند ربنا وهذا القول اقيس في العربية واشبه بظاهر الاية قوله تعالى والراسخون اى الداخلون
في العلم هم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخلهم في معرفتهم شك واصله من رسوخ الشي في الشي
وهو ثبوته يقال رسخ الايمان في قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وقيل الراسخون علماء
مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم
يعني الدارسين علم التورية وسئل مالك بن انس عن الراسخين في العلم قال العالم العامل بما علم
المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه
وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه وقال ابن عباس ومجاهد
والسدي بقولهم امنا به سماهم الله تعالى راسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم امنا به اى بالمتشابه
كل من عند ربنا المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم وما يذكر وما يتعظ
بما في القران الا اولو الالباب اى ذوو العقول ربنا لا تزغ قلوبنا اى ويقول الراسخون ربنا
لا تزغ قلوبنا اى لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ بعد اذ
هديتنا ووفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من لدنك اعطنا
من عندك رحمة توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقال الضحاك
تجاوزا ومغفرة انك انت الوهاب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول
الله صلعم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن اذا شاء ان يقيمه اقامه وان
شاء ان ازاغه وكان رسول الله صلعم يقول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك
والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويخفض اخرين الى يوم القيمة وعن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلعم مثل القلب كريشة بارض فلاة يقلبها الريح ظهرا لبطن ربنا انك
جامع الناس ليوم اى لقضاء يوم وقيل بمعنى في اى في يوم لا ريب فيه اى لا شك فيه وهو يوم
القيمة ان الله لا يخلف الميعاد وهو مفعال من الوعد ان الذين كفروا لن تغني عنهم
لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله قال الكلبي من عذاب الله وقال
ابو عبيدة من بمعنى عند اى عند الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب ال فرعون
قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد كفعل ال فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب وقال الكسائي
وابو عبيدة كسنة ال فرعون وقال الاخفش كامر ال فرعون وشانهم وقال النضر بن شميل

كعادة فرعون يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول وجحود الحق كعادة آل فرعون
والذين من قبلهم كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا بآياتنا فأخذهم
الله فعاقبهم الله بذنوبهم وقيل نظم الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا
أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية أخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم
ولا أولادهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم
قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما أي إنهم يغلبون ويحشرون وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب
أي قل لهم إنكم ستغلبون وتحشرون قال مقاتل أراد مشركي مكة معناه قل لكفار مكة ستغلبون
يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في الآخرة فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلعم يوم بدر إن الله
غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود وقال الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس ان يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلعم المشركين يوم بدر هذا والله
النبي بشرنا به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر
إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلعم شكوا فغلب عليهم الشقاء
فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب
بن الأشرف في ستين راكبا إلى مكة يستنفرهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلعم
فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن إسحق عن رجاله ورواه سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس أيضا لما أصاب رسول الله صلعم قريشا ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود
في سوق قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر
وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم
فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة
إنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود
ستغلبون تهزمون وتحشرون في الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد الفراش أي بئس ما
مهد لهم يعني النار قد كان لكم آية ولم يقل كانت والآية مؤنثة لأنه ردها إلى البيان
أي قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وقال الفراء إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه فمعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة
على صدق ما أقول إنكم ستغلبون في فئتين فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض

التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله أي طاعة الله وهم رسول الله صلعم وأصحابه وكانوا
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من
الأنصار وصاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة
وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد وأكثرهم
رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وأخرى كافرة أي فرقة
أخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة رأسهم عتبة بن ربيعة بن
عبد شمس وفيهم مائة فرس وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله صلعم يرونهم مثليهم قرأ
أهل المدينة ويعقوب بالتاء يعني ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثلي المسلمين وذلك أن
جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلي عدد
المسلمين ورأوا النصرة مع ذلك للمسلمين فكان ذلك معجزة وآية وقرأ الآخرون بالياء واختلفوا في
وجهه فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما
هم فإن قيل كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم قيل هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا
أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم والتأويل الثاني وهو الأصح
كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة
وعشرين ثم قللهم في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم قال ابن مسعود نظرنا إلى
المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم
الله أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم قال ابن مسعود حتى قلت لرجل
إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة وقال بعضهم الرؤية راجعة إلى المشركين يعني يرى
المشركون المؤمنين مثليهم قللهم الله في أعينهم قبل القتال أي في أعين المشركين ليجترئ المشركون
عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرهم في أعين المشركين ليجبنوا وقللهم في أعين المؤمنين
ليجترئوا فذلك قوله وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم رأي العين
أي في رأي العين نصب بنزع حرف الصفة والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك الذي ذكرت
لعبرة لأولي الأبصار لذوي العقول وقيل لمن أبصر الجمعين زين للناس حب الشهوات
جمع شهوة وهي ما تدعو النفس إليه من النساء بدأ بهن لأنهن حبائل الشيطان
والبنين والقناطير جمع القنطار واختلفوا فيه قال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير

بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس والضحاك الف
ومائتا مثقال وعنهما رواية اخرى اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وعن الحسن قال
القنطار دية احدكم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال
ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة
ثمانون الف وقال مجاهد سبعون الف وقال السدي اربعة آلاف مثقال وقال الحكم القنطار ما
بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة ملء مسك ثور ذهبا او فضة وسمي قنطارا من
الاحكام يقال قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه سميت القنطرة المقنطرة قال الضحاك
المحصنة المحكمة وقال قتادة هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان المدفونة وقال
السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلثة
والمقنطرة تسعة من الذهب والفضة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها
تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء
ونحوهما المسومة قال مجاهد هي المطهمة الحسان وقال عكرمة تسويمها حسنها وقال سعيد بن
جبير هي الراعية يقال اسام الخيل وسومها قال الحسن وابو عبيدة هي المعلمة من السيماء والسيماء
العلامة ثم منهم من قال سيماها الشية واللون وهو قول قتادة وقيل الكي والانعام
جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه والحرث يعني الزرع ذلك الذي
ذكرت متاع الحيوة الدنيا يشير الى انها متاع يفنى والله عنده حسن المآب اي المرجع
فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة قل اؤنبئكم اخبركم بخير من ذلكم للذين
اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان
من الله قرأ العامة بكسر الراء وروى ابو بكر عن عاصم بضم الراء وهما لغتان كالعدوان
والعدوان عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة
فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
يا رب واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا والله
بصير بالعباد الذين يقولون ان شئت جعلت محل الذين خفضا ردا على قوله للذين اتقوا وان
شئت جعلته رفعا على الابتداء ويحتمل ان يكون نصبا تقديره اعني الذين يقولون ربنا اننا امنا
تقديره هم الذين

صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا استر عليها وتجاوز عنا وقنا عذاب النار الصابرين ان شئت
نصبتها على المدح وان شئت خفضتها على النعت يعني الصابرين في اداء الامر وعن ارتكاب النهي
وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في ايمانهم قال قتادة هم قوم صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم فصدقوا في السر والعلانية والقانتين المطيعين المصلين
والمنفقين اموالهم في طاعة الله والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي
يعني المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم انه قال هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقيل
بالسحر لقربه من الصبح وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن
عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله
ويدعو حتى يصبح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين
يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسألني فاعطيه
من الذي يستغفرني فاغفر له وحكي عن الحسن ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكونن اعجز
من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك شهد الله انه لا اله الا هو
قيل نزلت هذه الاية في نصارى نجران وقال الكلبي قدم حبران من احبار الشام على النبي
صلعم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلعم الذي يخرج
في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال
انا محمد واحمد قالا انا نسألك عن شيء فان اخبرتنا آمنا بك وصدقناك فقال سلا فقالا اخبرنا
عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الاية فاسلم الرجلان قوله شهد الله
اي بين الله لان الشهادة تبيين وقال مجاهد حكم الله وقيل اعلم الله انه لا اله الا هو قال
ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الا
رواح باربعة آلاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض
ولا بر ولا بحر فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة اي وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة
الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار واولوا العلم يعني الانبياء
عليهم السلام وقال ابن كيسان يعني المهاجرين والانصار وقال مقاتل علماء مؤمني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه قال السدي والكلبي يعني جميع علماء المؤمنين قائما بالقسط اي بالعدل
ونظم الاية شهد الله قائما بالقسط نصبا على الحال وقيل على القطع ومعنى قوله قائما بالقسط اي قائم

يقوم بتدبير الخلق كما يقال فلان قايم بامر فلان اى مدبر له ومتعهد لاسبابه وقايم بحق فلان
اى مجاز له فالله جل ذكره مدبر رازق مجاز بالاعمال لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين
عند الله الاسلام يعنى الدين المرضى الصحيح كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقال ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وفتح الكسائى الالف من ان الدين ردا على ان الاولى
تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام او شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام بانه لا اله الا هو وكسر الباقون الالف على الابتداء والاسلام هو الدخول فى السلم وهو
الانقياد والطاعة يقال اسلم اى دخل فى السلم واستسلم قال قتادة فى قوله ان الدين عند الله الاسلام
قال شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وهو دين الله الذى شرعه
لنفسه وبعث به رسله ودل عليه اولياءه ولا يقبل غيره ولا يجزى الا به وعن عمار بن عمرو بن
المختار حدثنى ابى عن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش
فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه
الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله
وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته
ثم قلت انى سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك
اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى ابو وايل عن
عبد الله قال قال رسول الله صلعم يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قال
الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام اى وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب فى نبوة محمد صلعم الا من بعد ما جاءهم يعنى بيان نعته فى كتبهم وقال الربيع
ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من احبار بنى اسرائيل فاستودعهم التوراة
واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة بينهم
وهم الذين اوتوا الكتاب من ابناء اولئك السبعين حتى اهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر
والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التورية بغيا بينهم اى طلبا
للملك والرياسة فسلط عليهم الجبابرة وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت فى نصارى نجران

معناها وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعنى الانجيل فى امر عيسى وفرقوا القول فيه الا
من بعد ما جاءهم العلم بان الله اله واحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم اى المعادات
والمخالفة ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك اى خاصموك يا
محمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما تسمينا به يا محمد انما اليهودية
والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله تعالى فقل اسلمت وجهى لله اى
انقدت لله وحده بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه لانه اكرم جوارح الانسان
وفيه بهاؤه فاذا خضع وجهه للشى خضع له ساير جوارحه وقال الفراء معناه اخلصت
عملى لله ومن اتبعن اى ومن اتبعنى اسلم كما اسلمت واثبت الياء نافع وابو عمرو فى قوله
اتبعنى على الاصل وحذفه الاخرون على الخط لانها فى المصحف بغير ياء وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين يعنى العرب ءاسلمتم لفظه استفهام ومعناه امر اى اسلموا كما قال فهل انتم
منتهون اى انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا فقرا رسول الله صلعم هذه الاية فقال اهل
الكتاب اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله
وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا
فقال عز وجل فان تولوا فانما عليك البلاغ تبليغ الرسالة وليس اليك الهداية والله
بصير بالعباد عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن ان الذين يكفرون يجحدون بايات الله
يعنى القران وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون قال ابن جريج كان الوحى ياتى
الى انبياء بنى اسرائيل ولم يات بهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون الانبياء فيقوم رجال
ممن اتبعهم وصدقهم ويذكرون قومهم فيقتلون ايضا فهم الذين يامرون بالقسط من الناس
عن ابى عبيدة بن الجراح قال قلت لرسول الله صلعم اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل
قتل نبيا او رجلا امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرا رسول الله صلعم ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى وما لهم من ناصرين ثم قال رسول
الله صلعم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام
مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر
فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وانزل الاية فيهم

فبشرهم بعذاب اليم وجيع وانما ادخل الفاء على الباء على تقدير الفاء ان وتقديره الذين يكفرون ويقتلون فبشرهم لانه لا يقال ان زيدا فقائم اولئك الذين حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين بطلان العمل في الدنيا ان لا يقبل وفي الآخرة ان لا يجازى عليه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اليهود يدعون الى كتاب الله اختلفوا في هذا الكتاب قال قتادة هم اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه وروى الضحاك عن ابن عباس في هذه الاية ان الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلعم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وقال الآخرون هو التوراة وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلعم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلعم فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الاية وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلعم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلعم بيني وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول الله صلعم فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله صلعم بشئ من التورية فيها الرجم مكتوب فقال اقرأ فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلعم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلعم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا حظا من الكتاب التوراة يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم والغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شئ ما كانوا يفترون والافتراء اختلاق الكذب فكيف

اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه اي فكيف حالهم او كيف يصنعون اذا جامعناهم ليوم لا ريب فيه وهو يوم القيمة ووفيت وفرت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلعم سأل ربه ان يجعل ملك فارس والروم في امته فانزل الله عليه هذه الاية وقال ابن عباس وانس بن مالك لما افتتح رسول الله صلعم مكة وعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الاية قوله اللهم قيل يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقال قوم للميم فيه معنى ومعناه يا الله امنا بخير اي اقصدنا حذف منه حرف النداء كقولهم هلم الينا كان اصله هل ام الينا ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافا وربما خففوا ايضا فقالوا لاهم قوله مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقال الله تعالى في بعض الكتب انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد ان اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم تؤتي الملك من تشاء قال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ملك النبوة وقال الكلبي تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء ابي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء تنزعه من فارس والروم وقال السدي تؤتي الملك من تشاء آتى الله الانبياء عليهم السلام وامر العباد بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء نزعه من الجبارين وامر العباد بخلافهم وقيل تؤتي الملك من تشاء آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء ابليس وجنده وتعز من تشاء وتذل من تشاء قال عطاء تعز من تشاء المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمدا صلعم واصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء ابا جهل واصحابه حتى حزت رؤسهم والقوا في القليب وقيل تعز من تشاء بالايمان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة

والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع بيدك الخير اي بيدك الخير والشر فاكتفى
بذكر احدهما كما قال سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما انك على كل شيء
قدير تولج الليل في النهار اي تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة
والليل تسع ساعات وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار
تسع ساعات فما نقص من احدهما زاد في الآخر وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من
الحي قرأ اهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء ههنا وفي الانعام
ويونس والروم وفي الاعراف لبلد ميت وفي فاطر الى بلد ميت زاد نافع او من كان ميتا
ولحم اخيه ميتا والارض الميتة احييناها فشددها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب
الحي من الميت ولحم اخيه ميتا قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معنى الاية
يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقال عكرمة والكلبي يخرج
الحي من الميت اي الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير وقال الحسن وعطاء يخرج المؤمن
من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فالمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد قال
الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال الزجاج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج
اليابس من النبات الحي النامي وترزق من تشاء بغير حساب من غير تضييق
ولا تقتير وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم ان فاتحة الكتاب
وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل
اللهم مالك الملك معلقات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب لما اراد الله ان ينزلهن
قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرأكن احد
من عبادي دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولا سكنته حظيرة القدس
ولنظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة
ادناها المغفرة ولاعذته من كل عدو وحاسد ونصرته منهم لحارث بن عمير
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس كان الحجاج
بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم
فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء
اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية وقال

مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة وقال الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود
والمشركين ويأتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلعم فانزل الله هذه
الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم ومن يفعل ذلك اي موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار
هم على عورة المسلمين فليس من الله في شيء اي ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال
الا ان تتقوا منهم تقاة يعني الا ان تخافوا منهم مخافة وقرأ مجاهد ويعقوب تقية على
وزن بقية لانهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها بالالف مثل حصاة ونواة وهي مصدر يقال تقيته
تقاة وتقى وتقية وتقوى فاذا قلت اتقيت كان مصدره الاتقاء وانما قال تتقوا من الا
تقاء ثم قال تقية ولم يقل اتقاء لان معنى اللفظين اذا كان واحدا يجوز اخراج مصدر احدهما
على لفظ الآخر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا ومعنى الاية ان الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة
الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون
المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من
غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون
الا مع خوف القتل وسلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذا
رخصة فلو صبر حتى قتل فله اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم قال معاذ بن جبل ومجاهد
كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الا
سلام فليس ينبغي لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير
في ايام الحجاج ان الحسن كان يقول لكم التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال
سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في اهل الحرب ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم الله عقو
بته على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور والى الله المصير قل ان تخفوا ما
في صدوركم قلوبكم من مودة الكفار او تبدوه من موالاتهم قولا وفعلا يعلمه الله
وقال الكلبي ان تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلعم من التكذيب او تظهروه بحربه وقتاله
يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به ثم قال ويعلم رفع على الاستيناف ما في السموات وما في
الارض يعني اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار
وميلكم اليهم بالقلب والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس نصب يوما بنزع حرف الصفة اي في

اي في يوم وقيل باضمار فعل اي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
لم ينقص منه شيء كما قال ووجدوا ما عملوا حاضرا وما عملت من سوء جعله بعضهم خبرا
في موضع النصب اي تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعله بعضهم
خبرا مستانفا دليل هذا التاويل قراءة ابن مسعود وما عملت من سوء ودت لو ان بينها
وبينه تود لو ان بينها اي بين النفس وبينه يعني وبين السوء امدا بعيدا قال السدي
مكانا بعيدا وقال مقاتل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية التي ينتهي اليها وقال
الحسن يسر احدهم ان لا يلقى عمله ابدا وقيل يود انه لم يعمله ويحذركم الله نفسه والله رؤوف
بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس وقف النبي صلعم على قريش وهم في
المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها
الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسمعيل
فقالت له قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فقال الله قل يا محمد ان كنتم
تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته
عليكم اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم امره وايثار طاعته
وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابي لاصحابه
ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل
الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا اعرضوا عن طاعتهما فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال كل امتي يدخلون الجنة
الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وعن سعيد بن
ميناء قال حدثنا او سمعت جابر بن عبد الله جاءت ملائكة الى النبي صلعم وهو نائم فقال
بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا
مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان
فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها
مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب

الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المأدبة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم
وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد صلعم فمن اطاع
محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس ان الله اصطفى آدم
ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم
فانزل الله تعالى هذه الآية يعني ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم على غير دين الاسلام اصطفى
اختار افتعل من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم ابو البشر ونوحا وآل ابراهيم وآل
عمران قيل اراد بآل ابراهيم وآل عمران ابراهيم وعمران نفسهما كقوله تعالى وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقال الآخرون آل ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وكان محمد صلعم منهم من آل ابراهيم واما آل عمران فقال مقاتل هو عمران بن
يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وآله موسى وهرون وقال الحسن ووهب
هو عمران بن اشهم بن آمون من ولد سليمان بن داود وآله مريم وعيسى وقيل عمران
بن ماثان وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل كلهم من نسلهم على العالمين ذرية
اشتقاقها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لانه استخرجهم من صلب ابيهم آدم كالذر
ويسمى الآباء والاولاد ذرية فالابناء ذرية لانه ذرأهم والآباء ذرية لانه ذرأ الابناء
منهم قال الله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اي آباءهم ذرية نصب على معنى واصطفى
ذرية بعضها من بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر وقيل بعضها
على دين بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران وهي حنة بنت فاقوذا ام مريم
وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى وبينهما الف وثمانمائة سنة وكان
بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وقيل عمران بن اشهم رب اني نذر
ت لك ما في بطني محررا اي جعلت الذي في بطني محررا نذرا مني لك والنذر ما يوجبه الا
نسان على نفسه محررا اي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا اشغله
من الدنيا وكل ما اخلص لله فهو محرر يقال حررت العبد اذا اعتقته وخلصته عن الرق قال
الكلبي ومحمد بن اسحق وغيرهما كان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها
ويخدمها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيه وان احب ذهب حيث شاء
وان اراد ان يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن احد من الانبياء والعلماء الا ومن

نسله محرراً لبيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض
والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك ان زكريا وعمران تزوجا اختين
فكانت ايشاع بنت فاقوذا ام يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقوذا ام مريم عند عمران
وكان قد امسك عن حنة الولد حتى ايست وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينا هي في ظل
شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا
وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخدمه فحملت بمريم فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك
ما صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك انثى لا يصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك
فتقبل مني انك انت السميع العليم وهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اي ولدتها
اذا هي جارية والهاء في قوله وضعتها راجعة الى النذيرة لا الى ما ولذلك انثت قالت
حنة وكانت ترجو ان يكون غلاما رب اني وضعتها انثى اعتذارا الى الله عز وجل
والله اعلم بما وضعت بجزم التاء اخبار عن الله تعالى وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر
وابو بكر ويعقوب وضعت برفع التاء جعلوها من كلام ام مريم وليس الذكر كالانثى
في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض
والنفاس واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم اجمل النساء
في وقتها وافضلها واني اعيذها بك امنعها واجيرها بك وذريتها اولادها من
الشيطان الرجيم فالشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمي بالشهب وعن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد
فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة واني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم كل بني آدم يطعن
الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب
فتقبلها ربها بقبول حسن اي تقبل الله مريم من حنة مكان المحرر وتقبل بمعنى قبل
ورضي والقبول مصدر قبل يقبل قبولا مثل الولوع والوزوع ولم يات غير هذه
الثلاثة وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها وانبتها نباتا حسنا معناه
وانبتها فنبتت نباتا حسنا وقيل هذا مصدر على غير الصدر وكذلك قوله فتقبلها ربها بقبول

حسن ومثله شائع كقولك تكلمت كلاما وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
فتقبلها ربها بقبول اي سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا يعني سوى خلقها من غير زيادة
ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار
اخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ثم وضعتها عند الاحبار ابناء
هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم
زكريا انا احقكم بها عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس
بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا
تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم في الماء على ان
من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها وقيل كان على كل قلم اسم كل واحد منهم وقيل كانوا يكتبون
التورية فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم في الماء فارتز قلم زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت
اقلامهم ورسبت في النهر قاله محمد بن اسحق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى الماء
وجرت اقلامهم بجري الماء وقال السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه في طين
وجرت اقلامهم في جرية الماء فذهب بها الماء فسهمهم وقرعهم زكريا وكان رأس الاحبار ونبيهم
فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرأ حمزة والكسائي وعاصم بتشديد الفاء فيكون زكريا في محل النصب
اي ضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع اي
ضمها زكريا الى نفسه وقام بامرها وهو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان
بن داود وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون يمدونه فلما ضم
زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها ام
يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى
اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها
كل يوم كلما دخل عليها زكريا المحراب واراد بالمحراب الغرفة والمحراب اشرف المجالس
ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد ايضا محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى
اليه بدرج قال الربيع بن انس كان زكريا اذا خرج يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها
غرفتها وجد عندها رزقا اي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء
اي في غرفتها

في الصيف قال يا مريم انى لك هذا قال ابو عبيدة معناه من اين لك هذا وانكر بعضهم عليه
وقال معناه من اي جهة لك هذا لان انى للسؤال عن الجهة واين للسؤال عن المكان قالت
هو من عند الله اي من قطف الجنة قال الحسن حين ولدت مريم لم تلقم ثديا قط كان يأتيها رزقها
من الجنة فيقول لها زكريا انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب قال محمد بن اسحق ثم اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى
ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت
عن حمل ابنة عمران فايكم يكفلها بعدي قالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى
فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل نجار
من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه
شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل يرزق
بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في الكنيسة
انماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف
فيقول يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
قال اهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان يأتي مريم بالفاكهة في غير
حينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الولد
وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ واسن وايس من
الولد قال الله عز وجل هنالك اي عند ذلك دعا زكريا ربه فدخل المحراب واغلق الا
بواب وناجى ربه قال رب اي يا رب هب لي اعطني من لدنك اي من عندك ذرية طيبة
اي ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وانثى وهو هنا
واحد بدليل قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع
الدعاء اي سامعه وقيل مجيبه كقوله تعالى اني آمنت بربكم فاسمعون اي فاجيبون فنادته
الملائكة قرأ حمزة والكسائي فناديه بالياء والآخرون بالتاء فمن قرأ بالتاء فلتأنيث
لفظ الملائكة وللجمع مع ان المذكور اذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيها احسن
كقوله تعالى قالت الاعراب وعن ابرهيم قال كان عبد الله بن مسعود يذكر الملائكة في
القران قال ابو عبيدة انما نرى عبد الله اختار ذلك خلافا على المشركين في قولهم الملائكة بنات

13

الله وروى الشعبي ان ابن مسعود قال اذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء وذكروا
القران واراد بالملائكة هاهنا جبرائيل وحده كقوله في سورة النحل ينزل الملائكة يعني جبرائيل
بالروح يعني بالوحي ويجوز في العربية ان يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم سمعت هذا الخبر من
الناس وانما سمع من واحد نظيره قوله الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس
يعني ابا سفيان بن حرب وقال المفضل بن سلمة اذا كان القايل رئيسا يجوز الاخبار عنه بالجمع
لاجتماع اصحابه معه وكان جبرائيل رئيس الملائكة وقل ما يبعث الا ومعه جمع فجرى ذلك
وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربا
ن ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينا هو قائم يصلي في المحراب
يعني في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون ان يأذن لهم في الدخول اذا هو برجل شاب
عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبرائيل يا زكريا ان الله يبشرك قرأ ابن عا
مر وحمزة ان الله بكسر الالف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان
الله وقرأ الآخرون بالفتح بايقاع النداء عليه كانه قال فنادته الملائكة بان الله يبشرك
قرأ حمزة يبشرك وبابه بالتخفيف كل القران الا قوله فبم تبشرون فانهم اتفقوا على
تشديدها وافقه الكسائي هاهنا في موضعين وفي سبحان والكهف وعسق ووافق ابن كثير
وابو عمرو في عسق والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر تبشيرا وهو
اعرب اللغات وافصحها دليل التشديد قوله تعالى فبشر عبادي وبشرناه باسحق قالوا
بشرناك بالحق وغيرها من الآيات ومن خفف فهو من بشر يبشر وهي لغة تهامة وقراءة
ابن مسعود بيحيى هو اسم لا يجر لمعرفته وللزائد في اوله مثل يزيد ويعمر وجمعه يحيون
مثل موسون وعيسون واختلفوا في انه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى احيا
به عقر امه قال قتادة لان الله احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم
يعص ولم يهم بمعصية مصدقا نصب على الحال بكلمة من الله يعني عيسى عم كلمة لان الله
تعالى قال له كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لانه يهتدى
به كما يهتدى بكلام الله وقيل هي بشارة الله مريم بعيسى بكلامه على لسان جبرائيل
عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء بكلامه في كتبه انه يخلق نبيا بلا اب فسماه كلمة
لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى اول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى

بستة اشهر وكانا ابني الخالة ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى عليهما السلام وقال ابو عبيدة
بكلمة من الله اى بكتاب الله وآياته تقول العرب انشدني كلمة فلان اى قصيدته وسيدا
وهو فعيل من ساد يسود وهو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله قال المفضل اراد سيدا
في الدين قال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل
قال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم وقال قتادة سيد في العلم والعبادة والورع
وقيل الحليم الذي لا يغضبه شيء قال مجاهد الكريم على الله وقال الضحاك السيد التقي وقال
سفين الذي لا يحسد وقيل الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو القانع بما قسم الله له
وقيل هو السخي قال رسول الله صلعم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال
واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا ونبيا من الصالحين
الحصور اصله من الحصر وهو الحبس والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن
جبير وقتادة وعطاء والحسن الذي لا ياتي النساء ولا يقربهن وهو على هذا القول فعول
بمعنى فاعل يعني انه يحصر نفسه عن الشهوات وقال سعيد بن المسيب هو العنين الذي لا ماء له
فيكون الحصور بمعنى المحصور كانه ممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة
الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره وفيه قول آخر ان الحصور الممتنع من
الوطي مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين احدهما لان الكلام خرج مخرج
الثناء وهذا اقرب الى استحقاق الثناء والثاني انه ابعد من الحاق الآفة بالانبياء قال
رب اى يا سيدي قاله لجبريل هذا قول الكلبي وجماعة وقيل قاله لله عز وجل انى يكون
من اين يكون لي غلام اى ابن وقد بلغني الكبر هذا من المقلوب اى وقد بلغت الكبر
وشخت كما يقال بلغني الجهد اى انا في الجهد وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني واضعفني
قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين
سنة وقال الضحاك عن ابن عباس كان ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان
وتسعين سنة فذلك قوله وامرأتي عاقر اى عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامرأة عاقر
وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة قال كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم
زكريا بعد ما وعده الله انى يكون لي غلام اكان شاكا في وعد الله وفي قدرته قيل ان زكريا
لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله

انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما في سائر الامور فقال ذلك دفعا للو
سوسة قاله عكرمة والسدي وجواب آخر انه لم يشك في وعد الله انما شك في كيفيته اى كيف
ذلك اتجعلني وامرأتي شابين ام ترزقنا ولدا على الكبر ام ترزقني من امرأة اخرى فقال
مستفهما لا شاكا هذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية اى علامة اعلم بها وقت حمل امرأتي
فازيد في العبادة شكرا لك قال آيتك ان لا تكلم الناس تكف عن الكلام ثلثة
ايام وتقبل بكليتك على عبادتي لا انه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عنه وهو صحيح
سوي كما قال في سورة مريم ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا يدل عليه وسبح بالعشي
والابكار فامره بالذكر ونهاه عن كلام الناس وقال اكثر المفسرين عقل لسانه عن الكلام
مع الناس ثلثة ايام قال قتادة امسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد
مشافهة الملائكة اياه فلم يقدر على الكلام ثلثة ايام الا رمزا اى اشارة والاشارة
قد يكون باللسان وبالعين وباليد وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقال الفراء قد يكون
الرمز باللسان من غير ان يبين وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقال عطاء اراد
به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار قيل المراد بالتسبيح الصلوة والعشي ما بين زوال الشمس الى غروب
الشمس ومنه سمي صلوة الظهر والعصر العشي والابكار ما بين صلوة الفجر الى الضحى واذ
قالت الملائكة يعني جبرائيل يا مريم ان الله اصطفاك اختارك وطهرك قيل من مسيس
الرجال وقيل من الحيض والنفاس قال السدي كانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب
واصطفاك على نساء العالمين قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في انها
ولدت بلا اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وقيل بالتحرير في المسجد ولم تحرر انثى وعن علي
رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلعم خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها
خديجة بنت خويلد ورواه وكيع وابو معاوية عن هشام بن عروة واشار وكيع الى
السماء والارض وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلعم كمل من الرجال كثير ولم
يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وعن انس ان النبي صلعم قال حسبك من نساء العالمين
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون

يا مريم اقنتي لربك قالت لها الملائكة شفاها اي اطيعي ربك وقال مجاهد اطيلي
القيام في الصلوة لربك والقنوت الطاعة والقنوت طول القيام قال الاوزاعي لما قالت
لها الملائكة ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا واسجدي واركعي
قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود
في الشرايع كلها وليس الواو للترتيب بل للجمع يجوز ان يقول الرجل رايت زيدا وعمروا وان
كان قد راى عمروا قبل زيد مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات ليكون اعم واشمل فانه يدخل فيه
الرجال والنساء وقيل مع المصلين في الجماعة ذلك من انباء الغيب توجيه اليك رد الكناية
الى ما تقدم يقول لمحمد صلعم ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى من انباء اخبار
الغيب نوحيه اليك رد الكناية الى ذكر فلذلك ذكر وما كنت يا محمد لديهم اذ يلقون
اقلامهم سهامهم في الماء للاقتراع ايهم يكفل مريم يحضنها ويربيها وما كنت لديهم اذ
يختصمون في كفالتها اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم انما قال اسمه رد الكناية الى عيسى واختلفوا في انه لم سمي مسيحا منهم من قال
هو فعيل بمعنى المفعول يعني انه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه مسح بالبركة
وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبرائيل بجناحه حتى لم يكن للشيطان
عليه سبيل وقيل لانه كان مسيح القدم لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه كان ممسوح احدى
العينين وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم قال ابن عباس سمي مسيحا
لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ وقيل سمي بذلك لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم في مكان
وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة وقال ابرهيم النخعي المسيح الصديق ويكون بمعنى الكذا
ب وبه سمي الدجال والحرف من الاضداد وجيها اي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر في الدنيا
بالنبوة والتقديم على الناس وفي الآخرة بالشفاعة وارتفاع درجته في الجنة ومن
المقربين عند الله ويكلم الناس في المهد صغيرا قبل اوان الكلام كما ذكره في سورة
مريم قال اني عبد الله آتاني الكتاب الاية وحكي عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا
خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع وكهلا
قال مقاتل يعني اذا اجتمع قبل ان يرفع الى السماء وقال الحسين بن الفضل وكهلا بعد نزوله من
السماء وقيل اخبر انه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة اخباره عن الاشياء المعجز وقيل وكهلا

نبيا بشرها بنبوة عيسى وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة وقال مجاهد وكهلا اي
حليما والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة
الراي والتجربة ومن الصالحين اي هو من العباد الصالحين قالت رب يا سيدي تقوله
لجبرائيل وقيل تقوله لله عز وجل انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم يصبني رجل قالت
ذلك تعجبا اذ لم يكن جرت العادة بان يولد ولد لا اب له قال كذلك الله يخلق ما يشاء
اذا قضى امرا اراد كون شيء فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب قرا اهل المدينة
وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل رده على قوله ان الله يبشرك
ونعلمه وقرا الآخرون بالنون على التعظيم لقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك قوله الكتاب
اي الكتابة والخط والحكمة العلم والفقه والتورية والانجيل علمه التورية والانجيل
ورسولا اي ونجعله رسولا الى بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال
انى قال الكسائي انما فتح انى لانه اوقع الرسالة عليه وقيل معناه باني قد جئتكم باية علامة
من ربكم تصدق قولي وانما قال باية وقد اتى بآيات لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه
في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني اسرائيل قالوا وما هي قال اني قرا نافع بكسر الالف على الاستيناف
وقرا الباقون بالفتح على معنى باني اخلق اي اصور لكم من الطين كهيئة الطير قرا ابو جعفر
كهيئة الطاير ههنا وفي المائدة والهيئة الصورة المهياة من قولهم هيات الشيء اذا قدرته
واصلحته فانفخ فيه اي في الطين فيكون طيرا باذن الله قرا الاكثرون بالجمع لانه خلق طيرا
كثيرة وقرا اهل المدينة ويعقوب فيكون طايرا على الواحد ههنا وفي سورة المائدة ذهبوا الى
نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه اكمل الطير خلقا لان
لها ثديا واسنانا وهي تحيض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فا
ذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم ان الكمال لله عز وجل وابرئ
الاكمه والابرص اي اشفيهما واصححهما واختلفوا في الاكمه قال ابن عباس وقتادة هو
الذي ولد اعمى وقال الحسن والسدي هو الاعمى وقال عكرمة هو الاعمش وقال مجاهد هو
الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص الذي به وضح وانما خص هذين لانهما عياءان وكان الغالب
على زمن عيسى الطب فاراهم الله المعجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى عم
من المرضى في اليوم الواحد خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه ومن لم يطق مشى اليه

عيسى وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ قال ابن عباس قد
أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فأما عازر فكان
صديقا له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك عازر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة
أيام فأتاه هو وأصحابه فوجده قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته انطلقي بنا إلى قبره
فانطلقت معهم إلى قبره فدعا الله فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له وأما
ابن العجوز مرّ به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق
الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له وأما ابنة العا
شر كان رجلا يأخذ العشور ماتت له بنت بالأمس فدعا الله عز وجل فأحياها فبقيت وولد لها
وأما سام بن نوح فإن عيسى جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب
نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيامة قال
لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم ثم قال له مت قال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله
ففعل ﴿وأنبئكم﴾ أخبركم ﴿بما تأكلون﴾ مما لم أعاينه ﴿وما تدخرون﴾ ترفعونه ﴿في بيوتكم﴾ حتى تأكلوه
وقيل كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء وقال السدي كان
عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا
وكذا ورفعوا لك كذا فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من
أخبرك بهذا فيقول قال عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم
في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا فقال في هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى
كذلك يكونون ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير ففشى ذلك في بني إسرائيل فهمت به بنو إسرائيل فلما
خافت عليه أمه حملته على حمير لها وخرجت به هاربة إلى مصر وقال قتادة إنما كان هذا في
المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالمن والسلوى وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبئوا
للغد فخانوا وخبأوا فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة وبما ادخروا منه فمسخهم الله
خنازير ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ﴿ومصدقا﴾ عطف على
قوله ورسولا ﴿لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ من اللحوم
والشحوم وقال أبو عبيدة أراد بالبعض الكل يعني الكل الذي حرم عليكم وقد يذكر البعض ويراد به
الكل كقول لبيد: تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها يعني كل النفوس

﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ يعني ما ذكرنا من الآيات وإنما وحّد لأنها كلها جنس واحد في الدلالة
على رسالته ﴿فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾
قوله ﴿فلما أحس عيسى﴾ أي وجد قاله الفراء وقال أبو عبيدة عرف وقال مقاتل رأى ﴿منهم الكفر﴾ وأرا
دوا قتله فاستنصر عليهم ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ قال السدي كان سبب ذلك أن عيسى لما
بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة نفته بنو إسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه
يسيحان في الأرض فنزل في قرية على رجل فأضافهم وأحسن إليهم وكان لتلك المدينة جبار
متعدٍّ فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما
شأن زوجك أراه حزينا قالت لا تسأليني قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت
إن لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر فإن لم يفعل عاقبه
واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم فإني آمر ابني فيدعو له فيكفي
ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى إن فعلت ذلك وقع شر قالت فلا تبالي
فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له إذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك
ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي
خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب قال من أين هذا الخمر قال من
أرض كذا قال الملك فإن خمري من تلك الأرض وليست مثل هذه قال هي من أرض
أخرى فلما خلط على الملك واشتد عليه قال فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئا إلا
أعطاه إياه وإنه دعا الله فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك
بأيام وكان أحب الخلق إليه فقال إن رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن له حتى
يحيي ابني فدعا عيسى فكلمه في ذلك فقال عيسى لا تفعل فإنه إن عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي
أليس أراه فقال عيسى فإن أحييته تتركوني وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله
فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى
إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكل أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى
وأمه فمرّا بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال
أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن أنت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله من
أنصاري إلى الله فآمنوا به وانطلقوا معه قوله تعالى ﴿من أنصاري إلى الله﴾ قال السدي وابن
جريج

مع الله يقول القرب الذود الى الذود ابل اى مع الذود كما قال تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم اى مع اموالكم قال الحسن وابو عبيدة الى بمعنى فى اى من اعوانى فى الله فى ذات وسبيله وقيل
الى فى موضعه معناه من يضم نصرته الى نصرة الله لى واختلفوا فى الحواريين قال مجاهد والسدى
كانوا صيادين يصطادون السمك سموا حواريين لبياض ثيابهم وقيل كانوا ملاحين وقال الحسن
كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقال عطاء سلمت
مريم عيسى الى اعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته
الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة
وانا خارج فى سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت على كل
واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فيجب ان تكون فارغا منها وقت قدومى وخرج فطبخ
عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك فقدم
الحوارى والثياب كلها فى الجب فقال ما فعلت فقال فرغت منها قال اين هى قال فى الجب قال
كلها قال نعم قال لقد افسدت تلك الثياب فقال قم فانظر فاخرج عيسى ثوبا احمر وثوبا اخضر
وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التى ارادها فجعل الحوارى يتعجب وعلم ان ذلك من الله فقال
للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه فهم الحواريون وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء
قلوبهم وقال ابن المبارك سموا به لما عليهم من اثر العبادة ونورها واصل الحور عند العرب شدة
البياض يقال رجل احور وامراة حوراء اى شديدة بياض العين وقال الكلبى وعكرمة الحواريون
هم الاصفياء وهم كانوا اصفياء عيسى وكانوا اثنى عشر رجلا قال روح بن القاسم سالت
قتادة عن الحواريين قال هم الذين تصلح لهم الخلافة وعنه انه قال الحواريون هم الوزراء وقال
الحسن الحواريون الانصار والحوارى فى كلام العرب خاصة الرجل الذى يستعين به فيما ينوبه
عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ندب النبى صلعم الناس يوم الخندق فانتدب
الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فقال النبى صلعم لكل نبى حوا
رى وحوارى الزبير قال سفين الحوارى الناصر قال معمر قال قتادة ان الحواريين كلهم من
قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم
قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دين الله ورسوله آمنا بالله واشهد يا عيسى بانا

مسلمون ربنا آمنا بما انزلت من كتابك واتبعنا الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين
الذين شهدوا للانبياء بالصدق وقال عطاء مع النبيين لان كل نبى شاهد امته وقال
ابن عباس مع محمد وامته لانهم يشهدون للرسل بالبلاغ ومكروا يعنى كفار بنى اسرا
ئيل الذين احس عيسى منهم الكفر ودبروا فى قتل عيسى وذلك ان عيسى بعد اخراج قومه
اياه وامه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به
فذلك مكرهم قال الله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فالمكر من المخلوقين الخبث
والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال سنستد
رجهم من حيث لا يعلمون وقال الزجاج مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم
الابتداء لانه فى مقابلته كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم ومكر الله تعالى خاصة بهم فى
هذه الآية القاؤه الشبه على صاحبهم الذى اراد قتل عيسى قيل قال الكلبى عن ابى صالح عن
ابن عباس ان عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى
ذلك يهوذا راس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته واجتمعت كلمة اليهود على قتل
عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبرائيل فادخله خوخة فى سقفها روزنة فرفعه الله
الى السماء من تلك الروزنة فامر يهوذا راس اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس
ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقى
الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب طرقوا عيسى فى بعض
الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض فارسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه
فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعنى
بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود فقال
لهم ما تجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل
البيت القى الله عليه شبه عيسى فرفع عيسى واخذ الذى دلهم عليه فقال انا الذى دللتكم
عليه فلم يلتفتوا الى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت
مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب
فجاءهما عيسى فقال لهما علام تبكيان ان الله رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شبه لهم

فلما كان بعد سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم المجدلانية في جبلها فانه
لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض
دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحوا
ريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى
فلما اصبح الحواريون حدث كل منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين وقال السدي ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم
رجل منهم فالقى عليه شبهه وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذ
ف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى
ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة
فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا قال اهل التواريخ حملت مريم
بعيسى ولها ثلث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس
وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله اليه على راس ثلثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة
وكانت نبوته ثلث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين اذ قال الله يا
عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى التوفي ههنا قال الحسن والكلبي وابن جريج
اني قابضك ورافعك من الدنيا الي من غير موت يدل عليه قوله عز وجل فلما توفيتني اي
قبضتني الى السماء وانا حي لان قومه تنصروا بعد رفعه لا بعد موته فعلى هذا للتوفي تاويلان
احدهما اني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته اذا
اخذته تاما والآخر اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته وقال الربيع بن انس
المراد بالتوفي النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى السماء معناه اني منيمك ورافعك
الي كما قال وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم وقال بعضهم المراد بالتوفي الموت روى علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس ان معناه اني مميتك يدل عليه قوله قل يتوفاكم ملك الموت فعلى هذا
له تاويلان احدهما ما قال وهب توفى الله عيسى ثلث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقال
محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه
والآخر ما قال الضحاك وجماعة ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك

من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وروي عن ابي هريرة عن النبي صلعم
في نزول عيسى قال ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال فيمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن
قال قوله وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء ومطهرك من
الذين كفروا اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه
واتبعوا دينه في التوحيد من امة محمد صلعم فهم فوق الذين كفروا ظاهرين بالعزة
والمنعة والحجة وقال الضحاك يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل هم الروم وقيل اراد بهم
النصارى فهم فوق اليهود الى يوم القيمة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم الى
قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا اتباع الدين ثم
الي مرجعكم في الآخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من الدين وامر عيسى فاما
الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والجزية والذلة والآخرة اي
في الآخرة بالنار وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
قرا الحسن وحفص بالياء والباقون بالنون اي نوفي اجور اعمالهم والله لا يحب الظالمين
اي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل ذلك اي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى
ومريم والحواريين نتلوه عليك نخبرك به بتلاوة جبريل عليك من الآيات والذكر الحكيم
يعني القرآن اي الذكر ذي الحكمة وقال مقاتل الذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل وقيل الذكر
الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضاء وقيل من الآيات اي العلا
مات الدالة على نبوتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وانت امي
لا تقرا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم نزلت في وفد نجران وذلك انهم قالوا لرسول الله صلعم
ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد الله قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله
عز وجل ان مثل عيسى عند الله عز وجل في كونه خلقا من غير اب كمثل آدم في كونه خلقا من غير اب وام

خلقه من تراب ثم قال له يعني لعيسى كن فيكون يعني فكان فان قيل ما معنى قوله ثم قال له
كن ولا تكوين بعد الخلق قيل معناه خلقه ثم اخبركم اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في
الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول الرجل اعطيتك اليوم درهما ثم اعطيتك امس درهما
اي ثم اخبرك اني اعطيتك امس درهما وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس لان
القياس هو رد فرع الى اصل بنوع شبه وقد رد الله تعالى خلق عيسى الى آدم بنوع شبه
الحق من ربك هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك فلا تكن من الممترين الشاكين الخطاب مع النبي
صلعم والمراد منه امته فمن حاجك فيه اي جادلك في عيسى او في الحق من بعد ما جاءك من العلم بان
عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا واصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على
الياء فحذفت قال الفراء معنى تعالى كانه يقول ارتفع قوله ندع جزم بجواب الامر وعلامة
الجزم سقوط الواو ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم قيل
ابناءنا اراد الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وانفسنا عنى نفسه وعليا والعرب تسمي ابن
عم الرجل نفسه كما قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم يريد اخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة اهل
الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقال الكلبي نجتهد ونبالغ في الدعاء
وقال الكسائي وابو عبيدة نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنته
فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في امر عيسى فلما قرأ رسول الله صلعم هذه
الآية على وفد نجران دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم نأتيك غدا فخلا
بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل والله ما لاعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم
ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم على ما انتم عليه من القول في
صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا رسول الله صلعم محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من
مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا
يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول
الله صلعم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال

فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا
تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب
فصالحهم رسول الله صلعم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب قد تدلى على اهل نجران ولو
تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله
حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا قال الله تعالى ان هذا لهو القصص
الحق وما من اله الا الله ومن صلة تقديره وما اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم
فان تولوا اعرضوا عن الايمان فان الله عليم بالمفسدين الذين يعبدون غير الله
ويدعون الناس الى عبادة غير الله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في ابراهيم
عم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان
يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال لهم رسول الله صلعم كلا الفريقين بريء من
ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت
اليهود يا محمد ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصا
رى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة
سواء عدل بيننا وبينكم مستوية اي امر يقال دعا فلان الى السواء اي الى النصف وسواء
كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى فرآه في سواء الجحيم وانما قيل للنصف سواء لان اعدل الامو
ر وافضلها اوسطها وسواء نعت الكلمة الا انه مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع ولا
تؤنث فاذا فتحت السين مددت واذا كسرت او ضممت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم
فسر الكلمة فقال ان لا نعبد الا الله ومحل ان رفع على اضمار هي وقال الزجاج رفع
بالابتداء وقيل محله نصب بنزع حرف الصفة معناه بان لا نعبد الا الله وقيل محله خفض
بدلا من الكلمة اي تعالوا الى ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله كما فعلت اليهود والنصارى قال الله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبا
نهم اربابا من دون الله وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض اي لا نسجد لغير الله وقيل معناه
لا نطيع احدا في معصية الله فان تولوا فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون مخلصون بالتوحيد

روى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبد الله بن عباس اخبره ان ابا
سفيان بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام
في المدة التي كان رسول الله صلعم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء
فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلعم الذي بعث به دحية الى
عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم
تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • يا اهل الكتاب لم تحا
جون في ابراهيم • تزعمون انه كان على دينكم وانما دينكم اليهودية والنصرانية وقد
حدثت اليهودية بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل • وما انزلت التو
رية والانجيل الا من بعده • اى بعد ابراهيم بزمان طويل وكان بين ابراهيم وموسى
الف سنة وبين موسى وعيسى الفا سنة • افلا تعقلون • بطلان دينكم • ها انتم • بتليين الهمز
حيث كان مدنى وابو عمرو والباقون بالهمز واختلفوا في اصله فقال بعضهم اصله انتم
وها تنبيه وقال الاخفش اصله اانتم فقلبت الهمزة الاولى هاء كقولهم هرقت الماء
واراقت • هؤلاء • اصله اولاء دخلت عليه هاء التنبيه وهو في موضع النداء يعني يا هؤلاء
انتم • حاججتم • جادلتم • فيما لكم به علم • يعني في امر موسى وعيسى وادعيتم انا على دينهما وقد انزل
التورية والانجيل عليكم • فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم • يعني في ابراهيم وليس في كتابكم انه
كان يهوديا او نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعني في امر محمد لانهم وجدوا نعته في كتا
بهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون في ابراهيم وليس في كتابكم ولا علم لكم به • والله يعلم
وانتم لا تعلمون • ثم برأ الله ابراهيم عما قالوا فقال • ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين • والحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين
المستقيم وقيل الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل الكعبة وهو اسهل
الاديان واحبها الى الله عز وجل • ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه • اى من اتبعه
في زمانه • وهذا النبي • يعني محمدا صلعم • والذين آمنوا • يعني من هذه الامة • والله ولي

المؤمنين • روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده
حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلعم الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلعم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش
في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا ممن قتل منكم ببدر
فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك
رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدايا الادم وغيره
فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك
ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا
عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا
كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم
احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك
ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون
لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما
حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح
فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العا
ص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما
ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا
لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من
الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان
فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة
فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب
الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب
ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر
للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا

فاذن دخلنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي فهل عليهم
من العبودية شيء قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا
ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي
يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم
قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره
فبعثنا اليك قومنا لتدفعهم فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه
اصدقني قال جعفر اما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد
الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب
مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر
النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي
انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا
اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي
لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا بان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت
عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة
الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من
سواكه قدر ما تقذى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه
فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي آمنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا
فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء
الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا في دين ابراهيم
ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان
الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل ذلك
اليوم على رسول الله صلعم في خصومتهم في ابراهيم وهو بالمدينة قوله عز وجل ان اولى الناس بابراهيم

للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل
الكتاب نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم
اليهود الى دينهم فنزلت ودت تمنت طائفة جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود
لو يضلونكم عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله يعني القرآن وبيان نعت محمد صلعم وانتم تشهدون
ان نعته مذكور في التوراة والانجيل يا اهل الكتاب لم تلبسون تخلطون الحق بالباطل
الاسلام باليهودية والنصرانية وقيل لم تخلطون الايمان بعيسى وهو الحق بالكفر بمحمد وهو
الباطل وقيل التوراة التي انزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بايديكم
وتكتمون الحق وانتم تعلمون ان محمدا رسول الله ودينه حق وقالت طائفة من اهل
الكتاب آمنوا قال الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة
وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم
اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس
بذاك وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم واتهموه وقالوا انهم اهل
كتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في شان
القبلة لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا
بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم
آخر النهار لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله
رسوله صلعم على سرهم وانزل وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار اوله سمي وجها لانه احسنه واول ما يواجه الناظر فيراه واكفروا
آخره لعلهم يشكون ثم يرجعون عن دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل
بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي
وافق ملتكم واللام في لمن صلة اي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى عسى
ان يكون ردف لكم اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله هذا خبر من الله تعالى ان البيان بيانه ثم
اختلفوا فمنهم من قال هذا الكلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبارا
عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعناه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا

أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم من الحكمة والكتاب والآيات من المنّ والسلوى وفلق
البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصحّ دينا منهم و
معنى قول مجاهد وقيل إن اليهود قالت لسفلتهم لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى
مثل ما أوتيتم من العلم أي لئلا يؤتى أحد ولا فيه مضمر كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا
يقول لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم ولئلا يحاجوكم عند ربكم
فيقولون عرفتم أن ديننا حق وهذا معنى قول ابن جريج وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر
الألف فيكون قول اليهود تاما عند قوله إلا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى يقول قل يا
محمد إن الهدى هدى الله إن يؤتى إن بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد
أو يحاجوكم يعني إلا أن يحاجكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم عند ربكم أي
فعلى ربكم ذلك وهذا قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل قال الفراء ويجوز أن يكون أو
بمعنى حتى كما يقال تعلّق به أو يعطيك حقك أي حتى يعطيك حقك ومعنى الآية ما أعطي أحد مثل ما
أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على
الاستفهام وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود
من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله
تعالى يقول قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه
وكفرتم به قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع
إلى خطاب المؤمنين ويكون أو بمعنى إن لأنهما حرفا شرط وجزاء ويوضع أحدهما موضع الآخر
وإن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه ويجوز
أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين
حسدوكم فقل إن الفضل بيد الله وإن حاجوكم فقل إن الهدى هدى الله ويجوز أن يكون الخبر
عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب
المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول لا تصدقوا يا معشر ال
مؤمنين إلا من تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصد
قوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبيس

اليهود لئلا يرتابوا يختص برحمته بنبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل
الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك نزلت في اليهود وأخبر الله تعالى أن فيهم أما
نة وخيانة والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن القليل يقول منهم من
يؤدي الأمانة وإن كثرت ومنهم من لا يؤديها وإن قلّت قال مقاتل ومن أهل الكتاب
من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك هم مؤمنوا أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه
ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك يعني كفار أهل الكتاب كعب بن الأشرف
وأصحابه وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل ومن أهل الكتاب من
إن تأمنه بقنطار يؤده إليك يعني عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية
من ذهب فأداها ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك يعني فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فخانه قوله يؤده إليك قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة يؤده
ولا يؤده ونوله ونصله ونؤته ساكنة الهاء وقرأ أبو جعفر وقالون ويعقوب
بالاختلاس كسرا والباقون بالإشباع كسرا فمن سكّن الهاء قال لأنها وضعت في موضع الجزم
وهو الياء الذاهبة ومن اختلس فاكتفى بالكسرة عن الياء ومن أشبع فعلى الأصل في الهاء الإشباع
إلا ما دمت عليه قائما قال ابن عباس ملحّا يريد يقوم بطالبه بالإلحاح قال الضحاك
مواظبا أي تواظب عليه بالاقتضاء وقيل أراد أن أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه
لم تفارقه ردّه عليك وإن فارقته وأخرته أنكره ولم يردّه ذلك أي ذلك الاستحلال والخيانة
بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي في مال العرب إثم وحرج كقوله ما على المحسنين
من سبيل وذلك أن اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لأنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في
كتابنا وكانوا يستحلّون ظلم من خالفهم في دينهم وقال الكلبي قالت اليهود إن الأموال كلها كا
نت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم وقال
الحسن وابن جريج ومقاتل بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم
بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم فانقطع العهد بيننا
وبينكم وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون ثم قال ردا عليهم بلى أي ليس كما قالوا بل عليهم سبيل ثم ابتدأ فقال
من أوفى أي ولكن من أوفى بعهده أي بعهد الله الذي عهده إليه في التوراة من الإيمان بمحمد صلعم

شرط مبتدأ خبره أوفى بعهده وجواب الشرط فإن الله

وبالقران واداء الامانة وقيل الهاء راجعة الى الموفى واتقى الكفر والخيانة ونقض العهد فان
الله يحب المتقين عن عبد بن عمرو ان النبي صلعم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان
فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا
عاهد غدر ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت في
اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شأن محمد صلعم وبدلوه وكتبوه بايديهم غيره وحلفوا
انه من عند الله لئلا تفوتهم الماكل والرشى التي كانت لهم من اتباعهم وعن عبد الله قال قال
رسول الله صلعم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل
الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا الى اخر الاية فدخل الاشعث بن قيس
فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمن فقالوا كذا وكذا فقال فيّ انزلت كانت لي بئر في ارض ابن عم لي
فاتيت رسول الله صلعم فقال بينتك او يمينه قلت اذا يحلف عليها يا رسول الله فقال رسول الله صلعم
من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرء مسلم لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان
وعن علقمة بن وائل بن حجر عن ابيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي صلعم فقال
الحضرمي يا رسول الله ان هذا قد غلبني على ارض لي كانت لابي فقال الكندي هي ارضي في يدي
ازرعها ليس له فيها حق فقال النبي للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه قال يا رسول الله انه
فاجر لا يبالي على ما حلف عليه قال ليس لك منه الا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلعم لما
ادبر اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض ورواه عبد الملك بن
عمير عن علقمة وقال هو امرء القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان وروي
انه لما هم ان يحلف نزلت هذه الاية فامتنع امرء القيس ان يحلف واقر لخصمه ودفع اليه حقه
وعن ابي امامة ان رسول الله صلعم قال من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب
له النار قالوا وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله وان كان قضيبا من اراك قالها ثلث مرات
وعن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله بالله لقد اعطى بها ما
لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
قوله تعالى ان الذين يشترون اي يستبدلون بعهد الله واداء الامانة وايمانهم الكاذبة ثمنا قليلا
اي شيئا من حطام الدنيا اولئك لا خلاق لهم اي لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها
ولا يكلمهم الله كلاما ينفعهم ويسرهم وقيل هو بمعنى الغضب كما يقول الرجل لا اكلم فلانا اذا

كان تغضبت عليه ولا ينظر اليهم يوم القيمة اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا
ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب اليم عن
ابي ذر عن النبي صلعم قال ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم فقراها رسول الله صلعم ثلث مرات فقال ابو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله
قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره عن ابي هريرة
عن النبي صلعم قال ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على يمين على مال
مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر انه اعطي بسلعته اكثر مما اعطي وهو كاذب
ورجل منع فضل ماء فان الله تعالى يقول اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل
يداك وان منهم يعني من اهل الكتاب لفريقا طائفة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو والشاعر يلوون السنتهم بالكتاب
اي يعطفون السنتهم بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبي صلعم واية الرجم وغير ذلك
يقال لوى لسانه عن كذا اي غيره لتحسبوه اي لتظنوا ما حرفوا من الكتاب الذي انزل الله
عز وجل وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون وقال الضحاك عن ابن عباس ان الاية نزلت في
اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التورية والانجيل والحقوا بكتاب الله ما ليس منه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب قال مقاتل والضحاك ما كان لبشر يعني عيسى
وذلك ان نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال تعالى ما كان
لبشر يعني عيسى ان يؤتيه الله الكتاب الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر يعني
محمدا صلعم ان يؤتيه الله الكتاب اي القران وذلك ان ابا رافع القرظي من اليهود والرئيس
من نصارى اهل نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نأمر
بعبادة غير الله ما بذلك بعثني الله ولا بذلك امرني فانزل هذه الاية ما كان لبشر
اي ما ينبغي لبشر كقوله تعالى ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي ما ينبغي لنا والبشر جميع بني ادم
لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع والحكم الفهم والعلم وقيل
امضاء الحكم عن الله عز وجل والنبوة المنزلة الرفيعة بالانبياء ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين اختلفوا فيه قال علي وابن
عباس

والحسن كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة حكماء علماء، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس
فقهاء معلمين، وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء علماء حكماء
نصحاء لله في خلقه، وعن سعيد بن جبير قال الرباني العالم الذي يعمل بعلمه، قال ابو عبيد سمعت
رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي العارف بانباء الامة ما
كان وما يكون، وقيل الربانيون فوق الاحبار، والاحبار العلماء، والربانيون الذين
جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس، قال المؤرج كونوا ربانيين تدينون لربكم
الربوبية كان في الاصل ربي فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما
قيل صنعاني وبهراني، وقال المبرد هم ارباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون
به ويربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره، وكل من قام باصلاح شيء واتمامه فقد ربه يربه
وواحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وعريان ثم ضمت اليه ياء النسبة
كما قالوا لحياني ورقباني، وحكي عن علي انه قال هو الذي يرب علمه بعمله، قال محمد بن
الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة «بما كنتم» اي بما انتم كقوله من
كان في المهد صبيا اي من هو في المهد «تعلمون الكتاب» قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
تعلّمون بالتشديد من التعليم، وقرأ الآخرون تعلَمون بالتخفيف كقوله «وبما كنتم تدرسون» اي
تقرؤون «ولا يأمركم» قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول اي
ولا يأمر ذلك البشر، وقيل على اضمار ان اي ولا ان يأمركم ذلك البشر، وقرأ
الباقون بالرفع على الاستئناف معناه ولا يأمركم الله، وقال ابن جريج وجماعة ولا يأمركم محمد
«ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا» كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات
الله، واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا «أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون» قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا «واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة» قرأ حمزة لما بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر اللام فهي لام الاضافة
دخلت على ما ومعناه للذي يريد للذي آتيتكم اي اخذ ميثاق النبيين لاجل الذي آتاهم من
الكتاب والحكمة يعني انهم اصحاب الشرائع، ومن فتح اللام فمعناه للذي آتيتكم بمعنى الخبر، وقيل
بمعنى الجزاء اي لئن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب الجزاء قوله «لتؤمنن به»، قوله «آتيتكم» قرأ نافع
واهل المدينة «آتيناكم» على التعظيم كما قال «وآتينا داود زبورا» «وآتيناه الحكم صبيا»، وقرأ الآخرون

بالتاء لموافقة الخط ولقوله «وانا معكم»، واختلفوا في المعنى بهذه الآية، فذهب قوم الى ان الله
تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده وان يصدق
بعضهم بعضا، واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه
وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه، فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى
ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلعم، وقال الآخرون انما اخذ الميثاق منهم في امر محمد صلعم، فعلى هذا
اختلفوا، منهم من قال انما اخذ الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل منهم النبيين، وهذا قول
مجاهد والربيع، الا ترى الى قوله «ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه» وانما كان محمد صلعم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين، يدل عليه ان في قراءة
عبد الله بن مسعود وابي بن كعب «واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب»، واما القراءة المعروفة
فيه فاراد الله اخذ ميثاق النبيين ان يأخذوا الميثاق على اممهم ان يؤمنوا بمحمد صلعم ويصدقوه
وينصروه ان ادركوه، وان لم يدركوه ان يأمروا اقوامهم بنصرته ان ادركوه، وقال
بعضهم اراد اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلعم، فاكتفى بذكر الانبياء
لان العهد مع المتبوع عهد على الاتباع، وهذا معنى قول ابن عباس، وقال علي بن ابي طالب لم
يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد واخذ العهد على قومه ليؤمنن
به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه، قوله تعالى «ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم» يعني محمدا صلعم
«لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم» قال يعني الله تعالى للانبياء حين استخرج الذرية من
صلب آدم عم والانبياء فيهم كالمصابيح والسرج واخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلعم فقال
«أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري» اي قبلتم على ذلكم عهدي، والاصر العهد الثقيل «قالوا
اقررنا قال» اي الله تعالى «فاشهدوا» اي فاشهدوا انتم على انفسكم وعلى اتباعكم «وانا معكم
من الشاهدين» عليكم وعليهم، وقال ابن عباس فاشهدوا اي فاعلموا، وقال سعيد بن
المسيب قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم، كناية عن غير مذكورين «فمن تولى بعد ذلك»
الاقرار «فاولئك هم الفاسقون» العاصون الخارجون عن الايمان «أفغير دين الله يبغون»
وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد انه على دين ابراهيم فاختصموا الى رسول الله
فقال النبي صلعم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم عم، فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك
ولا نأخذ بدينك، فانزل الله تعالى «أفغير دين الله يبغون»، قرأ ابو جعفر واهل البصرة وحفص

عن عاصم يبغون بالياء لقوله تعالى فاولئك هم الفاسقون وقرا الآخرون بالتاء لقوله تعالى ولما آتيتكم
ولهُ اسلم خضع وانقاد من في السموات والارض طوعا وكرها فالطوع الانقياد
والاتباع بسهولة والكره ما كان بمشقة وإباء من النفس واختلفوا في قوله طوعا وكرها قال الحسن
اسلم اهل السموات طوعا واسلم من في الارض طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبي
قال مجاهد طوعا المؤمن وكرها ظل الكافر بدليل قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى
فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها وقال قتادة المؤمن اسلم طوعا فنفعه والكافر اسلم كرها
في وقت الباس فلم ينفعه قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقال الشعبي
هو استعاذتهم به عند اضطرارهم كما قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وقال الكلبي طوعا الذي ولد في الاسلام وكرها الذين اجبروا على الاسلام ممن يسبى
فيجاء بهم في السلاسل واليه يرجعون بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرا يبغون بالياء
وقرا الباقون بالتاء فيهما الا ابو عمرو فانه قرا يبغون بالياء وترجعون بالتاء لان الاول
خاص والثاني عام لان مرجع جميع الخلق الى الله عز وجل قل آمنا بالله وما انزل علينا
وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ذكر الملل والاديان واضطراب
الناس فيها ثم امر رسول الله صلعم ان يقول آمنا بالله الاية ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه نزلت في اثنا عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا
مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري فنزلت فيهم ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
لفظه استفهام ومعناه جحد اي لا يهدي الله وقيل معناه كيف يهديهم الله في الآخرة الى الجنة
والثواب وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات على صدق محمد صلعم والله لا يهدي
القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين
فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم وذلك ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم
فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلعم هل لي من توبة ففعلوا ذلك فانزل الله

تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور لما كان منه فحملها اليه رجل من
قومه فقراها عليه فقال الحارث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلعم لاصدق منك
وان الله عز وجل لاصدق الثلثة فرجع الحارث الى المدينة واسلم وحسن اسلامه ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون
قال قتادة والحسن نزلت في اليهود كفروا بعيسى عم والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد صلعم والقرآن وقال ابو العالية نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد
صلعم لما راوه بعد ايمانهم بنعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم
قال مجاهد نزلت في جميع الكفار اشركوا بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا اي
اقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل ازدادوا كفرا كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا وقيل
ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون قال الكلبي نزلت في الاحد عشر من اصحاب
الحارث بن سويد لما رجع الحارث الى الاسلام اقاموا على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما
بدا لنا فمتى اردنا الرجعة ينزل فينا ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلعم مكة فمن
دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات كافرا ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فان قيل قد وعد الله تعالى قبول توبة من تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم اذا وقعوا
في الحشرجة كما قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن وقيل هذا في اصحاب الحارث بن سويد حيث اعرضوا عن الاسلام
وقالوا نتربص بمحمد فان ساعده الزمان نرجع الى دينه لن يقبل ذلك منهم لانهم متربصون
غير محققين فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ
الارض من شرقها الى غربها ذهبا نصب على التفسير كقولهم عشرون درهما ولو افتدى
به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين وعن انس بن مالك عن النبي صلعم قال الله لاهون اهل النار عذابا يوم
القيامة لو ان ما في الارض من شيء اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون
من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي لن تنالوا
البر يعني الجنة قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقال مقاتل بن حيان التقوى
وقيل الطاعة وقيل الخير وقال الحسن ان تكونوا ابرارا وعن عبد الله قال قال رسول الله
صلعم

عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا حتى
تنفقوا مما تحبون اي من احب اموالكم اليكم روى الضحاك عن ابن عباس ان المراد منه اداء
الزكوة وقال مجاهد والكلبي هذه الاية نسختها اية الزكوة وقال الحسن كل انفاق يبتغي به
المسلم وجه الله حتى التمرة ينال به البر وقال عطاء لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا
وانتم اصحاء اشحاء وعن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة انه سمع انس بن مالك يقول
كان ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة مالا وكان احب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلعم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه
الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلعم فقال يا رسول
الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي
بيرحا وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت
فقال رسول صلعم بخ بخ ذلك مال رابح مال رابح وقد سمعت ما قلت فيها اني ارى ان
تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه
وعن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي
جلولاء يوم فتحت فدعا بها فاعجبته فقال ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال خطرت على قلب عبد الله
بن عمر هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عمر فذكرت ما اعطاني
الله عز وجل فما كان شيء احب الي من فلانة هي حرة لوجه الله عز وجل وقال لولا اني
لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم اي يعلمه ويجازي
به كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا لرسول الله صلعم انك تزعم انك على ملة ابرهيم
وكان ابرهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكلها فلست انت على ملة ابرهيم فقال النبي
عم كان ذلك حلالا لابرهيم فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابرهيم حتى
انتهى الينا فانزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه

والحل مصدر يقال حل حلالا
ذلك في الدابة ولا كبير

من قبل ان تنزل التورية يعني ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابرهيم
بل كان الكل حلالا له ولبني اسرائيل وانما حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التورية يعني ليست في التورية
حرمتها واختلفوا في الطعام الذي حرمه يعقوب على نفسه وفي سببه قال ابو العالية وعطاء ومقاتل
والكلبي كان ذلك الطعام لحمان الابل والبانها روي ان يعقوب مرض مرضا شديدا وطال
سقمه فنذر لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب طعامه والشراب اليه وكان احب الطعام
اليه لحمان الابل واحب الشراب البانها فحرمهما وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
والضحاك هي العروق وكان السبب في ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما روى
جويبر ومقاتل عن الضحاك ان يعقوب كان نذر ان وهب الله اثني عشر ولدا واتى بيت
المقدس صحيحا ان يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل
لك في الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا
من ذلك ثم قال اما اني لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت
ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه من ذلك مخرجا فلما قدمها
يعقوب اراد ذبح ولده ونسي قول الملك فاتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك
فلا سبيل لك الى ولدك وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي اقبل يعقوب من حران
يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه عيص وكان رجلا بطيشا قويا فلقيه ملك فظن
يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب عليه
ينظر اليه فهاج به عرق النسا ولقي من ذلك بلاء وشدة فكان لا ينام بالليل من الوجع
ويبيت وله زقاء اي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما
فيه عرق فحرمه على نفسه وكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونها من اللحم وروى
جبير عن الضحاك عن ابن عباس لما اصاب يعقوب عرق النسا وصف له الاطباء ان يجتنب
لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقال الحسن حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله عز وجل
فسال ربه ان يجيز ذلك له فحرمه الله على ولده ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على اسرائيل
بعد نزول التورية فقال السدي حرم الله عليهم في التورية ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال
عطية انما كان محرما عليهم بتحريم بني الله اسرائيل فانه كان قد قال ان عافاني الله لا ياكله
لي ولد ولم يكن محرما عليهم في التورية وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التورية وانما حرم عليهم

بعد التوراة بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكان
بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت
وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعا
لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله عز وجل فقال قل يا محمد فاتوا بالتوراة
فاتلوها حتى يتبين انه كما قلتم ان كنتم صادقين فلم ياتوا فقال الله عز وجل فمن افترى
على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا
وما كان من المشركين وانما دعاهم الى اتباع ملة ابرهيم لان في اتباع ابرهيم اتباع النبي
اول بيت وضع للناس للذي ببكة سبب نزوله ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس
قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة افضل
فانزل الله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات
بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا وليس
شئ من هذه الفضائل لبيت المقدس واختلف العلماء في قوله تعالى ان اول بيت وضع للنا
س فقال بعضهم هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه الله قبل
الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته هذا قول عبد
الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقال بعضهم هو اول بيت بني في الارض روي عن
علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة
ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا في الارض بيتا على
مثاله وقدره فبنوا واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل
السماء بالبيت المعمور وروي ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام فكانوا يحجونه فلما حج
آدم قالت الملائكة بر حجك يا آدم حججنا هذا قبلك بالفي عام وروي عن ابن عباس انه
قال اراد به انه اول بيت بناه آدم في الارض وقيل هو اول بيت مبارك وضع هدى للنا
س يعبد الله فيه ويحج اليه وقيل هو اول بيت جعل قبلة للناس قال الضحاك ان اول بيت
وضع فيه البركة وقال الحسن والكلبي معناه ان اول مسجد ومتعبد وضع للناس يروى ذلك عن علي
كما قال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع يعني المساجد وعن ابن ابرهيم التيمي عن ابيه قال سمعت

ابا ذر قلت يا رسول الله اي مسجد وضع في الارض اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي
قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال اربعون سنة ثم اينما ادركتك الصلوة بعد
فصلها فان الفضل فيه قوله تعالى للذي ببكة فقال جماعة هي مكة نفسها وهو قول الضحاك
والعرب تعاقب بين الباء والميم فتقول سبد راسه وسمده وضربة لازب ولازم وقال
الآخرون بكة موضع البيت ومكة اسم البلد كله وقيل مكة موضع البيت والمطاف سميت
بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون يبك بعضهم بعضا ويصلي بعضهم بين يدي
بعض ويمر بعضهم بين يدي بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بكة لانها تبك اعناق
الجبابرة اي تدقها فلم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله واما مكة سميت بذلك لقلة مائها
من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى ام رحم
لان الرحمة تنزل بها مباركا نصب على الحال اي ذا بركة وهدى للعالمين لانه قبلة للمؤمنين
قوله فيه ايات بينات قرا ابن عباس اية بينة على الوحدان واراد مقام ابرهيم وحده
وقرا الآخرون آيات بينات بالجمع فذكر منها مقام ابرهيم وهو الحجر الذي قام ابرهيم وكان
اثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن تلك الآيات الحجر الاسود والحطيم
وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابرهيم جميع الحرم ومن الآيات في البيت ان الطير يطير
فلا يعلوه فوقه وان الجارحة اذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وانها
بلد صدر اليها الانبياء والمرسلون والاولياء والابرار وان الطاعة والصدقة فيه
تضاعف بمائة الف وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم صلوة في مسجدي هذا افضل
من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام ومن دخله كان آمنا من ان يهاج فيه وذلك
بدعاء ابرهيم عليه حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا وكانت العرب في الجاهلية يقتل
بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد
من الاية على قول الحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل اراد به ان من دخله عام عمرة القضاء مع رسول
الله صلعم كان آمنا كما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقيل هو خبر
بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اي لا ترفثوا ولا
تفسقوا حتى ذهب بعض اهل العلم الى ان من وجب عليه قتل قصاصا او حدا فالتجأ الى الحرم

لا يستوفي فيه منه لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى حتى يخرج فيقتل قال ابن عباس وبه قال
ابو حنيفة وذهب قوم الى ان القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه اما اذا ارتكب الجريمة في الحرم
يستوفي فيه عقوبته بالاتفاق وقيل معناه من دخله معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا
يوم القيامة من العذاب قوله تعالى ولله على الناس حج البيت اى ولله فرض واجب على الناس
حج البيت قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائى وحفص حج البيت بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة
وقرأ الآخرون بفتح الحاء وهي لغة اهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد
والحج احد اركان الاسلام وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم
رمضان قال اهل العلم ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية
والاستطاعة فلا يجب على الكافر ولا على المجنون ولو حجا بانفسهما لا يصح لان الكافر ليس
من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبى ولا العبد ولو حج صبى يعقل او عبد
يصح حجهما تطوعا ولكن لا يسقط فرض الاسلام عنهما فلو بلغ الصبى او اعتق العبد بعد ما حج
واجتمع فيه شرائط وجوب الحج يجب عليه ان يحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى
من استطاع اليه سبيلا غير انه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الاسلام والاستطاعة نوعان
احدهما ان يكون مستطيعا ببدنه والآخر ان يكون مستطيعا بغيره اما الاستطاعة ببدنه ان يكون
قادرا بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة وعن محمد بن عباد بن جعفر قال قعدنا
الى عبد الله فسمعته يقول سأل رجل رسول الله صلعم فقال ما الحاج فقال الشعث التفل فقام
آخر فقال يا رسول الله اى الحج افضل قال العج والثج فقام آخر فقال يا رسول الله ما السبيل
قال زاد وراحلة وتفصيله ان يجد راحلة تصلح لمثله ووجد الزاد للذهاب والرجوع فاضلا
عن نفقة عياله ومن يلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه وعن دين يكون عليه ووجد
رفقة يخرجون في وقت جرت عادة اهل بلده بالخروج في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا
الخروج الى وقت لا يصلون الا ان يقطعوا كل يوم اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج ويشترط
ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدى يطلب شيئا
لا يلزمه ويشترط ان يكون المنازل المأهولة معمورة يجد فيها الزاد والماء فان كان زمان
جدوبة تفرق اهلها وغارت مياهها فلا يلزمه ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشى او لم يجد

الزاد ولكنه يمكنه ان يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج ويستحب لو فعل وعند مالك يلزمه واما الاستطاعة
بالغير فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض غير مرجو الزوال لكن له مال
يمكنه ان يستأجر من يحج عنه يجب عليه ان يستأجر او لم يكن له مال لكن بذل له ولده او اجنبى الطاعة
في ان يحج عنه يلزمه ان يأمره به اذا كان يعتمد صدقه لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة
ويقال في العرف فلان مستطيع لبناء داره وان كان لا يفعله بنفسه انما يفعله بماله او باعوانه وعند ابى
حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال وحجته من اوجبه ما روى
عن عبد الله بن عباس انه كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلعم فجاءت امرأة من خثعم
تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلعم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر
فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت
على الراحلة افأحج عنه قال نعم ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال ابن عباس والحسن
وعطاء ومجاهد فرض الحج قال نبى صلعم ومن كفر بالله واليوم الآخر قال سعيد بن المسيب نزلت في
اليهود حيث قالوا الحج الى مكة غير واجب وقال السدى هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات
فهو كفر به وعن ابى امامة ان النبى صلعم قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او
سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله اى لم تصرفون عن دين الله من آمن تبغونها عوجا زيغا وميلا يعنى لم تصدون
عن سبيل الله باغين لها عوجا قال ابو عبيدة العوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في
الجدار وكل شخص قائم وانتم شهداء ان في التورية مكتوبا نعت محمد وان دين الله الذى
لا يقبل غيره هو الاسلام وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودى
وكان شيخا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين على نفر من الاوس والخزرج في مجلس جمعهم
يتحدثون فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذى كان بينهم
في الجاهلية من العداوة وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم
اذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم
ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار

وكان بُعاث يومًا اقتتلت فيه الاوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج
فمعل فتكلم القوم عنده ذكرنا فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب
اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج
فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان
جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضم
الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول
الله صلعم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجا
هلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع فيه به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد
من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول
الله صلعم سامعين مطيعين فانزل الله تعالى فيه يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يعني شاسا واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال جابر فما رأيت
قط يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم ثم قال على وجه التعجب وكيف تكفرون يعني ولم
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله القرآن وفيكم رسوله محمد صلعم قال قتادة في هذه
الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه
بين اظهركم رحمة ونعمة وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلعم ذات يوم خطيبا
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي
فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب
الله وخذوا به فحث عليه ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ومن يعتصم
بالله اي يمتنع بالله ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي الى صراط مستقيم طريق واضح وقال
ابن جريج ومن يعتصم بالله اي يؤمن بالله واصل العصمة المنع وكل مانع شيئا فهو عاصم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة
في الجاهلية وقتال حتى هاجر النبي صلعم الى المدينة فاصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان
ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن
ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن ابي الافلح حمي

الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال
الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد
ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الا
شعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم رسول الله صلعم فانزل الله
تعالى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال عبد الله بن مسعود وابن عباس
هو ان يطاع فلا يعصى قال مجاهد ان تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله
لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم وعن انس انه قال لا يتقي الله عبد
حق تقاته حتى يخزن لسانه قال اهل التفسير فلما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم فقالوا يا
رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية قال مقا
تل ليس في آل عمران من المنسوخ الا هذا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مؤمنون وقيل مخلصون
مفوضون اموركم الى الله وقال الفضيل محسنون الظن بالله وعن عبد الله بن عباس قال
قال رسول الله صلعم ايها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض
لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس لهم طعام غيره واعتصموا بحبل الله
جميعا الحبل السبب الذي يوصل به الى البغية وسمي الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال
الخوف واختلفوا في معناه ههنا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال ابن مسعود هو الجما
عة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير
مما تحبون في الفرقة وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وقال قتادة والسدي هو القرآن روي
عن ابن مسعود عن النبي صلعم قال ان هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين والشفاء النا
فع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه وقال مقاتل بن حيان بحبل الله اي بامر الله وطاعته
ولا تفرقوا كما افترقت اليهود والنصارى روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم
قال ان الله يرضى لكم ثلثا ويسخط لكم ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان
تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السؤال واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم قال
محمد بن اسحق بن يسار وغيره من اهل الاخبار كانت الاوس والخزرج اخوين لاب
وام فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين سنة

الى ان اطفاه الله عز وجل ذكره بالاسلام والف بينهم برسوله محمد صلعم وكان سبب النعم
ان سويد بن الصامت اخا بنى عمرو بن عوف وكان شريفا تسميه قومه الكامل لجلده
ونسبه قدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلعم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له
حين سمع به ودعاه الى الله والاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له
رسول الله صلعم وما الذى معك قال مجلة لقمن يعنى حكمة فقال رسول الله اعرضها على فعر
ضها فقال ان هذا الكلام حسن والذى معى افضل من هذا قران انزله الله عز وجل على نورا
وهدى فتلا عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن
ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قبل يوم بعاث فان قومه ليقولون قد قتل
وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بنى الاشهل فيهم اياس بن معاذ
يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع رسول الله صلعم اتاهم فجلس اليهم فقال
هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما ذاك قال انا رسول الله بعثنى الى العباد ادعوهم الى ان لا يشر
كوا بالله شيئا وانزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس
بن معاذ وكان غلاما حدثا اى قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة من البطحاء
فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام
رسول الله صلعم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم
يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه خرج رسول
الله صلعم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع
فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة
وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة
وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلعم من انتم قالوا
نفر من الخزرج قال امن موالى يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا
معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران قال وكان مما صنع الله لهم
به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وكانوا اهل اوثان
وشرك وكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا ان نبيا الان مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم
معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلعم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم

لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه
وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم
وعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا
رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلعم راجعين الى بلادهم قد آمنوا فلما قدموا
المدينة ذكروا لهم رسول الله صلعم ودعوهم الى الاسلام حتى فشى فيهم فلم يبق دار من
دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلعم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من
الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ بن عفراء ورافع بن
مالك بن العجلان وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعبا
س بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهولاء خزرجيون وابو الهيثم بن
التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا
رسول الله صلعم على بيعة النساء على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا الى
الاخر الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفا
رة له وان ستر عليكم فامركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل ان يفرض
عليهم الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلعم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد
مناف وامره ان يقرئهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان مصعب يسمى
بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب فدخل
به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال
سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين قد اتيا دارنا ليسفها
ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد بن خالتى ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد
بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما مشركان فاخذ اسيد بن حضير حر
بته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان فى الحائط فلما راه اسعد بن زرارة قال
لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه قال
فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى
انفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف
عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا

اى نفسه

عليه القرآن فقالا والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال
ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في الدين قالا له تغتسل وتطهر
ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق
ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسأ
رسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في نا
ديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي
ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله
ما رايت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى
اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد
مغضبا مبادرا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت
شيئا فلما راهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما
ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا
في دارنا بما نكره وقال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك منهم
احد فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا
عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة فجلس فعرض عليه الاسلام وقرا عليه
القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به في اشراقه وتسهله ثم قال لهما
كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وصلى ركعتين
ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا
قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة
قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني
عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب الى منزل
اسعد بن زرارة فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار
الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني امية بن زيد وخطمة ووائل

وذلك انهم كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف
بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلعم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا
ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع
حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلعم العقبة من اوسط ايام
التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج
وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلعم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه
وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر انك
سيد من سادتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار
غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلعم فشهد معنا العقبة وكان
نقيبا فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله
صلعم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة
ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى
نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب
ننتظر رسول الله صلعم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ
على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان اول من تكلم
العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار
الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل
رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم
ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون
انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد
سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلعم فتلا
القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
نساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا
فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض
القول والبراء يكلم رسول الله صلعم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين

حتى لا ينفع اليهود فإنا فاحفظوا ما فيه حيث ان فعلنا نحن ذلكم ثم اظهرك الله ان ترجع
الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلعم ثم قال الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم
احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلعم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا
كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من
الخزرج وثلثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة قال ان القوم لما اجتمعوا
لبيعة رسول الله صلعم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل
تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون
انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا
والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف
فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما
لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول
من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلعم صرخ الشيطان
من راس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه
قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلعم هذا عدو الله هذا ازب العقبة اسمع اي عدو
الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلعم ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن
عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على اهل منى باسيافنا
فقال رسول الله صلعم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا
عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا يا معشر
الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا
وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث
من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا وما علمناه وصدقوا لم يعلموا
وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه
نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا ابا جابر
اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها
الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الي وقال والله لتنتعلنهما قال يقول ابو جابر مه والله

احتف

احتفت الفتى فاردد اليه نعليه قال لا اردهما فال صالح والله لئن صدق الفال
لاستلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها اظهروا
الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم لاصحابه
ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق با
خوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عا
مر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلعم ارسالا الى المدينة
فجمع الله اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه محمد صلعم قال
الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر الانصار اذ كنتم اعداء قبل الاسلام فالف بين قلو
بكم بالاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية
وكنتم يا معشر الاوس والخزرج على شفا حفرة من النار اي على طرف حفرة مثل شفا
البئر معناه كنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا ان تموتوا على
كفركم فانقذكم الله منها بالايمان كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير ان تكونوا امة ومن صلة ليس للتبعيض كقوله واجتنبوا الرجس
من الاوثان لم يرد اجتناب بعض الاوثان بل اراد فاجتنبوا الاوثان واللام في قوله
ولتكن لام الامر يدعون الى الخير الى الاسلام يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون وعن طارق بن شهاب قال قال ابو سعيد سمعت رسول الله صلعم
يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه و
ذلك اضعف الايمان وعن حذيفة ان النبي صلعم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب
لكم وعن قيس بن ابي حازم قال سمعت ابا بكر الصديق يقول يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه
الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فاني سمعت رسول
الله يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه وعن الشعبي
انه سمع النعمان بن بشير يقول قال النبي صلعم مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها
مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في اسفلها وصار بعضهم في اعلاها فكان الذي في
اسفلها يمر بالماء على الذين في اعلاها فتاذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فا

فعلوا ما لكم قال تنازعتم به ولا بد لي من امارة فان اخذوا على يديه نجوه ونجوا انفسهم وان
تركوه هلكوه واهلكوا انفسهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات قال اكثر المفسرين هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه
الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة
وانا معه على رؤس الحرورية بالشام فقال كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم
قرأ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات الى قوله اكفرتم بعد ايما
نكم وعن عبد الله بن الزبير ان عمر بن الخطاب قال ان رسول الله صلعم قال من سره بحبوحة الجنة
فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد واولئك لهم عذاب عظيم
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب اي في يوم وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول
يريد تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود
وجوه المنافقين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه اهل السنة
وتسود وجوه اهل البدعة قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اذا كان يوم القيمة رفع
لكل قوم ما كانوا يعبدون فيسعى كل قوم الى ما كانوا يعبدون وهو قوله تعالى نوله ما تولى
فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن وبقي اهل القبلة واليهود والنصارى لم
يعرفوا شيئا مما رفع لهم فياتيهم الله فيسجد له من كان يسجد له في الدنيا مطيعا مؤمنا وبقي
اهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤسهم ووجوه
المؤمنين مثل الثلج بياضا والمنافقون واهل الكتاب اذا نظروا الى وجوه المؤمنين
حزنوا حزنا شديدا فاسودت وجوههم ويقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله
ما كنا مشركين فيقول الله للملائكة انظروا كيف كذبوا على انفسهم قال اهل المعاني ابيضاض
الوجوه اشراقها واستبشارها بعملها وبثواب الله واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها
بعملها وبعذاب الله يدل عليه قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة وقال وجوه يومئذ
ناضرة ووجوه يومئذ باسرة وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه
عليها غبرة فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم معناه يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم
فان قيل كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين حكي عن ابي بن كعب انه اراد به

الايمان يوم الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى يقول اكفرتم بعد ايمانهم يوم الميثاق
وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم وعن عكرمة انهم اهل
الكتاب آمنوا بانبيائهم وبمحمد صلعم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال قوم هم من اهل
قبلتنا فقال ابو امامة هم الخوارج وقال قتادة هم اهل البدع وعن اسماء بنت ابي بكر قالت
قال النبي صلعم اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فاقول
يا رب مني ومن امتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم
وقال الحارث الاعور سمعت عليا على المنبر يقول ان الرجل ليخرج من اهله فما يؤوب اليهم
حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستو
جب به النار ثم قرأ تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ثم نادى الذين كفروا بعد الايمان
ورب الكعبة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم
يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الد
نيا فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم هؤلاء اهل الطاعة
ففي رحمة الله جنة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد
ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخر
جت للناس قال عكرمة ومقاتل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم نحن افضل
منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير
امة هم الذين هاجروا مع النبي صلعم الى المدينة وقال جويبر عن الضحاك هم اصحاب محمد صلعم
خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وروي عن عمر بن الخطاب قال
كنتم خير امة اخرجت للناس تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا وعن عمران بن الحصين عن النبي
صلعم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا ادري اذكر النبي بعد قرنه
مرتين او ثلثا وقال ان بعدكم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون
وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وبهذا الاسناد عن ابي سعيد عن النبي صلعم
قال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك
مد احدهم ولا نصيفه وقال الآخرون هم جميع المؤمنين من هذه الامة وقوله كنتم يعني

يعني انتم كقوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا وقال في موضع آخر واذكروا اذ انتم قليل وقيل
معناه كنتم خير امة عند الله في اللوح المحفوظ وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي
صلعم يقول في قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس قال انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها
واكرمها على الله عز وجل وقال قوم قوله للناس من صلة قوله خير امة اى انتم خير الناس للنا
س وقال ابو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الاسلام قال قتادة هم امة محمد صلعم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار
فيدخلونهم في دينهم فهم خير امة وقيل قوله للناس من صلة قوله اخرجت معناه ما اخرج الله
للناس امة خيرا من امة محمد صلعم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم قال الا وان هذه الامة
توفي سبعين امة هي آخرها واكرمها على الله عز وجل وعن انس قال قال رسول الله مثل امتي
مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره وعن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلعم قال ان
الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وعن عبد الله
بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلعم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها هذه
الامة • تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل
الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون • لن يضروكم الا اذى • قال
مقاتل ان رؤوس اليهود عمدوا الى من آمن منهم عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم فانزل الله
تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لا يضركم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى باللسان وعيدا
وطعنا وقيل كلمة الكفر تتأذون بها • وان يقاتلوكم يولوكم الادبار • ثم لا ينصرون • لا
يكون لكم النصر عليهم • ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا • حيث ما وجدوا • الا بحبل من الله
اينما وجدوا استضعفوا وقتلوا وسبوا فلا يأمنون الا بحبل عهد من الله بان يسلموا او
من الناس • من المؤمنين ببذل جزية او امان يعني الا ان يعتصموا بحبل فيأمنوا • وباءوا بغضب
من الله • رجعوا به • وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • ليسوا سواء • قال ابن عباس ومقاتل فانزل
الله تعالى هذه الاية واختلفوا في وجهها فقال قوم فيه اختصار تقديره ليسوا سواء امة
اهل الكتاب امة قائمة • واخرى غير قائمة فترك الاخرى اكتفى بذكر احد الفريقين وقال الآخرون
تمام الكلام عند قوله ليسوا سواء وهو وقف لانه قد جرى ذكر الفريقين من اهل الكتاب في قوله

تعالى منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء يعني المؤمنين والفاسقين ثم وصف الفا
سقين فقال لن يضروكم الا اذى ووصف المؤمنين بقوله امة قائمة وقيل قوله من اهل الكتاب
ابتداء الكلام آخر لان ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس هذان الفريقان سواء ثم ابتدأ
فقال من اهل الكتاب قال ابن مسعود معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلعم القائمة بامر الله
الثابتة على الحق المستقيمة قوله امة قائمة قال ابن عباس اى مهتدية قائمة على امر الله لم يضيعوه
ولم يتركوه وقال مجاهد عادلة وقال السدي مطيعة قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة في
الصلاة وقيل الامة الطريقة ومعنى الاية ذو امة اى ذو طريقة مستقيمة • يتلون آيات الله •
يقرأون كتاب الله وقال مجاهد يتبعون • آناء الليل • ساعاته واحدها انى مثل نحى وانحاء
وانا وآناء مثل معى وامعاء • وهم يسجدون • اى يصلون لان التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا
في معناها فقال بعضهم هي في قيام الليل وقال ابن مسعود هي في صلوة العتمة يصلونها ولا
يصليها من سواهم من اهل الكتاب وقال عطاء ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة
الاية يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا على دين عيسى صدقوا محمدا صلعم وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلعم منهم اسعد
بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كا
نوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله بالنبي
صلعم فصدقوه ونصروه • يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه •
قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما اخبارا عن الامة القائمة وقرأ الآخرون بالتاء
فيهما كقوله كنتم خير امة وابو عمرو يرى القراءتين جميعا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير فلن
تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجازون عليه • والله عليم بالمتقين • بالمؤمنين • ان الذين كفروا لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله • اى من عذاب الله • شيئا • اى لا يدفع اموالهم بالفدية
ولا اولادهم بالنصرة شيئا من عذاب الله وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة
بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد • واولئك اصحاب النار • وانما جعلهم من اصحابها لانهم
اهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه • هم فيها خالدون مثل ما
ينفقون في هذه الحيوة الدنيا • قيل اراد نفقات ابي سفيان واصحابه ببدر واحد على عداوة الرسول

وقال مقاتل نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم
وقيل اراد انفاق المرائي الذي لا يبتغي به وجه الله تعالى مثل ريح فيها صر حكي عن ابن عباس
انها السموم الحارة التي تقتل وقيل فيها صر اي صوت واكثر المفسرين قالوا فيها برد شديد
اصابت حرث قوم زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى فاهلكته معنى
الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته
او نار فاحرقته فلم ينتفع اصحابه منه بشيء وما ظلمهم الله بذلك ولكن انفسهم يظلمون بالكفر
والمعصية يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم قال ابن عباس كان رجال من
المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل
الله هذه الاية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين
كانوا يصافون المنافقين فنهاهم الله عن ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم اي اولياء واصفياء من غير اهل ملتكم وبطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب
التي تلي بطنه لانهم يستبطنون امره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم ثم بين لهم العلة
في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره لا يألونكم خبالا اي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما
يورثكم الشر والفساد والخبال الشر والفساد ونصب خبالا على المفعول الثاني لان يألو
يتعدى الى مفعولين وقيل بنزع الخافض اي بالخبال كما يقال اوجعته ضربا ودوا ما
عنتم اي يودون ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء
اي البغض معناه ظهرت امارة العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة في المسلمين وقيل
باطلاع المشركين على اسرار المؤمنين وما تخفي صدورهم من العداوة والغيظ اكبر
اعظم قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء ها تنبيه وانتم كناية
للمخاطبين من الذكور واولاء اسم للمشار اليهم يريد انتم ايها المؤمنون تحبونهم اي تحبون
هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصا
هرة ولا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين قال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون
لما اظهروا من الايمان ولا يعلمون ما في قلوبهم وتؤمنون بالكتاب كله يعني بالكتب كلها
وهم لا يؤمنون بكتابكم واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا فكان بعضهم مع بعض
عضوا عليكم الانامل يعني اطراف الاصابع واحدتها انملة بضم الميم وفتحها من الغيظ

لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا
من مجاز الامثال وان لم يكن ثم عض قل موتوا بغيظكم اي ابقوا الى الممات بغيظكم ان
الله عليم بذات الصدور اي بما في قلوبكم من خير وشر ان تمسسكم اي تصبكم ايها المؤ
منون حسنة بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم وتتابع الناس في الدخول في
دينكم وخصب في معاشكم تسؤهم تحزنهم وان تصبكم سيئة مساءة باخفاق سرية
منكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يكون بينكم او جدب او نكبة تصيبكم يفرحوا بها
وان تصبروا على اذاهم وتتقوا وتخافوا ربكم لا يضركم لا ينقصكم كيدهم
شيئا قرا ابن كثير ونافع واهل البصرة لا يضركم بكسر الضاد خفيفة يقال ضار يضير ضيرا
وهو جزم على جواب الجزاء وقرا الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر ضرا
مثل رد يرد ردا وفي رفعه وجهان احدهما انه اراد الجزم واصله يضرركم فادغمت الراء
في الراء ونقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وضمت الثانية اتباعا والثاني ان يكون لا
بمعنى ليس ويضمر فيه الفاء تقديره وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيئا
ان الله بما يعملون محيط عالم واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال
فقال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل يوم الاحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم
احد لان ما بعده الى قريب من آخر السورة في حرب احد قال مجاهد والكلبي والواقدي
غدا رسول الله صلعم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما
يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء
فلما سمع رسول الله صلعم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم
يدعه قط فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة لا
تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان
رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلعم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج
بنا الى هذه الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وقال رسول الله صلعم اني رأيت
في منامي بقرا فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورأيت اني ادخلت

يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وكان يعجبه ان
يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر
واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلعم من
حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلعم فلبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا
بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلعم والوحى ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع
ما رايت فقال رسول الله صلعم لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام
المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس فراح رسول صلعم اليهم يوم الجمعة بعدما صلى باصحابه
الجمعة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلعم ثم خرج اليهم فاصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة وكان من امر حرب
احد ما كان فذلك قوله عز وجل واذ غدوت من اهلك اى واذكروا اذ غدوت من اهلك
تبوئ المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواطن ومواضع للقتال يقال بوأتك
اذا اوطنته وتبوؤا اذا اتخذوا قال الله تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل وقال ان تبوءا
... بيوتا وقيل تتخذ معسكرا والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان
تفشلا ان تجبنا وتضعفا وتتخلفا والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلعم خرج الى احد فى الف رجل وقيل تسعمائة
وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام
نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمى فقال انشدكم الله فى نبيكم وفى انفسكم فقال عبد
الله بن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن
ابى فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان
تفشلا والله وليهما ناصرهما وحافظهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون وعن جابر قال نزلت هذه
الاية فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما بنى سلمة وبنى حارثة وما احب
انها لم تنزل والله يقول والله وليهما ولقد نصركم الله ببدر وبدر موضع بين مكة والمدينة
وهو اسم الموضع وعليه الاكثرون وقيل اسم لبئر هناك وقيل كانت بدر بئرا لرجل يقال له
بدر قاله الشعبى وانكر الاخرون عليه يذكر الله تعالى فى هذه الاية منته عليهم بالنصرة يوم
بدر وانتم اذلة جمع ذليل واراد قلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا

فنصرهم الله مع قلة عددهم فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم اختلفوا فى هذه الاية فقال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة
كما قال فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة الاف كما قال عز وجل بثلاثة
آلاف من الملائكة منزلين ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا بلى ان تصبروا وتتقوا ويأ
توكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فصبروا يوم
بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال الحسن فهؤلاء الخمسة الاف ردء للمؤمنين الى
يوم القيمة قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة فى المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون
القتال ولا تقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال محمد بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم
عن رسول الله صلعم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب يتنبل له فلما فنى النبل اتاه به فنثره
فقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف
وعن سعد بن ابى وقاص قال رايت رسول الله صلعم يوم احد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما
ثياب بيض كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد ورواه مسلم عن ابى بكر بن
ابى شيبة قال حدثنا محمد بن بشر وابو اسامة عن مسعر عن سعد بن ابراهيم عن ابيه
عن سعد بن ابراهيم عن ابيه عن سعد يعنى ابن ابى وقاص قال رايت عن يمين رسول الله
صلعم وشماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعنى جبرائيل
وميكائيل وقال الشعبى بلغ رسول الله صلعم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع فلم ياتهم ولم يمدهم الله ايضا بالخمسة
الاف وكانوا قد امدوا بالف وقال اخرون انما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر
ان صبروا على طاعته واتقوا محارمه ان يمدهم ايضا فى حروبهم كلها فلم يصبروا الا
يوم الاحزاب فامدهم الله حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن ابى
اوفى كنا محاصرى قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول
الله صلعم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبرائيل فقال وضعتم اسلحتكم ولم تضع
الملائكة اوزارها فدعا رسول الله بخرقة فلف بها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا
حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا

سيئا وقال عكرمة والضحاك كان هذا يوم احد وعدهم الله المدد ان صبروا فلم يصبروا
فلم يمدوا قوله تعالى ان يمدكم ربكم والامداد اعانة الجيش بالجيش وقيل ما كان على جهة
القوة والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال مده مدا ومنه
قوله تعالى والبحر يمده وقيل المد في الشر والامداد في الخير يدل عليه قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم
يعمهون ونمد له من العذاب مدا وقال في الخير اني ممدكم بالف من الملائكة وقال وامددناكم باموال
وبنين قوله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على التكثير
لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى لولا انزل
علينا الملائكة وانزل جنودا لم تروها ثم قال بلى يمددكم ان تصبروا لعدوكم وتتقوا اى
مخالفة نبيكم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة
والاكثرون من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا لانهم انما رجعوا
للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة
آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف بل اراد معهم قوله مسومين اى معلمين قرأ ابن كثير وابو
عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو اراد انهم سوموا خيلهم ومن
فتحها اراد به انفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهي العلامة واختلفوا في تلك العلامة
قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر وقال علي وابن
عباس كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة
والكلبي عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن
في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلعم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان
الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم وما جعله الله يعني هذا
الوعد والمدد الا بشرى لكم اى بشارة لتستبشروا بها ولتطمئن قلوبكم به فلا تجزعوا
من كثرة عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم يعني لا تحيلوا
النصر على الملائكة والجند فان النصر من عند الله فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز
والحكم له ليقطع طرفا من الذين كفروا يقول لقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا اى لكي
يهلك طائفة من الذين كفروا وقال السدي معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل
والاسر فقتل من قادتهم يوم بدر سبعون واسر سبعون ومن حمل الآية على حرب احد

فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا امر الرسول صلعم
فانقلب عليهم او يكبتهم قال الكلبي يهزمهم وقال يمان يصرعهم لوجوههم وقال السدي
يلعنهم وقال ابو عبيدة يهلكهم وقيل يحزنهم والمكبوت الحزين وقيل اصله يكبدهم
اى يصيب الحزن والغيظ اكبادهم والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت
رأسه وسبده اذا حلقه وقيل يكبتهم بالخيبة فينقلبوا خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا ير
جون من الظفر بكم ليس لك من الامر شيء اختلفوا في سبب نزول هذه الآية
فقال قوم نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله
صلعم الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد ليعلموا
القرآن الناس والعلم اميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد
رسول الله صلعم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة
من تلك القبائل باللعن والسيف فنزلت ليس لك من الامر شيء وعن سالم عن ابيه
انه سمع رسول الله صلعم اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم
العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله
عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقال قوم نز
لت يوم احد وعن انس ان رسول الله صلعم كسرت رباعيته يوم احد وشج في رأسه فجعل
يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله ليس لك من الامر شيء وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلعم اللهم العن ابا سفين اللهم
العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم فاسلموا وحسن اسلامهم وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن اسحق لما رأى رسول الله
صلعم والمسلمون يوم احد ما باصحابهم من جدع الآذان والانوف وقطع المذاكير قالوا لئن اد
النا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد
فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل اراد النبي صلعم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه
الآية وذلك لعلمه فيها ان كثيرا منهم يسلمون فقوله ليس لك من الامر شيء اى ليس اليك فاللام بمعنى
الى كقوله تعالى انا سمعنا مناديا ينادي للايمان اى الى الايمان قوله تعالى او يتوب عليهم
قال بعضهم معناه حتى يتوب عليهم او الى ان يتوب عليهم وقيل هو نسق على قوله ليقطع طرفا وقوله

ليس لك من الامر اعتراض بين الكلام ونظم الاية ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امر الله في ذلك
كله ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلون
عند حلول اجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب واتقوا الله في امر الربا فلا تأكلوه
لعلكم تفلحون ثم خوفهم فقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون لكي ترحموا وسارعوا قرأ اهل المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ
الباقون بالواو الى مغفرة من ربكم اي بادروا وسابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة
قال ابن عباس الى الاسلام وروي عنه الى التوبة وبه قال عكرمة وقال علي بن ابي طالب الى
اداء الفرائض وقال ابو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة
روي عن انس بن مالك انها التكبيرة الاولى وجنة اي والى جنة عرضها السموات والارض
اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في سورة الحديد وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اي سعتها وانما خص العرض على المبالغة لان طول كل شيء في الاغلب
اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فاما
طولها فلا يعلمه الا الله وهذا على التمثيل لا انها كالسموات والارض لا غير معناه
كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض يعني عند ظنكم والا فهما زائلتان وروي عن طارق بن شهاب ان ناسا
من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه وقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها
السموات والارض فاين النار قال أرأيتم اذا جاء الليل اين يكون النهار واذا جاء النهار
اين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه انه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله
وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة في السماء
فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة في السماء وعرضها السموات والارض
كما اخبر وسئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء ام في الارض فقال واي ارض وسماء تسع الجنة
قيل فاين هي قال فوق السماء السابعة تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة
فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء

والضراء اي في اليسر والعسر فاول ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وقد
جاء في الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب
من النار ولجاهل سخي احب الى الله من العالم البخيل والكاظمين الغيظ اي الجارعين
الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ ان يمتلئ غيظا
فيرده في جوفه ولا يظهره ومنه قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وعن سهل بن معاذ بن
انس عن ابيه قال قال رسول الله صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله يوم
القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من اي الحور شاء والعافين عن الناس قال الكلبي عن المملوكين
سوء الادب وقال زيد بن اسلم ومقاتل عمن ظلمهم واساء اليهم والله يحب المحسنين والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم قال ابن مسعود قال المؤمنون يا رسول الله كانت
بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة
بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلعم فانزل الله هذه الاية نزلت
في نبهان التمار وكنيته ابو مقبل اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا
التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق
الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلعم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وقال مقاتل والكلبي
آخى رسول الله صلعم بين رجلين احدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة
واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه
دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما
رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان
مثله ووصفت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي
حتى وجده فأتى به ابا بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا وقال الانصاري هلكت وذكر
القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر
فقال له مثل ذلك فأتيا النبي صلعم فقال له مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا
فاحشة يعني قبيحة خارجة عما اذن الله فيه واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر
الفاحشة الزنا او ظلموا انفسهم ما دون الزنا من القبلة والمعانقة واللمس وقال مقاتل والكلبي

الفاحشة ما دون الزنا من قبلة او لمسة او نظرة فيما لا يحل او ظلموا انفسهم بالمعصية وقيل
فعلوا فاحشة الكبائر او ظلموا انفسهم بالصغائر وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم
قولا ذكروا الله اي ذكروا وعيد الله وان الله سائلهم قال مقاتل بن حيان ذكروا الله باللسان
عند الذنوب فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله اي وهل يغفر الذنوب
الا الله ولم يصروا على ما فعلوا اي ولم يقيموا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا وانابوا
واستغفروا واصل الاصرار الثبات على الشيء قال الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى
يتوب وقال السدي الاصرار السكوت وترك الاستغفار روي عن ابي نصيرة قال لقيت مولى لابي
بكر فقلت له اسمعت من ابي بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلعم ما اصر من
استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي وهم
يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقال الضحاك وهم يعلمون ان
الله يملك مغفرة الذنوب وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنوب وقيل
وهم يعلمون ان الله يملك لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل وهم يعلمون انهم
ان استغفروا غفر لهم اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ثواب المطيعين وعن اسماء
ابن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلعم حديثا
شيئا نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي
صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلعم يقول ما من عبد مؤمن
يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ورواه ابو عيسى عن
قتيبة عن ابي عوانة وزاد ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية وعن اسحق
بن عبد الله بن ابي طلحة قال كان قاص بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن ابي عمرة فسمعته يقول سمعت
ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان عبدا اذنب ذنبا فقال رب اذنبت ذنبا فا
غفر لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء
الله ثم اصاب ذنبا آخر فقال اذنبت ذنبا فاغفر لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر
الذنوب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اذنبت ذنبا فاغفر
لي قال ربه عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل

ما شاء وعن ابي ذر عن النبي صلعم يروي عن ربه تبارك وتعالى قال ابن آدم انك ما
دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيتك
بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك بي شيئا ابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان
السماء ثم تستغفرني اغفر لك وعن ابن عباس عن رسول الله صلعم قال قال الله تعالى من علم اني ذو
قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا ابالي ما لم يشرك بي شيئا قال ثابت البناني بلغني
ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها قد خلت من قبلكم
سنن قال عطاء شرائع وقال الكلبي مضت لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم وقال
مجاهد قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم وقيل سنن اي امم والسنة الامة قال
الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف السنن وقيل معناه اهل
سنن والسنة هي الطريقة المتبعة في الخير والشر يقال سن فلان سنة حسنة وسنة سيئة اذا
عمل عملا اقتدي به من خير او شر ومعنى الاية قد مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم من الامم
الماضية الكافرة سنن بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم اجلي الذي اجلته لا
هلاكهم وادالة انبيائي فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة اي آخر امر
المكذبين منهم وهذا في حرب احد يقول فانا امهلهم واستدرجهم حتى يبلغ الاجل الذي
اجلت في نصرة النبي صلعم واوليائه وهلاك اعدائه هذا اي هذا القرآن بيان للناس عامة
وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين خاصة ولا تهنوا ولا تحزنوا هذا حث لاصحاب النبي
صلعم على الجهاد على ما اصابهم من القتل والجرح يوم احد يقول ولا تهنوا اي لا تضعفوا ولا
تجبنوا عن جهاد اعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة
منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلا ولا تحزنوا فانكم
انتم الاعلون اي تكون لكم العاقبة بالنصر والظفر ان كنتم مؤمنين يعني اذ كنتم مؤ
منين اي لانكم مؤمنون قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلعم في الشعب فاقبل
خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلعم اللهم لا يعلن علينا
لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموا
فذلك قوله عز وجل وانتم الاعلون وقال الكلبي نزلت هذه الاية بعد يوم احد حين امر النبي
صلعم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله هذه

الآية دليله قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان يمسسكم قرح قرأ حمزة والكسائي
وابو بكر قُرح بضم القاف حيث جاء وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد
والجُهد قال الفراء القَرح بالفتح الجراحة وبالضم ألم الجراحة هذا خطاب مع المسلمين حين انصرفوا
من احد مع الكآبة والحزن يقول ان يمسسكم قرح يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يوم
بدر وتلك الايام نداولها بين الناس فيوما لهم ويوما عليهم أديل المسلمين من المشر
كين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين وأديل المشركين من المسلمين يوم احد حتى
جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين عن ابي اسحق قال سمعت البراء بن عازب يحدث
قال جعل النبي صلعم على الرماة يوم احد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم واو
طأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزموهم قال فانا والله رأيت النساء يشتددن
قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي
قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلعم
قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين
فذلك اذ يدعوهم الرسول في اخراهم فلم يبق مع النبي صلعم غير اثني عشر رجلا فاصابوا
منا سبعين وكان النبي صلعم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين
اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان أفي القوم محمد ثلث مرات فنهاهم النبي صلعم ان
يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن ابي قحافة ثلث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب
ثلث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت
والله يا عدو الله ان الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم
بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز أعل
هبل أعل هبل فقال النبي صلعم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله
اعلى واجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلعم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله
ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه
قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم

الغالبون وكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلعم وليعلم الله
الذين آمنوا يعني انما كانت هذه المداولة ليعلم الله اي يرى الله الذين آمنوا منكم فيميز
المؤمن من المنافق ويتخذ منكم شهداء يكرم قوما بالشهادة والله لا يحب الظالمين
وليمحص الله الذين آمنوا اي يطهرهم من الذنوب ويمحق الكافرين يفنيهم ويهلكهم
معناه ان قتلوكم فهو تطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستيصالهم ام حسبتم اي أحسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله اي ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه وذلك ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم
بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم احد وقوله تمنون الموت اي سبب الموت
وهو الجهاد من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه يعني اسبابه وانتم تنظرون ليعلم ان المراد
فان قيل ما معنى قوله وانتم تنظرون بعد قوله فقد رأيتموه قيل ذكره تأكيدا وقيل الرؤية قد
تكون بمعنى العلم فقال وانتم تنظرون ليعلم ان المراد بالرؤية النظر وقيل وانتم تنظرون الى محمد
صلعم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال اصحاب المغازي خرج رسول الله
حتى نزل بالشعب من احد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير وهو اخو خوات بن جبير
على الرماة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأ
تونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال
غالبين ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة
بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب
فاخذ رسول الله صلعم سيفا فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني
فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال
رسول الله صلعم انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموضع ففلق به هام المشركين وحمل
النبي واصحابه على المشركين فهزموهم وروي عن البراء بن عازب قال فانا والله
رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب
عبد الله بن جبير الغنيمة والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجو
ههم قال الزبير بن العوام فرأيت هندا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل باد
يات خدامهن ما دون اخذهن شيء فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا اصحاب

بهم

يتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال
الناس بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية فصاح في خيله من المشركين ثم حمل على اصحاب النبي
صلعم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلعم بحجر فكسر
انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلعم الى
صخرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى
استوى عليها فقال رسول الله صلعم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن
بالقتلى من اصحاب النبي صلعم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من
ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها
فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبي صلعم فذب مصعب بن عمير وهو صاحب
راية النبي صلعم عن رسول الله صلعم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلعم
فرجع وقال اني قتلت محمدا وصاح صارخ ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ
كان ابليس فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلعم يدعو الناس الي عباد الله الي عباد
الله فاجتمع اليه ثلثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص
حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلعم كنانته فقال ارم فداك ابي وامي وكان
ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلثا وكان الرجل يمر معه
بجعبة من النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف النبي صلعم فينظر الى موضع
نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلعم واصيبت عين قتادة
بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلعم مكانها فعادت كاحسن
ما كانت فلما انصرف رسول الله صلعم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان
نجوت فقال القوم الا يعطف عليه رجل منا فقال عليه دعوه حتى اذا دنى منه وكان ابي
قبل ذلك يلقى رسول الله صلعم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها
فقال رسول الله صلعم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنى منه تناول رسول الله الحربة من الحارث
بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور
الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه
الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي اقتلك فلو بزق علي بعد ذلك لقتلني

فلم يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف وعن ابن عباس قال اشتد غضب الله على
من قتله نبي واشتد غضب الله على من دمّى وجه رسول الله صلعم قالوا وفشا في الناس ان محمدا
قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وبعض الصحابة جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد
قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد
فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون في الحيوة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما قاتل عليه
رسول الله صلعم وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء
يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان
رسول الله صلعم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلعم كعب بن
مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا
هذا رسول الله صلعم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي صلعم
على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومحمد
هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا
المستولي على الامد في الكمال واكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله
محمد واحمد وفيه يقول حسان بن ثابت ، الم تر ان الله ارسل عبده ، ببرهانه والله اعلى
وامجد ، وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد ، افاين مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم ، رجعتم الى دينكم الاول ، ومن ينقلب على عقبيه ، فيرتد عن دينه فلن
يضر الله شيئا ، بارتداده وانما ضر نفسه ، وسيجزي الله الشاكرين ، وما كان لنفس ان
تموت ، قال الاخفش اللام في النفس منقولة تقديره وما كانت نفس لتموت الا باذن الله ، كتاب
الله ، بقضائه وقدره وقيل بعلمه وقيل بامره ، كتابا مؤجلا ، اي كتب لكل نفس اجلا
لا يقدر احد على تقديمه وتأخيره ونصب الكتاب على المصدر اي كتب كتابا ، ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ، يعني من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله
يريد نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له كما قال من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد طلبا للغنيمة ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها
مقام

اي اراد بعمله الاخرة قيل اراد الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ● وسنجزي
الشاكرين ● اي المؤمنين المطيعين وعن انس بن مالك ان النبي صلعم قال من كانت نيته
طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت
نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له
وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلعم انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى فمن
كانت هجرته الى الله والى رسوله فهجرته الى الله والى رسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
او الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ● وكاين من نبي قتل ● قرأ ابن كثير وكائن
بالمد والهمز على وزن فاعل ويلين الهمزة ابو جعفر وقرأ الاخرون وكأين على وزن كعين
ومعناه وكم وهي كاف التشبيه ضمت الى اي الاستفهامية ولم يقع للتنوين صورة في الخط الا
في هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على وكاي بلا نون والاكثرون على الوقف بالنون
قتل قرأ ابن كثير ونافع واهل البصرة قُتل بضم القاف والاخرون قاتل فمن قرأ قاتل فلقوله
فما وهنوا ويستحيل وصفهم بانهم لم يهنوا بعد ما قتلوا ولقول سعيد بن جبير ما سمعنا ان
نبيا قتل في القتال ولان قاتل اعم قال ابو عبيد ان الله اذا حمد من قاتل كان
من قتل داخلا فيه واذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فكان قاتل اعم ومن قرأ قتل فله ثلاثة
اوجه احدها ان يكون القتل راجعا على النبي صلعم وحده فيكون تمام الكلام عند قوله قتل ويكون
في الاية اضمار معناه ومعه ربيون كثير كما يقال قتل فلان معه جيش كثير اي ومعه والوجه
الثاني ان يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد بعض من معه تقول العرب
قتلنا بني فلان وانما قتلوا بعضهم ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والوجه الثا
لث ان يكون القتل للربيين لا غير ● معه ربيون كثير ● قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الالوف وقال الكلبي الربية الواحدة عشرة الاف وقال
الضحاك الربية الواحدة الف وقال الحسن فقهاء وعلماء وقيل هم الاتباع والربانيون الولاة والر
بيون الرعية وقيل منسوب الى الرب وهم الذين يعبدون الرب ● فما وهنوا ● اي ما جبنوا
● لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا ● عن الجهاد بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب ● وما
استكانوا ● قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم وقال السدي وما ذلوا وقال عطاء
وما تضرعوا وقال ابو العالية وما جبنوا ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم

● والله يحب الصابرين ● وما كان قولهم ● نصب على خبر كان والاسم في ان قالوا ومعناه
وما كان قولهم عند قتل نبيهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ● اي الصغائر ● واسرافنا
في امرنا ● اي الكبائر ● وثبت اقدامنا ● كي لا تزول ● وانصرنا على القوم الكافرين ●
يقول فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا اصحاب محمد صلعم ● فآتاهم الله ثواب الدنيا ● النصرة
والغنيمة ● وحسن ثواب الاخرة ● الاجر والجنة ● والله يحب المحسنين ● يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا ● يعني اليهود والنصارى وقال علي يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم ● يردوكم على اعقابكم ● يرجعوكم الى اول
امركم الشرك بالله ● فتنقلبوا خاسرين ● مغبونين ● بل الله مولاكم ● ناصركم وحافظكم على
دينكم ● وهو خير الناصرين ● سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ● وذلك ان ابا سفيان
والمشركين لما ارتحلوا يوم احد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ند
موا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ار
جعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما
هموا به سنلقي اي سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب الخوف قرأ ابو جعفر وابن عامر
والكسائي ويعقوب الرعب بضم العين وقرأ الاخرون بسكونها ● بما اشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا ● حجة وبرهانا ● ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ● مقام الكافرين
● ولقد صدقكم الله وعده ● قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلعم واصحابه الى
المدينة من احد وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من اصحابه من اين اصابنا هذا وقد
وعدنا الله النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين
في الابتداء ● اذ تحسونهم باذنه ● وذلك ان رسول الله صلعم جعل احدا خلف ظهره واستقبل
المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره واقام عليه الرماة وامر عليهم عبد الله
بن جبير وقال لهم احموا ظهورنا فان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رأيتمونا
نقتل فلا تنصرونا واقبل المشركون فاخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشر
كين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولوا هاربين فذلك قوله اذ تحسونهم
باذنه اي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال ابو عبيدة الحس الاستئصال بالقتل ● حتى
اذا فشلتم ● اي ان جبنتم وقيل معناه فلما فشلتم ● وتنازعتم في الامر ● والواو زائدة

في تنازعتم يعني حتى إذا فشلتم تنازعتم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره حتى إذا
تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم وقيل التنازع الاختلاف وكان اختلافهم أن الرماة
اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم القوم فما مقامنا وأقبلوا على الغنيمة
وقال بعضهم لا نجاوز أمر رسول الله صلعم فثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة
فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير
وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا فا
نتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم
بعضا ما يشعرون من الدهش ونادى إبليس أن محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة
المسلمين • وعصيتم يعني الرسول صلعم وفي القتال أمره • من بعد ما أراكم الله ما تحبون يعني
المسلمين من الظفر والغنيمة • منكم من يريد الدنيا • يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على
النهب • ومنكم من يريد الآخرة • يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد
الله بن مسعود وما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي صلعم يريد الدنيا حتى كان يوم
أحد ونزلت هذه الآية • ثم صرفكم عنهم • اي ردكم عنهم بالهزيمة • ليبتليكم • ليمتحنكم
وقيل لينزل البلاء عليكم • ولقد عفا عنكم • فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة • والله
ذو فضل على المؤمنين • إذ تصعدون • يعني ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هاربين
وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة تَصعدون بفتح التاء والعين والقراءة
المعروفة بضم التاء وكسر العين الإصعاد السير في مستوى الأرض والصعود الارتفاع
على الجبال والسطوح قال أبو حاتم يقال أصعدت إذا مضيت حيال وجهك
وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره وقال أبو العباس المبرد أصعد إذا أبعد في الذهاب
وكلتا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مُصعِد وصاعد قال
المفضل صعد وأصعد وصعّد بمعنى واحد • ولا تلوون على أحد • اي لا تعرجون
ولا تقيمون على أحد لا يلتفت بعض إلى بعض • والرسول يدعوكم في أخراكم • اي
في آخركم ومن ورائكم إليّ عباد الله فأنا رسول الله من يكر فله الجنة • فأثابكم • فجازاكم
جعل الإثابة بمعنى العقاب وأصلها في الحسنات لأنه وضعه موضع الثواب كقوله تعالى فبشرهم
هم بعذاب أليم جعل البشارة في العذاب ومعناه جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون

غمًّا بغمٍّ • وقيل الباء بمعنى على اي غما على غم وقيل غما متصلا بغم فالغم الأول ما فاتهم من الظفر
والغنيمة والغم الثاني ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الأول ما أصابهم من القتل
والجراح والغم الثاني ما سمعوا أن محمدا قد قتل فأنساهم الغم الأول وقيل الغم الأول إشراف
خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين والغم الثاني حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول
الله صلعم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل
سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلعم
وفرح النبي صلعم حين رأى من يمتنع فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحا
بهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون
إليهم همّهم ذلك فظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال
رسول الله صلعم ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض ثم
ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم وقيل إنهم غموا الرسول عليه السلام بمخالفة أمره
فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة • لكيلا تحزنوا على ما فاتكم • من الفتح والغنيمة
• ولا ما أصابكم • اي ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة • والله خبير بما تعملون • ثم أنزل
عليكم • يا معشر المسلمين • من بعد الغم أمنة نعاسا • يعني أمنا والأمن والأمنة بمعنى وا
حد وقيل الأمن يكون مع زوال سبب الخوف والأمنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف
ههنا قائما نعاسا بدل من الأمنة نعت • يغشى طائفة منكم • قرأ حمزة والكسائي تغشى بالتاء
ردا إلى الأمنة وقرأ الآخرون بالياء ردا إلى النعاس قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس
يغشاهم وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام وعن أنس أن أبا طلحة قال غشينا النعا
س ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه وقال
ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم إلا
وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام
لقد رأيتني مع رسول الله صلعم حين اشتد علينا الخوف أرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع
قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم يقول لو كان لنا من
الأمر شيء ما قتلنا ههنا فذلك قوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين • وطائفة قد
أهمتهم أنفسهم • يعني المنافقين قيل أراد الله به تمييز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس

على المؤمنين حتى امنوا ونام بعضهم على المنافقين فبقوا في الخوف قد اهمتهم انفسهم اي حملتهم
على الهم يقال امر مهم يظنون بالله غير الحق اي لا ينصر محمد وقيل ظنوا ان محمدا
قد قتل ظن الجاهلية كظن اهل الجاهلية والشرك يقولون هل لنا من الامر من شيء
لفظه استفهام ومعناه جحد من شيء يعني النصر قل ان الامر كله لله قرأ اهل البصرة
كله برفع اللام على الابتداء وخبره في لله وقرأ الاخرون بالنصب على البدل وقيل على النعت يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا
وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم
يقتل رؤساؤنا وقيل لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا قال الضحاك عن ابن عباس يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز لخرج الذين كتب قضي عليهم القتل الى
مضاجعهم مصارعهم وليبتلي الله وليختبر الله ما في صدوركم وليمحص
يخرج ويظهر ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور بما في القلوب من خير وشر
ان الذين تولوا منكم اي انهزموا منكم يا معشر المسلمين يوم التقى الجمعان جمع المسلمين
وجمع الكافرين يوم احد وكان انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلعم الا ثلاثة عشر رجلا
ستة من المهاجرين وهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد
ابن وقاص انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا اي
طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل ازل واستزل بمعنى واحد ببعض
ما كسبوا اي بشؤم ذنوبهم قال بعضهم بتركهم المركز وقال الحسن ما كسبوا هو قبولهم
من الشيطان ما وسوس اليهم من الهزيمة ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور
حليم يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي
واصحابه وقالوا لاخوانهم في النفاق والكفر وقيل في النسب اذا ضربوا في الارض
اي سافروا فيها لتجارة او غيرها او كانوا غزى اي غزاة جمع غاز فقتلوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم حسرة غما في قلوبهم
والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بما يعملون بالياء
وقرأ الباقون بالتاء ولئن قتلتم في سبيل الله او متم قرأ نافع وحمزة والكسائي متم

بكسر الميم وقرأ الاخرون بالضم فمن ضمه فهو من مات يموت كقولك من قال يقول قلت بضم
القاف ومن كسر فهو من مات يمات كقولك من خاف يخاف خفت لمغفرة من الله
فيه ورحمة خير مما تجمعون من الغنائم قرأ العامة تجمعون بالتاء لقوله ولئن قتلتم
وقرأ حفص عن عاصم بالياء يعني خير مما يجمع الناس ولئن متم او قتلتم لالى الله
تحشرون في العاقبة فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله وما صلة كقوله
فبما نقضهم ميثاقهم لنت لهم اي سهلت اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم فيما كان
منهم يوم احد ولو كنت فظا يعني جافيا سيئ الخلق قليل الاحتمال غليظ القلب
قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك اي لنفروا وتفرقوا
عنك يقال فضضتهم فانفضوا اي فرقتهم فتفرقوا فاعف عنهم تجاوز عنهم ما اتوا
يوم احد واستغفر لهم حتى اشفعك فيهم وشاورهم في الامر اي استخرج اراءهم
واعلم ما عندهم من قول العرب شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وشرت
العسل واشترته اذا اخذته من موضعه واستخرجته واختلفوا في المعنى الذي لاجله
امر الله تعالى نبيه صلعم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب
طاعته على الخلق فيما احبوا وكرهوا فقال بعضهم هو خاص في المعنى اي وشاورهم فيما
ليس عندك فيه عهد من الله قال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند
الغزو وقال مقاتل وقتادة امر الله تعالى نبيه بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك
اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر
شق ذلك عليهم قال الحسن قد علم الله عز وجل انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن عائشة رضي قالت ما رأيت رجلا اكثر استشارة
للرجال من رسول الله صلعم فاذا عزمت فتوكل على الله لا على مشاورتهم اي قم بامر الله
وثق به واستعنه ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله يعنكم الله ويمنعكم
من عدوكم فلا غالب لكم مثل يوم بدر وان يخذلكم يترككم كما كان باحد
لان الخذلان ترك النصرة والاسلام للهلكة فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون قيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك وقيل
ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وعن عمران بن

حُصَين فقال فقال رسول الله صلعم يدخل سبعون الفا من امتي الجنة بغير حساب قيل يا
رسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقال عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام
آخر فقال يا رسول الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة روي عن عمر ابن الخطا
ب يقول سمعت رسول الله صلعم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا • وما كان لنبي ان يغل • روي عكرمة وسعيد بن جبير عن
ابن عباس ان هذه الاية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض
الناس اخذها رسول الله صلعم وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الر
ماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبي صلعم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم
الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلعم
الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا
فقال النبي صلعم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم لكم فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ذكر
لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسئلونه من
المغنم فانزل الله وما كان لنبي ان يغل فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم
بينهم بالسوية وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان النبي ان يكتم
شيئا من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة بقوله وما كان لنبي ان يغل قرأ ابن كثير
واهل البصرة وعاصم يغل بفتح الياء وضم الغين معناه ان يخون والمراد منه الامة
وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل وقيل معناه ما كان يظن به ذلك ولا
يليق به وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين وله وجهان احدهما ان يكون من الغلول
ايضا اي ما كان لنبي ان يخان يعني ان يخونه امته والوجه الآخر ان يكون من الا
غلال معناه ما كان لنبي ان يخون ان ينسب الى الخيانة • ومن يغلل يات بما غل
يوم القيمة • قال الكلبي يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله
على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع في النار ثم كلف ان ينزل اليه فيخرجه يفعل ذلك
وعن ابي هريرة انه قال خرجنا مع رسول الله صلعم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة
الا الاموال والثياب والمتاع قال فوجه رسول الله صلعم نحو وادي القرى وكان رفاعة

بن زيد وهب لرسول الله صلعم عبدا اسود يقال له مدعم قال فخرجنا حتى اذا
كنا بوادي القرى فبينما مدعم يحط رحل رسول الله صلعم اذ جاءه سهم عائر فاصا
به فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلعم كلا والذي نفسي بيده ان
الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم تشتعل عليه نارا فلما سمع
ذلك الناس جاء رجل بشراك او شراكين الى رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم شراك
من نار او شراكان من نار • وعن زيد بن خالد الجهني انه قال توفي رجل يوم خيبر فذ
كروه لرسول الله صلعم فزعم زيد ان رسول الله صلعم قال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه
الناس لذلك فزعم زيد ان رسول الله صلعم قال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله قال
ففتشنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات اليهود ما تساوي درهمين وعن ابي
حميد الساعدي قال استعمل النبي صلعم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة
فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي الي فقام النبي صلعم على المنبر فقال ما بال العامل نبعثه
على بعض اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لي فهلا جلس في بيت امه او بيت ابيه فينظر ايهدى
اليه ام لا والذي نفسي بيده لا ياخذ احد منها شيئا الا جاء به يوم القيمة يحمله على رقبته
ان كان بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة
ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت وروي عن قيس بن ابي حازم عن
معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلعم الى اليمن فقال لا تصيبن شيئا بغير اذني فانه
غلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة وروي عن عمر بن الخطاب عن النبي صلعم قال اذا
وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه وروي عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلعم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه ثم توفي
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • افمن اتبع رضوان الله • فترك الغلول كمن باء
بسخط من الله • فغل • ومأواه جهنم وبئس المصير • هم درجات • يعني ذوو درجا
ت عند الله • قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو
المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط الله العذاب
الاليم • والله بصير بما يعملون • لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم • قيل اراد به العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وله نسب الا بني تغلب
فبلغه

دليله قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال الآخرون اراد به جميع
المؤمنين ومعنى قوله من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب دليله قوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل يعني من قبل بعثه لفي ضلال مبين اولما اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة
باحد قد اصبتم مثليها ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين
وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين قلتم انى هذا من اين لنا هذا القتل
والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلعم فينا قل هو من عند انفسكم روى عبيدة
السلماني عن علي قال جاء جبرائيل الى النبي صلعم ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم
الفدا من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقدموا فتضرب اعناقهم وبين ان
يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلعم للناس فقالوا يا رسول
الله عشائرنا واخواننا لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا
بعدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر فهذا معنى قوله قل هو من
عند انفسكم باخذكم الفداء واختياركم القتل ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم
التقى الجمعان باحد من القتل والجراح والهزيمة فباذن الله اي بقضائه وقدره وليعلم
المؤمنين اي ليميز وقيل ليرى وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل
الله لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا عن اهلكم وحريمكم وقال السدي اي كثروا سواد
المسلمين ورابطوا ان لم تقاتلوا يكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا لو نعلم قتالا لا
تبعناكم وهم عبد الله بن ابي واصحابه الذين انصرفوا عن احد وكانوا ثلثمائة قال الله تعالى
هم للكفر اي الى الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي الى الايمان يقولون بافواههم
يعني كلمة الايمان ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم في
النسب لا في الدين وهم شهداء احد وقعدوا يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد لو
اطاعونا وانصرفوا عن محمد وقعدوا في بيوتهم ما قتلوا قل لهم يا محمد فادرءوا فادفعوا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ان الحذر يغني عن القدر ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقال آخرون نزلت في شهداء احد

وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان
بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الانصار روى عن مسروق قال سألنا
عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن الذين الاية قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم
كطير خضر ويروى في جوف طير خضر تسرح في الجنة في ايها شاءت ثم تأوي الى قناديل
معلقة بالعرش فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربك اطلاعة فقال سلوني ما شئتم
قالوا يا رب كيف نسألك ونحن نسرح في الجنة في ايها شئنا فلما راوا ان لا يتركوا من
ان يسألوا قالوا نسألك ان ترد ارواحنا الى اجسادنا في الدنيا نقتل في
سبيلك فلما رأى انهم لا يسألون الا هذا تركوا وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلعم لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله عز وجل ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب
تحت العرش فلما راوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم وراوا ما اعد الله لهم من الكرا
مة قالوا يا ليت قومنا يعلمون وما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد
ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا
فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا الى قوله لا يضيع اجر المؤمنين وعن جابر بن عبد الله
يقول لقيني رسول الله صلعم فقال لي يا جابر ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد
ابي وترك عيالا ودينا قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى يا رسول الله قال
ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب واحيا اباك وكلمه كفاحا قال يا عبدي تمن علي
اعطك قال يا رب احيني فاقتل فيك الثانية قال الرب تبارك وتعالى انه قد سبق مني
انهم لا يرجعون قال انزلت فيه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا وعن انس قال
قال رسول الله صلعم ما من عبد يموت له عند الله خير يحب ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا
وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يحب ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة
اخرى وقال نزلت الاية في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما روى عن انس بن ما
لك وغيره من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان
سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلعم المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله صلعم
ان يقبلها وقال لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك ثم عرض عليه

واخبره بما له فيه وما وعد الله المؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فيدعونهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلعم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلعم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمي ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلعم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلعم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلعم فقال حرام يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلعم اليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء قد عقد لهم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله صلعم فنخبره فقال الانصاري الله اكبر لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية الضمري اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على

انقطع

رسول صلعم فاخبره الخبر فقال رسول الله صلعم هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله صلعم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض حتى رايت السماء من دونه قال هو عامر بن فهيرة ثم بعد ذلك حمل ربيعة ابن ابي براء على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله وعن انس بن مالك ان رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلعم على عدو فامدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي صلعم فقنت شهرا يدعو في الصبح على احياء من احياء العرب رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم ثم ان ذلك رفع بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخت فرفعت بعد ما قرانا طائفة زمانا وانزل الله عز وجل ولا تحسبن الآية وقيل ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فانزل الله تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم ولا تحسبن ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والآخرون بالتخفيف امواتا كاموات من لم يقتل في سبيل الله بل احياء بل هم احياء عند ربهم قيل احياء في الدين وقيل في الذكر وقيل لانهم يرزقون وياكلون ويتمتعون كالاحياء وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا تاكله الارض وقال جابر بن عمير مر رسول الله صلعم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال ان رسول الله صلعم يشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده ولا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه يرزقون من ثمار الجنة وتحفها فرحين بما آتاهم الله من فضله رزقه وثوابه ويستبشرون ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم انهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فهم لذلك مستبشرون الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله اي وبان الله وقرا الكسائي بكسر

الالف على الاستباق • لا يضيع اجر المؤمنين • عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال تكفل الله
لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرده
الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وقال والذي نفسي بيده لا يكلم احد في
سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون
الدم والريح ريح المسك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم الشهيد لا يجد الم القتل الا كما
يجد احدكم الم القرصة • الذين استجابوا لله والرسول • وذلك ان ابا سفيان واصحابه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم
فبلغ ذلك رسول الله صلعم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجراح والقرح الذي
اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلعم الا لا يخرجن احد معنا الا من حضر يومنا
بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي كان قد خلفني على اخوات لي سبع وقال لي
يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك
على نفسي في الجهاد مع رسول الله فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلعم فخرج
معه وانما خرج رسول الله صلعم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان
الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلعم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان
وابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
اميال وروي عن عائشة انها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن اختي اما والله ان اباك
وجدك تعني ابا بكر والزبير لمن الذين قال الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول فمر
برسول الله صلعم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول
الله صلعم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد
والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج من
عند رسول الله صلعم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء قد اجمعوا الرجعة الى رسول الله وقالوا
قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا

قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون
عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعكم وفيهم من
الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان ترتحل حتى ترى نواصي
الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم قال فاني والله انهاك
عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت على ان قلت فيه ابياتا من شعر كادت تهد من الاصوات
راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل فذكر ابياتا فثنى ذلك ابا سفيان ومن
معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد
الميرة قال فهل انتم مبلغون محمدا عني رسالة واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا
اذا وافيتمونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل
بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلعم وهو بحمراء الاسد فاخبروه
بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله صلعم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول
الله صلعم الى المدينة بعد الثالثة هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه
الاية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا
محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلعم ذلك
بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة
من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود
الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني واعدت محمدا واصحابه ان
نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر
ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا
فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق
بالمدينة فثبطهم واعلمهم اني في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل
اضعها على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها قال فجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن
لي هذه الفرائض فانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس
يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال اين تريدون فقالوا واعدنا ابو سفيان بموسم بدر
الصغرى ان نقتتل بها فقال بئس الذي رايتم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم الا شريد

فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول
الله صلعم الخروج فقال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع
واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلعم في
اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسالونهم عن قريش فيقولون
قد جمعوا لكم يريدون ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا
بدرا وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام رسول
الله صلعم ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله
صلعم واصحابه احدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا فا
صابوا للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله عز وجل الذين استجابوا
لله والرسول اي اجابوا ومحل الذين خفض على صفة المؤمنين تقديره ان الله لا يضيع اجر المؤ
منين المستجيبين لله وللرسول من بعد ما اصابهم القرح اي نالهم الجرح ثم الكلام ههنا
ثم ابتداء فقال للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله واجابته الى الغزو واتقوا
معصيته اجر عظيم الذين قال لهم الناس ومحل الذين خفض ايضا مردود على الذين
الاول واراد بالناس نعيم بن مسعود في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي اريد به الخاص
كقوله تعالى ام يحسدون الناس يعني محمدا وحده وقال محمد بن اسحق وجماعة اراد بالناس
الركب من عبد القيس بقوله ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه فاخشوهم
فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا تصديقا ويقينا وقوة وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا الله ونعم الوكيل اي الموكول اليه الامور فعيل بمعنى مفعول
وعن ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم عم حين القي في النار وقالها محمد عم
حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا فانصرفوا بنعمة من الله بعافية لم يلقوا عدوا وفضل تجارة وربح
وما اصابوا في السوق لم يمسسهم سوء لم يصبهم اذى ولا مكروه واتبعوا
رضوان الله طاعة الله وطاعة رسوله وذلك انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم
ثواب الغزو ورضي عنهم والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يعني ذلك الذي قال
لكم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم من فعل الشيطان القى في افواههم ليرهبوهم ويجبنوا

عنهم يخوف اولياءه اي يخوفكم باوليائه وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب يعني يخوف المؤمنين
بالكافرين قال السدي يعظم اولياءه في صدورهم ليخافوهم يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود
يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون في ترك امري ان كنتم مؤمنين مصدقين بوعدي
فاني متكفل لكم بالنصرة والظفر ولا يحزنك الذين قرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر
الزاي وكذلك جميع القرآن الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ضده ابو جعفر وهما لغتان حزن
يحزن واحزن يحزن الا ان اللغة العالية حزن يحزن يسارعون في الكفر يظاهرون
الكفار انهم لن يضروا الله شيئا بمسارعتهم في الكفر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في
الآخرة نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر ولهم عذاب عظيم ان
الذين اشتروا استبدلوا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا وانما يضرون انفسهم ولهم
عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا قرا حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما وقرا الآخرون
بالياء فمن قرا بالياء فالذين في محل الرفع على الفاعل تقديره ولا يحسبن الكفار ان املاءنا
لهم خير ومن قرا بالتاء يعني ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا انما نصب على البدل من
الذين انما نملي لهم خير لانفسهم والاملاء الامهال والتاخير يقال عشت طويلا وتمليت
حينا ومنه قوله تعالى واهجرني مليا اي حينا طويلا ثم ابتدا فقال انما نملي لهم ليزدادوا
اثما ولهم عذاب مهين قال مقاتل نزلت في مشركي مكة وقال عطاء في قريظة
والنضير روي عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال سئل رسول الله صلعم اي الناس خير قال
من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه اختلفوا فيها فقال الكلبي قالت قريش يا محمد
تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله
عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن فانزل الله هذه الاية وقال السدي
قال رسول الله صلعم عرضت علي امتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن
بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن
يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقام على المنبر فحمد
الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسالوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة
الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وقال من ابي يا رسول الله قال حذافة
من السلمين

فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلعم فهل انتم منتهون هل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية فاختلفوا في حكم هذه الآية ونظمها فقال ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين يعني ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار من الكفر والنفاق • حتى يميز الخبيث من الطيب • وقال قوم الخطاب للمؤمنين الذين اخبر عنهم معناه ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم من التباس المؤمن بالمنافق فرجع من الخبر الى الخطاب حتى يميز قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم اليا والتشديد وكذلك التي في الانفال وقرأ الباقون بالتخفيف يقال ماز الشيء يميزه ميزا وميّزه تمييزا اذا فرّقه فامتاز وانماز وهو بمعنى قال ابو معاذ اذا فرقت بين الشيئين قلت مزت ميزا فاذا كانت اشيا قلت ميزتها تمييزا وكذلك اذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت فرقت بالتخفيف ومنه فرق الشعر فان جعلته اشيا قلت فرقتها تفريقا ومعنى الآية حتى يميز المنافق من المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم احد حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلعم وقال قتادة حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد وقال الضحاك ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه في اصلاب الرجال وارحام النسا يا معشر المنافقين حتى يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث الذنب من الطيب وهو المؤمن يعني يحط الاوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة • وما كان الله ليطلعكم على الغيب • لانه لا يعلم الغيب احد غيره • ولكن الله يجتبي من رسله من يشا • فيطلعه على بعض علم الغيب نظيره قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقال السدي معناه وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن الله اجتباه • فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم • اي لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم بل هو يعني البخل شر لهم • سيطوقون • اي سوف يطوقون • ما بخلوا به يوم القيمة • يعني يجعل ما منعه من الزكوة حية تطوّق في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابي وائل والشعبي والسدي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له ماله يوم القيمة

شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلعم فقال والذي نفسي بيده او والذي لا اله غيره او كما حلف ما من رجل يكون له ابل او بقر او غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيمة اعظم ما تكون واسمنه تطأه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس قال ابراهيم النخعي معنى الآية يجعل يوم القيمة في اعناقهم طوق من النار قال مجاهد يكلفون يوم القيمة ان يأتوا بما بخلوا به في الحيوة الدنيا من اموالهم وروى عطية عن ابن عباس هذه الآية نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلعم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النسا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ومعنى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة يحملون وزره واثمه كقوله تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم • ولله ميراث السموات والارض • يعني انه الباقي الدائم بعد فنا خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويرثهم نظيره قوله عز وجل انا نحن نرث الارض ومن عليها • والله بما تعملون خبير • قرأ اهل مكة والبصرة يعملون باليا وقرأ الآخرون بالتا • لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا • قال الحسن ومجاهد لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله يستقرض منا ونحن اغنيا وذكر الحسن ان قائل هذه المقالة حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلعم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التورية فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنيا وانه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة

واراد قوله فيضاعفه كثيرة

وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص
الى رسول الله صلعم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلعم لابي بكر ما حملك على ما
صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت
لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله عز وجل ردا على فنحاص وتصديقا لابي بكر
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا من الافك و
الفرية على الله فنجزيهم به وقال مقاتل سنحفظ عليهم وقال الواقدي سنامر الحفظة
بالكتابة نظيره وانا له كاتبون وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب
الحريق قرا حمزة سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء ذوقوا
عذاب الحريق اي النار وهو بمعنى المحرق كما يقال عذاب اليم اي مولم ذلك بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد فيعذب بغير ذنب الذين قالوا ان الله
عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا
وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازورا وحيي بن اخطب اتوا النبي صلعم فقالوا يا محمد
تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نومن
لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك
فانزل الله الذين قالوا يعني وسمع الله قول الذين قالوا ومحل الذين خفض ردا على الذين
الاول ان الله عهد الينا اي امرنا واوصانا في كتبه ان لا نؤمن لرسول اي لا نصدق
رسولا يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فيكون دليلا على صدقه
والقربان كلما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من نسيكة وصدقة وعمل صالح فعلان من
القربة وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا
غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتاكل وتحرق ذلك القربان
وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول واذا لم يقبل بقي على حاله وقال السدي ان الله
امر بني اسرائيل من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله
النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد عليهما السلام فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما ياتيان بغير
قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم قل يا محمد قد جاءكم يا معشر اليهود رسل
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم من القربان فلم قتلتموهم يعني زكريا ويحيى و

من قتلوا من الانبياء واراد بذلك اسلافهم فخاطبهم بذلك لانهم رضوا بفعل اسلافهم
ان كنتم صادقين معناه تكذيبهم اياك مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع
الانبيان بالقربان ثم قال معزيا لنبيه صلعم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاءوا بالبينات والزبر قرا ابن عامر وبالزبر اي الكتب المزبورة يعني المكتوبة واحدها
زبور مثل رسول ورسل والكتاب المنير الواضح المضيء كل نفس ذائقة الموت وفي الخبر
لما خلق الله عز وجل آدم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها ان يرد
فيها ما اخذ منها فما من احد الا يدفن في التربة التي خلق منها وانما توفون اجوركم
توفون جزاء اعمالكم يوم القيمة ان خيرا فخير وان شرا فشر فمن زحزح نحي وازيل
عن النار وادخل الجنة فقد فاز ظفر بالنجاة ونجا من الخوف وما الحيوة الدنيا الا
متاع الغرور يعني منفعة ومتعة كالفاس والقدر والقصعة ثم يزول ولا يبقى
قال الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له قال قتادة هي متاع متروكة
يوشك ان تضمحل باهلها فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم والغرور
الباطل وعن ابي هريرة رضي قال قال رسول صلعم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصا
لحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة لشجرة يسير الراكب في
ظلها مائة عام ولا يقطعها واقروا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من
الدنيا وما فيها واقروا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم قال عكرمة ومقاتل والكلبي
وابن جريج نزلت في ابي بكر وفنحاص وذلك ان النبي صلعم بعث ابا بكر الى فنحاص بن
عازورا سيد بني قينقاع ليستمده وكتب اليه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى
ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب فلما قراه قال قد احتاج ربكم
ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف فذكر قول النبي صلعم لا تفتاتن علي بشيء حتى
ترجع فكف ونزلت هذه الاية وقال الزهري نزلت في كعب بن الاشرف فانه كان يهجو
رسول الله صلعم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلعم واصحابه في شعره و
يشبب بنساء المسلمين فقال النبي صلعم من لي من ابن الاشرف فانه قد آذى الله

ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت
على ذلك فرجع محمد بن مسلمة الانصاري فمكث ثلثا لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق نفسه
فذكر ذلك لرسول الله صلعم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله قلت لك قولا
لا ادري هل افي به ام لا فقال انما عليك الجهد قال يا رسول الله انه لا بد لنا من ان نقول قال
قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة
ابو نائلة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عبس بن
جبر فمشى معهم رسول الله صلعم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم
ثم رجع رسول الله صلعم وذلك في ليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه فقدموا ابا نائلة
فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر وكان ابو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف
اني قد جئتك لحاجة اريد ذكرها لك فاكتم علي قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل
بلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت
العيال وجهدت الانفس فقال كعب انا ابن الاشرف اما والله لقد كنت اخبرتك يا ابن سلامة
ان الامر سيصير الى هذا فقال ابو نائلة ان معي اصحابا اردنا ان تبيعنا من الطعام
ونرهنك ونوثق لك ونحسن في ذلك فقال ترهنوني ابناءكم فقال انا نستحي ان يعير
ابناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين قال ترهنوني نساءكم قال كعب كيف نرهنك
نساءنا وانت اجمل العرب ولا نأمنك واي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك
الحلقة يعني السلاح وقد علمت حاجتنا الى السلاح قال نعم واراد ابو نائلة ان لا ينكر
السلاح اذا رآه فواعده ان يأتيه فرجع ابو نائلة الى اصحابه فاخبرهم خبره فاقبلوا حتى
اذا انتهوا الى حصنه ليلا فهتف ابو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته
فقالت امرأته اسمع صوتا يقطر منه الدم وانك رجل محارب وان صاحب الحرب لا ينزل في
مثل هذه الساعة فكلمهم من فوق الحصن فقال انما اخي محمد بن مسلمة ورضيعي ابو نائلة
وان هؤلاء لو وجدوني نائما ما ايقظوني وان الكريم اذا دعي الى طعنة بليل لاجاب
فنزل اليهم فتحدث معهم ساعة ثم قالوا يا ابن الاشرف هل لك ان نتمشى الى شعب
العجوز فنتحدث ~~معهم ساعة ثم قالوا يا ابن الاشرف~~ فيه بقية ليلتنا هذه قال ان
شئتم فخرجوا يتماشون وكان ابو نائلة قال لاصحابه اني قائل شعره فاشمه فاذا

رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ثم انه شام يده في فود رأسه ثم شم
يده فقال ما رأيت كالليلة طيب عروس قط قال انه طيب ام فلان يعني امرأته ثم مشى
ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم اخذ بفودي رأسه حتى استمكن
ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت
مغولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه
نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد
اصيب الحارث بن اوس بجرح في رأسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطأ علينا
صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم اتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به
رسول الله صلعم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل كعب وجئنا برأسه
اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت يهود وقعتنا بعدو الله
فقال رسول الله صلعم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على سنينة
رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم
يسلم وكان اسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اي عدو الله اقتلته اما
والله لرب شحم في بطنك من ماله قال محيصة والله لو امرني بقتلك من امرني بقتله لضربت
عنقك قال لو امرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم قال والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فا
سلم حويصة وانزل الله في شأن كعب لتبلون لتختبرن واللام للتاكيد وفيه معنى
القسم والنون لتاكيد القسم في اموالكم بالجوائح والعاهات والخسران وانفسكم بالامراض
وقيل بمصائب الاقارب والعشائر قال عطاء هم المهاجرون اخذ المشركون اموالهم وباعوا
رباعهم وعذبوهم قال الحسن هو ما فرض عليهم في اموالهم وانفسهم من الحقوق كالصلوة و
الصيام والحج والجهاد والزكوة ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود
والنصارى ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب اذى كثيرا وان تصبروا على ذلك و
تتقوا الله فان ذلك من عزم الامور اي من حق الامور وخيرها قال عطاء من حقيقة الايمان
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قرا ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر بالياء فيهما لقوله فنبذوه وراء ظهورهم وقرا الآخرون بالتاء فيهما على اضمار
القول فنبذوه وراء ظهورهم طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني

اما كل والرشا فبئس ما يشترون قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله على اهل العلم فمن علم
شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة قال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل
الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية روي
عن ابي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلعم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من نار وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته في بابه فقلت ان رايت ان
تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال
حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب يقول
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا قرا عاصم وحمزة والكسائي تحسبن بالتاء يا محمد الذين
وقرا الاخرون بالياء اي لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب فلا تحسبنهم وقرا
ابن كثير وابو عمرو بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين اي فلا يحسبن انفسهم وقرا الاخرون
بالتاء وفتح الباء اي فلا تحسبنهم يا محمد واعاد قوله فلا تحسبنهم تاكيدا وفي حرف عبد الله
بن مسعود ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة
من العذاب من غير تكرار واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية روي عن ابي سعيد الخدري
ان رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلعم كان اذا خرج رسول الله الى الغزو وتخلفوا
عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله فاذا قدم رسول الله اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الاية لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية روي عن
ابن ابي مليكة ان علقمة بن وقاص اخبره ان مروان قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس
فقل لئن كان كل امرئ فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون
فقال ابن عباس ومالكم ولهذه انما دعا النبي صلعم يهودا فسالهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه
بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه فيما سالهم وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم
ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب كذلك الى قوله يفرحون بما اتوا
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا قال عكرمة نزلت في فنحاص واشيع وغيرهما من الاحبار
يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم وليسوا باهل علم وقال هي في
اليهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه وقال سعيد بن

جبير هم اليهود فرحوا بما اعطى الله آل ابراهيم وهم برآء من ذلك وقال قتادة ومقاتل اتت
يهود خيبر نبي الله صلعم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وانا على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك
في قلوبهم فلما خرجوا قال لهم المسلمون ما صنعتم فقالوا عرفناه وصدقناه فقال لهم المسلمون
احسنتم هكذا فافعلوا فحمدوهم ودعوا لهم فانزل الله هذه الاية وقال يفرحون بما اتوا
قال الفراء بما فعلوا كما قال لقد جئت شيئا فريا اي فعلت ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة بمنجاة من العذاب ولهم عذاب اليم
ولله ملك السموات والارض يصرفها كيف يشاء والله على كل شيء قدير ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب روي عن عبد
الله بن عباس انه رقد عند النبي صلعم فرآه استيقظ فتسوك ثم توضا وهو يقول ان في
خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع
والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم
يتوضا ثم يقرا هؤلاء الايات ثم اوتر بثلث ركعات ثم اتاه المؤذن فخرج الى الصلاة
وهو يقول اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي لساني نورا واجعل من خلفي نورا ومن
امامي نورا واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني نورا ورواه كريب عن ابن
عباس وزاد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي
نورا قوله لايات لاولي الالباب ذوي العقول ثم وصفهم فقال الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب وابن عباس والنخعي وقتادة رضي الله عنهم
هذا في الصلوة يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب روي عن عمران بن
حصين قال سالت رسول الله صلعم عن صلوة المريض فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب وقال سائر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في عموم الاحوال لان
الانسان قل ما يخلو من احدى هذه الحالات الثلاث نظيره في سورة النساء ويتفكرون
في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الصانع ويعرفوا ان
لهما صانعا قادرا مدبرا حكيما قال ابن عون الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب
الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل
الفكرة ربنا اي ويقولون ربنا ما خلقت هذا ردة الى الخلق فلذلك لم يقل هذه باطلا

ان عبثا وهزلا بل خلقته لامر عظيم وانتصب الباطل بنزع الخافض اى بالباطل • سبحانك
فقنا عذاب النار • ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته • اهنته وقيل اهلكته وقيل فضحته
لقوله تعالى ولا تخزون في ضيفي فان قيل قد قال الله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه ومن اهل الايمان من يدخل النار وقد قال انك من تدخل النار فقد اخزيته فكيف الجمع
قيل قال انس وقتادة معناه انك من تخلد في النار فقد اخزيته وقال سعيد بن المسيب
هذه خاصة لمن لا يخرج منها فقد روى انس عن النبي صلعم ان الله تعالى يدخل قوما النار ثم يخرجهم
منها • وما للظالمين من انصار • ربنا اننا سمعنا مناديا • يعني محمدا صلعم قاله ابن مسعود
وابن عباس واكثر الناس وقال القرظي يعني القران فليس كل احد يلقى النبي صلعم • ينادي
للايمان • اى الى الايمان • ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار • اى في جملة الابرار • ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك • اى على السنة
رسلك • ولا تخزنا • ولا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تهلكنا • يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد • فان
قيل ما وجه قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقد علموا ان الله لا يخلف الميعاد
قيل لفظه دعاء ومعناه الخبر لتؤتينا ما وعدتنا تقديره فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
ولا تخزنا يوم القيامة لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة وقيل معناه ربنا
واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقا
قهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر
على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل
خزيهم وانصرنا عليهم • فاستجاب لهم ربهم انى • اى بانى • لا اضيع • لا احبط • عمل عامل
منكم • ايها المؤمنون • من ذكر او انثى • قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله اني
الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فانزل الله هذه الاية • بعضكم من بعض • قال
الكلبي في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحوا وقال الضحاك رجالكم شكل
نسائكم ونسائكم شكل رجالكم في الطاعة كما قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض • فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي • اى في طاعتي وديني
وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة • وقاتلوا وقتلوا • قرا ابن كثير
وابن عامر قتّلوا بالتشديد قال الحسن يعني انهم قطعوا في المعركة والاخرون بالتخفيف

قتل القراء وقاتلوا وقتلوا يريد انهم قاتلوا العدو ثم قتلوا وقرا حمزة والكسائي
قتلوا وقاتلوا وله وجهان احدهما معناه وقاتل من بقي منهم ومعنى قوله وقتلوا اى
قتل بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وانما قتلوا بعضهم والوجه الاخر وقتلوا
وقد قاتلوا • لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله • نصب على القطع قاله الكسائي وقال المبرد مصدر لاثيبنهم ثوابا
والله عنده حسن الثواب • لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد • نزلت في المشركين
وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان
اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك تقلب الذين كفروا
ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وانواع المكاسب فالخطاب مع النبي صلعم
والمراد منه غيره • متاع قليل • اى هو متاع قليل بلغة فانية ومتعة زائلة • ثم ماواهم
مصيرهم • جهنم وبئس المهاد • الفراش • لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا • جزاء • وثوابا • من عند الله • نصب على التفسير
وقيل جعل ذلك نزلا • وما عند الله خير للابرار • من متاع الدنيا وروي عن عمر بن
الخطاب انه قال جئت فاذا رسول الله صلعم في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه
شي وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند
راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله
ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا
الاخرة • وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله • قال جابر وابن عباس وانس وقتادة
نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل
لرسول الله صلعم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ
لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير
النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقال عطاء
نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلثين من ارض الحبشة وثمانية من
الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي صلعم وقال ابن جريج نزلت في عبد الله بن سلام

واصحابه وقال مجاهد نزلت في مؤمني اهل الكتاب كلهم وان من اهل الكتاب لمن يؤمن
بالله • وما انزل اليكم • يعني القرآن • وما انزل اليهم • يعني التورية والانجيل • خاشعين
خاضعين متواضعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا • يعني لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون
صفة محمد صلعم لاجل الرياسة والمأكلة كفعل غيرهم من رؤساء اليهود • اولئك لهم اجرهم عند
ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا • قال الحسن اصبروا
على دينكم فلا تدعوه لشدة ولا رخاء قال قتادة اصبروا على طاعة الله وقال الضحاك ومقاتل
بن سليمان على امر الله وقال مقاتل بن حيان على اداء فرائض الله وقال زيد بن اسلم على
الجهاد وقال الكلبي على البلاء وصابروا يعني الكفار • ورابطوا • يعني المشركين وقال ابو عبيدة
اي داوموا واثبتوا والربط الشد واصل الرباط ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم
ثم قيل ذلك لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه وان لم يكن له مركب روي عن سهل بن سعد الساعدي
ان رسول الله صلعم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم
من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا
وما عليها وعن سلمان الخير ان رسول الله صلعم قال من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان له اجر صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا اجرى له ذلك الاجر واجري عليه الرزق وامن
من الفتان وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمان النبي صلعم غزو يرابط فيه ولكنه
انتظار الصلوة خلف الصلوة ودليل هذا التأويل ما اخبرنا ابو الحسن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلعم قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على
المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
فذلكم الرباط • واتقوا الله لعلكم تفلحون • قال بعض ارباب اهل اللسان اصبروا على
النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء
لعلكم تفلحون في دار البقاء

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

مدنية وهي مائة وخمس او ست او سبع وسبعون آية يا ايها الناس اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة • يعني آدم عم • وخلق منها زوجها • يعني حواء وبث
منهما • نشر واظهر • رجالا كثيرا ونساء • واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام •
اي تتساءلون وقرأ اهل الكوفة بتخفيف السين على حذف احدى التائين كقوله تعاونوا

والارحام قراءة العامة بالنصب اي اتقوا الارحام ان تقطعوها وقرأ حمزة بالخفض
اي به وبالارحام كما يقال سألتك بالله وبالرحم والقراءة الاولى افصح لان العرب
لا تنسق بظاهر على مكني الا ان تعيد الخافض فتقول مررت به وبزيد الا انه جائز
مع قلته • ان الله كان عليكم رقيبا • اي حافظا • وآتوا اليتامى اموالهم • قال
مقاتل والكلبي نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلعم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلعم
من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه
في سبيل الله فقال النبي صلعم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر فقال ثبت
الاجر للغلام وبقي الوزر على والده فقوله وآتوا خطاب للاولياء والاوصياء واليتامى جمع
يتيم واليتيم اسم لصغير لا اب له ولا جد وانما يدفع المال اليه بعد البلوغ وسماهم يتامى على
معنى انهم كانوا يتامى • ولا تتبدلوا • اي لا تستبدلوا • الخبيث بالطيب • اي ما لهم الذي هو
حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبدل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري
والسدي كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما
كان احدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة ويأخذ الدرهم
الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم فنهوا عن ذلك وقيل كان اهل الجاهلية
لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأخذ الاكبر الميراث فنصيبه من الميراث طيب
وهذا الذي يأخذه خبيث قال مجاهد لا تتعجل الرزق الحرام قبل ان يأتيك الحلال
• ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم • اي مع اموالكم كقوله تعالى من انصاري الى الله اي مع الله انه
كان حوبا كبيرا • اي اثما عظيما • وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى • الآية اختلفوا في تأويلها قال
بعضهم معناه ان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن • فانكحوا ما طاب
لكم من النساء • غيرهن من الغرائب • مثنى وثلاث ورباع • روي عن الزهري قال
كان عروة بن الزبير يحدث انه سأل عائشة وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء قالت هي اليتيمة في حجر وليها فيرغب في جمالها ويريد ان يتزوجها بادنى
من سنة نسائها فنهوا عن انكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا

بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة ثم استفتى الناس رسول الله صلعم فانزل الله
يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين الله في هذه
الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال او مال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها بالكمال
الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء
قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها ليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها
الاوفى من الصداق ويعطوها حقها قال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام
وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب
فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك وانزل هذه
الاية قال عكرمة كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والاكثر منها فاذا
صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا
على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وهذه رواية طاوس عن ابن عباس وقال بعضهم
كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاؤا فربما عدلوا
وربما لم يعدلوا فلما انزل الله في اموال اليتامى اموالهم انزل هذه الاية وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى يقول فكما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن
فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد
بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص في نكاح اربع فقال فانكحوا ما طاب لكم من النساء
مثنى وثلث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فيهن فواحدة وقال مجاهد معناه ان
تحرجتم من ولاية اليتامى في اموالهم ايمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النساء حلالا
نكاحا طيبا ثم بين لهم عددا وكانوا يتزوجون ما شاؤا من غير عدد قوله تعالى فانكحوا ما
طاب اي من طاب كقوله والسماء وما بناها قال فرعون وما رب العالمين والعرب تضع من
وما كل واحد موضع الاخر كقوله فمنهم من يمشي على بطنه وطاب اي حل لكم من النساء مثنى
وثلث ورباع معدولات عن اثنين وثلث واربع ولذلك لا ينصرفن والواو بمعنى او للتخيير كقوله
تعالى ان تقوموا لله مثنى وفرادى اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع وهذا اجماع ان
احدا من الامة لا يجوز له ان يزيد على اربع نسوة وكانت الزيادة من خصائص النبي صلعم
لا مشاركة معه لاحد من الامة فيه روي ان قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة فلما نزلت

هذه الاية قال له رسول الله صلعم طلق اربعا وامسك اربعا قال فجعلت اقول للمراة التي لم تلد مني
يا فلانة ادبري والتي قد ولدت يا فلانة اقبلي وروي ان غيلان بن سلمة الثقفي
اسلم وعنده عشر نسوة فقال النبي صلعم امسك اربعا وفارق سائرهن واذا جمع الحر بين اربع
نسوة حرائر يجوز فاما العبد فلا يجوز ان ينكح اكثر من امراتين عند اكثر اهل العلم وروي عن
عمر بن الخطاب انه قال ينكح العبد امراتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين وان
لم تكن تحيض فشهرين او شهرا ونصفا وقال ربيعة يجوز للعبد ان ينكح اربع نسوة كالحر فان
خفتم خشيتم وقيل علمتم ان لا تعدلوا بين الاربع فواحدة اي فانكحوا واحدة وقرا ابو جعفر
فواحدة بالرفع او ما ملكت ايمانكم يعني السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم
في الحرائر ولا قسم لهن ولا وقت في عددهن وذكر الايمان بيان تقديره او ما ملكتم وقال بعض
اهل المعاني او ما ملكت ايمانكم اي ما ينفذ فيه اقسامكم جعله من يمين الحلف لا يمين الجارحة ذلك
ادنى اقرب الا تعولوا اي لا تجوروا ولا تميلوا يقال ميزان عائل اي مائل هذا
قول اكثر المفسرين وقال مجاهد ان لا تضلوا وقال الفراء ان لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم واصل العول
المجاوزة ومنه عول الفرائض وقال الشافعي ان لا تكثر عيالكم وما قاله احد الا الشافعي
من كثرة العيال اعال يعيل اعالة اذا كثر عياله قال ابو حاتم كان الشافعي اعلم بلسان
العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهو حجة لقول
الشافعي وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاولياء وذلك
ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كانت معه في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا
كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطونها من مهرها غير ذلك
فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي كان اولياء النساء
يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك وامروا بتسمية المهر
في العقد روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم نهى عن الشغار والشغار ان
يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الاخر ابنته وليس بينهما صداق وقال آخرون الخطاب
للازواج امروا بايتاء نسائهم الصداق وهذا اصح لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين
والصدقات المهور واحدتها صدقة نحلة قال قتادة فريضة وقال ابن جريج فريضة
مسماة قال ابو عبيد ولا تكون النحلة الا مسماة معلومة وقال الكلبي عطية وهبة وقال ابو

عن طيب نفس وقال الزجاج تدينا وروي عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلعم
احق الشروط ان توفوا به ما استحللتم به الفروج. فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
يعني فان طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها
فخرجت النفس مفسرة فلذلك وحد النفس كما قال وضاق بهم ذرعا وقري عينا وقيل
لفظها واحد ومعناها جمع. فكلوه هنيئا مريئا سائغا طيبا يقال هنأني الطعام يهنئني بفتح
النون في الماضي وكسرها في الغابر وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود
العاقبة التام الهضم الذي لا يضر قرأ ابو جعفر هنيا مريا بتشديد الياء فيهما من غير همز وكذلك
بري وبريون وبريا وكهيئة والاخرون يهمزونها. ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله
لكم قياما اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم هم النساء وقال الضحاك النساء من اسفه السفهاء
قال مجاهد نهى الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم وهن سفهاء من كن ازواجا او بنات او امهات
وقال اخرون هم الاولاد قال الزهري يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد
الله فيفسده وقال بعضهم هم النساء والصبيان قال الحسن هي امرأتك السفيهة وابنك السفيه
قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا
هم الذين ينفقون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن
انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم قال الكلبي اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة
وان ولده مفسد فلا ينبغي ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده قال سعيد بن جبير
وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه حتى يبلغ وانما اضاف الى الاولياء
فقال اموالكم لانهم قوامها ومدبروها والسفيه الذي لا يجوز لوليه ان يؤتيه
ماله هو المستحق للحجر عليه وهو ان يكون مبذرا في ماله او مفسدا في دينه فقال جل ذكره
ولا تؤتوا السفهاء اي الجهال بموضع الحق اموالكم التي جعل الله قياما قرأ نافع وابن عامر
قيما بلا الف وقرأ الاخرون قياما واصله قواما فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهو
ملاك الامر وما يقوم به الامر واراد هاهنا قوام عيشكم الذي تعيشون به قال الضحاك به
يقام الحج والجهاد واعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار. وارزقوهم فيها اي اطعموهم
واكسوهم لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته وانما قال فيها ولم يقل منها لانه اراد ان يجعلوا لهم
فيها رزقا فان الرزق من الله هو العطية من غير حد ومن العباد اجراء موقت محدود. وقولوا

لهم قولا معروفا عدة جميلة وقال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت
جعلت لك حظا وقيل هو الدعاء وقال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا
الله واياك بارك الله فيك وقيل قولا لينا تطيب به انفسهم. وابتلوا اليتامى نزلت في ثابت
بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة توفي وترك ابنه ثابتا وهو صغير فأتى عم ثابت الى النبي
صلعم وقال ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله عز وجل
وابتلوا اليتامى اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم. حتى اذا بلغوا النكاح
اي مبلغ الرجال والنساء. فان آنستم ابصرتم. منهم رشدا قال المفسرون يعني عقلا
وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه قال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي لا يدفع اليه ماله
وان كان شيخا حتى يؤنس رشده والابتلاء يختلف باختلاف احوالهم فان كان ممن يتصرف
في السوق فيدفع الولي اليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في السوق
فيختبره في نفقة داره والانفاق على عبيده واجرائه ويختبر المرأة في امر بيتها وحفظ متاعها
وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبيره وتصرفه في الامور مرارا يغلب على القلب
رشده دفع المال اليه واعلم ان الله تعالى علق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال اليه
بشيئين بالبلوغ والرشد فالبلوغ يكون باحد الاشياء الاربعة اثنان يشترك فيهما الرجال
والنساء واثنان يختصان بالنساء فما يشترك فيه الرجال والنساء احدهما السن والثاني
الاحتلام اما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة
حكم ببلوغه غلاما كان او جارية لما روي عن ابن عمر قال عرضت
على رسول الله صلعم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا
ابن خمس عشرة فاجازني قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال هذا فرق
بين المقاتلة والذرية وكتب ان يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة ومن لم يبلغها في
الذرية وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة
وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة واما الاحتلام فنعني به نزول المني سواء كان
بالاحتلام او بالجماع او غيرهما فاذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من ايهما كان حكم
ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا وقال النبي صلعم لمعاذ في الجزية
حين بعثه الى اليمن خذ من كل حالم دينارا واما الانبات انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو بلوغ في

في اولاد المشركين كما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي بني قريظة فكانوا
ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك
بلوغا في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما يكون بلوغا كما في اولاد الكفار والثاني لا يكون
بلوغا لانه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع الى آبائهم وفي الكفار لا يوقف على
مواليدهم ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا
في حقهم اما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل فاذا حاضت المراة بعد استكمال تسع سنين
يحكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل واما
الرشد فهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو ان يكون مجتنبا عن
الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير
هو ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخراوية ولا يحسن التصرف
فيغبن في البيوع فاذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه او غير مصلح لماله دام الحجر ولا يدفع اليه
ماله ولا ينفذ تصرفه وعند ابي حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال الحجر عنه وان كان مفسدا في دينه
واذا كان مفسدا لماله لا يدفع المال اليه حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة غير ان تصرفه يكون
نافذا قبله والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه لان الله تعالى قال اذا بلغوا النكاح فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والذي
بلغ لا يكون رشيدا او بعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يكون دفع المال اليه كما قبل
بلوغه هذا السن فاذا بلغ واونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع المال اليه رجلا كان او
امراة تزوج او لم يتزوج وعند مالك ان كانت امراة لا يدفع المال اليها ما لم تتزوج فاذا تزوجت
دفع المال اليها ولكن لا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب فاذا بلغ
الصبي رشيدا او زال الحجر عنه بحصولهما ثم عاد مبذرا لماله يحجر عليه وان عاد مفسدا
في دينه فعلى وجهين احدهما يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه اذا بلغ بهذه الصفة والثاني
لا يعاد لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال
والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله
بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان فلاحجرن عليك فاتى

ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان وقال احجر
على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان
ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى ولا تاكلوها يا معشر الاولياء اسرافا
يعني بغير حق وبدارا مبادرة ان يكبروا او ان في محل النصب يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم
حذرا ان يبلغوا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين ما يحل لهم من مالهم فقال ومن كان
غنيا فليستعفف اي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزاه قليلا ولا كثيرا والعفة الامتناع مما لا
يحل ومن كان فقيرا محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فلياكل بالمعروف روي
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلعم وقال اني فقير ليس لي شيء ولي يتيم
وقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء
فذهب قوم الى انه يقضي اذا ايسر وهو المراد من قوله فلياكل بالمعروف والمعروف القرض
اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن
جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم اذا استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميتة وقال قوم لا قضاء عليه ثم اختلفوا في كيفية هذا الاكل بالمعروف فقال عطاء
وعكرمة ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه وقال لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن
ما سد الجوعة ووارى العورة وقال الحسن وجماعة ياكل من ثمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف
ولا قضاء عليه واما الذهب والفضة فلا فان اخذ منه شيئا رده عليه وقال الكلبي
المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيئا وروي عن يحيى بن
سعيد انه قال سمعت القاسم بن محمد يقول جاء رجل الى ابن عباس فقال ان لي يتيما
وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنا
جرباها وتلوط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب
وقال بعضهم المعروف ان ياخذ من جميع ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو
قول عائشة وجماعة من اهل العلم فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم
هذا امر ارشاد ليس بواجب امر الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد ما بلغ لتزول
عنه التهمة وتنقطع الخصومة وكفى بالله حسيبا محاسبا ومجازيا وشاهدا للرجال

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون. نزلت في اوس بن ثابت الانصاري توفي
وترك امراة يقال لها ام كجة وثلث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه
سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يو
رثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون
لا نعطي الا من قاتل وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثا
بت مات وترك علي بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن ما
لا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني شيئا ولا بناتي وهن في حجري لا يطعمن ولا
يسقين فدعاهما رسول الله صلعم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا
ينكا عدوا فانزل الله عز وجل للرجال نصيب يعني للذكور من اولاد الميت واقربائه نصيب
حظ مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث. وللنساء للاناث منهم نصيب حظ مما
ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اي من المال او كثر نصيبا مفروضا نصب
على القطع وقيل جعل ذلك نصيبا فاثبت لهن الميراث ولم يبين كم هو فارسل رسول الله صلعم الى
سويد وعرفجة لا تفرقا من مال اوس بن ثابت شيئا فان الله تعالى جعل لبناته نصيبا مما
ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم فلما نزلت
ارسل رسول الله صلعم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته
الثلثين ولكما باقي المال. واذا حضر القسمة يعني قسمة المواريث. اولوا القربى الذين
لا يرثون. واليتامى والمساكين فارزقوهم منه. اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة
اختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة وقال سعيد بن المسيب والضحاك
كانت هذه قبل اية الميراث فلما نزلت اية الميراث جعلت المواريث لاهلها ونسخت هذه
الاية وقال الآخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري قال مجا
هد هي واجبة على اهل الميراث ما طابت به انفسهم قال الحسن كانوا يعطون التابوت والا
واني ورث الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيى من قسمته وان كان بعض الورثة طفلا
فاختلفوا فيه قال ابن عباس وغيره ان كانت الورثة كبارا ارضخوا لهم وان كانت صغا
را اعتذروا الى المساكين فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال انما هو للصغار ولو كان لي منه
شيء لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم وهذا معنى قوله. وقولوا لهم قولا معروفا.
اى لين السائلين

وقال بعضهم ذلك حق واجب في اموال الصغار والكبار فان كانوا كبارا تولوا اعطاءهم وان
كانوا صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام فامر
بشاة فذبحت فصنع طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال
قتادة عن يحيى بن يعمر ثلث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الاية وآية
الاستيذان يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية وقوله يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وقال بعضهم وهو اولى الاقاويل ان هذا على الندب والاستحباب
لا على الحتم والايجاب. وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا. اولادا صغارا
خافوا عليهم. الفقر هذا في الرجل يحضره الموت فيقول من بحضرته انظر لنفسك فان اولا
دك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا
كذا حتى ياتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يامروه ان ينظر لولده ولا يزيد
في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما لو كان هذا القائل هو الموصي لسره ان يحثه من
بحضرته على حفظ ماله لولده وان لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم وقال الكلبي هذا
الخطاب لولاة اليتامى يقول من كان منهم في حجره يتيم فليحسن اليه وليات اليه ما
يحب ان يفعل بذريته من بعده. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا. اي عدلا
والسديد العدل والصواب من القول وهو ان يامره بان يتصدق بما دون الثلث
ويخلف الباقي لولده. ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما. قال مقاتل بن حيان
نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن اخيه وهو يتيم صغير
فاكله فانزل الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما حراما يعني بغير حق انما ياكلون
في بطونهم نارا. اخبر عن ماله اي عاقبته تكون كذلك. وسيصلون سعيرا. قراءة
العامة بفتح الياء اي يدخلونه يقال صلي النار يصلاها صلا وصليا قال الله تعالى الا
من هو صال الجحيم وقرا ابن عامر وابو بكر بضم الياء يدخلون النار ويحرقون نظيره
قوله فسوف نصليه نارا ساصليه سقر وفي الحديث قال النبي صلعم رايت ليلة اسري بي
قوما لهم مشافر كمشافر الابل احداهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة
النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما. يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين. اعلم ان الوارثة كانت

في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان فابطل
الله ذلك بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب كانت ايضا
في الجاهلية وابتداء الاسلام بالحلف قال الله تعالى والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت
الوراثة بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فنسخ
ذلك كله وصارت الوراثة باحد الامور الثلثة بالنسب او النكاح او الولاء فالمعنى بالنسب
ان القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله والمعنى بالنكاح ان احد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء ان المعتق وعصباته يرثون
المعتق فنذكر بعون الله تعالى فصلا وجيزا في بيان من يرث من الاقارب و
كيفية توريث الورثة فنقول اذا مات ميت وله مال يبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه
ثم بانفاذ وصاياه ثم فضل يقسم بين الورثة ثم الورثة على ثلثة اقسام منهم من يرث بالفرض
ومنهم من يرث بالتعصيب ومنهم من يرث بهما جميعا فمن يرث بالنكاح لا يرث الا بالفرض
ومن يرث بالولاء لا يرث الا بالتعصيب ومن يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كا
لبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والا
خوة والاعمام وبنيهم ومنهم من يرث بهما كالاب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد وان كان
للميت ابن يرث الاب بالفرض السدس وان كان للميت بنت يرث الاب السدس بالفرض
ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب وكذلك الجد وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند
الانفراد او يأخذ ما فضل عن اصحاب الفرايض وجملة الورثة سبعة عشر عشرة من الرجال
وسبع من النساء فمن الرجال الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد اب الاب وان علا
والاخ سواء كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم
للاب والام او للاب وابناؤهما وان سفلوا والزوج ومولى العتاقة ومن النساء البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجدة ام الام او ام الاب والاخت سواء كانت لاب وام
او لاب او لام والزوجة ومولاة العتاقة وستة من هولاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير
الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة والاسباب التي توجب
حرمان الميراث اربعة اختلاف الدين والرق والقتل وعمى الموت نعني باختلاف الدينان
الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلعم

قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم واما الكفار يرث بعضهم من بعض مع اختلاف
مللهم لان الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذهب بعض
اهل العلم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي من النصراني والنصراني
من المجوسي واليه ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لقول النبي صلعم لا يتوارث اهل
الملتين شتى وتأويله الآخر عند علي الاسلام مع الكفر فاما الكفر نحله ملة واحدة فتورث بعضهم
من بعض لا يكون اثبات التوارث من اهل ملتين شتى والرقيق لا يرث احدا ولا يورث احدا لا
نه لا ملك له ولا فرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وام الولد والقتل يمنع الميراث عمدا او
خطاء لما روي عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال القاتل لا يرث ونعني بعمى الموت ان المتوار
ثين اذا عمي موتهما بان غرقا في ماء او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا
يرث احدهما من الآخر بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حيوته يقينا بعد موته من ورثته
والسهام المحدودة في الفرايض ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف
فرض ثلثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت عند عدم الواحدة للصلب او لبنت الا
بن عند عدم ولد الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام او للاب اذا لم يكن له ولد لاب وام
والربع فرض الزوج اذا كان للميتة ولد وفرض الزوجة اذا لم يكن للميت ولد والثمن فرض الزوجة اذا
كان للميت ولد والثلثان فرض البنتين للصلب فصاعدا او ابنتي الابن عند عدم ولد الصلب وفرض
الاختين للاب والام او للاب فصاعدا والثلث فرض ثلثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد
ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوا
ن فان للام فيهما ثلث ما يبقى بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من
اولاد الام ذكورهم واناثهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض
وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة واما السدس ففرض سبعة فرض الاب اذا
كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض
الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا
للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او
انثى وفرض بنات الابن اذا كان للميت ابنة واحدة للصلب لهم تكملة الثلثين وفرض الاخوا
ت للاب اذا كان للميت اخت واحدة لاب وام تكملة الثلثين روي عن ابن عباس قال قال

رسول الله صلعم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر وفي الحديث دليل على ان بعض
الورثة يحجب البعض والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان فحجب النقصان هو ان
الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من
الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا يحجبون الام من الثلث
الى السدس وحجب الحرمان هو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون
باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام يسقطون بثلثة بالا
ب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد رضي
الله عنهم واولاد الاب يسقطون بهولاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان
الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعا
ذ وابي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة رحمهم الله
واقرب العصبات يسقط الابعد من العصوبة فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم
الاب ثم الجد اب الاب وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة او الاخوات للاب والام
او للاب شركه في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم
اقربهم سواء كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم للاب
والام ثم العم للاب ثم بنوهم على الترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد ثم على هذا الترتيب
فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات
المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ
للاب حتى لو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل
حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذا ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث
ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين شيئا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان
ولا شيء لبنت الابن فان كان في درجتها او اسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل
حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت
واخت كان النصف للبنت والباقي للاخت ولو مات عن بنتين واخت فللبنتين الثلثان
والباقي للاخت والدليل عليه ما روى ابو قيس وقال سمعت هذيل بن شرحبيل * يقول سئل

ابو موسى عن بنت وبنت ابن واخت فقال للبنت النصف وللاخت النصف واتت
ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال لقد ضللت اذا وما
انا من المهتدين اقضي فيها بما قضى النبي صلعم للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة
الثلثين وما بقي فللاخت فاتينا ابا موسى فاخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسالوني ما
دام هذا الحبر فيكم رجعنا الى تفسير الاية واختلفوا في سبب نزولها روي عن محمد بن المنكدر
سمعت جابرا يقول جاء رسول الله صلعم يعودني وانا مريض لا اعقل فتوضا فصب علي
من وضوءه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت اية الفرائض
وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء استشهد
سعد بن الربيع النقيب يوم احد وترك امراة وبنتين واخا فاخذ الاخ المال فاتت امراة
سعد الى رسول الله صلعم بابنتي سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان سعدا
قتل يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما ولا تنكحان الا ولهما مال فقال رسول الله صلعم
عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا اول ميراث قسم في الاسلام
قوله عز وجل يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم اي في امر اولادكم اذا متم للذ
كر مثل حظ الانثيين • فان كن • يعني المتروكات وكان من الاولاد • نساء • فوق اثنتين •
اي ابنتين فصاعدا وفوق صلة كقوله عز وجل فاضربوا فوق الاعناق • فلهن ثلثا ما
ترك وان كانت • يعني البنت • واحدة • قراءة العامة بالنصب على خبر كان ورفعها اهل
المدينة على معنى ان وقعت واحدة (يعني كانت تامة) فلها النصف • ولابويه • يعني لابوي الميت كناية عن
غير مذكور • لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد • اراد ان الاب والام يكون
لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد او ولد الابن يكون صاحب فرض • فان لم يكن
له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث • قرا الكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة
بعد الكسرة وقرا الاخرون بالضم على الاصل • فان كان له اخوة • اثنان او اكثر ذكورا او
اناثا • فلامه السدس • والباقي يكون للاب ان كان معها اب فالاخوة لا ميراث لهم مع الاب
ولكنهم يحجبون الام من الثلث الى السدس وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث
الى السدس الا ان يكونوا ثلثة قد تفرد به وقال لان الله تعالى قال فان كان له اخوة فلامه السدس
ولا يقال للاثنين اخوة فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لان الجمع ضم شيء الى شيء وهو موجود

الاثنين كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما ذكر القلب بلفظ الجمع واضاف الى اثنين من بعد
وصية يوصي بها او دين قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر يوصى بفتح الصاد على ما لم يسم
فاعله وكذلك الثانية ووافق حفص في الثانية وقرا الآخرون بكسر الصاد لانه جرى ذكر الميت
من قبل بدليل قوله من بعد وصية يوصين ويوصون قال علي بن ابي طالب انكم تقرؤن الو
صية قبل الدين وبدا رسول الله صلعم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على ال
وصية ومعنى الاية الجمع لا الترتيب وبيان ان الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعا معناه
من بعد وصية ان كانت او دين ان كان فالارث مؤخر عن كل واحد منهما آباؤكم وابناؤكم
يعني الذين يرثونكم آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من
يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له وانا العالم بمن هو انفع لكم وقد دبرت امركم على ما
فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس اطوعكم لله عز وجل من الآباء والابناء ارفعكم درجة
يوم القيمة والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة رفع
اليه ولده وان كان الولد ارفع درجة يوم القيمة رفع اليه والده لتقر بذلك اعينهم فريضة
من الله نصب مصدر اي فرض الله الميراث فريضة ان الله كان عليما بامور العباد حكيما
بنصب الاحكام ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين هذا في ميراث الازواج ولهن
الربع يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين هذا في ميراث الزوجات واذا كان للرجل اربع
نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن وان كان رجل يورث كلالة او امراة يورث
كلالة ونظم الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة وهو نصب على المصدر وقيل
على خبر ما لم يسم فاعله تقديره وان كان رجل يورث ماله كلالة واختلفوا في الكلالة
فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد له روي عن الشعبي قال سئل ابو
بكر عن الكلالة فقال اني ساقول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا
فمني ومن الشيطان اراه خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال اني لاستحيي من الله ان
ارد شيئا قاله ابو بكر وذهب طاوس الى ان الكلالة من لا ولد له وهو احدى الروايتين عن ابن

عباس واحد القولين عن عمر واحتج من ذهب الى هذا بقول الله تعالى قل الله يفتيكم في الكلا
لة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند العامة ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله
لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه عبد الله بن حرام
قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلعم فصار شان جابر بيانا لمراد الآية
لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن منهم من قال اسم للميت وهو قول علي وابن
مسعود لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه ومنهم من قال اسم للورثة وهو
قول سعيد بن جبير لانهم يتكللون الميت من جوانبه وليس في عمود نسبه احد كالاكليل
يحيط بالراس ووسط الراس منه خال وعليه حديث جابر حيث قال انما يرثني كلالة
اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد وقال نضر بن شميل الكلالة اسم للمال وقال
ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل
باصحاب النبي صلعم شيء ما اعضلت بهم الكلالة وقال عمر رضي الله عنه ثلث لان يكون النبي
صلعم بينهن لنا احب الينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وابواب الربا وقال معدا
ن بن ابي طلحة خطب عمر بن الخطاب رضي فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من الكلالة
ما راجعت رسول الله صلعم في شيء ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي فيه حتى طعن
باصبعه في صدري وقال يا عمر الا تكفيك اية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان اعش
اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرا القرآن ومن لا يقرا القرآن وقوله الا تكفيك اية الصيف
اراد ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والاخرى
في الصيف وهي التي في آخرها وفيها من البيان ما ليس في اية الشتاء فلذلك احاله عليها وله اخ
او اخت فلكل واحد منهما السدس واراد به الاخ والاخت من الام بالاتفاق وقرا سعد
بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمراة من قبل على عادة العرب
اذا ذكرت اسمين ثم اخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافت الى احدهما وربما اضافت
اليهما كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث وفيه اجماع ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم
فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النساء من
شان الفرائض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من
الام

والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
الله ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾ أي غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة
الثلث في الوصية قال الحسن هو أن يوصي بدين ليس عليه ﴿وصية من الله﴾ مصدر مؤكد
أي يوصيكم الله وصية ﴿والله عليم حليم﴾ قال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت
ونهى عنه وقدم فيه ﴿تلك حدود الله﴾ يعني ما ذكرت من الفروض المحدودة ﴿ومن يطع الله ور
سوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾
قرأ أهل المدينة وابن عباس ندخله جنات وندخله نارا وفي سورة الفتح ندخله ونعذبه وفي سو
رة التغابن نكفر وندخله وفي سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء
﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾ يعني الزنا ﴿من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾
يعني من المسلمين وهذا خطاب للحكام أي فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود وفيه بيان أن
الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود ﴿فإن شهدوا﴾ عليهن بالزنا ﴿فأمسكوهن﴾ فاحبسو
هن ﴿في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ وهذا كان في أول
الإسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ ذلك في
البكر بالجلد والتغريب وفي حق الثيب بالجلد والرجم روي عن عبادة بن الصامت أن
النبي صلعم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم قال الشيخ الإمام رضي الله عنه الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج
عن محمد بن مثنى عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله
عن عبادة ثم نسخ ذلك في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم وذهبت طائفة إلى أنه يجمع بينهما
روي عن علي رضي الله عنه أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ثم رجمها يوم الجمعة وقال
جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلعم وعامة أهل العلم على أن الثيب لا يجلد
مع الرجم لأن النبي صلعم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وعند أبي حنيفة التغريب أيضا
منسوخ في حق البكر وأكثر أهل العلم على أنه ثابت روى نافع عن ابن عمر أن النبي صلعم
ضرب وغرب وأن أبا بكر رضي ضرب وغرب وأن عمر رضي ضرب وغرب واختلفوا في أن
الإمساك في البيت كان حدا فنسخ أم كان حبسا ليظهر الحد على قولين ﴿واللذان يأتيانها

منكم﴾ يعني الرجل والمرأة والهاء راجعة إلى الفاحشة وقرأ ابن كثير واللذان واللذين وهذا
ن وهذين وهاتين مشددة النون للتأكيد ووافقه أهل البصرة في فذانك وقرأ الآخرون
بالتخفيف وقال أبو عبيدة خص أبو عمرو فذانك بالتشديد لقلة الحروف في الاسم ﴿فآذوهما﴾
قال عطاء وقتادة يعني عيروهما باللسان أما خفت الله أما استحييت من الله حين ز
نيت قال ابن عباس سبوهما واشتموهما قال ابن عباس هو باللسان واليد يؤذى بالت
عيير وضرب بالنعال فإن قيل ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء
فكيف وجه الجمع قيل الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الآية الأو
لى في الثيب وهذه في البكر ﴿فإن تابا﴾ من الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ العمل فيما بعد ﴿فأعرضوا
عنهما﴾ ولا تؤذوهما ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾ وهذا كله قبل نزول الحدود فنسخت بالجلد
والرجم فالجلد في القرآن قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
والرجم في السنة روي عن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما
أخبراه أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلعم فقال أحدهما يا رسول الله اقض بيننا
بكتاب الله وقال الآخر وكان أفقههما أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وأذن
لي في أن أتكلم فقال إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني
الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أنما على
ابني مائة جلدة وتغريب سنة وإنما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلعم أما والذي نفسي
بيده لأقضين بينكما بكتاب الله أما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه مائة وغربه عاما
وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها روي عن ابن
عباس قال قال عمر إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم
فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله صلعم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالنا
س زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنز
لها الله والرجم في كتاب حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان
الحبل أو الاعتراف وجملة حد الزنا أن الزاني إذا كان محصنا وهو الذي اجتمع فيه أربعة أو
صاف العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان أو ذميا وهو
المراد من الثيب المذكور في الحديث وذهب أصحاب الرأي أن الإسلام من شرائط الإحصان

ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلعم انه رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وان كان الزاني
غير محصن بان لم يجتمع فيه هذه الاوصاف نظر ان كان غير بالغ او كان مجنونا فلا حد عليه وان
كان حرا عاقلا بالغا غير انه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام وان كان عبدا
فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان ان قلنا يغرب فكم يغرب قولان اصحهما نصف سنة كما يجلد
خمسين على نصف حد الحر • انما التوبة على الله • قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها فيكون على بمعنى عند
وقيل من الله • للذين يعملون السوء بجهالة • قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلعم على ان كل ما
عصي به الله فهو جهالة عمدا كان او لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد المراد من الاية
العمد قال الكلبي لم يجهل انه ذنب لكنه جهل عقوبته وقيل معنى الجهالة اختياره اللذة الفانية
على اللذة الباقية • ثم يتوبون من قريب • قيل معناه قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها
وقال السدي والكلبي القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقال عكرمة قبل الموت وقال الضحاك
قبل معاينة ملك الموت روي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي
عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني
لا ازال اغفر لهم ما استغفروني • فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما • وليست
التوبة للذين يعملون السيئات • يعني المعاصي • حتى اذا حضر احدهم الموت • ووقع في النزع
• قال اني تبت الان • وهي حالة السوق حين يساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من
عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون
حين ادركه الغرق • ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا • هيأنا واعددنا
لهم عذابا اليما • يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها • نزلت في اهل المدينة
كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه
من عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء
تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي
فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي احق بنفسها
فكانوا على هذا حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن

الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه قيس بن ابي قيس
فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي
منه فاتت كبيشة رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه
فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى ياتي فيك امر الله
فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قرأ حمزة والكسائي كرها
بضم الكاف ههنا وفي التوبة وقرأ الباقون بالفتح قال الكسائي هما لغتان قال الفراء
الكره بالفتح ما اكره عليه وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة • ولا تعضلوهن لتذ
هبوا ببعض ما آتيتموهن • اي لا تمنعوهن من الازواج لتضجر فتفتدي ببعض مالها
قيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح انه خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل
يكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد اليه ما ساق
اليها من المهر فنهى الله عن ذلك ثم قال • الا ان ياتين بفاحشة مبينة • فحينئذ يحل لكم اضرارهن
لتفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة فقال ابن مسعود وقتادة هي النشوز وقال
بعضهم وهو قول الحسن هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان يسألها
الخلع وقال عطاء كان الرجل اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها
فنسخ الله ذلك بالحدود وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة ومبينات بفتح الياء وافق اهل
المدينة والبصرة في مبينات والباقون بكسرها • وعاشروهن بالمعروف • قال الحسن رجع
الى اول الكلام يعني وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة
بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان يتصنع لها كما تتصنع له • فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا • قيل هو ولد صالح او
يعطفه الله عليها • وان اردتم استبدال زوج مكان زوج • اراد بالزوج الزوجة وهم
يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة • وآتيتم احداهن قنطارا • وهو المال الكثير صداقا
• فلا تاخذوا منه • اي من القنطار • شيئا اتاخذونه • استفهام نهي وتوبيخ • بهتانا
واثما مبينا • وانتصابهما من وجهين احدهما بنزع الخافض والثاني بالاضمار تقديره تصيبون
في اخذه بهتانا واثما مبينا ثم قال • وكيف تاخذونه • على طريق الاستعظام • وقد افضى بعضكم
الى بعض • اراد به المجامعة ولكن الله حيي يكني واصل الافضاء الوصول الى الشيء من غير واسطة

واخذن منكم ميثاقا غليظا قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة هو قول الولي عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان قال الشعبي وعكرمة هو ما روي عن النبي صلعم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كان اهل الجاهلية ينكحون ازواج آبائهم قال اشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت اني اتخذك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني آتي رسول الله صلعم استأمره فاتته فاخبرته فانزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم اي من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف قيل بعد ما سلف وقيل معناه لكن ما سلف اي مضى في الجاهلية فهو معفو عنه انه كان فاحشة اي انه فاحشة وكان صلة فالفاحشة اقبح المعاصي ومقتا اي يورث مقتا والمقت اشد البغض وساء سبيلا وبئس ذلك طريقا وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة ابيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية روي عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلعم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه حرمت عليكم امهاتكم بين الله في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة وجملة المحرمات في كتاب الله اربع عشر سبع بالنسب وسبع بالسبب منها اثنتان بالرضاع واربع بالصهرية والسابعة المحصنات وهن ذوات الازواج فالنسب قوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام فيدخل فيها الجدات وان علين من قبل الام او من قبل الاب وبناتكم جمع البنت فيدخل فيهن بنات الاولاد وان سفلن واخواتكم جمع الاخت سواء كانت من قبل الاب والام او من قبل احدهما وعماتكم جمع العمة ويدخل فيهن جميع اخوات آبائكم واجدادكم وان علوا وخالاتكم جمع خالة ويدخل فيهن جميع اخوات امهاتكم وجداتكم وبنات الاخ وبنات الاخت يدخل فيهن بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده فالاصول هن الامهات والجدات والفصول البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده هن العمات والخالات وان علين واما المحرمات بالرضاع فقوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وجملته انه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب روي عن عائشة رضي الله عنها

زوج النبي صلعم ان رسول الله صلعم قال يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة وعنها انها اخبرته ان رسول الله صلعم كان عندها وانها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة فقالت عائشة فقلت يا رسول الله هذا صوت رجل يستأذن في بيتك فقال رسول الله صلعم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقلت لما يدخل علي فقال رسول الله صلعم نعم ان الرضاعة يحرم ما يحرم من الولادة وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وروي عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلعم لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلعم لا رضاع الا ما انشز العظم وانبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند ابي حنيفة مدة الرضاع ثلثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وهو عند الاكثرين لاقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع واقل مدة الحمل ستة اشهر والشرط الثاني ان توجد خمس رضعات متفرقات يروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي وذهب اكثر اهل العلم الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان الثوري ومالك والاوزاعي وعبد الله بن المبارك واصحاب الرأي واحتج من ذهب الى ان القليل لا يحرم بما روي عن عبد الله بن الزبير يحدث ان رسول الله صلعم قال لا تحرم المصة والمصتان هكذا رواه بعضهم هذا الحديث ورواه عبد الله بن ابي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة عن النبي صلعم وهو الصحيح وروي عن عائشة ام المؤمنين انها قالت كان فيما انزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلعم وهن فيما يقرأ في القرآن واما المحرمات بالصهرية فقوله وامهات نسائكم وجملته ان كل من عقد النكاح على امرأة يحرم على الناكح امهات المنكوحة وجداتها وان علين من الرضاع والنسب بنفس العقد وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والربائب جمع الربيبة وهي بنت المرأة سميت ربيبة لتربيته اياها وقوله في حجوركم اي في تربيتكم يقال فلان في حجر فلان اذا كان في تربيته دخلتم بهن اي جامعتموهن ويحرم عليه ايضا بنات المنكوحة وبنات اولادها وان سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها او ماتت جاز له ان ينكح ابنتها ولا يجوز ان ينكح امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وقال في تحريم الربائب فان لم تكونوا دخلتم

بهن فلا جناح عليكم يعني في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وقال علي رضي الله عنه ام المراة لا تحرم الا بالدخول بالبنت كالربيبة وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يعني ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والذكر حليل سمي بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل سمي بذلك لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه من الحلول والنزول وقيل لان كل واحد يحل ازار صاحبه من الحل وهو ضد العقد وجملته انه يحرم على الرجل حلائل ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد وانما قال من اصلابكم ليعلم ان حليلة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلعم تزوج امراة زيد بن حارثة وكان زيد تبناه رسول الله صلعم والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الاب والجد وان علا تحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء كان الاب من الرضاع او من النسب لقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقد سبق ذكره وكل امراة تحرم عليك بعقد النكاح فتحرم بالوطء في ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح حتى لو وطئ امراة بالشبهة او جارية بملك اليمين تحرم على الواطئ ام الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على اب الواطئ وعلى ابنه ولو زنى بامراة فاختلف فيه اهل العلم فذهب جماعة الى انه لا تحرم على الزاني ام المزني بها وابنتها ولا تحرم الزانية على اب الزاني وابنه وهو قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول اصحاب الراي ولو لمس امراة بشهوة او قبلها فهل يجعل كالدخول في اثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو لمس امراة بشهوة هل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما وهو قول اكثر اهل العلم تثبت به الحرمة والثاني لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بالشهوة وان تجمعوا بين الاختين لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب او بالرضاع فاذا نكح امراة ثم طلقها بائنا جاز له نكاح اختها وكذلك لو ملك اختين بملك يمين لا يجوز ان يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احدهما لم يحل له وطء الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لا يجوز ان يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها الا ما قد سلف يعني لكن ما مضى فهو معفو عنه لانهم كانوا يفعلونه قبل الاسلام وقال عطاء والسدي الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع

بين اختين ام يهوذا وراحيل ام يوسف وكانتا اختين ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء يعني ذوات الازواج لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الازواج وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلعم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال الا ما ملكت ايمانكم يعني السبايا اللواتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلعم يوم حنين جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن وتحرجوا فانزل الله هذه الاية وقال عطاء اراد ان تكون امته في نكاح عبده يجوز له ان ينتزعها منه وقال ابن مسعود اراد ان يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقيل اراد بالمحصنات الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري كتاب الله عليكم نصب على المصدر اي كتب الله عليكم كتاب الله وقيل نصب على الاغراء اي الزموا كتاب الله عليكم اي فرض الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم قرا ابو جعفر وحمزة والكسائي وحفص احل بضم الالف وكسر الحاء لقوله حرمت عليكم وقرا الآخرون بالنصب يعني احل الله لكم ما وراء ذلكم اي ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات ان تبتغوا تطلبوا باموالكم اي تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن محصنين اي متزوجين غير مسافحين اي غير زانين ماخوذ من سفح الماء وصبه وهو المني فما استمتعتم به منهن اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح فآتوهن اجورهن اي مهورهن وقال آخرون هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة الى مدة فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك مباحا في ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلعم روي عن ربيع بن سبرة الجهني ان اباه حدثه انه كان مع رسول الله صلعم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما آتيتموهن شيئا وروي عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلعم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر

الاشبية وهذا ذهب عامة اهل العلم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة وكان
ابن عباس يذهب الى ان الاية محكمة ويرخص في نكاح المتعة روى عن ابي نضرة قال
سالت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرا سورة النساء فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
قلت لا اقرؤها هكذا فقال ابن عباس هكذا انزل الله ثلث مرات وقيل ان ابن عباس
رجع عن ذلك وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر ابن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى
عليه فقال ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلعم لا اجد احدا نكحها الا رجمته
بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الربيع بن سليمان كان
الشافعي يقول لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة • فريضة ولا جنا
ح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة • فمن حمل ما قبلها على نكاح المتعة قال اراد انهما
اذا عقدا الى اجل بمال فاذا تم الاجل فان شاءت المراة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر
وان لم يتراضيا فارقها ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا
جناح عليكم فيما تراضيتم به من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض • ان الله كان
عليما حكيما • **فصل في قدر الصداق وفيما يستحب منه** اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق
لقوله تعالى وآتيتم احديهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا واستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن
الخطاب الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان
اولاكم بها نبي الله صلعم ما علمت رسول الله صلعم نكح شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة
اوقية روى عن ابي سلمة قال سالت عايشة رضي عنها كم كان صداق النبي صلعم قالت كان
صداقه لازواجه اثنتي عشرة اوقية ونشا قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف
اوقية فتلك خمس مائة درهم هذا صداق النبي صلعم لازواجه اما اقل الصداق فاختلفوا فيه
فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو
قول ربيعة وسفين الثوري والشافعي واحمد واسحق قال عمر بن الخطاب في ثلث قبضات
زبيب مهر وقال سعيد لو اصدقها سوطا جاز وقال قوم يتقدر بنصاب السرقة وهو قول
مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم
والدليل على انه لا يتقدر ما روى عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلعم جاءته
امراة فقالت يا رسول الله اني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال

يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلعم هل عندك من شيء تصدقها
اياه فقال ما عندي الا ازاري هذا فقال رسول الله صلعم ان اعطيتها جلست لا ازار لك فالتمس
شيئا فقال ما اجد قال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله
صلعم هل معك من القران شيء قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال
النبي صلعم قد زوجتكها بما معك من القران ففيه دليل على انه لا تقدير لاقل الصدا
ق لانه قال التمس شيئا فهذا يدل على جواز اي شيء كان من المال وقال ولو خاتما من
حديد ولا قيمة لخاتم الحديد الا القليل التافه وفي الحديث دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم
القران صداقا وهو قول الشافعي وذهب بعض اهل العلم الى انه لا يجوز وهو قول اصحاب
الراي وكل عمل جاز الاستيجار عليه مثل البناء والخياطة وغيرها من الاعمال جاز ان يجعل
صداقا ولم يجوز ابو حنيفة ان يجعل منفعة الحر صداقا والحديث حجة لمن جوزه بعلمنا اخبر
الله تعالى عن شعيب حيث زوج ابنته من موسى عليهما السلام على العمل فقال اني اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج • ومن لم يستطع منكم طولا اي فضلا وسعة
ان ينكح المحصنات • الحراير المومنات • قرا الكسائي المحصنات بكسر الصاد حيث جاء
الا قوله في هذه السورة والمحصنات من النساء وقرا الاخرون بفتحها جميعها • فمن ما ملكت
ايمانكم من فتياتكم • اماءكم • المومنات • اي من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فلينكح
الامة المومنة وفيه دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجد
مهر حرة والثاني ان يكون خايفا على نفسه من العنت وهو الزنا لقوله تعالى في آخر الاية ذلك لمن
خشي العنت منكم وهو قول جابر وبه قال طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك
والشافعي وجوز اصحاب الراي للحر نكاح الامة الا ان يكون في نكاحه حرة اما العبد فيجوز له
نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة او امة وعند ابي حنيفة لا يجوز اذا كانت تحته حرة كما
يقول في الحر وفي الاية دليل على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لانه قال فمما ملكت ايما
نكم من فتياتكم المومنات جوز نكاح الامة بشرط ان تكون مومنة وقال في موضع آخر وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب اي الحراير جوز نكاح الكتابية بشرط ان تكون حرة وجوز اصحاب الراي
للمسلم نكاح الامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطيها بملك اليمين • والله اعلم بايمانكم •

الا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم • بعضكم من
بعض • قيل اخوة لبعض وقيل كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء فانكحو
هن يعني الاماء • باذن اهلهن • اي مواليهن • وآتوهن اجورهن • مهورهن • بالمعروف
من غير مطل وضرار • محصنات • عفائف بالنكاح • غير مسافحات • اي غير زانيات • ولا
متخذات اخدان • اي احباب يزنون بهن في السر قال الحسن المسافحة هي ان كل من
دعاها تبعته وذات الخدن ان تختص بواحد لا تزني الا معه والعرب كانت تحرم الاولى
وتجوز الثانية • فاذا احصن • قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بفتح الالف والصاد اي حفظن
فروجهن وقال ابن مسعود اسلمن وقرأ الآخرون احصن بضم الالف وكسر الصاد اي زوجن
• فان اتين بفاحشة • يعني الزنا • فعليهن نصف ما على المحصنات • اي الحرائر الابكار اذا زنين
• من العذاب • يعني الحد فيجلد الرقيق اذا زنى خمسين جلدة وهل يغرب فيه قولان فان
قلنا يغرب يغرب نصف سنة على القول الاصح ولا رجم على العبيد روي عن عبد الله بن عياش
بن ابي ربيعة قال امرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا ولائد من ولائد الاما
رة خمسين خمسين في الزنا ولا فرق في حد المملوك بين من تزوج او لم يتزوج عند اكثر اهل العلم
وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات روي ذلك عن ابن عباس وبه قال
طاوس ومعنى الاحصان عند الآخرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان
التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل يراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا بالتزويج
فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد
في الخبر وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلعم يقول اذا زنت امة احدكم
فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب
عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر • ذلك • يعني نكاح
الامة عند عدم الطول • لمن خشي العنت منكم • يعني الزنا يريد المشقة بغلبة الشهوة
• وان تصبروا • عن نكاح الاماء متعففين • خير لكم • لئلا يخلق الولد رقيقا • والله
غفور رحيم • يريد الله ليبين لكم • اي ان يبين لكم كقوله تعالى وامرت لاعدل بينكم
اي ان اعدل وقوله وامرنا لنسلم لرب العالمين وقال في موضع آخر وامرت ان اسلم

ومعنى الآية يريد الله ان يبين لكم اي يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح اموركم قال عطاء يبين
لكم ما يقربكم منه قال الكلبي يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم • ويهديكم • ويرشدكم
• سنن • شرائع • الذين من قبلكم • في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة
على من كان قبلكم وقيل ويهديكم الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عم • ويتوب عليكم • ويتجاوز
عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وقيل يرجعكم من المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل يوفقكم
للتوبة • والله عليم • بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم • حكيم • فيما دبر من امورهم
• والله يريد ان يتوب عليكم • ان وقع منكم تقصير في امر دينه • ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا • عن الحق • ميلا عظيما • باتيانكم ما حرم عليكم واختلفوا في الموصوفين
باتباع الشهوات قال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون
نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق
فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع اهل الباطل • يريد الله ان يخفف عنكم • يسهل عليكم في احكا
م الشرع وقد سهل كما قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبي صلعم بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة • وخلق الانسان ضعيفا • قال طاوس والكلبي وغيرهما في امر النساء لا يصبر
عنهن قال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته وقال الحسن
هو انه خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف • يا ايها الذين آمنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل • بالحرام يعني بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة
ونحوها وقيل هو العقود الفاسدة • الا ان تكون تجارة • قرأ اهل الكوفة تجارة نصب على
خبر كان اي الا ان تكون الاموال تجارة وقرأ الآخرون بالرفع اي الا ان تقع تجارة • عن تراض
منكم • اي بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد
البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال
المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار • ولا تقتلوا انفسكم •
قال ابو عبيدة اي لا تهلكوها كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا تقتلوا انفسكم باكل
المال بالباطل وقيل اراد به قتل المسلم نفسه روي عن ثابت بن الضحاك ان رسول الله صلعم قال من قتل
نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة وعن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلعم خرج
رجل فيمن كان قبلكم به جراح فجزع منه فاخرج سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال

عز وجل بان يقتل نفسه فقد حرمت عليه الجنة وقال الحسن لا تقتلوا انفسكم يعني اخوانكم اي لا يقتل
بعضكم بعضا ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ روي عن جرير انه قال لي رسول الله صلعم في حجة الوداع
استنصت الناس ثم قال لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴿ومن يفعل
ذلك﴾ يعني ما سبق ذكره من المحرمات ﴿عدوانا وظلما﴾ فالعدوان مجاوزة الحد والظلم
وضع الشيء في غير موضعه ﴿فسوف نصليه نارا﴾ ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها ﴿وكان ذلك
على الله يسيرا﴾ هينا ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ اختلفوا في الكبائر التي جعل
الله اجتنابها تكفيرا للصغائر روي فراس وقال سمعت الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلعم قال الكبائر الاشراك بالله عز وجل وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس
وروي عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه انه قال قال النبي صلعم الا انبئكم باكبر الكبائر ثلثا
قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا وقال الا وقول
الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله اي الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قال
ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل تصديق قول النبي صلعم والذين لا يدعون مع
الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وعن ابي هريرة عن النبي
صلعم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
المؤمنات الغافلات قال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر
الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلعم قال
من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا وكيف يسب الرجل والديه قال يساب الرجل
فيسب اباه ويسب امه فيسب اباه ويسب امه عن سعيد بن جبير ان رجلا سأل
ابن عباس عن الكبائر اسبع هي قال هي الى السبعمائة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر فان
الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او
مكذبا بقدر وقال عبد الله بن مسعود ما نهى الله عنه في هذه السورة الى قوله ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه فهو كبيرة وقال علي بن ابي طلحة هي كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او

او لعنة وقال الضحاك ما اوعد الله عليه حدا في الدنيا او عذابا في الآخرة وقال الحسين بن الفضل
ما سماه الله في القرآن كبيرا او عظيما نحو قوله انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطأ كبيرا
ان الشرك لظلم عظيم ان كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله
عظيما قال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان
بينك وبين الله لان الله كريم يغفر واحتج بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم
ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المؤمنين
والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب
اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ
والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكبائر ذنوب
المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنوب آدم عم وقال السدي
الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها ما يجتمع فيه
الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباهها قال النبي صلعم العينان تزنيان
واليدان تزنيان والرجلان ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل الكبائر ما يستحقره
العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته كما روي عن انس قال انكم لتعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله صلعم من الموبقات وقيل
الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ من الصلوة
الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان الى رمضان روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم
يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت
الكبائر ﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ اي حسنا وهو الجنة قرأ اهل المدينة مدخلا بفتح الميم
هنا وفي الحج وهو موضع الدخول وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الادخال ﴿ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض﴾ قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون
ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا واخذنا من الميراث
مثل ما اخذوا فنزلت هذه الآية وقيل لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث
قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على

على المعاش منا فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ
الأنثيين قال الرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجرنا على
الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال تعالى للرجال نصيب مما
اكتسبوا من الأجر وللنساء نصيب مما اكتسبن معناه أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة
سواء وذلك أن الحسنة تكون بعشر أمثالها يستوي فيه الرجال والنساء وإن فضل الرجال في
الدنيا على النساء وقيل معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن
من طاعة الأزواج وحفظ الفروج يعني إن كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة
الأزواج وحفظ الفروج واسألوا الله من فضله قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا وسل
فسل إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز ونقل حركة الهمزة إلى السين والباقون بسكون
السين مهموزا فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد والحسد أن يتمنى زوال النعمة
عن صاحبه ويتمناها لنفسه وهو حرام والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز
قال الكلبي لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك
في التوراة وكذلك في القرآن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه واسألوا من فضله أي من رزقه وقال سعيد بن
جبير من عبادته فهو سؤال التوفيق على العبادة قال سفيان بن عيينة لم يأمر بالسؤال إلا
ليعطي إن الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي أي ولكل واحد من الرجال والنساء
جعلنا موالي أي عصبة يعطون مما ترك الوالدان والأقربون والوالدان والأقربون
هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما ترك أي من الذين تركهم ويكون
ما بمعنى من ثم فسر الموالي فقال الوالدان والأقربون أي هم الوالدان والأقربون فعلى هذا
القول الوالدان والأقربون هم الوارثون والذين عاقدت أيمانكم قرأ أهل الكوفة
بلا ألف أي عقدت لهم أيمانكم وقرأ الآخرون عاقدت أيمانكم والمعاقدة المعاهدة والأيمان
والأيمان جمع يمين من اليد والقسم وذلك أنهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على
الوفاء والتمسك بالعهد ومحالفتهم أن الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك
وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي
وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك ثابتا
في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم أي أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ

الله ذلك بقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال إبراهيم ومجاهد
أراد فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث وعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله عز وجل
أوفوا بالعقود وقال رسول الله صلعم في خطبته يوم فتح مكة لا تحدثوا حلفا في الإسلام وما
كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة وقال ابن عباس
نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلعم من المهاجرين والأنصار حين قدموا
المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت
ثم قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث
ويوصي له وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيهم ثم نسخت إن
الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء نزلت في سعد بن الربيع
وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير قاله مقاتل وقال الكلبي امرأته بنت
محمد بن سلمة وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى رسول الله صلعم فقال أفرشته
كريمتي فلطمها فقال النبي صلعم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها فقال النبي
صلعم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله الرجال قوامون
على النساء مسلطون على تأديبهن والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القيم با
لمصالح والتدبير والتأديب بما فضل الله بعضهم على بعض يعني فضل الرجال على النساء
بزيادة العقل والدين والولاية وقيل بالشهادة لقوله تعالى فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
وقيل بالجهاد وقيل بالعبادات من الجمعة والجماعات وقيل هو أن الرجل ينكح أربعا ولا يحل
للمرأة إلا زوج واحد وقيل بأن الطلاق بيده وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالنبوة
وبما أنفقوا من أموالهم يعني إعطاء المهر والنفقة روي عن أبي ظبيان أن معاذ بن
جبل قال قال رسول الله صلعم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها
فالصالحات قانتات أي مطيعات حافظات للغيب أي للفروج في غيبة الأزواج
وقيل لسرهم بما حفظ الله قرأ أبو جعفر حفظ الله بالنصب أي يحفظن الله في الطاعة وقراءة
العامة بالرفع واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وأصل النشوز التكبر والار
تفاع ومنه النشز للموضع المرتفع وقيل أي بما حفظهن الله بإيصاء الأزواج بكفهن وأمرهم
بأداء المهر والنفقة وقيل حافظات للغيب بحفظ الله روي عن أبي هريرة قال قال رسول صلعم خير

النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون الآية • فعظوهن بالتخويف من الله والوعظ بالقول • واهجروهن يعني إن لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن • في المضاجع قال ابن عباس يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقال غيره يعتزل عنها إلى فراش آخر • واضربوهن يعني إن لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن ضربا غير مبرح ولا شائن قال عطاء ضربا بالسواك وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت • فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا • أي لا تجنوا عليهن الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن • إن الله كان عليا كبيرا • متعاليا من أن يكلف العباد ما لا يطيقونه فظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال إذا ظهر النشوز جمع بين هذه الأفعال وحمل الخوف في قوله واللاتي تخافون نشوزهن على العلم كقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا أي علم ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم كقوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة وقال هذه الأفعال على ترتيب الجرائم فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها فإن أبدت النشوز هجرها فإن أصرت على ذلك ضربها • وإن خفتم شقاق بينهما يعني شقاقا بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين وقيل هو بمعنى الظن يعني إن ظننتم شقاق بينهما وجملته أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولا وفعلا بعث الإمام حكما من أهله إليه وحكما من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن رغبته في الوصلة أو الفرقة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح فذلك قوله عز وجل • فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يعني الحكمين • يوفق الله بينهما • يعني بين الزوجين وقيل بين الحكمين • إن الله كان عليما خبيرا • روي عن عبيدة أنه قال في هذه الآية وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها قال جاء رجل وامرأة إلى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأمرهم علي فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا وإن رأيتما أن تفرقا أن تفرقا قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي فقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضى الزوجين فأصح القولين أنه لا يجوز إلا برضاهما وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه ولا لحكم المرأة أن يخلع على مالها إلا بإذنها وهو قول أصحاب الرأي لأن عليا حين قال الرجل أما الفرقة فلا قال كذبت حتى تقر بمثل الذي أقرت فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على إقراره ورضاه والقول الثاني يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم المرأة أن يخلع دون رضاها إذا رأيا الصلاح فيه كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا قال ليس المراد من قول علي للرجل حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه أن المرأة رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل أما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال علي كذبت حيث أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فإن قوله يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وغيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفراق وتارة بصلاح حالهما في الوصلة • واعبدوا الله • ولا تشركوا به شيئا • روي عن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الناس على الله ألا يعذبهم قال قلت يا رسول الله ألا أبشر الناس قال دعهم يعملون • وبالوالدين إحسانا • برا بهما وعطفا عليهما • وبذي القربى • أي أحسنوا بذي القرابة • واليتامى والمساكين • روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه • والجار ذي القربى • أي ذي القرابة • والجار الجنب • أي البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة روي عن طلحة قال قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال إلى أقربهما منك بابا وعن أبي ذر رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها واغرف لجيرانك منها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه

سورته • والصاحب بالجنب • يعني الرفيق في السفر قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة
وقال علي وعبد الله والنخعي هو المرأة تكون معه الى جنبه وقال ابن جريج وابن زيد هو الذي يصحبك
رجاء نفعك • وابن السبيل • هو الضيف لانه ملازم للسبيل والاكثرون على انه الضيف وروي عن
ابن شريح الخزاعي ان النبي صلعم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت
وعن ابي شريح الكعبي ان رسول الله صلعم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
جائزته يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل ان يثوي عنده
حتى يحرجه • وما ملكت ايمانكم • اي المماليك احسنوا اليهم روي عن ام سلمة عن النبي صلعم انه كان يقول
في مرضه الذي مات فيه الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه وعن الاعمش
عن المعرور عن ابي ذر قال رايت عليه بردا وعلى غلامه بردا فقلت لو اخذت هذا فلبسته كانت
حلة واعطيته ثوبا آخر فقال كان بيني وبين رجل كلام وكانت امه اعجمية فنلت منها فذكرني
الى النبي صلعم فقال لي اساببت فلانا قلت نعم قال افنلت من امه قلت نعم قال انك امرؤ فيك
جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن جعل
الله اخاه تحت يديه فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه
ما يغلبه فليعنه عليه وعن ابي بكر الصديق عن النبي صلعم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة • ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا • المختال المتكبر والفخور الذي يفخر على الناس بغير الحق
تكبرا ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق لان المتكبر يمنع الحق تكبرا وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلعم بينما رجل يتبختر في بردين وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيمة وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه
خيلاء • الذين يبخلون • في كلام العرب منع السائل من فضله ما لديه وفي الشرع منع الواجب
• ويامرون الناس بالبخل • قرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد
وقرا الآخرون بضم الباء وسكون الخاء نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد صلعم وكتموها
قال سعيد بن جبير هذا من كتمان العلم وقال ابن عباس وابن زيد نزلت في كردم بن زيد
وحيي بن اخطب ورفاعة بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع ابن نافع وبحر بن عمرو

وكانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله هذه الاية • ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
يعني المال وقيل يعني يبخلون بالصدقة • واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر • محل الذين نصب عطف على
الذين يبخلون وقيل خفض عطف على قوله واعتدنا للكافرين نزلت في اليهود وقال السدي في المنا
فقين وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول صلعم • ومن يكن الشيطان له قرينا • صاحبا
وخليلا • فساء قرينا • فبئس الشيطان قرينا وهو نصب على التفسير وقيل على القطع بالقاء الالف
واللام كما تقول نعم رجلا عبد الله وكما قال الله تعالى بئس للظالمين بدلا وساء مثلا • وماذا
عليهم • اي ما الذي عليهم واي شيء عليهم • لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
عليما • ان الله لا يظلم مثقال ذرة • ونظمه ماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله لا يظلم اي لا
يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة وزن ذرة والذرة هي النملة الحمراء
الصغيرة وقيل الذر اجزاء الهباء في الكوة وكل جزء ذرة ولا يكون لها وزن وهذا مثل
يريد ان الله لا يظلم شيئا كما قال في آية اخرى ان الله لا يظلم الناس شيئا روي عن انس ان
رسول الله صلعم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في
الآخرة قال واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى
بها خيرا وروي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم اذا خلص المؤمنون من النار وآمنوا
فما مجادلة احدهم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا اشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم
الذين ادخلوا النار وقال فيقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا
ويحجون معنا فادخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فاخرجوا من عرفتم منهم فياتونهم
فيعرفونهم بصورهم لا تاكل النار صورهم فمنهم من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم
من اخذته الى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا قال ثم يقول
اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الايمان ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار
حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال ابو سعيد فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه
الآية ان الله لا يظلم مثقال ذرة • وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما • قال فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا فلم يبق في النار احد فيه خير ثم يقول الله عز وجل

شفعت الملائكة وشفعت الانبياء وشفع المؤمنون وبقي ارحم الراحمين قال فيقبض
قبضة من النار او قال قبضتين ناساً لم يعملوا لله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا حمماً فيؤتى
بهم الى ماء يقال له ماء الحيوة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل قال فتخرج
اجسادهم مثل اللؤلؤ في اعناقهم الخاتم عتقاء الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم او رأيتم
من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احداً من العالمين قال فيقول فان عندي
لكم افضل منه فيقولون ربنا وما افضل من ذلك فيقول رضائي عنكم فلا اسخط عليكم ابداً
عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلعم ان الله سيخلص رجلاً من امتي
على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول الله اتنكر
من هذا شيئاً اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر او حسنة فيبهت الرجل
قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم اليوم عليك فتخرج له بطاقة فيها اشهد
ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة قال فلا يثقل اسم الله شيء وقال قوم هذا في الخصوم روي عن
عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد الا من كان
يطلب مظلمة فليجيء الى حقه فليأخذه فيفرح المرء ان يذوب له الحق على والده وولده او
زوجته او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيراً ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل فاذا نفخ في الصور
فلا انساب بينهم الآية ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان
بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب
من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم
منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قال الملائكة يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة قال
الملائكة يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضلي
ورحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها وان كان شقياً قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله
عز وجل خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكاً الى النار فمعنى الآية على
هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له

بل يثيبه عليها ويضعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها قرأ اهل الحجاز حسنة بالر
فع اي وان توجد حسنة وقرأ الآخرون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة يضاعفها
عنها قوله اي يجعلها اضعافاً كثيرة ويؤت من لدنه اجراً عظيماً قال ابو هريرة اذا قال
الله عز وجل اجراً عظيماً فمن يقدر قدره فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي فكيف
الحال وكيف تصنعون اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيها يشهد عليهم بما عملوا وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء شهيداً شاهداً يشهد على جميع الامم على من رآه ومن لم يره
روي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم اقرأ علي قلت يا رسول الله اقرأ عليك
وعليك انزل قال نعم فقرأت سورة النساء حتى اذا اتيت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه
تذرفان يومئذ اي يوم القيمة يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
قرأ اهل المدينة وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى فادغمت التاء
الثانية في السين وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعل كقوله
لا تكلم نفس الا باذنه وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين على الفعل المجهول اي لو سويت بهم
الارض وصاروا هم والارض شيئاً واحداً وقال قتادة وابو عبيدة يعني لو تخرقت الارض
فساخوا فيها وعادوا اليها ثم تسوى بهم اي عليهم وقيل ودوا لو انهم لم يبعثوا لانهم انما نقلوا
من التراب وكان الارض مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش
والطيور والسباع كونوا تراباً فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر ان لو كان تراباً
كما قال الله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ولا يكتمون الله حديثاً قال عطاء ودوا
لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلعم ولا نعته وقال الآخرون بل
هو كلام مستأنف يعني ولا يكتمون الله حديثاً لان ما عملوه لا يخفى على الله فلا يقدرون على
كتمانه وقال الكلبي وجماعة لا يكتمون الله حديثاً لان جوارحهم تشهد عليهم قال سعيد بن
جبير قال رجل لابن عباس اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي قال هات ما اختلف عليك
قال فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال
ولا يكتمون الله حديثاً وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال ام السماء بناها الى
قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال ائنكم لتكفرون

بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر في هذه الاية خلق الارض قبل خلق السماء وقال
وكان الله غفورا رحيما عزيزا حكيما فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس فلا انساب بينهم
في النفخة الاولى وقال فنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب
عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة اقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله
ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فقال المشر
كون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على افواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك عرفوا
ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا
يكتمون الله حديثا وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن
في يومين آخرين ثم دحى الارض ودحيها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والاشجار
وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الارض في يومين فخلقت الارض وما فيها من شيء
في اربعة ايام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل كذلك فلا يختلف
عليك فان كلا من عند الله وقال الحسن ان للقيمة مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا
همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من
سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم فهو قوله فاعترفوا بذنبهم وفي موطن يتساءلون
وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم
وهو قوله ولا يكتمون الله حديثا • يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
والمراد من السكر السكر من الخمر عند الاكثرين وذلك ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
ودعا ناسا من اصحاب النبي صلعم واتاهم بخمر فشربوا قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت
صلوة المغرب فقدموا رجلا ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف
لا هكذا الى آخر السورة فانزل الله تعالى هذه الاية فكانوا بعد نزول هذه الاية يجتنبون
السكر اوقات الصلوة حتى نزل تحريم الخمر وقال الضحاك بن مزاحم اراد به سكر النوم نهى
عن الصلوة عند غلبة النوم روي عن عائشة قالت قال رسول الله صلعم اذا نعس احدكم
وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب
يستغفر فيسب نفسه • حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا • نصب على الحال يعني ولا
تقربوا الصلوة وانتم جنب يقال رجل جنب وامراة جنب ورجال جنب ونساء جنب

واهل الجنابة البعد وسمي جنبا لانه يجتنب موضع الصلوة او لمجانبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل
• الا عابري سبيل حتى تغتسلوا • اختلفوا في معناه فقال بعضهم الا ان تكونوا مسافرين ولا
تجدون ماء فتيمموا منع الجنب من الصلوة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر لا يجد ماء فيصلي با
لتيمم وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال الآخرون المراد من الصلوة
موضع الصلوة كقوله تعالى وبيع وصلوات ومعناه لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتاز
ين فيه للخروج مثل ان ينام في المسجد فيجنب او تصيبه جنابة والماء في المسجد او يكون طريقه عليه
فيمر فيه ولا يقيم وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكر
مة والنخعي والزهري وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا
ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم في العبور واختلف اهل العلم فيه فاباح
بعضهم المرور فيه على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنع بعضهم على الاطلاق
وهو قول اصحاب الراي وقال بعضهم يتيمم للمرور فيه اما المكث فيه فلا يجوز عند اكثر اهل العلم
لما روينا عن عائشة ان رسول الله صلعم قال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد
لحائض ولا جنب وجوز احمد المكث فيه وضعف الحديث لان راويه مجهول وبه قال المزني
ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلوة ولا يجوز له قراءة القرآن روي عن عمرو بن مرة
قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول دخلت على علي فقال كان رسول الله صلعم يقضي الحاجة ويا
كل معنا ويقرأ القرآن وكان لا يحجبه ولا يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة وغسل الجنابة
يجب باحد الامرين اما بنزول المني او بالتقاء الختانين وهو تغييب الحشفة في الفرج وان لم ينزل
وكان الحكم في الابتداء ان من جامع امراته فاكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخا روي
عن سعيد بن المسيب ان ابا موسى الاشعري سال عائشة عن التقاء الختانين فقالت عائشة
قال رسول الله صلعم اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل • وان كنتم مرضى • جمع مريض واراد
به مرضا يضره امساس الماء مثل الجدري ونحوه او كان على موضع طهارته جراحة يخاف
من استعمال الماء فيه التلف او زيادة الوجع فانه يصلي بالتيمم وان كان الماء موجودا
وان كان بعض اعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها وتيمم للجريح لما
روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه فاحتلم فسال اصحابه
هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات

فلما قدمنا على النبي صلعم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء
العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح
عليها ويغسل سائر جسده ولم يجوز اصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل وقالوا ان كان
اكثر اعضائه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحجة
لمن اوجب الجمع بينهما ❁ او على سفر ❁ اراد به اذا كان في سفر طويلا كان او قصيرا
وعدم الماء فانه يصلي بالتيمم ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلعم ان
الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فان وجد الماء فليمسه بشرته فاما
اذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بان كان
في قرية انقطع ماؤها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك
والاوزاعي لا اعادة عليه وعند ابي حنيفة يؤخر الصلوة حتى يجد الماء ❁ او جاء احد منكم من
الغائط ❁ اراد به اذا احدث والغائط اسم للمطمئن من الارض وكانت عادة العرب
اتيان الغائط للحدث فكنى عن الحدث بالغائط ❁ او لامستم النساء ❁ قرأ حمزة والكسائي
لمستم هاهنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم واختلفوا في معنى اللمس والملامسة فقال
قوم هما الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وكنى باللمس عن الجماع لان اللمس
يوصل الى الجماع وقال قوم هما التقاء البشرتين سواء كان بجماع او غير جماع وهو قول
ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واختلف الفقهاء في حكم الآية فذهب جماعة الى انه اذا
افضى الرجل بشيء من بدنه الى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما ينتقض وضوؤهما وهو
قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي وقال مالك والليث
بن سعد واحمد واسحق ان كان اللمس بشهوة نقض الطهر وان لم يكن بشهوة فلا ينتقض
وقال قوم لا ينتقض الوضوء باللمس بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري وقال
ابو حنيفة لا ينتقض الا ان يحدث الانتشار واحتج من لا يوجب الوضوء باللمس بما روي
عن عائشة زوج النبي صلعم انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلعم ورجلاي في
قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس
فيها مصابيح ورواه عن عائشة زوج النبي صلعم قالت كنت نائمة الى جنب رسول الله صلعم
ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول اعوذ

برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك واختلف قول الشافعي فيما لو لمس امرأة من ذي رحم كالام والبنت والاخت او لمس
اجنبية صغيرة اصح القولين انه لا ينتقض الوضوء لانها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلا واختلف
قوله في انتقاض وضوء الملموس احدهما ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع
والثاني لا ينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد
ولو لمس شعر امرأة او سنها او ظفرها لا ينتقض وضوءه عنده واعلم ان المحدث لا تصح صلوته
ما لم يتوضأ اذا وجد الماء لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا يقبل الله صلوة احدكم اذا احدث
حتى يتوضأ والحدث هو خروج الخارج من احد الفرجين عينا كان او اثرا او الغلبة على العقل بجنون
او اغماء على اي حال كان اما النوم فذهب الشافعي انه يوجب الوضوء الا ان ينام قاعدا فلا وضوء عليه
لما روي عن حميد عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلعم ينتظرون العشاء فينامون احسبه قال
قعودا حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن وذهب قوم الى ان النوم يوجب الوضوء بكل
حال وهو قول ابي هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام
قائما او قاعدا او ساجدا لا وضوء عليه حتى ينام مضطجعا وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب
الرأي واختلفوا في لمس المرأة كما بينا واختلفوا في مس الفرج من نفسه او من غيره فذهب جماعة
الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة
وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير واليه ذهب الاوزاعي
والشافعي واحمد واسحق وكذلك المرأة تمس فرجها غير ان الشافعي يقول لا ينتقض الا ان
يمس ببطن الكف او بطون الاصابع واحتجوا بما روي عن محمد بن عمرو بن حزم انه سمع عروة بن
الزبير يقول دخلت على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء فقال مروان من مس
الذكر الوضوء فقال عروة ما علمت ذلك فقال مروان اخبرتني بسرة بنت صفوان انها
سمعت رسول الله صلعم يقول اذا مس احدكم ذكره فليتوضأ وذهب جماعة الى انه لا
يوجب الوضوء روي ذلك عن علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن
واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي ان
النبي صلعم سئل عن مس الرجل ذكره فقال هل هو الا مضغة او بضعة منه ومن اوجب
الوضوء قال هذا منسوخ بحديث بسرة لان ابا هريرة يروي ايضا الوضوء من مس

الذكر وهو متأخر الإسلام وكان قدوم طلق بن علي على رسول الله صلعم أول زمن الهجرة
حين كان يبنى المسجد واختلفوا في خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة والقيء
فذهب جماعة إلى أنه لا يوجب الوضوء روي ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس
وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب جماعة
إلى إيجاب الوضوء بالقيء والرعاف والحجامة والفصد منهم سفين الثوري وابن المبارك وأصحاب
الرأي وأحمد وإسحق واتفقوا على أن القليل منه وخروج الريح من غير السبيلين لا يوجب
الوضوء ولو أوجب الوضوء كثيره لأوجبه قليله كالفرج قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا اعلم أن
التيمم من خصائص هذه الأمة روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلعم فضلنا على الناس
بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها
لنا طهورا إذا لم نجد الماء وكان بدو التيمم ما روي عن عائشة زوج النبي صلعم قالت خرجنا
مع رسول الله صلعم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام
رسول الله صلعم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس
أبا بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلعم وبالناس وليسوا على ماء
وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلعم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست
رسول الله صلعم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر وقال ما
شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله
صلعم على فخذي فقام رسول الله صلعم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال
أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا
البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت
من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله صلعم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم
الصلوة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلعم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال
أسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا وجعل
للمسلمين فيه بركة قوله فتيمموا أي اقصدوا صعيدا طيبا أي ترابا طاهرا نظيفا قال ابن عباس
الصعيد هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي إلى أنه يختص
بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار لأن النبي صلعم وجعلت تربتها لنا طهورا وجوز

أصحاب الرأي التيمم بالزرنيخ والجص والنورة وغيرها من طبقات الأرض حتى قالوا لو ضرب
يده على صخرة لا غبار عليها أو على تراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه
صح تيممه وقالوا الصعيد وجه الأرض لما روي عن جابر أن النبي صلعم قال جعلت لي الأرض مسجدا
وطهورا وهذا مجمل وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على
المجمل وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات ونحوهما وقالوا إن الصعيد اسم
لما تصاعد على وجه الأرض والقصد إلى التراب شرط لصحة التيمم لأن الله تعالى قال فتيمموا والتيمم
القصد حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم واختلفوا في
كيفيته فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين يضرب بكفيه
على التراب فيمسح جميع وجهه ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى
فيمسح يديه إلى المرفقين لما روي عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلعم وهو يبول فسلمت عليه
فلم يرد علي حتى قام إلى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه
ثم رد علي ففيه دليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق باليد غبار التراب لأن النبي صلعم حت الجدار
بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لكان لا يحته وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى
المنكبين لما روي عن عمار أنه قال تيممنا إلى المناكب وذكر حكاية فعله ولم ينقله عن النبي صلعم كما روي
أنه قال أجنبت فتمعكت فلما سأل النبي صلعم وأمره بالوجه والكفين انتهى إليه وذهب جماعة
إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء بن
أبي رباح ومكحول وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحق واحتجوا بما روي عن سعيد بن عبد الرحمن
بن أبزى عن أبيه قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال إني أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار
بن ياسر لعمر بن الخطاب أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما
أنا فتمعكت فصليت فذكرت للنبي صلعم إنما يكفيك هكذا فضرب النبي صلعم بكفيه الأرض ونفخ
فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وقال محمد بن إسمعيل نا نا محمد بن كثير عن شعبة بإسناده
وقال قال عمار لعمر تمعكت فأتيت النبي صلعم فقال يكفيك الوجه والكفين وفي الحديث دليل على أن
الجنب إذا لم يجد الماء يصلي بالتيمم وكذلك الحائض والنفساء إذا طهرتا وعدمتا الماء وذهب عمر وابن
مسعود إلى أن الجنب لا يصلي بالتيمم بل يؤخر الصلوة إلى أن يجد الماء فيغتسل وحملا قوله تعالى

اولامستم النساء على اللمس باليد دون الجماع وهذا بحث عمار رحمة وكان عمر نسي ما ذكره له عمار
فلم يقنع بقوله وروى ان ابن مسعود رجع عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه ايضا ما
روى عن عمران بن حصين ان النبي صلعم امر رجلا كان جنبا ان يتيمم ثم يصلي فاذا وجد الماء
اغتسل وما روى عن ابي ذر قال اجتويت غنيمة من الصدقة عند رسول الله صلعم فقال يا اباذر
ابد فيها فبدوت الى الربذة وكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول
الله صلعم فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان
ذلك خير ومسح الوجه واليدين تارة يكون بدلا عن غسل جميع البدن في حق الجنب والحايض والنفساء
والميت وتارة عن غسل الاعضاء الاربعة في حق المحدث وتارة يكون بدلا عن غسل بعض اعضاء
الطهارة بان يكون على بعض اعضائه جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه ان يتيمم بدلا عن غسله ولا
يصح التيمم لصلوة الوقت الا بعد دخول الوقت ولا يجوز ان يجمع بين فريضتين بتيمم واحد لان
الله قال اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الى ان قال فلم تجدوا ماء فتيمموا فظاهره يدل
على وجوب الوضوء او التيمم اذا لم يجد الماء عند كل صلوة الا ان الدليل قد قام في الوضوء فان النبي
صلعم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد فبقي التيمم على ظاهره وهذا قول علي وابن عباس
وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة
الى ان التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلوة ويجوز ان يصلي ما شاء به من الفرايض
ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا على انه
يجوز ان يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها وان يقرا القرآن
ان كان جنبا وان كان يتيمم بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو ان يطلب من رحله
ورفقائه وان كان في صحراء لا حائل دون نظره ينظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب
من تل او جدار عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب
وعند ابي حنيفة طلب الماء ليس بشرط فان راى الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو او سبع يخاف
من الذهاب اليه او كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم يصلي بالتيمم ولا اعادة
عليه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني يهود المدينة قال ابن عباس نزلت
في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلعم لويا لسانهما وعاباه فا
نزل الله هذه الاية يشترون الضلالة يستبدلون الضلالة يعني بالهدى ويريدون ان تضلوا السبيل

السبيل يا معشر المؤمنين والله اعلم باعدائكم منكم فلا تستنصحوهم فانهم اعداؤكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا قيل متصل بقوله الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو مستانف معناه من الذين هادوا
من يحرفون كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له مقام معلوم يريد فريق يحرفون
الكلم يغيرون عن مواضعه يعني صفة محمد صلعم قال ابن عباس كانت اليهود ياتون رسول
الله صلعم ويسالونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا
كلامه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي اسمع منا ولا
نسمع منك غير مسمع اي غير مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبي صلعم اسمع ثم يقولون في انفسهم
لا سمعت وراعنا اي ويقولون راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة ليا بالسنتهم تحريفا
وطعنا قدحا في الدين لان قوله راعنا من المراعاة وهم يحرفونه فيريدون به الرعونة
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا اي انظر الينا مكان قولهم راعنا
لكان خيرا لهم واقوم اي اعدل واصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا الا نفرا قليلا منهم وهو عبد الله بن سلام ومن اسلم معه يا ايها الذين اوتوا الكتاب
يخاطب اليهود آمنوا بما نزلنا يعني القرآن مصدقا لما معكم يعني التورية وذلك ان النبي
صلعم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن اسد فقال يا معشر يهود اتقوا الله
واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئت به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر
ونزلت هذه الاية من قبل ان نطمس وجوها قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقال
قتادة والضحاك نعميها والمراد بالوجه العين فنردها على ادبارها اي نطمس الوجه فنرده
الى القفا وقيل نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة لان منابت شعور الآدميين
في ادبار وجوههم وقيل معناه نمحو آثارها وما فيها من عين وانف وفم وحاجب فنجعلها
كالاقفاء وقيل نجعل عينيه على قفاه فيمشي القهقرى روي ان عبد الله بن سلام لما سمع
هذه الاية جاء الى النبي صلعم قبل ان ياتي اهله ويده على وجهه واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان
اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الاية اسلم في زمن عمر رضي
عنه فقال يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد هذه الاية فان قيل قد اوعدهم
الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل ذلك قيل هذا الوعيد باق ويكون الطمس والمسخ في اليهود

قبل تمام الساعة وقيل كان هذا وعيداً بشرط فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه رفع
ذلك عن الباقين وقيل اراد به في القيمة وقال مجاهد اراد بقوله نطمس وجوهاً اي نتركهم في
الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب والرد عن بصائر الهدى على ادبارها في الكفر والضلالة
له واصل الطمس المحو والافساد والتحويل وقال ابن زيد نمحو آثارهم من وجوههم ونواحيهم
التي بها فنردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤا منه بدءاً وهو الشام وقال
قد مضى ذكره وتأوله في اجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من ارض الشام او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت فنجعلهم قردة وخنازير وكان امر الله مفعولا قال الكلبي ثم ان
وحشي بن حرب واصحابه ذكروا انه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم
يوف بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلعم انا قد ندمنا على الذي
صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله
الهاً آخر الآيات وقد دعونا مع الله الهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه
الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل صالحاً الآيتين فبعث بهما رسول الله صلعم
اليهم فلما قرؤا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملاً صالحاً فنزل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان
لا نكون من اهل مشيئته فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا
في الاسلام ورجعوا الى النبي صلعم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره
قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات وقال ابو
مجلز عن ابن عمر لما نزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعاً قام رجل فقال والشرك يا رسول الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا
فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال مطرف بن الشخير قال ابن عمر كنا على عهد رسول
الله صلعم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادات حكي عن علي
ان هذه الآية ارجى آية في القرآن ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق اثماً عظيماً روي
عن جابر قال اتى النبي صلعم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك
بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار روي عن ابي ذر انه قال اتيت

النبي صلعم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ثم اتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا
الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قال
وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق على رغم انف
ابي ذر وكان ابو ذر اذا حدث بها قال وان رغم انف ابي ذر الم تر الى الذين يزكون
انفسهم قال الكلبي نزلت في رجال من اليهود بحري بن عمرو ونعمان بن اوفى ومرحب
بن زيد اتوا باطفالهم الى النبي صلعم فقالوا يا رسول الله هل على هؤلاء من ذنب فقال لا قالوا ما
نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل
الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة كانوا يقدمون اطفالهم في الصلوة يزعمون انهم لا ذ
نوب لهم فتلك التزكية وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل نزلت في اليهود والنصا
رى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى
وقال عبد الله بن مسعود هو تزكية بعضهم لبعض روى طارق بن شهاب عن ابن مسعود
قال ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فيأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً فيقول
والله انك لذيت وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرأ الم تر الى الذين
يزكون انفسهم بل الله يزكي اي يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح من يشاء ولا
يظلمون فتيلاً وهو اسم لما في شق النواة والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والنقير اسم للنقطة
التي تكون على ظهر النواة وقيل الفتيل من الفتل وهو ما يجعل بين الاصبعين من الوسخ عند
الفتل انظر يا محمد كيف يفترون يختلقون على الله الكذب في تغييرهم كتابه وكفى به اي
بالكذب اثماً مبيناً الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
اختلفوا فيهما قال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وقال عبيدة
هما كل معبود يعبد من دون الله قال الله تعالى ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال
عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهو قول الشعبي ومجاهد وقيل الجبت الاوثان والطا
غوت شياطين الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنها فيغتر بها الناس وقال محمد بن سير
ين ومكحول الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وابو العالية الجبت السا
حر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن ويروى عن عكرمة الجبت بلسان الحبشة شيطان
وقال الضحاك الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف دليله قوله يريدون

ان يتحاكموا الى الطاغوت روى عن قطن بن قبيصة عن ابيه ان النبي صلعم قال العيافة والطرق
والطيرة من الجبت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف في سبعين
راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلعم وينقضوا العهد الذي
كان بينهم وبين رسول الله صلعم فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور
قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم
فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون
بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد
رب الكعبة البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قالوا ابو سفيان لكعب انك امرء تقرا الكتاب
وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا على
دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل
الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم
وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال انتم كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه
محمد فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه يؤمنون با
لجبت والطاغوت يعني الصنمين ويقولون للذين كفروا ابي سفيان واصحابه هؤلاء اهدى من الذين
آمنوا محمد واصحابه سبيلا دينا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام
لهم يعني اليهم والميم صلة نصيب حظ من الملك وهذا على جهة الانكار يعني ليس لهم من
الملك شيء ولو كان لهم من الملك شيء فاذا لا يؤتون الناس نقيرا لحسدهم وبخلهم والنقير
النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وابو العالية وهو نقر الرجل الشيء بطرف اصبعه كما
ينقر الدرهم ام يحسدون الناس يعني اليهود يحسدون الناس قال قتادة والمراد بالناس
العرب حسدهم اليهود وما اكرمهم الله تعالى بمحمد صلعم وقيل اراد محمدا واصحابه وقال ابن عباس
والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلعم وحده حسدوه على ما احل الله له من النساء
وقالوا ما له هم الا النكاح وهو المراد من قوله على ما آتاهم من فضله وقيل حسدوه على النبوة
وهو المراد من الفضل المذكور في الاية فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة اراد بآل ابرهيم
داود وسليمان وبالكتاب ما انزل عليهم وبالحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فمن فسر الفضل

بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لسليمان
الف امراة ثلثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امراة ولم يكن يومئذ
لرسول الله صلعم الا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكتوا قال الله تعالى فمنهم من آمن
به يعني بمحمد صلعم وهم عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من صد عنه اعرض عنه
ولم يؤمنوا به وكفى بجهنم سعيرا وقودا وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقال السدي
الهاء في قوله آمن به وصد عنه راجعة الى ابراهيم عم وذلك ان ابرهيم زرع ذات سنة
وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكى زرع ابرهيم عم فاحتاج الناس اليه فكان
يقول من آمن بي اعطيته فمن آمن منهم اعطاه ومن لم يؤمن منعه ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم ندخلهم نارا تكوي نضجت احترقت جلودهم بدلناهم جلو
دا غيرها غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس روي
ان هذه الاية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر للقاري اعدها فاعادها وكان
عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا
سمعت رسول الله صلعم قال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عو
دوا فيعودون كما كانوا وروي عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة
ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام فان قيل كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه قيل يعاد
الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما
غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصياغة والصفة تبدلت وكمن يترك اخاه صحيحا
ثم بعد مدة يراه مريضا دنفا فيقول انا غير الذي عهدت وهو عين الاول الا انه ان صفته
تغيرت وقال السدي يبدل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر يعيد الجلد لحما ثم يخرج من اللحم جلدا
آخر وقيل يعذب الشخص في الجلد لا الجلد بدليل انه قال ليذوقوا العذاب ولم يقل لتذوق
وقال عبد العزيز بن يحيى ان الله عز وجل يلبس اهل النار جلودا لا تالم فتكون زيادة عذاب عليهم
فكلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره كما قال سرابيلهم من قطران فالسرابيل تؤلمهم وهي لا تا
لم ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا كنا

كُنّا لا تصيبهم الشمس ولا يؤذيهم برد ولا حرّ قوله عز وجل إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانا
ت إلى أهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل
النبي صلعم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلعم المفتاح
فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن
ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلعم البيت وصلى فيه ركعتين
فلما خرج سأله العباس المفتاح ان يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية
فامر رسول الله صلعم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان
اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانكم وقرا عليه الاية فقال عثمان
اشهد ان محمدا رسول الله واسلم وكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح
والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة وقيل المراد من الاية جميع الامانات روي عن انس قال قلّ
ما خطبنا رسول الله صلعم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له • واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل • اي بالقسط • ان الله نعمّا • اي نعم الشيء الذي يعظكم به
ان الله كان سميعا بصيرا • روي عن عمرو بن اوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه الى
النبي صلعم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين
يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولّوا روي عن عطية بن ابي سعيد قال قال رسول الله صلعم ان
ان احب الناس الى الله يوم القيمة واقربهم منه مجلسا امام عادل وان ابغض الناس
الى الله يوم القيمة واشدهم عذابا امام جائر • يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم • اختلفوا في اولي الامر قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء
الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد دليله قوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقال ابو هريرة هم الامراء
والولاة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الاما
نة فاذا فعل ذلك حق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلعم من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن
يعص الامير فقد عصاني وروي عبد الله عن النبي صلعم قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما
احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة روي عن عبادة بن الصا

قال بايعنا رسول الله صلعم على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره وان لا ننا
زع الامر اهله وان نقوم او نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم وروي
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلعم قال لابي ذر اسمع واطع ولو لعبد حبشي كان راسه ز
بيبة وعن ابي امامة انه يقول سمعت رسول الله صلعم يخطب في حجة الوداع فقال اتقوا
الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكوة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة
ربكم وقيل المراد امراء السرايا وعن ابن عباس اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي اذ بعثه النبي صلعم في
سرية وقال عكرمة اراد باولي الامر ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وروي عن حذيفة قال
قال رسول الله اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال عطاء هم المها
جرين والانصار والتابعين لهم باحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار الاية وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم مثل اصحابي في امتي
كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح
• فان تنازعتم • اي اختلفتم • في شيء • من امر دينكم والتنازع اختلاف الآراء واصله من
النزع كان المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان • فردوه الى الله والرسول • الى كتاب
الله والى رسوله ما دام حيا وبعد وفاته الى سنته والرد الى الكتاب والسنة واجب ان
وجد فيهما فان لم يوجد فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله والرسول ان تقول الله اعلم
الله ورسوله اعلم • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير • اي الرد الى الله
والرسول خير • واحسن تاويلا • اي احسن مالا وعاقبة • الم تر الى الذين يزعمون انهم
آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت • الاية
قال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي نتحا
كم الى محمد لانه عرف انه لا ياخذ الرشوة ولا يميل في الحكم وقال المنافق نتحاكم الى اليهود
لعلمه بانهم ياخذون الرشوة ويميلون في الحكم فاتفقا على ان ياتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما اليه
فنزلت هذه الاية قال جابر كانت الطواغيت التي يتحاكمون اليها واحد في جهينة وواحد
في اسلم وفي كل حي واحد كهان وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت في رجل من
المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد

وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت فابى اليهودي الا ان
يخاصمه الى رسول الله صلعم فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلعم فقضى رسول الله صلعم
لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي
اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك فقال عمر للمنافق
اكذلك قال نعم قال لهما رويدكما حتى اخرج اليكما فدخل البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم
خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء رسوله فنزلت
هذه الاية وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان
ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل رجل من
بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق تمرا واذا قتل رجل من
بني النضير رجلا من بني قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا وكانت النضير هم
حلفاء الاوس اشرف واكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج فلما جاء الله بالاسلام
وهاجر النبي صلعم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال
بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلون منا وديتكم ستون وسقا
وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية
لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا ودينكم واحد فلا فضل
لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من
الفريقين لا بل الى النبي صلعم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا
اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا
ان يعطوه فوق عشرة اوساق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله اية القصاص وهذه
الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت يعني الكاهن وكعب بن الاشرف وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
رايت المنافقين يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك اعراضا فكيف اذا
اصابتهم مصيبة هذا وعيد اي فكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
يعني عقوبة صدودهم وقيل هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والاخرة تم الكلام

ههنا ثم عاد الكلام الى ما سبق يخبر عن فعلهم فقال ثم جاؤك يعني يتحاكمون الى الطاغوت
اي يجيئونك ويحلفون لك وقيل اراد بالمصيبة قتل عمر المنافق ثم جاؤا يطلبون دمه
ويحلفون بالله ان اردنا ما اردنا بالعدول عنه في المحاكمة وبالترافع الى عمر الا
احسانا وتوفيقا قال الكلبي الا احسانا في القول وتوفيقا صوابا وقال ابن كيسان
حقا وعدلا نظيره وليحلفن ان اردنا الا الحسنى وقيل هو احسان بعضهم الى بعض وقيل
هو تقريب الامر من الحق لا القضاء على مر الحكم والتوفيق هو موافقة الحق وقيل
هو التاليف والجمع بين الخصمين اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق
اي علم ان ما في قلوبهم خلاف ما على السنتهم فاعرض عنهم اي عن عقوبتهم وقيل فاعرض
عن قبول عذرهم وعظهم باللسان وقل لهم في انفسهم قولا بليغا قيل هو التخويف
بالله وقيل توعدهم بالقتل ان لم يتوبوا قال الحسن القول البليغ ان يقول لهم ان اظهرتم
ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لانه يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقال الضحاك فاعرض عنهم
وعظهم في الملا وقل لهم في انفسهم قولا بليغا في السر والخلاء وقيل هذا منسوخ باية القتال وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله اي بامر الله يعني ان طاعة الرسول وجبت بامر الله قال الزجاج
الا ليطاع لان الله قد اذن فيه وامر به وقيل الا ليطاع كلام تام كاف باذن الله اي بعلم
الله وقضائه اي وقوع طاعته يكون باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما قوله
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية روي عن عروة بن الزبير ان الزبير
كان يحدث انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرا الى رسول الله صلعم في شراج من الحرة
كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلعم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب
الانصاري فقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلعم ثم قال اسق
ثم احبس حتى يبلغ الجدر فاستوعى رسول الله صلعم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلعم
قبل ذلك اشار الى الزبير براي فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلعم
استوعى للزبير حقه في صريح الحكم قال عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في
ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وروي ان الانصاري
الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن ابي بلتعة فلما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان

القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد
اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا
فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شأن
حاطب بن بلتعة فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية وقال مجاهد والشعبي نزلت في بشر
المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر قوله فلا يعني ليس الامر كما يزعمون انهم يؤمنون
ثم لا يرضون بحكمك ثم استانف القسم وربك لا يؤمنون ويجوز ان تكون لا في قوله فلا صلة
كما في قوله لا اقسم حتى يحكموك اي يجعلوك حكما فيما شجر بينهم اي اختلف واختلط من امرهم و
والتبس عليهم حكمه ومنه الشجر لالتفاف اغصانه بعضها على بعض ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا قال مجاهد شكا وقال غيره ضيقا مما قضيت وقال الضحاك اثما اي يأثمون بانكارهم
ما قضيت ويسلموا تسليما اي ينقادوا لامرك انقيادا قوله عز وجل ولو انا كتبنا فرضنا
واوجبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما امرنا بني اسرائيل او اخرجوا من دياركم
كما امرنا بني اسرائيل بالخروج من مصر ما فعلوه معناه انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول
والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله الا قليل منهم نزلت
في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله وقال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الاية قال
عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من اصحاب النبي صلعم وهم القليل والله لو امرنا
لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلعم فقال ان من امتي لرجالا الايمان
اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي قرأ ابن عامر واهل الشام الا قليلا منهم بالنصب
على الاستثناء وكذلك هو في مصحف اهل الشام وقيل فيه اضمار الا ان يكون قليلا منهم وقرأ
الآخرون قليل بالرفع على ضمير الفاعل في قوله فعلوه تقديره الا نفر قليل فعلوه ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به اي يؤمرون به من طاعة الرسول والرضا بحكمه لكان خيرا لهم
واشد تثبيتا تحقيقا وتصديقا لايمانهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ثوابا
وافرا ولهديناهم صراطا مستقيما اي الى الصراط المستقيم قوله عز وجل ومن يطع الله والر
سول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلعم وكان شديد

الحب لرسول الله صلعم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال
له رسول الله صلعم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك
استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع
النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك
ابدا فنزلت هذه الاية وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلعم كيف يكون الحال في الجنة و
انت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل هذه الاية ومن يطع الله في اداء
الفرائض والرسول في السنن فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين اي لا تفوتهم رؤية
الانبياء ومجالستهم لا انهم يرفعون الى درجة الانبياء والصديقين وهم افاضل اصحاب
النبي صلعم والصديق المبالغ في الصدق والشهداء قيل هم الذين استشهدوا يوم احد
وقيل الذين استشهدوا في سبيل الله والصالحين قيل هم في الاعتقاد والعمل اذا اجملهم و
فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في العمل فالصالح قد شهد للذين الله بانه حق وقال عكرمة
النبيون ههنا محمد صلعم والصديق ابو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحون سائر
الصحابة رضي الله عنهم وحسن اولئك رفيقا يعني رفقاء في الجنة والعرب تضع الواحد موضع
الجمع كقوله نخرجكم طفلا اي اطفالا ويولون الدبر اي الادبار روي عن انس ان رجلا
قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم فقال رسول الله صلعم المرء مع من احب
وروي عن انس بن مالك قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها
فلم يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال فانت مع من احببت ذلك الفضل من
الله وكفى بالله عليما اي بثواب الآخرة وقيل بمن اطاع رسول الله واحبه وفيه بيان
انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم انما نالوها بفضل الله عز وجل روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلعم قاربوا وسددوا واعلموا انه لا ينجو احد منكم بعمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يا ايها الذين آمنوا خذوا
حذركم من عدوكم اي عدتكم وآلتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل
والشبه والشبه فانفروا اخرجوا ثبات اي سرايا متفرقين سرية بعد سرية
والثبات جماعات في تفرقة واحدتها ثبة او انفروا جميعا اي مجتمعين كلكم مع نبيكم صلعم
قوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل

الايمان في الجنسية والنسب واظهار الاسلام لا في حقيقة الايمان لَيُبَطِّئَنَّ اي ليتأخرنّ
وليتثاقلنّ عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي المنافق واللام في ليبطئن لام القسم والتبطئة
التأخر عن الامر يقال ما بطأ بك اي ما اخرك ويقال ابطأ ابطاءً وبطأ يبطئ
تبطئة فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمة قال قد انعم الله عليّ بالقعود اذ
لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في تلك الغزوة فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل
من الله فتح وغنيمة ليقولن هذا المنافق وفيه تقديم وتاخير وقوله كأن لم تكن بينكم
وبينه مودة متصل بقوله فان اصابتكم مصيبة تقديره فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم
الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اي معرفة قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب
تكن بالتاء والباقون بالياء ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم في تلك
الغزاة فافوز فوزا عظيما اي آخذ نصيبا وافرا من الغنيمة وقوله فافوز نصب على جوا
ب التمني بالفاء كما تقول وددت ان اقوم فيتبعني الناس قوله تعالى فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة قيل نزلت في المنافقين ومعنى يشرون يشترون
يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وقيل نزلت في المؤمنين
المخلصين معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون اي يبيعون الحيوة الدنيا بالآخرة
ويختارون الآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل يعني يستشهد او يغلب يظفر
فسوف نؤتيه في كلا الوجهين اجرا عظيما ويدغم ابو عمرو والكسائي الباء في الفاء حيث
كان روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال تكفّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه
من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي
خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال مثل المجا
هد في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى
اهله بما يرجع من غنيمة او اجر او يتوفاه فيدخله الجنة وما لكم لا تقاتلون اي لا تجاهدون
في سبيل الله في طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد والمستضعفين اي وعن المستضعفين
وقال ابن شهاب في سبيل الله المستضعفين لتخليصهم وقيل في تخليص المستضعفين من ايدي
المشركين وكانوا بمكة جماعة من الرجال والنساء والولدان يلقون من المشركين اذى كثيرا
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اي المشرك اهلها يعني

١٥٩

القرية التي من صفتها ان اهلها مشركون وانما خفض الظالم لانه نعت للاهل فلما عاد
الاهل الى القرية صار كأن الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه واجعل لنا من لدنك
وليا اي من يلي امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا اي من يمنع العدو عنا فاستجاب
الله دعوتهم فلما فتح رسول الله صلعم مكة ولى عليهم عتاب بن اسيد وجعله الله لهم نصيرا
ينصف المظلومين من الظالمين الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعة الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي في طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المؤمنون اولياء
الشيطان اي حزبه وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان مكره كان ضعيفا
كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف ان يأخذوه فهرب وخذلهم قوله عز وجل الم تر الى الذ
ين قيل لهم كفوا ايديكم الاية قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد
بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة كانوا يلقو
ن من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم
فانهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلعم كفوا ايديكم فاني لم أؤمر بقتالهم واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك
على بعضهم قال الله تعالى فلما كتب فرض عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس يعني يخشون مشركي مكة كخشية الله اي كخشيتهم من الله او اشد اكثر خشية وقيل
معناه واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الجهاد لولا هلا اخرتنا الى
اجل قريب يعني الموت يعني هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين
قالوا ذلك قيل قاله قوم من المنافقين لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل
قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا واهل
الايمان يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من
الجبن وتخلفوا عن الجهاد قل يا محمد متاع الدنيا اي منفعتها والاستمتاع بها قليل والآخرة
اي وثواب الآخرة خير وافضل لمن اتقى الشرك ومعصية الرسول ولا يظلمون فتيلا
قرأ ابن كثير وابو جعفر وحمزة والكسائي بالياء والباقون تظلمون فتيلا روي عن
المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلعم ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت اي ينزل بكم الموت

نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم
بقوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج الحصون والقلاع
والمشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة معناه في قصور محصنة والشيد الجص وإن تصبهم
حسنة نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله صلعم المدينة ما زلنا نعرف
النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه قال الله تعالى وإن تصبهم
يعني اليهود حسنة أي خصب ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله لنا وإن تصبهم
سيئة يعني الجدب وغلاء الأسعار يقولوا هذه من عندك أي من شؤم محمد صلعم وأصحابه
وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد يقولوا هذه
من عندك أي أنت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين قل لهم يا
محمد كل من عند الله أي الحسنة والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال فما لهؤلاء
القوم يعني المنافقين واليهود لا يكادون يفقهون حديثا أي لا يفقهون قولا وقيل
الحديث ههنا هو القرآن أي لا يفقهون معاني القرآن فما لهؤلاء قال الفراء كثرت في الكلام
هذه الكلمة حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأنهما حرف واحد ففصلوا اللام مما بعدها
في بعضه ووصلوا في بعضه والاتصال القراءة ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام
خافضة ما أصابك من حسنة خير ونعمة فمن الله وما أصابك من سيئة بلية وأمر تكرهه
فمن نفسك أي بذنبك الخطاب للنبي صلعم والمراد غيره نظيره قوله تعالى وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية وقالوا نفى الله تعالى
السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد فقال وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم
فيه لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد
منه ما يصيبهم من النعم والمحن وذلك أنه ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها
إليهم فقال ما أصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني إنما يقال أصبتها ويقال في النعم
والمحن أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر حسنات الكسب وسيئاته
نسبها إليه ووعد الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وقيل معنى الآية ما أصابك من حسنة النعم والظفر يوم

بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك
أي بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلعم فإن قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله
وبين قوله فمن نفسك قيل قوله قل كل من عند الله أي الخصب والجدب والنصر والهزيمة كل من
عند الله وقوله فمن نفسك أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال وما
أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم يدل عليه ما روي مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ وما
أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الآية متصلة بما قبلها والقول
فيه مضمر تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة
فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وأرسلناك يا محمد للناس
رسولا وكفى بالله شهيدا على إرسالك وصدقك وقيل وكفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة
كلها من عند الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله وذلك أن النبي صلعم كان
يقول من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد
هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فأنزل الله عز وجل من
يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك يا محمد عليهم
حفيظا أي حافظا ورقيبا بل كل أمورهم إليك قيل نسخ الله عز وجل هذه الآية بآية السيف
وأمره بقتال من خالف الله ورسوله ويقولون طاعة يعني المنافقين يقولون باللسان لرسول
الله صلعم إنا آمنا بك فمرنا فأمرك طاعة قال النحويون أي أمرنا وشأننا أن نطيعك
فإذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول قال قتادة والكلبي
بيت أي غير وبدل الذي عهد إليهم النبي صلعم ويكون التبييت بمعنى التبديل وقال أبو عبيدة
والقتيبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما أعطوك نهارا وكل ما قدر بليل فهو تبييت
وقال أبو الحسن الأخفش تقول العرب للشيء إذا قدر قد بيت يشبهونه بتقدير بيوت
الشعر والله يكتب أي يثبت ويحفظ ما يبيتون ما يزورون ويغيرون ويقدرون
وقال الضحاك عن ابن عباس ما يسرون من النفاق فأعرض عنهم يا محمد ولا تعاقبهم
وقيل ولا تخبر بأسمائهم منع الرسول صلعم من الإخبار بأسماء المنافقين وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا أي اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا ناصرا أفلا يتدبرون القرآن يعني
أفلا يتفكرون في القرآن والتدبر هو النظر في آخر الأمر ودبر الشيء آخره ولو كان من عند غير
الله

لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اى تفاوتا وتناقضا كثيرا قاله ابن عباس وقيل لوجدوا فيه اى
فى الاخبار عن الغيب بما كانوا وبما يكون اختلافا كثيرا فلا يتفكرون فيه فيعرفون بعدم التنا
قض فيه وصدق ما يخبر به انه كلام الله لان ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف
قوله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وذلك ان النبى صلعم كان
يبعث السرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشونه ويحد
ثونه قبل ان يحدث به رسول الله صلعم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله واذا جاء
هم يعنى المنافقين امر من الامن اى من الفتح والغنيمة او الخوف من القتل والهزيمة اذاعوا
به اى اشاعوه وافشوه ولو ردوه الى الرسول اى لم يحدثوا به حتى يكون النبى صلعم هو الذى
يحدث به والى اولى الامر منهم اى ذوى الراى من الصحابة مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى
رضى لعلمه الذين يستنبطونه منهم يستخرجونه وهم العلماء علموا ما ينبغى ان يكتم
وما ينبغى ان يفشى والاستنباط الاستخراج يقال استنبطت الماء اذا استخرجته وقال
عكرمة يستنبطونه اى يحرصون عليه ويسئلون وقال الضحاك يتبعونه يريد الذين سمعوا
تلك الاخبار من المؤمنين والمنافقين لو ردوه الى الرسول صلعم والى ذوى الراى والعلم لعلمه الذين
يستنبطونه اى يحبون ان يعلموه على حقيقته كما هو ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع
الكل الشيطان قيل هو راجع الى ما قبل معناه اذاعوا به الا قليلا لم يفشه وعنى بالقليل المؤ
منين وهذا قول الكلبى واختيار الفراء وقال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط منهم
والاذاعة قد تكون فى بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ثم قوله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته
القران يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان الا قليلا وهم قوم اهتدوا قبل مجىء الرسول ونزول
القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما وفى الاية دليل على جواز
القياس وان من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص ومنه ما يدرك بالاستنباط
وهو القياس على المعانى المودعة فى النصوص قوله عز وجل فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا
نفسك وذلك ان رسول الله صلعم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى
القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله عز وجل فقاتل

فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك اى لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين
ولو وحدك فان الله قد وعدك النصر وعاتبهم على ترك القتال والفاء فى قوله فقاتل جواب
عن قوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل وحرض
المؤمنين على القتال اى حضهم على الجهاد ورغبهم فى الثواب فخرج رسول الله صلعم فى سبعين راكبا
فكفاهم الله القتال فقال جل ذكره عسى الله اى لعل الله ان يكف باس الذين كفروا
اى قتال المشركين وعسى من الله واجب والله اشد باسا اى اشد صولة واعظم سلطانا
واشد تنكيلا اى عقوبة قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها اى نصيب قال ابن عباس الشفاعة الحسنة
هى الاصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هى المشى بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة
الحسنة هى حسن القول فى الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هى الغيبة واساءة القول فى
الناس ينال به الشر وقوله كفل منها اى وزر منها وقال مجاهد هى شفاعة الناس بعضهم
لبعض ويوجر الشفيع على شفاعته وان لم يشفع روى عن ابى موسى قال كان النبى صلعم جالسا
اذ جاءه رجل يسال او طالب حاجة اقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتوجروا وليقضى الله
على لسان نبيه ما شاء وكان الله على كل شىء مقيتا قال ابن عباس مقتدرا مجازيا
قال الشاعر وذى ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا اى قادرا ان يقيت من
يموت ويقيت واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية هى دعاء الحيوة والمراد
بالتحية هاهنا السلام يقول اذا سلم عليكم مسلم فاجيبوا باحسن منها تحيى سلم او ردوها
اى ردوا كما سلم فاذا قال السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة
الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد مثله
روى ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان
السلام انتهى الى البركة وروى عن عمران بن حصين ان رجلا جاء الى النبى صلعم فقال السلام عليكم
فرد عليه فقال عشرة ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فقال عشرون ثم جاء
اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال ثلثون واعلم ان السلام سنة
ورد السلام فريضة وهو فرض على الكفاية وكذلك الابتداء بالسلام سنة على الكفاية فاذا سلم
واحد من جماعة كان كافيا فى السنة واذا سلم واحد على جماعة فرد واحد منهم سقط الفرض عن جميعهم

روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنوا حتى تحابوا او لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم روي عن عبد الله
بن عمرو ان رجلا سال رسول الله صلعم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من
عرفت ومن لم تعرف ومعنى قوله اي الاسلام خير يريد اي خصال الاسلام خير وقيل فحيوا باحسن
منها اذا كان الذي سلم مسلما او ردوها مثلها اذا لم يكن مسلما وروي عن عبد الله بن عمر قال قال
رسول الله صلعم ان اليهود اذا سلم عليكم احدهم فانما يقول السام عليك فقل عليك ● ان الله كان
على كل شيء حسيبا اي على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه حسيبا اي محاسبا مجازيا
وقال مجاهد حفيظا قال ابو عبيدة كافيا يقال حسبي هذا اي كفاني ● الله لا اله الا هو ليجمعنكم
لام القسم تقديره والله ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور ● الى يوم القيامة لا ريب فيه ● وسميت القيامة
قيامة لان الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا وقيل لقيامهم
الى الحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ● ومن اصدق من الله حديثا اي قولا
ووعدا قرأ حمزة والكسائي اصدق وكل صاد ساكنة بعدها دال باشمام الزاي ● فما لكم في المنافقين
فئتين ● اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين
فلما رجعوا قال بعض الصحابة لرسول الله صلعم اقتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم
فانهم تكلموا بالاسلام روي عن زيد بن ثابت قال لما خرج النبي صلعم الى احد رجع ناس ممن خرج
معه وكان اصحاب النبي صلعم فيهم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت فما لكم
في المنافقين فئتين ● والله اركسهم بما كسبوا ● وقال انها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث
الفضة وقال مجاهد هم قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله صلعم
الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول
هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقال بعضهم نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة
واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى باعدوا من المدينة كتبوا الى رسول الله صلعم
انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى الارض ثم انهم
خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم فنقتلهم ونأخذ ما
معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوما على دينكم ان لم يذروا ديارهم
وكان هذا بعين النبي صلعم وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين فنزلت هذه الاية

وقال بعضهم هم قوم اسلموا بمكة ثم لم يهاجروا فكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فما لكم
يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين اي صرتم فيهم فرقتين والله اركسهم اي نكسهم وردهم الى الكفر بما
كسبوا باعمالهم غير الزاكية اتريدون ان تهدوا ● ان ترشدوا ● من اضل الله ● وقيل معناه
اتقولون ان هؤلاء مهتدون وقد اضلهم الله ● ومن يضلل الله ● اي من يضلله الله عن
الهدى ● فلن تجد له سبيلا ● طريقا الى الحق ● ودوا ● تمنوا يعني اولئك الذين رجعوا عن الدين
لو تكفرون كما كفروا فتكونون ● سواء ● في الكفر وقوله فتكونون لم يرد به جواب
التمني لان جواب التمني بالفاء منصوب انما اراد النسق اي ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون
سواء مثل قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اي ودوا لو تدهن وودوا لو يدهنون
● فلا تتخذوا منهم اولياء ● منع من موالاتهم ● حتى يهاجروا في سبيل الله ● معكم قال عكرمة
هي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه هجرة المؤمنين في اول الاسلام وهي قوله تعالى للفقراء
المهاجرين وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحوهما من الآيات وهجرة المنافقين
وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله صلعم صابرا محتسبا كما حكي ههنا منع من موالاتهم حتى يهاجروا
في سبيل الله وهجرة سائر المؤمنين وهي ما قال النبي صلعم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه عز وجل
● فان تولوا ● اعرضوا عن التوحيد والهجرة ● فخذوهم ● اي خذوهم اسارى ومنه يقال للاسير اخيذ
● واقتلوهم حيث وجدتموهم ● في الحل والحرم ● ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ● ثم استثنى
طائفة منهم فقال ● الا الذين يصلون الى قوم ● هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان
موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون اي ينتسبون اليهم ويتصلون بهم ويدخلون
فيهم بالحلف والجوار قال ابن عباس يريد يلجأون الى قوم ● بينكم وبينهم ميثاق ● اي
عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلعم وادع هلال بن عويمر الاسلمي قبل خروجه الى مكة على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل
ما لهلال وقال الضحاك عن ابن عباس اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد
بن مناة كانوا في الصلح والهدنة وقال مقاتل هم خزاعة وقوله ● او جاؤوكم ● اي يتصلون
بقوم جاؤوكم ● حصرت صدورهم ● اي ضاقت صدورهم وقرأ الحسن ويعقوب حصرة منصوبة
منونة اي ضيقة صدورهم يعني القوم الذين جاؤوكم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا
المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم حصرت ضاقت صدورهم ● ان يقاتلوكم ● اي عن قتالكم

الا عن قتالكم للعهد الذي بينكم أو يقاتلوا قومهم يعني من آمن منهم ويجوز ان يكون معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعني قريشا قد ضاقت صدورهم لذلك وقال بعضهم او بمعنى الواو اي قوم بينكم وبينهم ميثاق وجاؤكم حصرت صدورهم اي وقد حصرت صدورهم عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله سبحانه وتعالى عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدماء ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين يقول لولا ضيق صدورهم عن قتالكم لما القى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم فان اعتزلوكم اي اعتزلوا قتالكم فلم يقاتلوكم اي يوم فتح مكة لم يقاتلوكم مع قومهم والقوا اليكم السلم اي الصلح فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي طريقا بالقتل والقتال ستجدون آخرين قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا اسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب النبي صلعم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن في الفريقين وقال الضحاك عن ابن عباس بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة يريدون ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم ويأمنوا قومهم فلا يتعرضون لهم كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا الى الشرك اركسوا فيها اي رجعوا وعادوا الى الشرك فان لم يعتزلوكم اي فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة ويلقوا اليكم اي وان لم يلقوا اليكم السلم اي المفاداة والصلح ويكفوا ايديهم اي وان لم يقبضوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اسرى واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم واولئكم اي واهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال قوله عز وجل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلعم بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها فجزعت لذلك امه جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابني هشام وهما اخواه لامه لا والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا له

انزل فان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وقد حلفت ان لا تاكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا له بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة فجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذي كنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا ابدا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر ثم اسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلعم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فقتله فقال الناس ويحك اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلعم وقال يا رسول الله قد كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما ينبغي لمؤمن ان يقتل مؤمنا من غير قصد حق وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة ودية مسلمة كاملة الى اهله اي الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا اي يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اراد به اذا كان الرجل مسلما في دار الحرب منفردا مع الكفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية فيه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وقرابته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اراد به ان كان المقتول كافرا ذميا او معاهدا فتجب فيه الدية والكفارة والكفارة تكون باعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امراة حرا كان او عبدا وتكون في مال القاتل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن

ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز ان ينتقل الى الصوم وان عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما آخر يجب عليه استيناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف اهل العلم فيه منهم من قال ينقطع وعليه استيناف الشهرين وهو قول النخعي والاظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع وله ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض لا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت على ما صامت لانه امر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه وان عجز عن الصوم فهل يخرج عنه بالطعام ستين مسكينا فيه قولان احدهما يخرج كما يخرج في كفارة الظهار والثاني لا لان الشرع لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله اي جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا وكان الله عليما بمن قتل خطا حكيما فيما حكم عليه **اما الكلام في بيان الدية** واعلم ان القتل على ثلثة انواع عمد محض وشبه عمد وخطا محض اما العمد المحض فهو ان يقصد به القتل غالبا فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية مغلظة في مال القاتل حالة وشبه العمد ان يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثله في الغالب بان ضربه بعصا خفيف او حجر صغير ضربة او ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلث سنين والخطا المحض هو ان لا يقصد ضربه بل يقصد شيئا آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل يجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلث سنين ويجب الكفارة في ماله في الانواع كلها وعند ابي حنيفة قتل العمد لا يوجب الكفارة لانه كبيرة كساير الكباير ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل يجب قيمتها من الدراهم والدنانير في قول وفي قول يجب بدل مقدر منها وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم لما روي ان عمر رضي الله عنه فرض الدية على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم وذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثني عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وابي حنيفة ودية المراة نصف دية الرجل ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث روي عن عمر رضي الله عنه انه قال دية اليهودي والنصراني اربعة آلاف ودية المجوسي ثمان مائة وهو قول سعيد بن المسيب والحسن واليه ذهب الشافعي وذهب قوم

الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والدية في العمد المحض وشبه العمد مغلظة بالسن فيجب ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولادها وهو قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال الا ان في قتيل العمد والخطا بالسوط او العصا مائة من الابل مغلظة منها اربعون خلفة في بطونها اولادها وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهو قول الزهري وربيعة وبه قال مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهو قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببني المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي ودية الاطراف على هذا التقدير ودية المراة فيها على النصف من دية الرجل والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم عصبات القاتل من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلعم اوجبها على العاقلة قوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلعم فذكر ذلك له فارسل رسول الله صلعم معه رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلعم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكن نؤدي ديته فاعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال تقبل دية اخيك فيكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزل فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلعم يوم فتح مكة عمن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وغضب الله عليه ولعنه اي طرده عن الرحمة واعد له عذابا عظيما واختلفوا في حكم هذه الاية فحكي عن ابن عباس ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له فقيل له اليس قد قال الله تعالى

في سورة الفرقان ولا تقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى ان قال ومن يفعل ذلك يلق اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب فقال كانت هذه الاية في الجاهلية
وذلك ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فاتوا رسول الله صلعم فقالوا ان الذي تدعوا اليه
لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله الا من تاب
وآمن فهذه لاولئك واما التي في النساء فالرجل اذا عرف الاسلام وشرايعه ثم قتل فجزاؤه جهنم وقال
زيد بن ثابت لما نزلت التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا
سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة واراد بالغليظة هذه الاية وباللينة
آية الفرقان وقال ابن عباس تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شيء والذي عليه الاكثرون
وهو مذهب اهل السنة ان قاتل المسلم عمدا توبته مقبولة لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما روي عن ابن
عباس فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له
لا توبة لك وان قتل ثم جاء يقال لك توبة ويروى مثله عن ابن عباس وليس في الاية متعلق لمن يقول
بالتخليد في النار بارتكاب الكباير لان الاية نزلت في قاتل هو كافر وهو مقيس بن ضبابة
وقيل انه وعيد لمن قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب ايمانه ومن استحل قتل اهل الايمان لايمانهم
كان كافرا مخلدا في النار وقيل في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها معناه هي جزاؤه ان جازاه
ولكنه ان شاء عذبه بذنبه وان شاء غفر له بكرمه فانه وعد ان يغفر لمن يشاء حكي ان عمرو بن
عبيد جاء الى ابي عمرو بن العلاء فقال له هل يخلف الله وعده فقال لا فقال اليس قد قال الله تعالى
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقال له ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمان ان
العرب لا تعد الاخلاف في الوعيد خلفا وذما وانما تعدوا اخلاف الوعد خلفا وذما وانشد واني
وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي والدليل على ان غير الشرك لا يوجب
التخليد في النار ما روينا ان النبي صلعم قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة روي عن ابي ادريس
عايذ الله بن عبد الله ان عبادة بن الصامت وكان شهد بدرا وهو احد النقباء ليلة العقبة قال
ان رسول الله صلعم قال وحوله عصابة من اصحابه بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسر
قوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف
فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك

شيا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعنا على ذلك قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
نزلت هذه الاية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل
فدك وكان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلعم تريدهم وكان على
السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا واقام الرجل لانه كان على دين المسلمين
فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من غير اصحاب رسول الله صلعم فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
هو الى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف انهم من اصحاب النبي صلعم
فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد
فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلعم فاخبروه فوجد رسول الله صلعم من ذلك وجدا
شديدا وقد كان سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلعم قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا هذه
الاية على اسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله فقالها رسول
الله صلعم ثلث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلعم يعيدها حتى وددت اني لم اكن
اسلمت الا يومئذ ثم ان رسول الله صلعم استغفر لي بعد ثلث مرات وقال اعتق رقبة وروى
ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افهلا شققت
عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا وقال عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من
اصحاب رسول الله صلعم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوه
واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلعم فانزل الله هذه يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم سافرتم
في سبيل الله يعني الجهاد فتبينوا قرا حمزة والكسائي ههنا موضعين وفي سورة الحجرات بالثاء والتاء
من التثبت اي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وقرا الآخرون بالياء والنون من التبين
يقال تبينت الامر اذا تاملته ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا هكذا
قراءة اهل المدينة وابن عامر وحمزة اي المقادة وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقرا الآ
خرون السلام وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لانه كان قد سلم عليهم وقيل السلم والسلام
واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني تطلبون الغنم
والغنيمة وعرض الدنيا منافعها ومتاعها فعند الله مغانم اي غنايم كثيرة وقيل ثواب
كثير لمن اتقى قتل المؤمن كذلك كنتم من قبل قال سعيد بن جبير كذلك كنتم تكتمون ايمانكم في المشركين

فمنّ الله عليكم باظهار الاسلام وقال قتادة كنتم ضلالا من قبل فمنّ الله عليكم بالهداية وقيل
معناه كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا اله الا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها
فمنّ الله عليكم بالهجرة فتبينوا ان تقتلوا مؤمنا ان الله كان بما تعملون خبيرا قلت واذا رأى
الغزاة في بلد او قرية شعار الاسلام عليهم ان يكفوا عنهم فان النبي صلعم كان اذا غزا
قوما فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اغار عليهم روى عن ابن عصام عن ابيه ان النبي
صلعم كان اذا بعث سرية قال اذا رأيتم المسجد او سمعتم مؤذنا فلا تقتلن احدا لا يستوي القا
عدون من المؤمنين غير اولي الضرر روى عن سهل بن سعد الساعدي انه قال رأيت مروان
بن الحكم جالسا في المسجد فاقبلت حتى جلست الى جنبه فاخبرنا ان زيد بن ثابت اخبره ان رسول الله
صلعم املى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه
ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال يا رسول لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا اعمى
فانزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه
فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر فهذه الاية في فضل الجهاد والحث عليه فقال لا يستوي القاعد
ون من المؤمنين عن الجهاد غير اولي الضرر قرأ اهل المدينة وابن عامر والكسائي غير بنصب الراء
يعني الا اولي الضرر وقرأ الاخرون برفع الراء على نعت القاعدين يريد لا يستوي القاعدون
الذين هم غير اولي الضرر اي غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر والمجاهدون في سبيل
الله اي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون المجاهدون سواء غير
اولي الضرر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم روى عن انس ان رسول الله صلعم
لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا
قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم
العذر وروى مقسم عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون
الى بدر فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة اي فضيلة
وقيل اراد بالقاعدين هاهنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين عليهم درجة لان المجاهد باشر
الجهاد مع النية واولي الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة وكلا
يعني المجاهد والقاعد وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم وقال مقاتل يعني المجاهد والقاعد المعذور
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما يعني على القاعدين من غير عذر درجات

منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما قال ابن محيريز في هذه الاية هي سبعون
درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقيل الدرجات هي الاسلام
والهجرة والجهاد والشهادة فاز بها المجاهدون روى عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم قال
يا ابا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة قال فعجب بها ابو سعيد
قال اعدها علي يا رسول الله ففعل فقال رسول الله صلعم واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض فقال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في
سبيل الله وروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة وصام
رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا
يا رسول الله افلا ننذر الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله ما
بين كل درجتين كما بين السماء والارض واذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى
الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة واعلم ان الجهاد في الجملة فرض غير انه ينقسم الى فرض
العين وفرض الكفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من
الرجال ممن لا عذر له من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم حرا كان او عبدا غنيا كان او فقيرا دفعا
عن انفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم تقع الكفاية بمن
نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على
الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء ومن هذا القبيل ان يكون
الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي سنة عن غزوة يغزوها بنفسه او سراياه حتى لا
يكون الجهاد معطلا والاختيار للمطيق للجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عن الجهاد
ولكن لا يفترض لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال وكلا وعد
الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعد العقاب لا الثواب قوله تعالى ان الذ
ين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نزلت في ناس من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يها
جروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما
خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال تعالى ان الذين توفاهم الملائكة
اراد ملك الموت واعوانه او اراد ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ظالمي انفسهم بالشرك وهو نصب على الحال اي في حال

ظالمهم قيل اى بالمقام في دار الشرك لان الله تعالى لم يكن يقبل الاسلام بعد هجرة النبي صلعم الا بالهجرة
ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي صلعم لا هجرة بعد الفتح فهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة
وجوههم وادبارهم قالوا لهم فيم كنتم اى فيماذا كنتم او في اى الفريقين كنتم في المسلمين ام في
المشركين سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة اهل الشرك قالوا كنا
مستضعفين عاجزين في الارض يعني ارض مكة قالوا يعني الملائكة لهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها يعني المدينة وتخرجوا من مكة من بين اهل الشرك فاكذبهم الله تعالى
واعلمنا بكذبهم فقال فاولئك مأواهم منزلهم جهنم وساءت مصيرا اى بئس
المصير الى جهنم ثم استثنى اهل العذر منهم فقال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا قوة للخروج منها ولا يهتدون سبيلا
اى لا يعرفون طريقا الى الخروج وقال مجاهد لا يعرفون طريق المدينة فاولئك عسى
الله ان يعفو عنهم يتجاوز عنهم وعسى من الله واجب لانه للاطماع والله تعالى اذا
اطمع عبدا اوصله اليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا وامي ممن
عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلعم وكان رسول الله صلعم يدعو لهؤلاء
المستضعفين في الصلوة روي عن ابي هريرة ان النبي صلعم كان اذا قال سمع الله لمن حمده في
الركعة الاخيرة من صلوة العشاء قنت اللهم انج عياش بن ابي ربيعة اللهم انج الوليد
بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد
وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا وسعة قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس مراغما اى متحولا يتحول اليه
وقال مجاهد متزحزحا عما يكره وقال ابو عبيدة المراغم المهاجر يقال راغمت قومي وها
جرتهم وهو المضطرب والمذهب قيل سميت المهاجرة مراغمة لان من يهاجر يراغم
قومه وسعة اى وسعة في الرزق وقيل سعة من الضلالة الى الهدى روي انه لما نزلت
هذه الاية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندب بن ضمرة فقال
والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة
وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا
به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك

على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلعم فقالوا لو وافى المدينة
لكان اتم اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك هذا ما طلب فانزل الله عز وجل ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اى قبل بلوغه الى مهاجره فقد
وقع اى وجب اجره على الله بايجابه على نفسه فضلا منه وكان الله غفورا رحيما قوله عز
وجل واذا ضربتم في الارض اى سافرتم فليس عليكم جناح اى حرج واثم ان تقصروا
من الصلوة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلوة الظهر والعصر والعشاء ان
خفتم ان يفتنكم اى يغتالكم ويقتلكم الذين كفروا في الصلوة ونظيره قوله على خوف من فرعون
وملائهم ان يفتنهم اى يقتلهم ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اى ظاهر العداوة اعلم
ان قصر الصلوة في السفر جائز باجماع الامة واختلفوا في جواز الاتمام فذهب اكثرهم الى ان القصر
واجب وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز
وقتادة وهو قول مالك واصحاب الراى لما روي عن عائشة انها قالت الصلوة اول ما فرضت
ركعتين فاقرت صلوة السفر واتمت صلوة الحضر وذهب قوم الى جواز الاتمام روي ذلك عن
عثمان وسعد بن ابي وقاص وبه قال الشافعي ان شاء اتم وان شاء قصر والقصر افضل روي
عن عائشة قالت فعل ذلك قد فعل رسول الله صلعم قصر الصلوة واتم وظاهر القران يدل على هذا
لانه قال فليس عليكم جناح ان تقصروا ولفظ لا جناح انما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتما
وظاهر الاية لا يجوز الا عند الخوف وليس الامر على ذلك انما نزلت الاية على غالب اسفار النبي
صلعم واكثرها لم يخل عن خوف العدو والقصر جائز في السفر في حال الامن عند عامة اهل العلم
والدليل عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب انما قال الله ان تقصروا من الصلوة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسالت رسول
الله صلعم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته روي عن ابن عباس قال سافر رسول
الله صلعم بين مكة والمدينة امنا لا يخاف الا الله فصلى ركعتين وذهب قوم الى ان ركعتي السـ
فر ليستا بقصر انما القصر ان يصلي ركعة في الخوف يروى ذلك عن جابر وهو قول عطاء وطاوس والحسن
ومجاهد وجعلوا شرط الخوف المذكور في الاية باقيا وذهب اكثر اهل العلم الى ان الاقتصار
على ركعة واحدة لا يجوز خائفا كان او امنا واختلف اهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة
يجوز القصر في السفر الطويل والقصير روي ذلك عن انس وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد

أقصر بعرفة أما عامة الفقهاء لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد ما يجوز فيه القصر
قال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد وهي
ستة عشر فرسخاً وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك قالا
مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي قال مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع ستة وأربعون
ميلاً بالهاشمي وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي مسيرة ثلاثة أيام وقيل قوله إن خفتم أن
يفتنكم الذين كفروا متصل بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله روي عن أبي أيوب الأنصاري
أنه قال نزلت قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول
الله صلعم عن صلاة الخوف فنزل إن خفتم أي وإن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا
لكم عدواً مبيناً وإذا كنت فيهم الآية ومثله في القرآن كثير أن يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه
خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه كقوله الآن حصحص الحق أنا
راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين هذه حكاية عن امرأة العزيز وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه
بالغيب إخبار عن يوسف عم قوله عز وجل وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم
طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر أن
المشركين لما رأوا رسول الله صلعم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعاً ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم
فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلاة
العصر فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرائيل فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن
الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وجملته أن العدو إذا
كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو
تحرسهم ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى أتموا الصلاة
ثم ذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالساً حتى
أتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم وهذه رواية سهل بن أبي حثمة أن النبي صلعم صلى كذلك بذات
الرقاع وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق روي عن صالح بن خوات عمن صلى مع رسول الله
صلعم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى
بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً فأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وصفوا وجاه العدو وجاءت الأخرى
فصلى بهم الركعة التي بقيت ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذكر أحسن

ما سمعت في صلاة الخوف روي عن سهل بن أبي حثمة عن النبي صلعم هذا وذهب قوم إلى أن الإمام
إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة إلى وجاه العدو وتأتي الطا
ئفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون إلى وجاه العدو وتعود
الطائفة الأولى فيتمون صلاتهم ثم تعود الثانية فيتمون صلاتها وهذه رواية عبد الله بن عمر أن
النبي صلعم صلى كذلك وهو قول أصحاب الرأي روي عن سالم عن أبيه أن النبي صلعم صلى صلاة الخوف بإحدى
الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلى
بهم ركعة أخرى ثم سلم عليهم فقام هؤلاء فقضوا ركعتهم وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم وكلتا الروايتين
صحيحة فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح وذهب الشافعي إلى حديث سهل بن
أبي حثمة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو وذلك لأن الله تعالى
قال فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم أي إذا صلوا ثم قال ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
فهذا يدل على أن الطائفة الأولى قد صلوا وقال فليصلوا معك ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة
فظاهره يدل على أن كل طائفة تفارق الإمام بعد تمام الصلاة والاحتياط لأمر الصلاة من حيث
أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والمجيء والاحتياط لأمر الحرب من حيث أنهم إذا لم يكونوا في الصلاة كان
أمكن للحرب والهرب إن احتاجوا إليه ولو صلى الإمام أربع ركعات صلى بكل طائفة ركعتين جاز
روي عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلعم حتى إذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على
شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلعم فجاء رجل من المشركين وسيف نبي الله صلعم معلق بشجرة فأخذ
نبي الله صلعم فاخترطه فقال لرسول الله صلعم تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله يمنعني منك قال
فتهدده أصحاب رسول الله صلعم فأغمد السيف وعلقه فنودي بالصلاة قال فصلى بطائفة ركعتين
ثم تأخروا فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله صلعم أربع ركعات وللقوم ركعتان
روي عن جابر أن النبي صلعم يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم
ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم وروي عن حذيفة عن النبي صلعم في صلاة الخوف أنه صلى
بهؤلاء ركعة وهم لم يقضوا ورواه زيد بن ثابت وكان للقوم ركعة ركعة وللنبي صلعم ركعتان وتأوله
قوم على صلاة شدة الخوف وقالوا الفرض في هذه الحالة ركعة وأكثر أهل العلم على أن الخوف لا
ينقص من عدد الركعات وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا عليهم رآهم صلى
الإمام بهم جميعاً وحرسوا في السجود كما روي عن جابر قال شهدت مع رسول الله صلعم صلاة الخوف

فصففنا خلفه صفين والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلعم وكبرنا جميعا ثم رفع راسه
من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو
فلما قضى النبي صلعم السجود وقام وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود ثم قاموا ثم تقدم الصف
المؤخر وتأخر المقدم ثم ركع النبي صلعم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم
انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى وقام الصف المؤخر في نحر
العدو فلما قضى النبي صلعم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلعم
وسلمنا جميعا قال جابر كما يفعل حرسكم هؤلاء بامرائهم واعلم ان صلوة الخوف جائزة بعد النبي
صلعم عند عامة اهل العلم وحكى عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له وقال احمد بن حنبل كل حديث
في ابواب صلوة الخوف فالعمل به جائز وروي فيه ستة اوجه او سبعة اوجه وقال مجاهد في سبب نزول
الآية عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله صلعم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا
الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلوة فنزلت الآية بين الظهر والعصر
قوله تعالى واذا كنت فيهم اي شاهدا معهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك اي فلتقف
واذا الآخرون قائمون ... وليأخذوا اسلحتهم واختلفوا في الذين يأخذون اسلحتهم فقال
بعضهم اراد هؤلاء الذين وقفوا مع الامام يصلون يأخذون الاسلحة في الصلوة فيأخذ ...
اذا كان لا يشغله عن الصلوة ولا يؤذي من بجنبه فان كان يشغله حركته وثقله عن الصلوة كالجعبة
والترس الكبير او يؤذي من بجنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل وليأخذوا اسلحتهم اي الباقون الذين
قاموا في وجه العدو فاذا سجدوا اي صلوا فليكونوا من ورائكم يريد مكان الذين هم في وجه العدو
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين كانوا في وجه العدو فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم قيل هؤلاء الذين اتوا وقيل هم الذين صلوا ود الذين كفروا اي تمنى الكفار لو
تغفلون اي لو وجدتموهم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فيقصدو
نكم ويحملون عليكم حملة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا
حذركم اي راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم والحذر ما يتقى به من العدو قال الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس نزلت في رسول الله صلعم انه غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا
فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلعم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء

ترش فحال الوادي بين رسول الله صلعم وبين اصحابه فجلس رسول الله صلعم في ظل شجرة فبصر به غورث
بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول
الله صلعم الا وهو قائم على راسه ومعه السيف قد سله من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال
رسول الله صلعم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله
صلعم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها من بين كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلعم فاخذه
ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلعم
سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال النبي صلعم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث
الى اصحابه فقالوا ويلك ما منعك منه قال لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله ما ادري من
زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلعم الوادي الى اصحابه
فاخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم وخذوا حذركم من عدوكم قال سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية كان عبد الرحمن
بن عوف جريحا ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا يهانون فيه والجناح الاثم من جنحت اذا
عدلت عن القصد فاذا قضيتم الصلوة يعني صلوة الخوف اي فرغتم منها فاذكروا الله قيل فصلوا لله
قياما في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة وقيل اذكروا الله
بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلعم يذكر الله
على كل احيانه فاذا اطمأننتم اي سكنتم وامنتم فاقيموا الصلوة اي اتموها اربعا بالاركان ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قيل واجبا مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي
السفر ركعتان وقال مجاهد اي فرضا موقتا وقته الله عليهم وقد جاء ببيان اوقات الصلوات في
الحديث روي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم امني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر
حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثل ظله وصلى بي المغرب حين
افطر الصائم وصلى بي العشاء حين غاب الشفق وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى
بي وصلى بي الغد الظهر حين كان ظل كل شيء مثله وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه وصلى بي المغرب
حين افطر الصائم وصلى بي العشاء ثلث الليل الاول وصلى بي الفجر فاسفر ثم التفت الي فقال يا محمد هذا
الوقت ووقت النبيين قبلك الوقت ما بين هذين الوقتين روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلعم ان

ان بلالا اتاه يسأله عن مواقيت الصلوة قال فلم يرد عليه شيئا ثم امر بلالا فاقام الصلوة حين
انشق الفجر فصلى ثم امره فاقام للظهر والقائل يقول قد زالت الشمس اولم تزل وهو كان اعلم منهم
وامره فاقام للعصر والشمس مرتفعة وامره فاقام للمغرب حين وقعت الشمس وامره فاقام للعشاء حين
سقوط الشفق قال وصلى الفجر من الغد والقائل يقول طلعت الشمس ولم تطلع وصلى الظهر قريبا من
وقت العصر بالامس وصلى العصر والقائل يقول قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل ان يغيب الشفق وصلى
العشاء ثلث الليل الاول ثم قال اين السائل عن الوقت ما بين هذين الوقتين وقت ولا تهنوا
في ابتغاء القوم سبب نزولها ان ابا سفين واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث رسول الله صلعم طائفة
في آثارهم فشكوا الم الجراحات فقال تعالى ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب القوم اي ابي سفين
واصحابه ان تكونوا تألمون تتوجعون من الجراح فانهم يألمون اي يتوجعون يعني الكفار
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وانتم مع ذلك تألمون وترجون من الاجر والثواب في الاخرة والنصر
في الدنيا ما لا يرجون وقال بعض المفسرين المراد بالرجاء الخوف لان كل راج خائف ان لا يدرك
ما يأمله ومعنى الاية وتخافون من الله ما لا يخافون قال الفراء ولا يكون الرجاء بمعنى
الخوف الا مع الجحد كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقال تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة ولا يجوز رجوتك بمعنى خفتك ولا خفتك وانت تريد
رجوتك وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله
ولا تكن للخائنين خصيما روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في رجل من الا
نصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن
النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار ثم
خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف والله ما اخذها وما له
بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق
الى منزل اليهودي فاخذوه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق فجاء بنو ظفر وهم قوم
طعمة الى رسول الله صلعم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل افتضح صاحبنا فهم رسول
الله صلعم ان يعاقب اليهودي ويروى عن ابن عباس في رواية اخرى ان طعمة سرق الدرع في جراب
فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتناثر منه النخالة طول الطريق فجاء به الى دار زيد السمين وتركه
على بابه وحمل الدرع الى بيته فلما اصبح صاحب الدرع جاء على اثر النخالة الى دار زيد السمين فاخذه وحمله

الى رسول الله فهم النبي صلعم ان يقطع يد زيد اليهودي وقال مقاتل ان زيدا السمين اودع درعا عند طعمة
فجحده طعمة فانزل الله هذه الاية فقال انا انزلنا اليك الكتاب بالحق بالامر والنهي والفصل لتحكم بين
الناس بما اراك الله بما علمك الله واوحى اليك ولا تكن للخائنين لطعمة خصيما معينا مدافعا عنه واستغفر
الله مما هممت به من معاقبة اليهودي وقال مقاتل واستغفر الله من جدالك عن طعمة ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يظلمون انفسهم بالخيانة والسرقة ان الله لا يحب
من كان خوانا اثيما يريد خوانا في الدرع اثيما في رميه اليهودي قيل انه خطاب مع النبي صلعم
والمراد به غيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على
احد الوجوه الثلثة اما لذنب تقدم قبل النبوة او لذنوب امته وقرابته او لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه
بالاستغفار والاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع يستخفون من الناس اي يستترون
ويستحيون من الناس يريد بني ظفر بن الحارث ولا يستخفون من الله اي لا يستترون ولا
يستحيون من الله وهو معهم اذ يبيتون يقولون ويؤلفون والتبييت تدبير الفعل
ليلا ما لا يرضى من القول وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلعم فانه يسمع
قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من اليهودي لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم وكان الله بما يعملون محيطا
ثم يقول لقوم طعمة ها انتم هؤلاء اي يا هؤلاء جادلتم اي خاصمتم عنهم يعني طعمة وفي قراءة ابي
عنه في الحيوة الدنيا والجدال شدة المخاصمة من الجدل وهو شدة الفتل فهو يريد
ان يفتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل الجدال من الجدالة وهي الارض وكل واحد من الخصمين يروم
قهر صاحبه وصرعه على الجدالة فمن يجادل الله عنهم يعني طعمة يوم القيمة اذا اخذه الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا كفيلا اي من الذي يذب عنهم ويتولى امرهم يوم القيمة ثم استأنف فقال
ومن يعمل سوءا يعني السرقة او يظلم نفسه برميه البريء وقيل ومن يعمل سوءا او شركا او يظلم نفسه يعني
ما دون الشرك ثم يستغفر الله اي يتوب اليه ويستغفره يجد الله غفورا رحيما يعرض التوبة على طعمة
في هذه الاية ومن يكسب اثما يعني يمين طعمة بالباطل اي ما سرقته انما سرقه اليهودي فانما يكسبه على نفسه
فانما يضره به نفسه وكان الله عليما بسارق الدرع حكيما حكم بالقطع على السارق ومن يكسب خطيئة
اي سرقة الدرع او اثما يمينه الكاذبة ثم يرم به بريئا اي يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة
الى اليهودي فقد احتمل بهتانا البهتان هو البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا
اي ذنبا بينا وقوله ثم يرم به وقد تقدم ذكر الخطيئة والاثم رد الكناية الى الاثم او جعل الخطيئة

والاثم كالشىء الواحد ولولا فضل الله عليك ورحمته يقول للنبى صلعم لهمت لقد همت اى اضمرت طائفة
منهم يعنى قوم طعمة ان يضلوك يخطئوك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدافع عن طعمة وما يضلون
الا انفسهم يعنى يرجع وباله عليهم وما يضرونك من شىء يريد ان ضرره يعود اليهم وانزل الله
عليك الكتاب يعنى القران والحكمة يعنى القضاء بالوحى وعلمك ما لم تكن تعلم من الاحكام وقيل من علم
الغيب وكان فضل الله عليك عظيما قوله تعالى لا خير فى كثير من نجويهم يعنى قوم طعمة وقال مجاهد
الاية عامة فى حق جميع الناس والنجوى هو الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ما ينفرد بتد
بيره قوم سرا كان او علانية فمعنى الاية لا خير فى كثير مما يدبرونه بينهم الا من امر بصدقة
اى الا فى نجوى من امر بصدقة فالنجوى يكون فعلا وقيل هذا استثناء منقطع يعنى لكن من امر بصدقة
وقيل النجوى هنا الرجال المتناجون كما قال واذ هم نجوى الا من امر بصدقة اى حث عليها او معروف
اى بطاعة الله وما يعرفه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها او اصلاح بين
الناس روى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلعم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة
والصلاة قال قلنا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة وروى عن ام كلثوم
بنت عقبة وكانت من المهاجرات الاول قالت سمعت رسول الله صلعم يقول ليس بكذاب من اصلح
بين الناس فقال خيرا او نمى خيرا ومن يفعل اى هذه الاشياء التى ذكرها ابتغاء مرضات
الله اى طلب رضاه فسوف نؤتيه فى الاخرة اجرا عظيما قرا ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء يعنى يؤتيه
الله وقرا الاخرون بالنون ومن يشاقق الرسول نزلت فى طعمة بن ابيرق وذلك انه
لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب الى مكة وارتد عن الدين فقال
تعالى ومن يشاقق الرسول اى يخالفه من بعد ما تبين له الهدى من التوحيد والحدود ويتبع غير
سبيل المؤمنين اى غير طريق المؤمنين نوله ما تولى اى نكله فى الاخرة الى ما تولى فى الدنيا ونصله
جهنم وساءت مصيرا وروى ان طعمة بن ابيرق نزل على رجل من بنى سليم من اهل مكة يقال
له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع ان يدخل ولا ان يخرج فاخذ ليقتل
فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فاخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاعة نحو
الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم فهرب فطلبوه واخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه
فصار قبره تلك الحجارة وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ فالقى فى
البحر وقيل نزل فى حرة بنى سليم وكان يعبد صنما الى ان مات فانزل الله تعالى فيه

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا اى ذهب عن الطريق وحرم الخير كله وقال الضحاك عن ابن عباس ان هذه الا
ية نزلت فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلعم فقال يا نبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى
لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصى جراءة على الله
وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى فانزل الله هذه
الاية قوله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا نزلت فى اهل مكة اى ما يعبدون كقوله وقال
ربكم ادعونى قيل اى اعبدونى بدليل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى قوله من دونه اى من
دون الله الا اناثا اراد بالاناث الاوثان لانهم كانوا يسمونها باسم الاناث فيقولون اللات
والعزى ومناة وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان وكان فى كل واحدة منهن شيطان
يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم فلذلك قال وان يدعون الا شيطانا مريدا هذا قول اكثر
المفسرين يدل على صحة هذا التاويل وبان المراد بالاناث الاوثان قراءة ابن عباس ان يدعون
من دونه الا اثنا جمع الوثن فصير الواو همزة وقال الحسن وقتادة الا اناثا اى مواتا لا روح
فيه لان اصنامهم كانت من الجمادات سماها اناثا لانه يخبر عن الموات كما يخبر عن الاناث
ولان الاناث ادون الجنسين كما ان الموات ارذل من الحيوان وقال الضحاك اراد بالاناث
الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون الملائكة اناث كما قال تعالى وجعلوا الملا
ئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وان يدعون الا شيطانا اى ما يعبدون الا شيطانا مريدا
لانهم اذا عبدوا الاصنام فقد اطاعوا الشيطان والمريد المارد وهو المتمرد العاتى الخارج
عن الطاعة واراد ابليس اللعين لعنه الله اى ابعده من رحمته وقال يعنى قال ابليس لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا اى حظا معلوما فما اطيع فيه ابليس فهو مفروضه وفى بعض التفاسير
من كل الف واحد لله وتسع مائة وتسعة وتسعون لابليس واصل الفرض فى اللغة القطع ومنه الفرضة
فى النهر وهى الثلمة تكون فيه وفرض القوس والسواك الشق الذى يكون فيه الوتر والخيط الذى
يشد به السواك ولاضلنهم يعنى عن الحق اى لاغوينهم يقوله ابليس واراد به التزيين والا فليس
اليه من الاضلال شىء كما قال لازينن لهم فى الارض ولامنينهم قيل امنينهم ركوب الاهواء وقيل
امنينهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنينهم ادراك الاخرة مع ركوب المعاصى ولامرنهم
فليبتكن آذان الانعام اى يقطعونها ويشقونها وهى البحيرة ولامرنهم فليغيرن

خلق الله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك يعني دين الله
نظيره قوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لدين الله يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال
وقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم
بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في البهائم لان فيه غرضا ظاهرا وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق
الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار لمنفعة العباد فعبدوها من
دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي ربا يطيعه فقد خسر خسرانا مبينا
يعدهم ويمنيهم فوعده وتمنيته ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل الدنيا وقد يكون بالتخ
ويف بالفقر فيمنعه من الانفاق وصلة الرحم كما قال الله الشيطان يعدكم الفقر ويمنيهم بان لا بعث
ولا جنة ولا نار وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي باطلا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا اي مفرا ومعدلا عنها والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الا
نهار اي من تحت الغرف والمساكن خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا قوله
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قال مسروق وقتادة والضحاك اراد ليس بامانيكم ايها
المسلمون ولا اماني اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا
يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى وقال مجاهد اراد بقوله ليس بامانيكم
مشركي اهل مكة وذلك انهم قالوا لا بعث ولا حساب وقال اهل الكتاب لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فانزل الله تعالى ليس بامانيكم اي
ليس الامر بالاماني وانما الامر بالعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به وقال ابن عباس وسعيد بن
جبير وجماعة الآية عامة في حق كل عامل وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس لما نزلت هذه الا
ية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وايّنا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون
في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر ~~امثالها~~ حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت
واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره واما ما كان
جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل
فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله وروي عن ابي بكر الصديق رضي قال كنت عند رسول
الله صلعم فنزلت عليه هذه الآية من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا

قال رسول الله صلعم يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت علي قال قلت بلى قال فاقرأنيها فلا اعلم
الا اني وجدت انقصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلعم ما لك يا ابا بكر فقلت يا ر
سول الله بابي انت وامي وايّنا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلعم
اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما
الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو
مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا اي بقدر النقير وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة
وقرأ ابن كثير وابو جعفر واهل البصرة وابو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي سورة مريم
وحم المؤمن وزاد ابو عمرو يدخلونها في سورة فاطر وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء روى الاعمش
عن ابي الضحى عن مسروق قال لما نزلت ليس بامانيكم ولا اماني من يعمل سوءا يجز به قال اهل الكتاب
نحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية ومن يعمل من الصالحات الآية ونزلت ايضا ومن احسن
دينا اي احكم دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص عمله وقيل فوض امره الى الله وهو محسن
اي موحد واتبع ملة ابراهيم يعني دين ابراهيم حنيفا اي مسلما مخلصا قال ابن عباس ومن دين
ابراهيم الصلوة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وانما خص ابراهيم لانه كان مقبولا عند
الامم اجمع وقيل لانه بعث على ملة ابراهيم وزيد له اشياء واتخذ الله ابراهيم خليلا صفيا والخلة
صفاء المودة قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس كان ابراهيم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق
يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة
له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله الذي له بمصر فقال خليله لغلمانه لو
كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع
رسل ابراهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة
فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا الغرائر رملا ثم انهم اتوا ابراهيم فاعلموه وسارة نائ
مة فاهتم ابراهيم لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام فاستيقظت سارة وقد ارتفع
النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤوا بشيء قالوا بلى فقامت الى الغرائر
ففتحتها فاذا هو اجود حوارى يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم
فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا قالت من عند خليلك المصري فقال هذا من
عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة

الصلاة والسلام فسمي خليلا لان الله احبه واصطفاه وقيل هو من الخلة وهي الحاجة سمي خليلا اي فقيرا
الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقته الا الى الله والاول اصح لان قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا يقتضي
الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين روي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن ابا بكر اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ولله ما في
السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا اي احاط علمه بجميع الاشياء قوله عز وجل ويستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم فيهن قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس هذه الاية نزلت في بنات ام كحة و
ميراثهن من ابيهن وقد مضت القصة في اول السورة وقالت عايشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل
وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها وان كانت مرغوبا
عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها
ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم
الله عز وجل عن ذلك قوله ويستفتونك اي يستخبرونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
قيل معناه ويفتيكم فيما يتلى عليكم وقيل معناه يفتيكم ما يتلى عليكم يريد الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم
فيهن وهو قوله واتوا اليتامى اموالهم وقوله في يتامى النساء هذا اضافة الشيء الى نفسه لانه اراد
باليتامى هن النساء اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن من صداقهن وترغبون
ان تنكحوهن اي في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقال الحسن وجماعة
اراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء وترغبون ان تنكحوهن
اي عن نكاحهن لدمامتهن والمستضعفين من الولدان يريد ويفتيكم في المستضعفين
من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لانهم كانوا لا يورثون الصغار يريد ما يتلى
عليكم في باب اليتامى من قوله واتوا اليتامى اموالهم يعني باعطاء حقوق الصغار وان تقوموا
لليتامى بالقسط اي ويفتيكم ان تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما
تفعلوا من خير فان الله كان به عليما قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا
نزلت في عمرة ويقال خويلة بنت محمد بن مسلمة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن
خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امراة شابة واثرها عليها وجفا ابنة محمد
بن مسلمة فاتت رسول الله صلعم فشكت اليه فنزلت فيها هذه الاية وقال سعيد بن جبير كان رجل له
امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على ولدي

واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي
فاتى رسول الله صلعم فذكر له ذلك فانزل الله وان امراة خافت اي علمت من بعلها اي من زوجها نشوزا اي
بغضا قال الكلبي يعني ترك مضاجعتها او اعراضا بوجهه عنها وقلة مجالستها فلا جناح عليهما
يعني على المراة والزوج ان يصالحا اي يتصالحا وقرا اهل الكوفة ان يصلحا من اصلح بينهما صلحا
يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد دخلت في السن واني اريد ان اتزوج امراة
شابة جميلة او اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت بهذا فاقيمي وان كرهت خليت سبيلك
فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك فان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها
حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان فان امسكها ووفاها حقها مع كراهيته فهو المحسن
وقال سليمان بن يسار في هذه الاية عن ابن عباس فان صالحته عن بعض حقها من القسم والنفقة
فذلك جائز ما رضيت فان انكرت بعد الصلح فذلك لها ولها حقها وقال مقاتل بن حيان في هذه الاية
هو ان الرجل تكون تحته المراة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة فيقول للكبيرة اعطيك من مالي نصيبا على
ان اقسم لهذه الشابة اكثر مما اقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه فان ابت ان ترضى فعليه ان يعدل
بينهما في القسمة وعن علي في هذه الاية قال تكون المراة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة او كبر
فتكره فرقته فان اعطته من مالها فهو له حل وان اعطته من ايامها فهو حل له والصلح خير يعني
اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسمة والنفقة خير من الفرقة كما يروى
ان سودة كانت امراة كبيرة اراد النبي صلعم ان يفارقها فقالت لا تطلقني واني مالي ان ابعث
في نسائكم وقد جعلت نوبتي لعايشة فامسكها رسول الله صلعم وكان يقسم لعايشة يومها ويوم
سودة واحضرت الانفس الشح يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الاخر والشح اقبح
البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وان تحسنوا اي تصلحوا او تتقوا الجور وقيل هذا خطاب
مع الازواج اي وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها فان الله كان بما
تعملون خبيرا فيجزيكم باعمالكم ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لن تقدروا ان تسووا
بين النساء في الحب وميل القلب ولو حرصتم على العدل فلا تميلوا اي الى التي تحبونها كل الميل في القسمة
والنفقة اي لا تتبعوا اهواءكم افعالكم فتذروها كالمعلقة اي فتدعوا الاخرى كالمنوطة لا ايما
ولا ذات بعل وقال قتادة كالمحبوسة وفي قراءة ابي بن كعب كانها مسجونة وروي عن ابي قلابة
ان النبي صلعم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك

ولا ابليلا ورواه بعضهم عن ابي قلابة عن عبدالله بن يزيد عن عايشة متصلا وروي عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال من كانت له امراتان فمال الى احديهما جاء يوم القيمة وشقه مايل وان تصلحوا وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يعني الزوج والمراة بالطلاق يغن الله كلا من سعته من رزقه يعني المراة بزوج آخر والزوج بامراة اخرى وكان الله واسعا حكيما واسع الفضل والرحمة حكيما فيما امر ونهى وجملة حكم الاية ان الرجل اذا كان تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عزوجل وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وليس ذلك اليه ولو كانت في نكاحه حرة وامة يبيت عند الحرة ليلتين وعند الامة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال على التوالي ان كانت بكرا وان كانت ثيبا فثلث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات روي عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلثا ثم قسم قال ابو قلابة ولو شئت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلعم واذا اراد الرجل سفر حاجة فيجوز ان يحمل بعض نسائه بعد ان يقرع بينهن فيه ثم لا يجب عليه ان يقضي للباقيات مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين والدليل عليه ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلعم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها اما اذا اراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها ولله ما في السموات وما في الارض عبيدا وملكا ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اهل التورية والانجيل وساير الكتب المتقدمة في كتبهم واياكم يا اهل القران في كتابكم ان اتقوا الله اي وحدوا الله واطيعوه وان تكفروا بما اوصاكم به الله به فان لله ما في السموات وما في الارض قيل فان لله ملايكة في السموات والارض هم اطوع له منكم وكان الله غنيا عن جميع خلقه غير محتاج الى طاعتهم حميدا محمودا على نعمه ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال عكرمة عن ابن عباس يعني شهيدا ان ما فيهما عبيد وقيل دافعا ومجيرا فان قيل اي فايدة في تكرار قوله ولله ما في السموات وما في الارض قيل لكل واحد منها وجه اما الاول معناه لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته واما الثاني يقول فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا وهو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون واما الثالث

يقول ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي له الملك فاتخذوه وكيلا فلا تتوكلوا على غيره ان يشأ يذهبكم اي يهلككم ايها الناس يعني الكفار ويأت بآخرين يقول بغيركم خيرا منكم واطوع وكان الله على ذلك قديرا قادرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يريد من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد به الله آتاه الله من عرض الدنيا ودفع عنه فيها ما اراد الله وليس في الآخرة من ثواب ومن اراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما احب وجزاه الجنة في الآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله يعني كونوا قايمين بالشهادة بالقسط اي بالعدل لله وقال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين في الرحم اي قولوا الحق ولو على انفسكم بالاقرار او الوالدين والاقربين فاقيموها عليهم لله ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي اقيموا على المشهود عليه وان كان غنيا وللمشهود له وان كان فقيرا فالله اولى بهما منكم اي كلوا امرهما الى الله قال الحسن معناه الله اعلم بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي تجوروا وتميلوا الى الباطل من الحق وقيل معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا اي لتكونوا عادلين كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك وان تلووا اي تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق او تعرضوا عنها فتكتموها ولا تقيموها ويقال تلووا اي تدافعوا في اقامة الشهادة يقال لويته حقه اذا دفعته ومطلته وقيل هذا خطاب مع الحكام وليهم الاشراق يقول وان تلووا اي تميلوا الى احد الخصمين او تعرضوا عنه وقرا ابن عامر وحمزة بضم اللام قيل اصله تلووا فحذفت احدى الواوين تخفيفا وقيل معناه وان تلوا القيام باداء الشهادة او تعرضوا فتتركوا اداءها فان الله كان بما تعملون خبيرا قوله عزوجل يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبدالله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبدالله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين فهولاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلعم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم صلعم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين آمنوا بمحمد والقران وبموسى والتورية آمنوا بالله ورسوله محمد والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل من التورية والانجيل والزبور

وسائر الكتب قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نُزِّل وأُنزل بضم النون والالف وقرأ الا
خرون نَزَّل وأَنزل بالفتح اي انزل الله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
ضل ضلالا بعيدا فلما نزلت هذه الآية قالوا فانا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول وكتاب
كان قبل القرآن والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال الكلبي
اراد به اليهود والنصارى يقول يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد والقرآن وقال مجاهد
اراد به المنافقين يقول يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وقال ابو العالية وجماعة هذا خطاب
للمؤمنين يقول يا ايها الذين آمنوا آمنوا اي اقيموا واثبتوا على الايمان كما يقال للقائم قم حتى ارجع اليك اي
اثبت قائما وقيل المراد به اهل الشرك يعني يا ايها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله ورسوله
ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم
كفروا من بعد بعبادتهم العجل ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم وقيل
هو في جميع اهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليهم ثم كفروا به وكفرهم
به تركهم اياه ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم وقيل هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ومثل هذا
هل تقبل توبته حكي عن علي انه لا تقبل توبته بل يقتل كقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم واكثر
اهل العلم على قبول توبته وقال مجاهد ثم ازدادوا كفرا اي ماتوا عليه لم يكن الله ليغفر لهم ما اقاموا
على ذلك ولا ليهديهم سبيلا اي طريقا الى الحق فان قيل ما معنى قوله لم يكن الله ليغفر لهم ومعلوم
انه لا يغفر الشرك وان كان اول مرة قيل معناه ان الكافر اذا اسلم اول مرة ودام عليه يغفر
له كفره السابق فان اسلم ثم كفر ثم اسلم ثم كفر فلا يغفر له كفره السابق الذي كان يغفر له لو دام
على الاسلام بشر المنافقين اي اخبرهم يا محمد بان لهم عذابا اليما والبشارة كل خبر يتغير به
بشرة الوجه سارا كان او غير سار وقال الزجاج معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب
كما يقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف اي الضرب بدل لك من التحية والسيف بدل لك من
العتاب ثم وصف المنافقين الذين يتخذون الكافرين اولياء يعني يتخذون اليهود اولياء انصارا
وبطانة من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة اي المعونة والظهور على محمد صلعم واصحابه
اي يطلبون عندهم القوة والغلبة فان العزة اي القوة والغلبة والقدرة لله جميعا وقد نزل قرأ
عاصم ويعقوب نَزَّل بفتح النون والزاي اي نزل الله وقرأ الآخرون نُزِّل بضم النون وكسر الزاي عليكم
يا معشر المسلمين في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يعني القرآن يكفر بها ويستهزأ بها

فلا تقعدوا معهم يعني مع الذين يستهزؤن حتى يخوضوا في حديث غيره اي يأخذوا في حديث غير الا
الاستهزاء بمحمد والقرآن وهذا اشارة الى ما انزل الله في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قال الضحاك عن ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث
في الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة وقوله انكم اذا مثلهم اي ان قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤن
ورضيتم به فانتم كفار مثلهم وان خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة وقال الحسن
لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى واما ينسينك الشيطان فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين والاكثرون على الاول وآية الانعام مكية وهذه مدنية والمتأخر
اولى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم اي ينتظرون
بكم الدوائر يعني المنافقين فان كان لكم فتح من الله يعني ظفر وغنيمة قالوا ألم نكن معكم
على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب يعني دولة وظهور
على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار ألم نستحوذ عليكم والاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة
قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان اي استولى وغلب يقولون ألم نخبركم بعورة محمد واصحابه
ونطلعكم على سرهم قال المبرد يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم فلم
عن المؤمنين اي من الدخول في جملتهم وقيل معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من المؤمنين اي ندفع
عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وامورهم ومراد المنافقين بهذا
الكلام اظهار المنة على الكافرين فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني بين اهل الايمان واهل النفاق
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي في الآخرة وقال عكرمة عن ابن عباس اي
حجة وقيل ظهورا على اصحاب النبي صلعم ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم اي يعاملونه
معاملة المخادعين وهو خادعهم اي يجازيهم على خداعهم وذلك انهم يعطون نورا يوم القيمة كما
للمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين واذا قاموا الى الصلوة يعني
المنافقين قاموا كسالى اي متثاقلين لا يريدون بها الله فان رآهم احد صلوا وان انصرفوا فلم
يصلوا يراؤن الناس اي يفعلون ذلك مراآة للناس لا اتباعا لامر الله عز وجل ولا يذكرون
الله الا قليلا قال ابن عباس والحسن انما قال ذلك لانهم يفعلونها رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك
القليل وجه الله لكان كثيرا وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين لان الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو
كثير مذبذبين بين ذلك اي مترددين متحيرين بين الكفر والايمان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

اى لن يتوسوا من الكون بين بحث لكفر ما يجب للمؤمنين وليتوسوا من الكفر فيؤاخذ منهم ما يوخذ
من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى طريقا الى الهدى روى عن ابن عباس عن
النبى صلعم مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهى الله المؤمنين عن موالاة
الكفار وقال اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى حجة بينة فى عذابكم ثم ذكر
منازل المنافقين فقال جل ذكره ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار قرا اهل الكوفة
فى الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالنهر والنهر والظعن والظعن قال ابن عباس
الدرك الاسفل توابيت من حديد مقفلة فى النار وقال ابو هريرة بيت مقفل عليهم تتوقد فيه
النار من فوقهم ومن تحتهم ولن تجد لهم نصيرا مانعا من العذاب الا الذين تابوا من النفاق
وآمنوا واصلحوا اعمالهم واعتصموا بالله وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله اراد الاخلاص بالقلب
لان النفاق كفر القلب فزواله يكون باخلاص القلب فاولئك مع المؤمنين قال الفراء من
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين فى الآخرة اجرا عظيما يعنى الجنة وحذفت الياء من يوت
فى الخط لسقوطها فى اللفظ وسقوطها فى اللفظ لسكون اللام فى الله ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم نعماءه وآمنتم به وفيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الشكر لا ينفع
مع عدم الايمان وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه انه لا يعذب المؤمن الشاكر فان تعذيبه
عباده لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد الكفر
فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها وكان الله شاكرا عليما فالشكر من الله تعالى
هو الرضا بالقليل من عباده واضعاف الثواب عليه والشكر من العبد الطاعة ومن الله
الثواب لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم يعنى لا يحب الله الجهر بالقول القبيح
الا من ظلم فيجوز للمظلوم ان يخبر عن ظلم الظالم وان يدعو عليه قال الله تعالى ولمن انتصر بعد
ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قال الحسن دعاؤه عليه ان يقول اللهم اعنى عليه اللهم استخرج حقى منه
وقيل ان شتم جاز ان يشتم بمثله لا يزيد عليه بما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلعم قال المستبان
ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم وقال مجاهد هذا فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم
يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ويذكر ما صنع به روى عن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله
انك تبعثنا فننزل على قوم فلا يقروننا فما ترى فقال لنا رسول الله ان نزلتم بقوم فا
مروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم وقرا
الضحاك بن مزاحم وزيد بن اسلم الا من ظلم بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهروا له بالسوء
من القول وقيل معناه لا يحب الله الجهر بالسوء لكن يجهر من ظلم والقراءة الاولى هى المعروفة وكان
الله سميعا لدعاء المظلوم عليما بعقاب الظالم ان تبدوا خيرا يعنى حسنة فيعمل بها كتبت له عشرا
وان هم بها ولم يعمل كتبت له حسنة واحدة وهو قوله او تخفوه قيل المراد من الخير المال يريد
ان تبدوا صدقة تعطونها او تخفوها سرا او تعفوا عن سوء اى عن مظلمة فان الله كان
عفوا قديرا فهو اولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله
نزلت فى اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلعم والقرآن
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اى دينا بين اليهودية والاسلام ومذهبا يذهبون اليه اولئك هم الكا
فرون حقا حقق كفرهم ليعلم ان الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
والذين آمنوا بالله ورسله كلهم ولم يفرقوا بين احد منهم يعنى من الرسل وهم المؤمنون
يقولون لا نفرق بين احد من رسله اولئك سوف نؤتيهم اجورهم بايمانهم بالله وكتبه ورسله
قرا حفص عن عاصم يؤتيهم بالياء والباقون بالنون وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل
يسئلك اهل الكتاب وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا لرسول
الله صلعم ان كنت نبيا حقا فاتنا بكتاب جملة من السماء كما اتى به موسى عليه السلام فانزل
الله عز وجل يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وكان هذا السؤال منهم
سوال تحكم واقتراح لا سوال انقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك اى اعظم من ذلك يعنى السبعين الذين خرج بهم موسى الى الجبل
فقالوا ارنا الله جهرة اى عيانا وقال ابو عبيدة معناه قالوا جهرة ارنا الله فاخذتهم الصا
عقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل يعنى الها من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ولم
نستأصلهم قيل هذا استدعاء الى التوبة معناه ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم
فتوبوا انتم حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا اى حجة بينة من المعجزات وهى الآيات
التسع ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم
لا تعدوا فى السبت قرأ اهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش وجزمها

الآخر فقد معناه لا تعدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه واخذنا منهم ميثاقا غليظا
فبما نقضهم ميثاقهم اي فبنقضهم وما صلة كقوله تعالى فبما رحمة من الله ونحوها وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم اي ختم عليها
فلا يؤمنون الا قليلا يعني ممن كذب الرسل لا ممن طبع على قلبه لا يؤمن ابدا واراد بالقليل
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وبكفرهم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما حين رموها بالزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وذلك ان الله تعالى القى شبه عيسى على الذي دل اليهود
عليه وقيل انهم حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا فالقى الله شبه عيسى على الرقيب فقتلوه
وقيل غير ذلك ذكرناه في سورة آل عمران وان الذين اختلفوا فيه في قتله لفي شك منه اي من قتله
قال الكلبي اختلافهم فيه هو ان اليهود قالت نحن قتلناه وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه
وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر اليه وقيل كان
الله تعالى القى شبه وجه عيسى على وجه ططيانوس ولم يلقه على جسده فاختلفوا فيه فقال بعضهم
قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى وقال بعضهم لم نقتله لان جسده ليس بجسد عيسى وقال السدي
اختلافهم من حيث انهم قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى قال
الله تعالى ما لهم به من علم من حقيقة انه قتل او لم يقتل الا اتباع الظن لكنهم يتبعون الظن في قتله
قال الله عز وجل وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا عيسى يقينا بل رفعه الله اليه وقيل قوله يقينا يرجع
الى ما بعده وقوله وما قتلوه كلام تام تقديره بل رفعه الله يقينا والهاء في ما قتلوه عائد الى
عيسى وقال الفراء معناه وما قتلوا الذي ظنوه انه عيسى يقينا انه عيسى وروي عن ابن عباس
معناه ما قتلوا ظنهم يقينا وكان الله عزيزا منيعا بالنقمة من اليهود حكيما حكم باللعنة والغضب
عليهم فسلط الله عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة وان
من اهل الكتاب وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن به يعني بعيسى هذا قول اكثر المفسرين
واهل العلم وقوله قبل موته اختلفوا في هذه الكناية فقال عكرمة وهي هذه والضحاك والسدي
انها كناية عن الكتابي معناه وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موته اذا وقع في البأس
حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق او غرق او تردى او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات
فجأة وهذا رواية علي بن ابي طالب عن ابن عباس قال فقيل لابن عباس ارأيت ان خر من فوق

بيت قال يتكلم به في الهواء فقال فقيل ارأيت ان ضرب عنق احدهم قال يتلجلج بها لسانه وذهب
قوم الى ان الهاء في موته كناية عن عيسى معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل
موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة
الاسلام ورد وبناه عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وتهلك في زمانه الملل كلها الا
الاسلام ويقتل الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقال ابو هريرة
اقرءوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته عيسى بن مريم ثم يعيدها ابو هريرة
ثلث مرات وروي عن عكرمة ان الهاء في ليؤمنن به كناية عن محمد صلعم يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن
بمحمد صلعم وقيل هي راجعة الى الله عز وجل يقول وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته
عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه ويوم القيامة يكون يعني عيسى عليهم شهيدا انه قد بلغهم رسالة
ربه واقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبي شاهد
على امته قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبظلم
من الذين هادوا وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على
مريم وقولهم انا قتلنا المسيح حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهو ما ذكر في سورة الانعام
فقال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ونظم الآية فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا
وبصدهم وبصرفهم انفسهم وغيرهم عن سبيل الله عن دين الله صدا كثيرا واخذهم الربا وقد
نهوا عنه في التوراة واكلهم اموال الناس بالباطل من الرشى في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوام
فهم عاقبناهم بان حرمنا عليهم طيبات فكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات
التي كانت حلالا لهم قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون واعتدنا للكافرين منهم
عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم يعني ليس اهل الكتاب كلهم بهذه الصفة لكن الراسخون
البالغون في العلم منهم يعني ليس اهل الكتاب كلهم اولي البصائر منهم واراد به الذين اسلموا من
علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون يعني المهاجرين والانصار يؤمنون بما
انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك يعني سائر الكتب المنزلة والمقيمين الصلاة اختلفوا
في وجه انتصابه فحكي عن عائشة وابان بن عثمان انه غلط من الكاتب ينبغي ان تكتب والمقيمون
الصلاة وكذلك قوله في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله ان

هذان لساحران قالوا ذلك خطاء من الكاتب وقال عثمان ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب
بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة واهل العلم
على انه صحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح وقيل نصب باضمار فعل تقديره اعني المقيمين الصلاة
وهم المؤتون الزكوة وقيل موضعه خفض واختلفوا في وجهه فقال بعضهم معناه لكن الراسخون
في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقيل معناه يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة ثم قوله والمؤتون
الزكوة رجوع الى النسق الاول والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما قرا حمزة
سيؤتيهم بالياء الباقون بالنون انا اوحينا اليك هذا ابتناء على ما سبق من قوله تعالى يسألك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا الكل ما انزل
الله عز وجل وقالوا ما انزل الله على بشر من شئ فنزل وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شئ وانزل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده فذكر الله عدة من الر
سل الذي اوحى اليهم وبدا بذكر نوح عم لانه كان ابا البشر مثل آدم عليه السلام قال الله تعالى وجعلنا
ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبياء الشريعة واول نذير على الشرك واول من عذ
ب امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبياء عمرا وجعلت
معجزاته في نفسه لانه عمر الف سنة فلم تنقص له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر
احد على اذى قومه ما صبر هو على طول عمره واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وهم اولاد يعقوب وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا دا
ود زبورا قرا الاعمش وحمزة زبورا والزبور بضم الزاء حيث كان جمع زبر اي آتينا دا
ود صحفا وكتبا مزبورة اي مكتوبة وقرا الاخرون بفتح الزاء وهو اسم الكتاب الذي انزل الله
عز وجل على داود عم وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى
البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس
خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدوا
ب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا مما يسمعن منه والطير ترفرف على رؤسهم فلما قارف الذنب
لم ير ذلك فقيل له ذاك انس الطاعة وهذا وحشة المعصية روي عن ابي موسى رضي الله عنه
قال قال لي رسول الله صلعم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير
آل داود قال اما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا وكان عمر اذا راه قال

ذكرنا يا ابا موسى فيقرأ عنده قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم اي كما اوحينا الى نوح والى رسل نصب
بنزع حرف الصفة وقيل معناه وقصصنا عليك رسلا وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما قال الفراء العرب تسمي ما يوصل الى
الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام كالا
رادة يقال فلان اراد ارادة يريد حقيقة الارادة ويقال اراد الجدار ولا يقال اراد الجدار ارادة
لانه مجاز غير حقيقة رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت كتابا وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثه
الرسل قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكان الله عزيزا حكيما روي عن عبد ال
ملك عن وراد كاتب المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف
غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل
غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل
ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الله الجنة
لكن الله يشهد بما انزل اليك قال ابن عباس ان رؤس مكة اتوا رسول الله صلعم فقالوا يا
محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة
من اليهود فقال لهم والله انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فانزل الله عز وجل
لكن الله يشهد بما انزل اليك ان جحدوك وكذبوك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بكتمان نعت محمد عم قد ضلوا ضلالا بعيدا ان
الذين كفروا وظلموا قيل انما قال وظلموا مع ان ظلمهم بكفرهم تاكيدا وقيل معناه كفروا بالله وظلموا
محمدا صلعم بكتمان نعته لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا يعني دين الاسلام الا
طريق جهنم يعني اليهودية خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا وهذا في حق
من سبق حكمه فيهم انهم لا يؤمنون يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا
خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما قوله عز وجل يا
اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم نزلت في النصارى وهم اصناف اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطو
رية والمرقوسية فقالت اليعقوبية عيسى هو الله وكذا الملكانية وقال النسطورية عيسى ابن الله
وقال المرقوسية ثالث ثلاثة فانزل الله هذه الآية ويقال الملكانية يقولون عيسى هو الله

واليعقوبية يقولون ابن الله والنسطورية يقولون ثالث ثلاثة علّمهم رجل من اليهود يقال
له بولس سيأتي في سورة التوبة وقال الحسن يجوز ان يكون في اليهود والنصارى فانهم جميعًا
غلوا في امر عيسى فاليهود بالتقصير والنصارى بالمجاوزة واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين
حرام قال الله لا تغلوا في دينكم لا تشددوا في دينكم فتفتروا على الله ولا تقولوا على الله الا الحق لا تقولوا
ان له شريكًا وولدًا انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وهو قوله كن فكان بشرًا من غير
اب وقيل غيره القاها الى مريم اي اعلمها واخبرها بها كما يقال القيت اليك كلمة حسنة وروح
منه قيل هو روح كسائر الارواح الا ان الله تعالى اضافه الى نفسه تشريفًا وقيل الروح هو النفخ الذي
نفخ جبرائيل في درع مريم فحملت باذن الله سمي النفخ روحًا لانه ريح يخرج من الروح وانما
اضافه الى نفسه لانه كان بامره وقيل روح منه اي ورحمة منه وكان عيسى رحمة لمن تبعه وآمن به وقيل
الروح الوحي اوحى الى مريم بالبشارة والى جبرائيل بالنفخ والى عيسى ان كن فكان كما قال الله
ينزل الملائكة بالروح من امره يعني بالوحي وقيل اراد بالروح جبرائيل ومعناه وكلمته القاها
الى مريم والقاها ايضًا اليها روح منه بامره وهو جبرائيل كما قال تنزل الملائكة والروح يعني
جبرائيل فيها وقال فارسلنا اليها روحنا يعني جبرائيل روى عن عبادة عن النبي صلعم قال من شهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدًا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي ولا تقولوا هم ثلاثة وكانت النصارى يقولون اب وابن وروح
قدس انتهوا خيرًا لكم تقديره انتهوا يكن الانتهاء خيرًا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون
له ولد واعلم ان التبني لا يجوز لله تعالى لان التبني انما يجوز لمن يتصور له ولد له ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلًا قوله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله وذلك ان
وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلعم انه ليس بعار ان
يكون عبد الله فنزل لن يستنكف المسيح لن يانف ولن يتعظم والاستنكاف التكبر مع الانفة
ولا الملائكة المقربون وهم حملة العرش لا يانفون ان يكونوا عبيدًا لله ويستدل بهذه الآية
من يقول بتفضيل الملائكة على البشر لان الله ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا الى الاعلى
لا يقال لا يستنكف فلان من كذا ولا عبده انما يقال فلان لا يستنكف من كذا ولا مولاه
ولا حجة لهم فيه لانه لم يقل ذلك رفعًا لمقامهم على مقام البشر بل ردًا على الذين يقولون الملائكة

آلهة كما ردّ على النصارى قولهم المسيح ابن الله فقال ردًّا على النصارى بزعمهم فانهم يقولون بتفضيل
الملائكة ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعًا قيل الاستنكاف هو التكبر
مع الانفة والاستكبار هو العلو والتكبر من غير انفة فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله من التضعيف ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر واما الذين استنكفوا واستكبروا عن عبادته فيعذبهم عذابًا اليمًا ولا يجدون لهم من
دون الله وليًا ولا نصيرًا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدًا صلعم هذا قول
اكثر المفسرين وقيل هو القرآن والبرهان الحجة وانزلنا اليكم نورًا مبينًا يعني القرآن فاما الذين آمنوا
بالله واعتصموا به امتنعوا به من زيغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل يعني الجنة ويهديهم
اليه صراطًا مستقيمًا قوله عز وجل يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله قال
عادني رسول الله صلعم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله
لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقد ذكرنا معنى الكلالة وحكم
الآية في اول السورة وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب او للام قوله يستفتونك اي يستخبرونك
ويسالونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو
يرثها يعني اذا ماتت الاخت فجميع ميراثها للاخ ان لم يكن لها ولد فان كان لها ابن فلا شيء للاخ
وان كان ولدها انثى فللاخ ما فضل عن فرض البنات فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
اراد اثنتين فصاعدًا وهو ان من مات وله اخوات فلهن الثلثان وان كانوا اخوة رجالًا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا قال الفراء وابو عبيدة معناه ان لا تضلوا وقيل
معناه يبين الله لكم كراهة ان تضلوا والله بكل شيء عليم اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد
بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن رجاء ثنا
اسرائيل عن ابي اسحق عن البراء قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة
النساء يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروي عن ابن عباس آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة
نزلت اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس وروي عنه آخر آية نزلت قوله واتقوا يومًا ترجعون
فيه الى الله ويروى بعدما نزلت سورة النصر عاش النبي صلعم عامًا ونزلت بعدها سورة براءة وهي
آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر ثم نزل في طريق حجة الوداع يستفتونك الآية
فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها

وقال غيره بوماً ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم عاش بعدها احدا
وعشرين يوما سورة المائدة مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت
بعرفات بسم الله الرحمن الرحيم روى عن ابي ميسرة قال انزل الله
تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام الطهور في قوله اذا قمتم الى
الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم الاية وما جعل من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود
قال الزجاج هي اوكد العهود يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه اي الزمته ذلك باستيثاق واصله
من عقد الشيء بغيره ووصله به كما يعقد الحبل بالحبل واختلفوا في هذه العقود قال ابن جريج هذا خطاب
لاهل الكتاب يعني يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعهود التي عهدتها اليكم في شان
محمد صلعم وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس وقال الآخرون
هو عام قال قتادة اراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية وقال ابن عباس هي العهود
الايمان والقرآن وقيل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم احلت لكم بهيمة الانعام قال
الحسن وقتادة هي الانعام كلها وهي الابل والبقر والغنم واراد تحليل ما حرم اهل الجاهلية
على انفسهم من الانعام وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال بهيمة الانعام هي الاجنة التي توجد
ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر اهل العلم الى تحليله قرأت على ابي
عبد الله محمد بن الفضل الخرقي فقلت قرئ على ابي سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي
وانت حاضر فقيل له حدثكم ابو سليمان الخطابي نا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجستاني
نا مسدد نا هشيم عن مجالد عن ابي الوداك عن ابي سعيد قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة
ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكوته
ذكاة امه وروى ابو الزبير عن جابر عن رسول الله صلعم قال ذكاة الجنين ذكاة امه وشرط بعضهم
الاشعار قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن
المسيب وعند ابي حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقال الكلبي بهيمة الانعام
وحشيها وهي الظباء وبقر الوحش وحمر الوحش سميت بهيمة لانها ابهمت عن التمييز وقيل لانطق
لها [illegible]

الا ما يتلى عليكم اي ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة الى قوله وما ذبح على النصب
غير محلي الصيد وهو نصب على الحال اي لا محلي الصيد ومعنى الاية احلت لكم الانعام كلها الا ما كان
منها وحشيا فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام فذلك قوله وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها
الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله نزلت في الحطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكري اتى المدينة
وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلعم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى
شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع
امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم وقد كان النبي صلعم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة
يتكلم بلسان شيطان ثم خرج شريح من عنده فقال رسول الله صلعم لقد دخل بوجه كافر وخرج
بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم يدركوه فلما كان
العام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة بتجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي
فقال المسلمون للنبي صلعم هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلعم قد قلد الهدي
فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلعم عليهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس وهي هذا من مناسك الحج وكان المشركون يحجون
ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقال ابو عبيدة شعائر الله
هي الهدايا المشعرة والاشعار من الشعار وهي العلامة واشعارها اعلامها بما يعرف
انها هدي وهو ههنا ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة
انها هدي وهو سنة في الهدايا اذا كانت من الابل لما روي عن عائشة انها قالت فتلت قلائد
بدن النبي صلعم بيدي ثم قلدها واشعرها واهداها فما حرم عليه شيء كان احل له وقاس الشافعي
البقر على الابل في الاشعار فاما الغنم فلا تشعر بالجرح لانها لا تحتمل الجرح لضعفها
وعند ابي حنيفة لا يشعر الهدي وقال عطية عن ابن عباس لا تحلوا شعائر الله في ان تصيدوا وانتم
محرمون بدليل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وقال السدي اراد حرم الله وقيل المراد منه النهي
عن القتل في الحرم وقال عطاء شعائر الله حرمات الله واتباع طاعته واجتناب سخطه ولا
الشهر الحرام اي بالقتال فيه وقال ابن زيد هو النسيء وذلك انهم كانوا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ولا الهدي وهو كل ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة ولا القلائد اي الهدايا
المقلدة يريد ذوات القلائد وقال عطاء اراد اصحاب القلائد وذلك انهم كانوا في الجاهلية

اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض
لهم فنهى الشرع عن استحلال شيء منها وقال مطرف بن الشخير هي القلائد نفسها وذلك ان
المشركين كانوا ياخذون من لحاء شجر مكة ويتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها ولا آمين البيت
الحرام اي قاصدين البيت الحرام يعني الكعبة فلا تتعرضوا لهم يبتغون يطلبون فضلا من ربهم
يعني الرزق بالتجارة ورضوانا اي على زعمهم لان الكافر لا نصيب له في الرضوان وقال قتادة هو
ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين
عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة لان الحج للمسلمين والمشركين كانوا يحجون وهذه الاية الى
ههنا منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد بعد عامهم هذا
فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن كافر بالهدي والقلائد قوله عز وجل واذا حللتم اي من احرا
مكم فاصطادوا امر اباحة اباح للحلال اخذ الصيد كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
ولا يجرمنكم قال ابن عباس وقتادة لا يحملنكم يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا اي حملني وقال
الفراء لا يكسبنكم يقال جرم اي كسب وفلان جريمة اهله اي كاسبهم وقيل لا يدعونكم شنآن قوم
اي بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت وقرا ابن عامر وابو بكر شنآن بسكون النون الاولى وقرا
الآخرون بفتحها وهما لغتان والفتح اجود لان المصادر اكثرها على فعلان بفتح العين مثل الضر
بان والسيلان ونحوهما ان صدوكم قرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الالف على الاستيناف وقرا الآ
خرون بفتح الالف اي لان صدوكم ومعنى الاية لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لانهم صدوكم
وقال محمد بن جرير لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا عليهم بالقتل واخذ الاموال وتعاونوا اي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى
قيل البر متابعة الامر والتقوى مجانبة النهي وقيل البر الاسلام والتقوى السنة ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان قيل الاثم الكفر والعدوان الظلم وقيل الاثم المعصية والعدوان البد
عة روي عن النواس بن سمعان الانصاري قال سئل رسول الله صلعم عن البر والاثم فقال البر حسن
الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله ان الله شديد العقاب
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي ما ذكر على ذبحه
اسم غير الله والمنخنقة هي التي تخنق فتموت قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة
حتى اذا ماتت اكلوها والموقوذة هي المقتولة بالخشب قال قتادة كانوا يضربونها بالعصا فاذا

ماتت اكلوها والمتردية هي التي تتردى من مكان عال او في بئر فتموت والنطيحة هي التي
ينطحها اخرى فتموت وهاء التانيث تدخل في الفعيل اذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى مفعول
استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل وكف خضيب فاذا حذف الاسم وافردت الصفة ادخلوا
الهاء فقالوا رأينا كحيلة وخضيبة وهنا ادخل الهاء لانه لم يتقدمها الاسم فلو اسقط الهاء
لم يدر انها صفة مؤنث ام مذكر ومثله الذبيحة والنسيكة واكيلة السبع وما اكل السبع
يريد ما بقي مما اكل السبع وكان اهل الجاهلية يأكلونه الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم من
هذه الاشياء واصل التذكية الاتمام يقال ذكيت النار اذا اتممت اشتعالها والمراد هنا تمام
فري الاوداج وانهار الدم قال النبي صلعم ما انهر الدم وذكر اسم الله فكل ليس السن والظفر واقل
الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحلقوم وكمالها ان يقطع الودجين معهما ويجوز بكل محدد
يجرح من حديد او قصب او زجاج او حجر الا السن والظفر لنهي النبي صلعم عن الذبح بهما انما يحل ما
ذكيته بعد ما جرحه السبع واكل شيئا منه اذا ادركته والحياة فيه مستقرة فذبحته فاما ما صار
بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة
اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد في الهواء فاصا
به فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على جبل
او شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا ان يكون السهم اصاب مذبحه في الهواء فيحل
كيف ما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح وما ذبح على النصب قيل النصب جمع واو
حدها نصاب وقيل واحد وجمعه انصاب مثل عنق واعناق وهو الشيء المنصوب واختلفوا فيه
فقال مجاهد وقتادة كانت حول البيت ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية
يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هي باصنام انما الاصنام هي المصورة المنقوشة
وقال الآخرون هي الاصنام المنصوبة ومعناه وما ذبح على اسم النصب قال ابن زيد وما ذبح
على النصب وما اهل لغير الله به هما واحد قال قطرب على بمعنى اللام اي وما ذبح لاجل النصب وان
تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام والاستقسام هو طلب القسم والحكم
من الازلام والازلام هي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم وزلم بفتح الزاي وضمها وكانت ازلا
مهم سبعة قداح مستوية من شوحط تكون عند سادن الكعبة مكتوب على واحد نعم وعلى واحد
لا وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل ليس عليه

وكانوا اذا ارادوا امرا من سفر او نكاح او ختان او غيره او تدارءوا في نسب او اختلفوا في
تحمل جاءوا الى هبل وكانت اعظم اصنام قريش بمكة وجاءوا بمائة درهم فاعطوها صاحب القداح
حتى يجيل القداح ويقولون يا الهنا انا اردنا كذا وكذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا
ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية واذا اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسيطا منهم وان
خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا اختلفوا في
عقل فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله عز وجل
عن ذلك وحرمه وقال ذلكم فسق وقال سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها وقال
مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها وقال الشعبي وغيره الازلام للعرب والكعاب
للعجم وقال سفيان بن وكيع هي الشطرنج وروينا ان رسول الله صلم قال العيافة والطرق والطيرة
من الجبت والمراد من الطرق الضرب بالحصى روي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلم من تكهن او
استقسم او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم يعني ان ترجعوا الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون
في عود المسلمين الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا وييئس وايس بمعنى واحد فلا تخشوهم واخشون
يا معشر المؤمنين ولا تخشوا غيري قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الآية يوم
الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت
عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت روي عن عمر بن الخطاب ان رجلا من اليهود قال له
يا امير المؤمنين آية من كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال
عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة اشار
عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد
اليهود والنصارى والمجوس ولم يجتمع اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى هارون بن
عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا في ز
يادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي
رسول الله صلم وعاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس
لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم عشر من شهر ربيع

الاول وكانت هجرته في الثاني عشر منه قوله عز وجل اليوم يعني يوم نزول هذه الآية اكملت لكم دينكم
يعني الفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا
حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وروي عنه ان آية الربا نزلت بعدها وقال سعيد
بن جبير وقتادة اكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك وقيل اظهرت دينكم وامنتكم من العدو قوله عز وجل
واتممت عليكم نعمتي يعني وانجزت وعدي في قولي ولاتم نعمتي عليكم وكان من تمام نعمته ان دخلوا
آمنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا وروينا
عن جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته
لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه فمن اضطر في مخمصة اي اجهد
في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن اذا كان طاويا خاويا غير
متجانف لاثم اي مائل الى اثم وهو ان ياكل فوق الشبع وقال قتادة غير متعرض لمعصية في
مقصده فان الله غفور رحيم وفيه اضمار اي فاكله فان الله غفور رحيم روي عن ابي واقد
الليثي ان رجلا قال يا رسول الله انا نكون بالارض فتصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال
ما لم تصطبحوا او تغتبقوا او تحتفئوا بها بقلا فشانكم بها قوله عز وجل يسألونك ماذا
احل لهم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين
وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة
فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية وقيل سبب نزولها ان النبي صلم لما امر بقتل الكلاب قالوا
يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فنزلت هذه الآية فلما نزلت اذن رسول
الله صلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها روي عن ابي هريرة
ان النبي صلم قال من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل يوم قيراط
والاول اصح في سبب نزول هذه الآية قل احل لكم الطيبات يعني الذبائح على اسم الله عز وجل
وقيل كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان يرد بتحريمه نص من كتاب او سنة وما علمتم
من الجوارح يعني واحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح واختلفوا في هذه الجوارح فقال الضحاك والسدي
هي الكلاب دون غيرها ولا يحل ما صاده غير الكلب الا ان تدرك ذكاته وهذا غير معمول به بل
عامة اهل العلم على ان المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع
الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيد جميعها سميت جارحة لجرحها

اي بانها اقواتهم من الصيد اي كسبها يقال فلان جارحة اهله اي كاسبهم مكلبين فالمكلب الذي
يغري الكلاب على الصيد ويقال للذي يعلمها ايضا مكلب والكلاب صاحب الكلاب ويقال للصائد
بها ايضا كلاب ونصب مكلبين على الحال اي في حال تكليبكم هذه الجوارح اي اغرائكم اياها على الصيد
وذكر الكلاب لانها اكثر واعم والمراد جميع جوارح الصيد تعلمونهن تؤدبونهن آداب اخذ
الصيد مما علمكم الله اي من العلم الذي علمكم الله وقال السدي اي كما علمكم الله من بمعنى الكاف فكلوا
مما امسكن عليكم اراد ان الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها فاخذت الصيد
وقتلته كان حلالا والتعليم هو ان يوجد فيها ثلاثة اشياء اذا اغريت استرسلت واذا
زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل فاذا وجد مرارا واقلها ثلث مرات
كانت معلمة يحل قتلها اذا خرجت بارسال صاحبها روي عن عدي بن حاتم عن النبي صلعم قال اذا
ارسلت كلبك وسميت فامسك وقتل فكل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه واذا خالط كلابا
لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانك لا تدري ايها قتل واذا رميت الصيد
فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل وان وقع في الماء فلا تاكل واختلفوا فيما اذا اخذت
الصيد واكلت منه شيئا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه وروي ذلك عن ابن عباس وهو قول
عطاء والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الراي وهو اصح قولي الشافعي لقوله عم
وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في اكله روي ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي
وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روي عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلعم
اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا او المعلم
اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فلا يكون حلالا الا ان يدركه صاحبه حيا فيذبحه فيكون
حلالا لما روي عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله انا بارض قوم اهل كتاب افنأكل في آنيتهم
وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت
من اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها فكلوا فيها وما
صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل وما صدت
بكلبك غير معلم فادركت ذكاته فكل واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب
فيه بيان ان ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يذبح وفي الصيد حالة ما يرسل
الجارحة او السهم روي عن انس ان النبي صلعم كان يضحي بكبشين املحين اقرنين ويضع رجله على صفا

حهما ويذبحهما بيده ويقول بسم الله والله اكبر اليوم احل لكم الطيبات يعني الذبائح على اسم الله
عز وجل وطعام الذين اوتوا الكتاب يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من
سائر الامم قبل مبعث محمد صلعم حلال لكم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلعم فلا تحل
ذبيحته ولو ذبح يهودي او نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه قال
ابن عمر لا يحل وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل وهو قول الشعبي وعطاء والز
هري ومكحول سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح قالا يحل فان الله قد احل ذبائحهم
وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي والنصراني فذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكله
واذا غاب عنك فكل فقد احل الله لك وطعامكم حل لهم فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا
وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين
وقيل لانه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم ان تطعموهم حرام
عليكم ان تزوجوهم قوله عز وجل والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين او
توا الكتاب من قبلكم هذا راجع الى الاول منقطع عن قوله وطعامكم حل لهم واختلفوا في معنى
المحصنات فذهب اكثر العلماء الى ان المراد منهن الحرائر واجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت
او كتابية فاجرة كانت او عفيفة وهو قول مجاهد وقال هؤلاء لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتا
بية لقوله تعالى فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الامة بشرط ان تكون مؤمنة
وجوز اكثرهم نكاح الكتابية الحربية وقال ابن عباس لا يجوز وقرا قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد فمن اعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعط فلا تحل لنا
نساؤه وذهب قوم الى ان المراد من المحصنات في الاية العفائف من الفريقين حرائر كن
او اماء واجازوا نكاح الامة الكتابية وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات وهو
قول الحسن وقال الشعبي احصان الكتابية ان تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة اذا آتيتمو
هن اجورهن اي مهورهن محصنين غير مسافحين غير معالنين بالزنا ولا متخذي
اخدان اي تسروهن بالزنا قال الزجاج حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ
الصديقة واحله على جهة الاحصان وهو التزويج ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله قال
مقاتل بن حيان يقول ليس احصان المسلمين اياهن بالذي يخرجهن من الكفر او يغني
عنهن شيئا وهي للناس عامة ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين

وقال ابن عباس ومجاهد في قوله ومن يكفر بالايمان اي بالله الذي يجب الايمان به وقال الكلبي
بالايمان اي بكلمة التوحيد وهي شهادة ان لا اله الا الله وقال مقاتل بما انزل على محمد صلعم وهو القرآن
وقيل ومن يكفر بالايمان اي يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
قال ابن عباس خسر الثواب قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة قوله اذا قمتم الى الصلوة
اي اردتم القيام الى الصلوة كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت القراءة وظاهر
هذه الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام الى الصلوة لكن اعلمنا ببيانه السنة وفعل
النبي صلعم ان المراد من الآية اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر قال النبي صلعم لا تقبل صلوة احدكم
اذا احدث حتى يتوضأ وقد جمع النبي صلعم يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد روي عن سليمان
بن بريدة عن ابيه ان النبي صلعم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه وقال زيد
بن اسلم معنى الآية اذا قمتم الى الصلوة من النوم وقال بعضهم هو امر على طريق الندب ندب من قام
الى الصلوة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر روي ابن عمر ان النبي صلعم قال من توضأ على طهر
كتب الله له عشر حسنات وروي عن عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلعم امر بالوضوء
عند كل صلوة طاهرا او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل صلوة وقال بعضهم هذا اعلام
من الله تعالى رسوله صلعم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلوة دون غيرها من الاعمال فاذن له
ان يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلوة روي عن ابن عباس يقول كنا عند النبي صلعم
فرجع من الغائط فاتي بطعام فقيل الا تتوضأ فقال لم اصلي فاتوضأ فاغسلوا وجوهكم
وحد الوجه من منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا يجب غسل
جميعه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشارب والعذار
والعنفقة وان كانت كثيفة فاما العارض واللحية فان كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها لا
يجب غسل باطنها في الوضوء بل يجب غسل ظاهرها وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية
عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون
حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه كذا النازل عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله
والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الله تعالى امر بغسل الوجه والوجه ما يقع في المواجهة
من هذا العضو ويقال في اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه اذا نبتت لحيته وايديكم الى المرا
فق اي مع المرافق كما قال الله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم وقال من انصاري

الى الله اي مع الله واكثر العلماء على انه يجب غسل المرفقين وفي الرجلين يجب غسل الكعبين وقال الشعبي
ومحمد بن جرير لا يجب غسل المرفقين والكعبين في غسل اليد والرجل لان حرف الى للغاية والحد فلا يد
خل في المحدود قلنا ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا وقيل الشيء اذا حد الى جنسه يدخل فيه الغاية
واذا حد الى غير جنسه لا تدخل كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لم يدخل الليل فيه لانه ليس من جنس
النهار وامسحوا برؤسكم اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك يجب مسح
جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم وقال ابو حنيفة يجب ربع مسح الرأس وعند الشافعي يجب
قدر ما ينطلق عليه اسم الرأس واحتج من اجاز مسح بعض الرأس بما روي عن المغيرة بن شعبة
ان النبي صلعم توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه فاجاز بعض اهل العلم المسح على العمامة بهذا
الحديث وبه قال الاوزاعي واحمد واسحق ولم يجوز اكثر اهل العلم المسح على العمامة بدلا عن مسح الرأس
وقال في حديث المغيرة ان المسح سقط عنه بمسح الناصية وفيه دليل على ان مسح جميع الرأس غير واجب
وارجلكم الى الكعبين قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص وارجلكم بنصب اللام وقرأ
الآخرون وارجلكم بالخفض فمن قرأ وارجلكم بالنصب فيكون عطفا على قوله فاغسلوا وجوهكم
وايديكم اي فاغسلوا ارجلكم ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من اهل العلم الى انه يمسح على الرجلين
روي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة وقال
الشعبي نزل جبرائيل بالمسح وقال الا ترى التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغي ما كان مسحا وقال
محمد بن جرير الطبري يتخير المتوضئ بين المسح على الخفين وبين غسل الرجلين وذهب عامة اهل العلم
من الصحابة والتابعين وغيرهم الى وجوب غسل الرجلين وقالوا خفض اللام في الارجل على مجاورة
اللفظ لا على موافقة الحكم كما قال تعالى عذاب يوم اليم فالاليم صفة العذاب ولكنه اخذ اعراب اليوم للمجا
ورة وكقولهم جحر ضب خرب فالخرب نعت الجحر واخذ اعراب الضب للمجاورة والدليل على
وجوب غسل الرجلين ما روي عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلعم في سفر سافرناه
فادركنا وقد ارهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا
باعلى صوته ويل للاعقاب من النار روي عن حمران رأيت عثمان توضأ فافرغ على يديه ثلثا
ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلثا ثم غسل يده اليمنى الى المرفق ثلثا ثم غسل يده اليسرى
الى المرفق ثلثا ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلثا ثم اليسرى ثلثا ثم قال رأيت رسول الله
صلعم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشي

غفر له ما تقدم من ذنبه وقال بعضهم اراد بقوله وارجلكم المسح على الخفين كما روي ان النبي صلعم كان
اذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد منه انه لم يكن بينهما حايل ويقال قبّل فلان راس الامير
ويده وان كانت العمامة على راسه ويده في كمه وروي عن عروة بن المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبي
صلعم ذات ليلة في سفر فقال امعك ما قلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل
ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذ
راعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال
دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما قوله الى الكعبين فالكعبان هما العظمان الناتيان من جا
نبي القدمين وهما مجمع مفصل الساق والقدم فيجب غسلهما مع الكعبين كما ذكرنا في المرفقين وفرا
يض الوضوء غسل الاعضاء الثلثة كما ذكر الله تعالى ومسح الراس واختلف اهل العلم في وجوب النية فذ
هب اكثرهم الى وجوبها لان الوضوء عبادة فيفتقر الى النية كساير العبادات وذهب بعضهم الى
انها غير واجبة وهو قول الثوري واصحاب الراي واختلفوا في وجوب الترتيب وهو ان يغسل اعضاءه
على الولاء كما ذكر الله تعالى فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول مالك والشافعي واحمد واسحق ويروى ذلك عن
ابي هريرة واحتج الشافعي بقول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله وبدا النبي صلعم بالصفا
وقال نبدا بما بدا الله تعالى به كذلك ههنا بدا الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا ان نبدا بفعل ما بدا
الله به ذكرا وذهب جماعة الى ان الترتيب سنة وقالوا الواوات المذكورة في الاية للجمع لا للترتيب كما قال
تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين الاية واتفقوا على انه لا يجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات
الى اهل السهمان ومن اوجب الترتيب اجاب بانه لم ينقل عن النبي صلعم انه راعى الترتيب بين اهل
السهمان وفي الوضوء لم ينقل انه توضا الا مرتبا كما ذكر الله تعالى وبيان الكتاب يوخذ من السنة كما
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا فلما قدم ذكر الركوع على السجود ولم ينقل عن النبي صلعم
انه فعل الا كذلك فكان مراعات الترتيب فيه واجبا كذلك ههنا وان كنتم جنبا فاطهروا اي
اغتسلوا روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلعم كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه
ثم توضا كما يتوضا للصلوة ثم يدخل اصابعه في الما فيخلل بها اصول شعره ثم يصب الما على راسه
ثلث غرفات بيده ثم يفيض الما على جسده كله وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من
الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه فيه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب ما يريد الله ليجعل عليكم

عليكم من الوضوء والغسل والتيمم من حرج من ضيق ولكن يريد ليطهركم من الاحداث والجنا
بات والذنوب وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قال محمد بن كعب القرظي اتمام النعمة تكفير الخ
طايا بالوضوء كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه
وروي عن حمران ان عثمان توضا بالمقاعد ثلثا ثلثا ثم قال سمعت رسول الله صلعم يقول من توضا
وضوي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه وروى حمران مولى عثمان بن عفان جلس
على المقاعد يوما فجاء المؤذن فاذنه بصلوة العصر فدعا بما فتوضا ثم قال والله لاحدثنكم حديثا
لولا اية في كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال اني سمعت رسول الله صلعم يقول ما من امري يتوضا
فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلوة الا غفر له ما بينه وبين الصلوة الاخرى حتى يصليها قال مالك اراه يريد
هذه الاية واقم الصلوة لذكري ورواه ابن شهاب وقال قال عروة الاية ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات روي عن نعيم المجمر قال رقيت مع ابي هريرة على ظهر المسجد فتوضا فقال اني
سمعت رسول الله صلعم يقول ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن
استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل واذكروا نعمة الله عليكم يعني النعم كلها وميثاقه الذي وا
ثقكم به عهده الذي عاهدكم به ايها المؤمنون اذ قلتم سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا
رسول الله صلعم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وهذا قول اكثر المفسرين وقال ابن عباس ومقاتل
يعني الميثاق الذي اخذ عليهم حين اخرجهم من صلب ادم واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
بما في القلوب من خير وشر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط اي كونوا قايمين
بالعدل قوالين بالصدق امرهم بالعدل والصدق في افعالهم واقوالهم ولا يجرمنكم لا يحملنكم
شنان قوم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي على ترك العدل فيهم لعداوتهم ثم قال اعدلوا هو
يعني في اوليائكم واعدائكم هو اقرب للتقوى يعني الى التقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم وهذا في موضع النصب لان فعل الوعد
قد وقع على المغفرة ورفعها على تقدير انه وقال لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل قال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله صلعم ببطن النخل فاراد
بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا به وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلوة فاطلع الله نبيه على ذلك وانزل
صلوة الخوف وقال الحسن كان النبي صلعم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم في ان

اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلعم والنبي صلعم متقلد
سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى السيف ومرة الى
النبي صلعم وقال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلعم فشام السيف ومضى فانزل
الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار دخل حديث بعضهم في بعض بعث رسول الله صلعم المنذر بن
عمرو الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن
صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بير معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر بن
عمرو واصحابه الا ثلثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم
في السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم فقال احد النفر قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا فاختلفا
بضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحبه
فلقيا رجلين من بني سليم وبين النبي صلعم وبين قومهم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما
وقدم قومهما الى النبي صلعم يطلبون الدية فخرج ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن
عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلعم على ترك
القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس
حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا فجلس رسول الله صلعم واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن
تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن
جحاش انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله ايديهم وجاء جبريل واخبره فخرج النبي صلعم
راجعا الى المدينة ثم دعا عليا وقال لا تبرح مقامك فمن خرج من اصحابي فسالك عني فقل توجه الى
المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه فانزل الله هذه الاية وقال فكف ايديهم عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا وذلك ان الله تعالى وعد موسى عم ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهي
الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فلما استقرت لبني اسرائيل الدار بمصر امرهم الله
تعالى بالمسير الى اريحا من ارض الشام وهي الارض المقدسة وكانت لها الف قرية في كل قرية الف
بستان وقال يا موسى اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني
ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم
على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا بعث هؤلاء النقباء

يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وكان طوله
ثلثة آلاف وثلثمائة وثلثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول
الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ثم ياكله ويروى ان الماء طبق ما على الارض
من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يدي موسى وذلك انه
جاء وقور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله
الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فاقبل موسى وهو مصروع فقتله وكانت امه
عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقي عوج النقباء وعلى راسه حزمة
حطب اخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته فانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون
انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته لا بل خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك ويروى انه جعلهم في كمه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه فقال
الملك ارجعوا فاخبروهم بما رايتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة انفس منهم في خشبة ويدخل
في شطر الرمانة ثم اذا نزع حبها خمسة انفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون احوالهم وقال
بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا
واخبروا موسى وهرون فيريان رايهما واخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا
العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا رجلين فذلك قوله تعالى ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم ناصركم على عدوكم
ثم ابتدا الكلام فقال لئن اقمتم الصلاة يا معشر بني اسرائيل وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم نصرتموهم وقيل وقرتموهم وعظمتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا قيل هو اخراج
الزكوة وقيل هو النفقة على الاهل لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد السبيل
يريد طريق الحق وسواء كل شيء وسطه فبما نقضهم ميثاقهم اي فبنقضهم وما صلة قال قتادة
نقضوه من وجوه كذبوا الرسل الذين جاءوا بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا
فرائضه لعناهم قال عطاء ابعدناهم من رحمتنا قال الحسن ومقاتل عذبناهم بالمسخ وجعلنا قلوبهم
قاسية قرا حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير الف وهما لغتان مثل الزاكية
والزكية وقال ابن عباس قاسية اي يابسة وقيل غليظة لا تلين وقيل معناه ان قلوبهم ليست
بكسر اتفاق ابناكم

خائنة للايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق ومنه الدراهم القسية وهي الردية المغشوشة
يحرفون الكلم عن مواضعه قيل هو تبديلهم نعت النبي صلعم وقيل تحريفهم بسوء التاويل ونسوا حظا
مما ذكروا به اي وتركوا نصيبا انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلعم وبيان نعته ولا تزال يا محمد تطلع
على خائنة منهم اي على خائن فاعل بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة
مثل راوية وعلامة ونسابة وقيل على فرقة خائنة قال ابن عباس على خائنة اي على معصية وكانت
خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلعم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيا
ناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف
عنهم واصفح اي اعرض عنهم ولا تتعرض لهم ان الله يحب المحسنين وهذا منسوخ باية السيف
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم قيل اراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر احدهما
والصحيح ان الاية في النصارى خاصة لانه قد تقدم ذكر اليهود قال الحسن فيه دليل على انهم نصارى
بتسميتهم لا بتسمية الله عز وجل اخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم اوقعنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بالاهواء المختلفة والجدال في الدين
قال مجاهد وقتادة يعني بين اليهود والنصارى وقال قوم هم النصارى وحدها صاروا فرقا
منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الاخرى وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون في الاخرة يا اهل الكتاب يريد اهل الكتابين قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب اي من التوراة والانجيل مثل صفة محمد صلعم واية الرجم وغيره ذلك
ويعفو عن كثير اي يعرض عن كثير مما اخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به قد جاءكم من الله نور
يعني محمدا وقيل الاسلام وكتاب مبين اي بين وقيل مبين وهو القران يهدي به الله
من اتبع رضوانه رضاه سبل السلام قيل السلام هو الله وسبيله دينه الذي شرع لعباده
وبعث به رسله وقيل السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد به طرق
السلامة ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه بتو
فيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله قل فمن يملك
من الله شيئا اي من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا اذا قضاه ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء

والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل اراد ان الله
كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وقال ابرهيم النخعي ان
اليهود وجدوا في التورية يا ابناء احباري فبدلوا وقالوا يا ابناء ابكاري فمن ذلك قالوا
نحن ابناء الله وقيل معناه ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم يريد ان كان الامر
كما زعمتم انكم ابناؤه واحباؤه فان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه وانتم
مقرون انه معذبكم وقيل فلم يعذبكم اي لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير بل
انتم بشر ممن خلق كسائر بني آدم مجزيون بالاحسان والاساءة يغفر لمن يشاء فضلا
ويعذب من يشاء عدلا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا محمد صلعم يبين لكم اعلام الهدى وشرائع الدين على فترة اي انقطاع
من الرسل اختلفوا في مدة الفترة بين عيسى وبين محمد صلوات عليهما قال ابو عثمان النهدي
ستمائة سنة قال قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر والكلبي خمسمائة واربعون سنة
وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عم من غير انقطاع الى عيسى ولم يكن بعد
عيسى سوى رسولنا صلعم ان تقولوا كيلا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء اي منكم انبياء وجعلكم ملوكا قال ابن عباس يعني اصحاب خدم وحشم
قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن
النبي صلعم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا وقال ابو عبد
الرحمن الحبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال الستا من فقراء المهاجر
ين فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم فانت من الا
غنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك قال السدي وجعلكم احرارا تملكون امر انفسكم بعدما
كنتم في ايدي القبط يستعبدونكم قال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان
مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني عالمي زمانكم
قال مجاهد يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم اختلفوا في الارض المقدسة قال مجاهد هي الطور وما حوله قال الضحاك
ايلياء وبيت المقدس وقال عكرمة والسدي هي اريحا قال الكلبي هي دمشق وفلسطين

وبعض الاردن وقال قتادة هي الشام كلها قال كعب وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده قوله عز وجل كتب الله لكم يعني في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن قال ابن اسحق وهب الله لكم وقيل جعلها لكم وقال السدي امركم الله بدخولها قال قتادة امروا بها كما امروا بالصلوة اي فرض عليكم ولا ترتدوا على ادباركم اعقابكم بخلاف امر الله فتنقلبوا خاسرين قال الكلبي صعد ابرهيم عم جبل لبنان فقيل له انظر ما ادركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وذلك ان النقبا الذين خرجوا يتجسسوا الاخبار لما رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا قال لهم موسى اكتموا شانهم ولا تخبروا به احدا من اهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل رجل قريبه وابن عمه الا رجلين وفيا بما قال لهم موسى احدهما يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهوذا وهما من النقبا فعلم جماعة بني اسرائيل ذلك ورفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر او ليتنا موتنا في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واثقالنا غنيمة لهم وجعل الرجل يقول لصاحبه تعالوا نجعل علينا راسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون واصل الجبار المتعظم الممتنع على القهر يقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الايدي اليها وسمي اولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة اجسادهم وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون على وجوههما عليهما السلام ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله تعالى عنهما في قوله قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله وقرا سعيد بن جبير يخافون بضم اليا وقال الرجلان كانا من الجبارين فاسلما واتبعا موسى انعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعني قرية الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله تعالى منجز وعده وانا رايناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوهما قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون روي عن طارق بن شهاب قال سمعت عبد الله بن مسعود

يقول لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلعم وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى اذهب انت وربك فقاتلا ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرايت النبي صلعم اشرق وجهه وسره فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من مخالفتهم امر ربهم وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى ودعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي قيل معناه واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا يطيعني الا نفسي واخي فافرق فافصل بيننا وقيل فاقض بيننا وبين القوم الفاسقين العاصين قال اي الله فانها محرمة عليهم قيل ههنا تم الكلام ومعناه تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد به تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فاوحى الله الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة يتيهون في الارض مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما بنوهم الذين لم يعملوا الشر يدخلونها فذلك قوله فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون اي يتحيرون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين اي لا تحزن على مثل هولاء القوم فلبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل وكانوا يسيرون في كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وقيل ان موسى وهرون لم يكونا فيهم والاصح انهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة انما كانت العقوبة لاولئك القوم ومات في التيه كل من دخلها ممن جاز عشرين سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل اريحا احد ممن قالوا انا لن ندخلها ابدا فلما هلكوا وانقضت الاربعين سنة ونشات النواشي من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح فقال قوم انما فتح اريحا موسى وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام فيها ما شاء الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم قبره احد وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلما ان عوج بن عنق قتله موسى وقال الآخرون انما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وقالوا مات موسى وهرون جميعا في التيه

قصة وفاة هرون

قال السدي اوحى الله تعالى الى موسى اني متوفي هرون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيب

فلما نظر هرون الى ذلك اعجبه قال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال فنم عليه فقال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا ترهب اني اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى نم انت معي فان جاء رب البيت غضب علي وعليك جميعا فلما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هارون قالوا ان موسى قتل هارون وحسده لحب بني اسرائيل له قال موسى ويحكم كان اخي فكيف اقتله فلما اكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعن علي بن ابي طالب قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل لموسى انت قتلته فآذوه فامر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنو اسرائيل انه قد مات فبرأه الله مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم وقال عمرو بن ميمون مات هارون وموسى عليهما السلام في التيه مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتله لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه فانطلق بهم الى قبره فنادى يا هرون فخرج من قبره ينفض راسه فقال انا قتلتك قال لا ولكني مت قال فعد الى مضجعك فعادوا انصرفوا **وامّا وفاة موسى عم**

قال ابن اسحق كان صفي الله قد كره الموت فاعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون وكان يغدو ويروح عليه فيقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة هل كنت اسالك عن شيء مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدي به وتذكره ولا يذكر له شيئا فلما راى ذلك موسى كره الحيوة واحب الموت روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل له الحيوة تريد فان كنت تريد الحيوة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلعم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة

في الشام

يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله لبمنزلة ما رايت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الاربعون سنة بعث الله يوشع نبيا فاخبرهم ان الله قد امرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فسال الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحدا وثلثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت بلاد الشام كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة قوله عز وجل • **واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق** • وهما هابيل وقابيل ويقال قابين • **اذ قربا قربانا** • وكان سبب قربانهما على ما ذكره اهل العلم ان حوى كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليميا وآخرهم عبد المغيث وتوامته امة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حوا بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته اقليميا في بطن ثم هابيل وتوامته

في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء
الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوامته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا حين ولدتهما
ولم تر معهما دما فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامته فوجدت عليهما الوحم والو
صب والطلق والدم وكان آدم اذا شب اولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن آخر فكان
الرجل يتزوج ايت اخواته شاء الا توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم
فلما ولد قابيل وتوامته ثم هابيل وتوامته لبودا وكان بينهما سنتان في قول الكلبي امر
الله عز وجل آدم ان ينكح قابيل لبودا اخت هابيل وينكح هابيل اقليميا اخت قابيل وكانت اخت
قابيل احسن من اخت هابيل فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي فانا
احق بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل
ذلك وقال ان الله لم يامره بهذا وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه
فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فاكلتها واذا لم تكن
مقبولة لم تنزل النار واكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة
من طعام من اردى زرعه واضمر في نفسه ما ابالي يتقبل مني ام لا لا تتزوج اختي ابدا وكان هابيل صاحب
غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقرب به واضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم
دعا آدم فنزلت نار من السماء واكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله عز وجل
فتقبل من احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الآخر يعني قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قا
بيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل
هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح
اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال
هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما
انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمرو وايم الله
ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج ان يبسط الى اخيه يده وهذا في الشرع جائز
لمن اريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلب الاجر كما فعل عثمان وقال مجاهد كتب عليهم
في ذلك الوقت اذا اراد رجل قتل رجل ان لا يمتنع ويصبر اني اريد ان تبوء ترجع وقيل تحتمل
باثمي واثمك اي باثم قتلي الى اثمك اي اثم معاصيك التي عملت من قبل هذا قول اكثر المفسرين

وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال معناه اني اريد ان تكون عليك خطيئتي التي عملتها انا اذا
قتلتني واثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعا وقيل معناه ان ترجع باثم قتلي واثم معصيتك التي لم يتقبل
لاجلها قربانك واثم حسدك فان قيل كيف قال اريد ان تبوء باثمي واثمك وارادة القتل والمعصية
لا تجوز قيل ليس ذلك بحقيقة ارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام
طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة ارادة لكنه لما علم انه يقتله
وقيل معناه اني اريد ان تبوء بعقاب قتلي فتكون ارادة صحيحة لانها موافقة لحكم الله عز وجل
فلا يكون هذا ارادة القتل بل لموجب القتل من الاثم والعقاب فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين فطوعت له نفسه اي طاوعته وتابعته قتل اخيه اي في قتل اخيه وقال مجاهد فشجعته
وقال قتادة زينت له نفسه وقال يمان سهلت له ذلك اي جعلته سهلا تقديره صورت له
نفسه ان قتل اخيه طوع له سهل عليه فقتله فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن
جريج فتمثل له ابليس واخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه
القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين قيل قتله وهو مستسلم وقيل اغتاله وهو
في النوم فشدخ راسه فقتله وذلك قوله عز وجل فقتله فاصبح من الخاسرين وكان
لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في موضع قتله قال ابن عباس على جبل ثور وقيل عند
عقبة حراء فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من
بني آدم وقصده السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى ار
وح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم القاه في الحفرة وواراه وقابيل
ينظر فذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة
اخيه فلما راى قابيل ذلك قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة
اخي اي جيفته وقيل عورته لانه كان قد سلب ثيابه فاصبح من النادمين على حمله على عاتقه
لا على قتله وقيل على فراق اخيه وقيل ندم لقلة النفع بقتله فانه اسخط والديه وما انتفع
بقتله شيئا ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن
آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه
الله اين اخوك هابيل قال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني

من الارض فلم قتلت اخيك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض
يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس لما
قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء
واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل
قد قتل هابيل فانشا يقول وهو اول من قال الشعر تغيرت البلاد ومن عليها فوجه
الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح وروي عن ميمون
بن مهران عن ابن عباس قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء كلهم
عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء لكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال
آدم مرثيته قال لشيث يا بني انك وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس
عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية
وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤ
خر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيها ابيات وما لي لا اجود بسكب دمع وهابيل
تضمنه الضريح ارى طول الحيوة علي غما فهل انا من حيوتي مستريح فلما مضى من عمر آدم
مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوا شيثا وتفسيره هبة
الله يعني انه خلف من هابيل علمه الله ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق في كل سا
عة منها وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذ
هب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها
الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان
يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد
النار وكان لا يمر به احد الا رماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا
ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده فلطم ابنه فما
ت فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى
رجلي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيثما
دارت عليه في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج قالوا واتخذ اولاد قابيل
آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب

الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى اغرقهم الله تعالى بالطوفان ايام نوح وبقي نسل شيث
روي عن عبد الله قال قال رسول الله صلعم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها
لانه اول من سن القتل من اجل ذلك قرا ابو جعفر من اجل بكسر النون موصولا وقراءة العامة بجزم
النون مقطوعا اي من جراء ذلك القاتل وجنايته يقال اجل يأجل اجلا اي جنى مثل اخذ يأخذ
اخذا كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس قتلها فيقاد منه او فساد في الارض
يريد بغير نفس وبغير فساد في الارض من كفر او زنا او قطع طريق فكانما قتل الناس جميعا ومن
احياها فكانما احيا الناس جميعا واختلفوا في تاويلها فقال ابن عباس في رواية عكرمة من
قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا
الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن
احياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا قال قتادة عظم الله اجرها وعظم وزرها
معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما قتل جميعا في الاثم لانهم لا يسلمون منه ومن احياها وتو
رع عن قتلها فكانما احيا الناس جميعا في الثواب لسلامتهم منه قال الحسن فكانما قتل الناس جميعا
يعني انه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها اي عفا عمن
وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكانما احيا الناس جميعا قال سليمان بن علي قلت للحسن يا ابا
سعيد اهي لنا كما كانت لبني اسرائيل قال اي والذي لا اله غيره ما كان دماء بني اسرائيل اكرم
على الله من دمائنا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض
لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله قال الضحاك نزلت في قوم من اهل الكتاب
كان بينهم وبين رسول الله صلعم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض
وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلعم وادع هلال بن عويمر وهو
ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال بن عامر الى رسول الله صلعم
فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من اسلم من قوم هلال
بن عويمر ولم يكن هلال شاهدا فنهضوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبرائيل
بالقضية فيهم وقال سعيد بن جبير نزلت في ناس من عرينة وعكل اتوا النبي صلعم وبايعوه
على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي صلعم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل
روي عن انس قال قدم على النبي صلعم نفر من عكل فاسلموا فاجتووا المدينة فامرهم ان ياتوا

ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الابل
فبعث في آثارهم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ورواه
ابو ايوب عن ابي قلابة عن انس وقال فقطع ايديهم وارجلهم ثم امر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم
بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا قال ابو قلابة قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله
وسعوا في الارض فسادا وهو المراد من قول الله تعالى ويسعون في الارض فسادا واختلفوا
في حكم هؤلاء العرنيين فقال بعضهم هي منسوخة لان المثلة لا تجوز وقال بعضهم حكمه ثابت
الا السمل والمثلة روى قتادة عن ابن سيرين ان ذلك كان قبل ان تنزل الحدود قال ابو الزناد
لما فعل رسول الله صلعم ذلك بهم انزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد وعن قتادة قال بلغنا
ان النبي صلعم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وقال سليمان بن التيمي عن انس
انما سمل النبي صلعم اعين اولئك لانهم سملوا اعين الرعاة وقال الليث بن سعد نزلت هذه
الاية معاتبة لرسول الله صلعم وتعليما منه اياه عقوبتهم وقال انما جزاؤهم هذا لا المثلة
ولذلك ما قام النبي صلعم خطيبا الا نهى عن المثلة واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد
فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في الامصار وهو قول الا
وزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال قوم المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحا
ربين في استحقاق هذا الحد وهو قول ابي حنيفة وعقوبة المحاربين ما ذكر الله تعالى ان يقتلوا
او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض فذهب قوم الى ان
الامام بالخيار في امر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الاية وهو قول سعيد
بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد وذهب الاكثرون الى ان هذه العقوبات على ترتيب الجرائم
لا على التخيير روي عن ابن عباس في قطاع الطريق اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا
قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم
من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم ياخذوا مالا نفوا من الارض وهو قول قتادة والاوزاعي
واصحاب الراي واذا قتل في قطع الطريق يقتل حتما حتى لا يسقط بعفو ولي الدم واذا اخذ من المال
نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى واذا قتل واخذ المال يقتل ويصلب
واختلفوا في كيفيته فظاهر مذهب الشافعي انه يقتل ثم يصلب وقيل يصلب حيا ثم يطعن
حتى يموت مصلوبا وهو قول الليث بن سعد وقيل يصلب ثلاثة ايام حيا ثم ينزل فيقتل واذا

اخاف السبيل ينفى واختلفوا في النفي فذهب قوم الى ان الامام يطلبه ففي كل بلد يوجد ينفى عنه وهو
قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون لتقام الحدود عليهم وهو قول ابن عباس
والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال اهل الكوفة النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد بن
جرير ينفى من بلده الى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى تظهر توبته قال مكحول ان
عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد فيؤذيهم
ذلك الذي ذكرت من الحد لهم خزي في الدنيا اي عذاب وهوان وفضيحة في الدنيا ولهم
في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ان الله غفور رحيم فذهب
الى ان الاية نزلت في الكفار قال معناه الا الذين تابوا من شركهم واسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل
عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم او مال اما المسلمون المحاربون
فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل ان يظفر به الامام يسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله تعالى
ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة
تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا عنه وان شاء استوفاه وان كان قد
اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو
قول الشافعي وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدرة لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال الا ان
يوجد معه مال بعينه فيرد الى صاحبه روي عن علي في حارثة بن بدر وكان خرج محاربا فسفك
الدماء واخذ الاموال ثم جاء تائبا قبل ان يقدر عليه فلم يجعل عليه علي تبعة اما من تاب بعد
القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبة تجب حقا لله من عقوبات قطع الطريق وقطع
السرقة وحد الزنا والشرب يسقط بالتوبة بكل حال والاكثرون على انها لا تسقط يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اي اطلبوا اليه الوسيلة اي القربة فعيلة من توسل الى فلان بكذا اي
تقرب اليه وجمعها وسائل وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون لكي تسعدوا امتثلوا امر الله تنجوا
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة
ما تقبل منهم اخبر ان الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدا بذلك نفسه من العذاب لم يقبل
منه ذلك الفداء ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وله وجهان
احدهما انهم يقصدون ويطلبون المخرج منها كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
والثاني انهم يتمنون ذلك ويطلبون الخروج منها كما قال تعالى اخبارا عنهم ربنا اخرجنا ولهم عذاب

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما اراد به ايمانهما وكذلك هو في مصحف عبد الله بن
مسعود وحكمه ان من سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الكوع ولا
يجب القطع بسرقة ما دون النصاب عند عامة اهل العلم حكي عن ابن الزبير انه كان يقطع في الشيء
القليل وعامة العلماء على خلافه واختلفوا في القدر الذي يقطع به فذهب اكثرهم الى انه لا يقطع في اقل
من ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهو قول ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي لما روي عن عائشة ان رسول الله صلعم القطع في
ربع دينار فصاعدا وروي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قطع سارقا في مجن ثمنه ثلثة
دراهم وروي عن عثمان انه قطع سارقا في اترجة قومت ثلثة دراهم من صرف اثني عشر درهما
بدينار وهذا قول مالك انه يقطع في ثلثة دراهم وذهب قوم الى انه لا يقطع في اقل من دينار او عشرة
دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفين الثوري واصحاب الراي وقال قوم لا يقطع الا
في خمسة دراهم يروى ذلك عن ابي هريرة وبه قال ابن ابي ليلى وروي عن ابي هريرة عن رسول الله
صلعم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش
كانوا يرون انه بيض الحديد والحبل يرون انه منها ما يسوى ثلثة دراهم ويحتج بهذا الحديث
من يرى القطع في الشيء القليل وهو عند الاكثرين محمول على ما قاله الاعمش لحديث عائشة واذا سرق
شيئا من غير حرز كثمرة في حائط لا حارس له او حيوان في برية لا حافظ له او متاع في بيت منقطع
عن البيوت لا قطع عليه روي عن رسول الله صلعم انه قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا
اواها المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وروي عن ابن جريج عن ابي الزبير عن جابر
عن النبي صلعم قال ليس على خائن ومنتهب ومختلس قطع واذا سرق مالا له فيه شبهة كالعبد يسرق
من مال سيده او الولد يسرق مال والده او الوالد مال ولده او احد الشريكين يسرق من
المال المشترك شيئا لا قطع عليه واذا سرق السارق اول مرة يقطع يده اليمنى من الكوع ثم
اذا سرق ثانيا يقطع رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق ثالثا فذهب
اكثرهم الى انه يقطع يده اليسرى ثم اذا سرق رابعا يقطع رجله اليمنى ثم اذا سرق بعده يعزر
ويحبس حتى تظهر توبته وهو المروي عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما
روي عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان
سرق فاقطعوا رجله ثم ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله وذهب قوم الى

ان من سرق ثالثا بعد ما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع بل يحبس روي ذلك عن
علي وقال اني لاستحيي ان لا ادع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهو قول الشعبي والنخعي وبه
قال الاوزاعي واحمد واصحاب الراي جزاء بما كسبا نصب على الحال والقطع ومثله نكالا
اي عقوبة من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه اي سرقته واصلح العمل
فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم هذا فيما بينه وبين الله تعالى فاما القطع فلا يسقط
عنه بالتوبة عند الاكثرين قال مجاهد قطع السارق توبته فاذا قطع حصلت التوبة والصحيح ان القطع
للجزاء على الجناية كما قال جزاء بما كسبا نكالا فلا بد من التوبة بعده وتوبته الندم على ما مضى والعزم
على تركه في المستقبل واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال
سفين الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه وبالاتفاق ان كان المسروق قائما عنده يسترد وتقطع
يده لان القطع حق الله عز وجل والغرم حق العبد فلا يمنع احدهما الاخر كاسترداد العين الم
تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب مع النبي صلعم والمراد به الجميع وقيل معناه
الم تعلم ايها الانسان فيكون خطابا لكل احد من الناس يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
قال السدي والكلبي يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره وقال ابن
عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة والله على كل شيء قدير يا ايها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي في موالاة الكفار فانهم لن يعجزوا الله من
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون ومن الذين هادوا يعني
اليهود سماعون اي قوم سماعون للكذب اي قائلون للكذب كقول المصلي سمع الله لمن حمده اي
قبل الله وقيل سماعون لاجل الكذب اي يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من
الرسول صلعم ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه سماعون لقوم اخرين لم ياتوك
اي هم جواسيس يعني بني قريظة لقوم اخرين وهم اهل خيبر وذلك ان امراة ورجلا من اشراف
اهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التورية فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما
وقالوا ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قر
يظة فانهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم
سلوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فا
حذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا اليهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير

فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة فجرا وقد
احصنا فنحب ان تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذن والله يامركم
بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف
وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلعم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا
ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا
ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله صلعم هل
تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو
فيكم قالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى في التورية قال فارسلوا اليه
ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلعم انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له ام انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية
على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام
وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على
من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان تحرقني التورية ان كذبت او
غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخل
فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا
انزل الله عز وجل في التورية على موسى فقال له النبي صلعم فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله عز وجل
قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى
زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في اسرة من الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام
دونه قومه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا
دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي
بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا
هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك
باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم انه قد انشدني بالتورية ولولا خشية التورية
ان تهلكني لما اخبرته به فامر بهما النبي صلعم فرجما عند باب مسجده وقال اللهم اني اول من احيى
امرك اذ اماتوه فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر عبد الله بن محمد قال

ان اليهود جاؤوا الى رسول الله صلعم فذكروا له ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال لهم رسول الله
صلعم ما تجدون في التورية في شان الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان
فيها لآية الرجم فاتوا بالتورية فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها
فقال عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر
بهما رسول الله صلعم فرجما قال عبد الله بن عمر فرايت الرجل يحني على المراة يقيها الحجارة وقيل سبب
نزول هذه الآية القصاص وذلك ان بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة يا
محمد اخواننا بنو النضير وابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته
سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من
تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا
على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله هذه الآية والاول اصح ان
الآية في الرجم قوله عز وجل ومن الذين هادوا سماعون للكذب قيل اللام بمعنى الى وقيل لام
كي اي يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله اي من اجل قوم آخرين لم ياتوك وهم
اهل خيبر يحرفون الكلم جمع الكلمة من بعد مواضعه اي من بعد وضعه مواضعه ذكر
الكناية ردا الى لفظ الكلم يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم
فاقبلوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته كفره وضلالته قال الضحاك
هلاكه وقال قتادة عذابه فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تقدر على دفع امر الله فيه او
لئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه رد على من ينكر القدر لهم في الدنيا خزي
اي للمنافقين واليهود فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخزي اليهود
الجزية والقتل والسبي والنفي ورؤيتهم من محمد والصحابة فيهم ما يكرهون ولهم في الآخرة
عذاب عظيم الخلود في النار سماعون للكذب اكالون للسحت قرا ابن كثير وابو جعفر واهل
البصرة والكسائي السحت بضم الحاء والآخرون بسكونها وهو الحرام واصله الهلاك والشدة
قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب نزلت في حكام اليهود كعب بن الاشرف وامثاله كانوا يرتشون
ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فيريه
اياها ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة وعنه ايضا قال
انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا فاما ان يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه
اى الظلم

ليدفع به عن نفسه فلا بأس فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك وقال
ابن مسعود هو الرشوة في كل شيء وقال ابن مسعود من شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها
ظلما فاهدي له فقبل فهو سحت فقيل يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ
على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون روي عن عبد الله بن عمرو ان
رسول الله صلعم قال لعنة الله على الراشي والمرتشي قال الاخفش السحت كل كسب لا يحل فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا خير الله
رسوله صلعم في الحكم بينهم ان شاء حكم وان شاء ترك واختلفوا في حكم الاية اليوم هل للحاكم
الخيار في الحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال اكثر اهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة
المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا
لم يحكموا وان حكموا حكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة وقال قوم
يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والاية منسوخة نسخها قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله
وهو قول مجاهد وعكرمة وروي ذلك عن ابن عباس وقال لم ينسخ من المائدة الا ايتان قوله
لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله اقتلوا المشركين وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
نسخها وان احكم بينهم بما انزل الله فاما اذا تحاكم الينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا
تختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة وان حكمت فاحكم بينهم با
لقسط اي بالعدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين وروينا عن النبي صلعم انه قال ان
المقسطين عند الله على منابر من نور وكيف يحكمونك وعندهم التورية هذا تعجيب للنبي
صلعم وفيه اختصار اي وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التورية فيها حكم
الله وهو الرجم ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين اي بالمصدقين لك انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي سلموا وانقادوا لامر الله كما اخبر عن
ابرهيم عم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وكما قال وله اسلم من في السموات والا
رض واراد بهم النبيين الذين بعثوا بعد موسى عليهم السلام ليحكموا بما في التورية وقد اسلموا لحكم التو
رية وحكموا بها فان من النبيين من لم يؤمر بحكم التورية منهم عيسى قال الله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقال الحسن والسدي اراد به محمدا صلعم حكم على اليهود بالرجم ذكر بلفظ الجمع كما قال
ان ابرهيم كان امة قانتا وقوله للذين هادوا قيل فيه تقديم وتاخير تقديره فيها هدى

ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وقيل هو على مو
ضعه ومعناه يحكم بها النبيون الذين اسلموا على الذين هادوا كما قال وان اسأتم فلها اي
فعليها اولئك لهم اللعنة اي عليهم وقيل فيه حذف كانه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا
فحذف احدهما اختصارا والاحبار يعني العلماء واحدهم حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والكسر
افصح وهو العالم المحكم للشيء قال الكسائي وابو عبيد هو من الحبر الذي يكتب به وقال قطرب هو
من الحبر الذي بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها وفي الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره
اي حسنه وهيئته ومنه التحبير وهو التحسين فسمي العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه وقيل
الربانيون هاهنا من النصارى والاحبار من اليهود وقيل كلاهما من اليهود بما استحفظوا من
كتاب الله استودعوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء انه كذلك فلا تخشوا الناس
واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون قال قتادة والضحاك نزلت هذه الايات الثلاث في اليهود دون من اساء من
هذه الامة روي عن البراء بن عازب في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين وقيل هي على الناس كلهم وقال ابن عباس وطاوس
ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الاخر قال عطاء هو
كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وقال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما انزل الله
جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني
عن هذه الايات فقال انها تقع على جميع ما انزل الله لا على بعضه فكل من لم يحكم بجميع ما انزل
الله فهو كافر ظالم فاسق فاما من حكم بما انزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض
ما انزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الاية وقال العلماء هذا اذا رد نص حكم الله
عيانا عمدا فاما من خفي عليه او اخطأ في تأويل فلا وكتبنا عليهم فيها اي اوجبنا على بني اسرا
ئيل في التورية ان النفس بالنفس يعني نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به والعين
بالعين تفقأ به والانف بالانف يجدع به والاذن بالاذن تقطع به قال ابن عباس
اخبر الله بحكمه في التورية وهو ان النفس بالنفس الى اخره فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس
النفسين ويفقأون بالعين العينين وخفف نافع الاذن في جميع القران وثقلها الاخرون والسن
بالسن تقلع به وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص والجروح قصاص وهذا تعميم

بعد التخصيص لانه ذكر العين والانف والسن ثم قال والجروح قصاص اى فيما يمكن الاقتصاص
كاليد والرجل واللسان ونحوها واما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم وجرح لحم كالجائفة
ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وقرا الكسائي والعين وما بعدها بالرفع
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو جعفر والجروح بالرفع فقط وقرا الآخرون كلها بالنصب كالنفس
فمن تصدق به اى بالقصاص فهو كفارة له قيل الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتيل
اى كفارة للمتصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والشعبي وقتادة روي عن عبادة
بن الصامت قال قال رسول الله صلعم من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وقال
جماعة هي كناية عن الجارح والقاتل يعني اذا عفى المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب
الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله قال الله تعالى
فمن عفى واصلح فاجره على الله روي عن ابن عباس وهو قول ابرهيم ومجاهد وزيد بن اسلم
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم على آثار النبيين الذين اسلموا
بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه اى في الانجيل هدى ونو
ر ومصدقا يعني الانجيل لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه قرا الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اى لكي يحكم وقرا الآخرون
بسكون اللام وجزم الميم على الامر قال مقاتل بن حيان امر الله تعالى الربانيين والاحبار ان
يحكموا بما في التورية وامر القسيسين والرهبان ان يحكموا بما في الانجيل فكفروا وقالوا عزير
ابن الله والمسيح ابن الله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون الخارجون من
امر الله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب يا محمد القرآن بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
اى من الكتب المنزلة من قبل ومهيمنا عليه روى الوالبي عن ابن عباس اى شاهدا عليه
وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي قال حسان ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق
يعرفه ذووا الالباب يريد شاهدا ومصدقا وقال عكرمة دالا وقال سعيد بن جبير وابو
عبيدة مؤتمنا عليه وقال الحسن امينا وقيل اصله مؤيمن مفيعل من امين كما قالوا مبيطر فقلبت
الهمزة هاء كما قالوا ارقت الماء وهرقت وايهات وهيهات ونحوها ومعنى امانة القرآن ما قال
ابن جريج القرآن امين على ما قبله من الكتب فما اخبر اهل الكتاب عن كتابهم فان كان في القرآن
فصدقوا والا فكذبوا وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقيبا وحافظا

والمعاني متقاربة ومعنى الكل ان كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله وما لا فلا فاحكم
يا محمد بينهم بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك بما انزل الله بالقرآن ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق اى لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع اهواءهم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
قال ابن عباس والحسن ومجاهد سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح وكل ما شرعت
فيه فهو شريعة وشرعة ومنه شرائع الاسلام لشروع اهلها فيها فاراد بهذا ان الشرائع مختلفة ولكل
اهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للامم الثلث امة موسى وعيسى وامة محمد عليهم الصلاة والسلام
للتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة اى على ملة واحدة ولكن ليبلوكم ليختبركم فيما آتاكم من الكتب وبين لكم من الشرائع
فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات فبادروا الى الاعمال الصالحة
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قال ابن عباس قال كعب
بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض اذهبوا بنا
الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم
وانا ان اتبعناك لم يخالفنا اليهود وان بيننا وبين القوم خصومات فنحاكمهم اليك فاقض
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ويتبعنا غيرنا ولم يكن قصدهم الايمان انما كان قصدهم التلبيس ودعوته
الى الميل في الحكم فانزل الله هذه الاية فان تولوا اى اعرضوا عن الايمان والحكم بالقرآن فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى فاعلم ان اعراضهم من اجل ان الله يريد ان يعجل
لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس يعني اليهود لفاسقون افحكم
الجاهلية يبغون قرا ابن عامر بالتاء وقرا الآخرون بالياء اى يطلبون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اختلفوا في
نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال قوم نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله
بن ابي بن سلول وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة
شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله منهم ومن ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله لكني لا ابرأ
من ولاية اليهود لاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلعم يا ابا الحباب ما نفست به من
ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذن اقبل فانزل الله هذه الاية قال السدي

فاذا كانت وقعة اجدا اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من
المسلمين انا الحق بفلان اليهودي وآخذ منه امانا انى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر
اما انا فالحق بفلان النصراني من اهل الشام وآخذ منه امانا فانزل الله هذه الاية ينهاهما وقال
عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي صلعم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في
النزول وقالوا ما يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه انه الذبح اى يقتلكم فنزلت هذه الاية بعضهم
اولياء بعض في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين ومن يتولهم منكم فيوالهم فانهم منهم
فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض اى نفاق يعني عبد الله
بن ابي واصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود يسارعون فيهم اى في معونتهم وموالاتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دولة يعني ان يدول الدهر دولة فنحتاج الى نصرهم ايانا وقال
ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور الامر علينا وقيل نخشى ان يدور الدهر
علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض فعسى الله ان يأتي بالفتح قال قتا
دة ومقاتل بالقضاء الفصل من نصر محمد صلعم على من خالفه وقال الكلبي والسدي فتح مكة وقال
الضحاك فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك او امر من عنده قيل اتمام امر محمد صلعم وقيل هو عذاب لهم
وقيل اجلاء بني النضير فيصبحوا يعني هؤلاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم من موالاة اليهود
ودس الاخبار اليهم نادمين ويقول الذين آمنوا قرأ اهل الكوفة ويقول بالواو والر
فع وقرأ اهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على ان يأتي اى وعسى ان يقول الذين آمنوا
وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام وكذلك هو في مصاحف اهل العالية استغنى عن حرف العطف
لملابسة هذه الاية بما قبلها يعني يقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين
اهؤلاء الذين اقسموا حلفوا بالله جهد ايمانهم حلفوا باغلظ الايمان انهم لمعكم اى انهم مؤ
منون يريدان المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل قال الله تعالى حبطت اعمالهم
بطل كل خير عملوه فاصبحوا خاسرين خسروا في الدنيا بافتضاحهم وفي الاخرة بالعذاب وفوات
الثواب يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأ اهل المدينة والشام من يرتدد بدا
لين على اظهار التضعيف عن دينه فيرجع الى الكفر قال الحسن علم الله ان قوما يرجعون عن الاسلام
بعد موت نبيهم صلعم فاخبر انه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه واختلفوا في اولئك القوم من هم قال
علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانع الزكوة

وذلك ان النبي صلعم لما قبض ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس
ومنع بعضهم الزكوة وهم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلعم وقال عمر كيف تقاتل
الناس وقد قال رسول الله صلعم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم
مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة
والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلعم لقا
تلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكوة وقالوا اهل القبلة
فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك
في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء قال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد
النبيين مولود افضل من ابي بكر لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وكان
قد ارتد في حيوة النبي صلعم ثلث فرق منهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي
ويلقب بالاسود وكان كاهنا مشعبذا فتنبأ باليمن واستولى على بلادها فكتب رسول
الله صلعم الى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم
وعلى النهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال ابن عمر فاتى الخبر رسول الله
صلعم من السماء الليلة التي قتل فيها فقال عم قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن
هو قال فيروز فاز فيروز فبشر النبي صلعم اصحابه بهلاك الاسود وقبض رسول الله صلعم من
الغد واتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الاول بعد مخرج اسامة وكان ذلك او
ل فتح جاء ابا بكر رضي الله عنه والفرقة الثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب
وكان قد تنبأ في حيوة رسول الله صلعم في آخر سنة عشر وزعم انه اشرك مع محمد في النبوة
وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها
لك وبعث بذلك اليه مع رجلين من اصحابه فقال لهما رسول الله صلعم لولا ان الرسل لا تقتل
لضربت اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلعم وتوفي فبعث ابو بكر خالد
بن الوليد الى مسيلمة الكذاب في جيش كبير حتى اهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي
الذي قتل حمزة ابن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشي يقول قتلت خير الناس في
الجاهلية وشر الناس في الاسلام والفرقة الثالثة بنو اسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان
الذي في جاهليتي واسلامي كرم

طليحة فهؤلاء ارتدوا وادعوا النبوة في حياة رسول الله صلعم واول من قوتل بعد وفاة النبي صلعم
من اهل الردة فبعث ابو بكر خالد بن الوليد اليه فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة
فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد بعد وفاة النبي صلعم
في خلافة ابي بكر خلق كثير حتى كفى الله المسلمين امرهم ونصر دينه على يدي ابي بكر رضي قالت عائشة
رضي الله عنها توفي رسول الله صلعم وارتدت العرب واشرأبت النفاق ونزل بابي ما لو نزل بالجبال
الراسيات لهاضها وقال قوم المراد بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هم
الاشعريون روي عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلعم هم قوم هذا واشار الى ابي موسى الاشعري وكانوا من اليمن
عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان
يمان والحكمة يمانية وقال الكلبي هم احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من
كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في ايام
عمر رضي الله عنه اذلة على المؤمنين يعني ارقاء رحماء كقوله تعالى واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة ولم يرد به الهوان بل اراد ان جانبهم لين على المؤمنين وقيل هو من الذل
من قولهم دابة ذلول يعني انهم متواضعون كما قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا اعزة على الكافرين اي اشداء غلظاء على الكفار يعادونهم ويغالبونهم
من قولهم عزه اي غلبه قال عطاء اذلة على المؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده اعزة
على الكافرين كالسبع على فريسته نظيره قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم يجاهدون في سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون في الله لوم الناس وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون
الكفار ويخافون لومهم وروينا عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلعم
على السمع والطاعة وان نقوم او نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء اي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين من فضل الله
عليهم والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا روي عن ابن عباس انها نزلت
في عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود وقال اتولى
الله ورسوله والذين آمنوا فنزل فيهم من قوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم الى قوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا فنزل فيهم من قوله يا ايها الذين الله ورسوله

والذين آمنوا يعني عبادة بن الصامت واصحاب رسول الله صلعم وقال جابر بن عبد الله جاء عبد الله
بن سلام الى النبي صلعم فقال يا رسول الله صلعم ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا
واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقرأها عليه رسول الله صلعم فقال رضينا بالله وبرسوله وبا
المؤمنين اولياء وعلى هذا التأويل اراد بقوله وهم راكعون صلاة التطوع بالليل والنهار قاله ابن
عباس وقال السدي قوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
اراد علي بن ابي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه وقال جويبر عن الضحاك
في قوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا قال هم المؤمنون بعضهم اولياء بعض وقال ابو جعفر
محمد بن علي الباقر انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا نزلت في المؤمنين فقيل له ان ناسا يقولون
انها نزلت في علي فقال هو من المؤمنين ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا يعني يتولى القيام
بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار فان حزب الله يعني
انصار دين الله هم الغالبون لانه تعالى ناصرهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن
الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله عز وجل هذه
الاية يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا باظهار ذلك بالسنتهم
قولا وهم مستبطنون الكفر من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والكفار قرأ
اهل البصرة والكسائي والكفار بخفض الراء يعني ومن الكفار وقرأ الآخرون بالنصب اي لا
تتخذوا الكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين حقا فان الايمان حق يوجب معاداة اعداء
الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا بانهم قوم لا يعقلون قال
الكلبي كان منادي رسول الله صلعم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود
قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء وضحكوا فانزل الله هذه الاية وقال
السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فتطايرت منها
شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقال آخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان
حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلعم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من
الامم فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى

الناس به الانبياء فهذا ابين لكم قبائح كقبائح العين فما اقبح من صوت وما اسمج من امره
فانزل الله هذه الاية ونزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية • قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا • قرأ الكسائي هل تنقمون منا بادغام اللام في التاء وكذلك يدغم لام هل في
التاء والنون وانما تدغم في التاء والثاء والباقون في هل ترى من فطور قال ابن عباس اتى رسول
الله صلعم نفر من اليهود ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وغيرهما فسألوه عمن يؤمن
به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الى قوله ونحن له
مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قوله تنقمون منا اي هل تكرهون • الا ان
آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون • اي هل تكرهون
الا ايماننا وفسقكم اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على
دينكم لحب الرياسة ولحب الاموال ثم قال • قل • يا محمد • هل انبئكم • اخبركم • بشر من ذلك الذي
ذكرتم يعني قولهم لم نر اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
فذكر الجواب بلفظ الابتداء وان لم يكن الابتداء شرا لقوله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم
النار • مثوبة • ثوابا وجزاء نصب على التفسير • عند الله من لعنه الله • اي هو من لعنه الله • وغضب
عليه • يعني اليهود • وجعل منهم القردة والخنازير • والقردة اصحاب السبت والخنازير كفار
مائدة عيسى وروى عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ان الممسوخين كلاهما من اصحاب السبت
فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير • وعبد الطاغوت • اي جعل منهم من عبد الطاغوت
اي اطاع الشيطان فيما سول له وتصديقها قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وقرأ حمزة
وعبد بضم الباء الطاغوت بجر التاء اراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضمها مثل
سبع وسبع وقيل جمع العباد وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد • اولئك شر مكانا واضل
عن سواء السبيل • اي طريق الحق • واذا جاءوكم • يعني هؤلاء المنافقين وقيل هم الذين قالوا آمنا
بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار دخلوا على النبي صلعم وقالوا آمنا بك وصدقناك فيما
قلت وهم يسرون الكفر • وقد دخلوا بالكفر وهم • قد خرجوا به • يعني دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
• والله اعلم بما كانوا يكتمون • من النفاق • وترى كثيرا منهم • يعني من اليهود • يسارعون
في الاثم والعدوان • قيل الاثم المعاصي والعدوان الظلم وقيل الاثم ما كتموا من التورية والعدوان

والعدوان ما زادوا فيها • واكلهم السحت • الرشى • لبئس ما كانوا يعملون • لولا • هلا • ينهاهم
الربانيون والاحبار • يعني العلماء قيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون • وقالت اليهود يد الله مغلولة •
قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر
الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلعم وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم
من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة اي محبوسة مقبوضة عن الرزق
نسبوه الى البخل قيل انما قال هذه المقالة فنحاص فلما لم ينهه الاخرون ورضوا بقوله اشركهم
الله فيها وقال الحسن معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبر به قسمه قدر
ما عبد آباؤنا العجل والاول اولى لقوله ينفق كيف يشاء • غلت ايديهم • اي امسكت ايديهم
عن الخيرات وقال الزجاج اجابهم الله تعالى انا الجواد وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة
الممسكة وقيل هو من الغل في النار يوم القيمة كقوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل • ولعنوا •
عذبوا • بما قالوا • فمن لعنهم انهم مسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا
والاخرة • بل يداه مبسوطتان • ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه قال
جل ذكره لما خلقت بيدي وقال النبي صلعم كلتا يديه يمين والله اعلم بصفاته فعلى العباد فيها
الايمان والتسليم قال ائمة السلف من اهل السنة في هذه الصفات امروها كما جاءت بلا كيف
• ينفق • يرزق • كيف يشاء • وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • اي
كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفرا • والقينا بينهم العداوة والبغضاء •
يعني اليهود والنصارى قاله الحسن ومجاهد وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله في دينهم مختلفين
متباغضين • الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله • يعني اليهود افسدوا وخالفوا
حكم التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فبعث الله ططيوس الرومي ثم افسدوا فسلط
عليهم المجوس ثم افسدوا فبعث عليهم المسلمين وقيل كلما اجمعوا امرهم ليفسدوا امر محمد صلعم واو
قدوا نار المحاربة اطفأها الله فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه هذا معنى قول الحسن وقال قتا
دة هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد الا وجدتهم من اذل الناس
• ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين • ولو ان اهل الكتاب آمنوا • بمحمد صلعم
• واتقوا الكفر • لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم • ولو انهم اقاموا التورية

والانجيل يعني احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما وما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن
وقيل كتب انبياء بني اسرائيل لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قيل من فوقهم هو المطر ومن
تحت ارجلهم نبات الارض قال ابن عباس لانزلت عليهم القطر واخرجت لهم من نبات الارض
وقال الفراء اراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه الى قدمه نظيره قوله تعالى
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض منهم امة مقتصدة
يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه مقتصدة اي عادلة غير غالية ولا مقصرة
جافية ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير وكثير منهم كعب بن
الاشرف واصحابه ساء ما كانوا يعملون بئس شيئا عملهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب
بالنبي صلعم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك روي عن مسروق قال قالت عائشة
من حدثك ان محمدا كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب وهو يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك الاية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من
يكذبه فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلعم دعاهم الى الاسلام فقا
لوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزءون به فيقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذ النصارى
عيسى حنانا فلما راى النبي صلعم ذلك سكت فنزلت هذه الاية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب
لستم على شيء الاية وقيل بلغ ما انزل اليك من الرجم والقصاص نزلت في قصة اليهود وقيل نزلت
في امر زينب بنت جحش ونكاحها وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
الاية وكان النبي صلعم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم
فانزل الله هذه الاية وان لم تفعل فما بلغت رسالته قرأ اهل المدينة رسالاته جمع والباقون
رسالته على التوحيد ومعنى الاية ان لم تبلغ الجميع تركت بعضه فما بلغت شيئا اي جرمك في
ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا اخبر ان كفرهم بالبعض
محبط للايمان بالبعض وقيل بلغ ما انزل اليك اي اظهر تبليغه كقوله فاصدع بما تؤمر
فان لم تفعل وان لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته امره بتبليغ ما انزل اليه مجاهرا

محتسبا صابرا غير خائف فان اخفيت منه شيئا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس يحفظك ويمنعك من الناس فان قيل اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته واوذي
بضرب من الاذى قيل معناه يعصمك من القتل فلا يصلوا الى قتلك وقيل نزلت هذه الاية بعدما
شج راسه لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن وقيل والله يخصك بالعصمة من بين
الناس لان النبي صلعم معصوم ان الله لا يهدي القوم الكافرين روي عن ابي سلمة بن
عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله اخبره انه غزا مع رسول الله صلعم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلعم
قفل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلعم وتفرق الناس يستظلون
بالشجر فنزل رسول الله صلعم تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلعم يدعونا
واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم واستيقظت وهو في يده صلتا فقال
من يمنعك مني فقلت الله ثلثا ولم يعاقبه وجلس وروى محمد بن كعب القرظي عن ابي هريرة ان
الاعرابي سل سيفه وقال من يمنعك مني يا محمد قال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف
من يده وجعل يضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه فانزل الله هذه الاية روي عن عبد الله بن عامر
بن ربيعة قال سمعت عائشة تقول كان النبي صلعم سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلا من
اصحابي صالحا يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا قال انا سعد بن ابي وقاص
جئت لاحرسك ونام النبي صلعم وقال عبد الله بن شقيق عن عائشة كان النبي صلعم يحرس
حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلعم راسه من القبة فقال
لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اي تقيموا احكامهما وما يجب عليكم فيهما وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس فلا تحزن على القوم الكافرين فان تأسف
يعني كفاية عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى وكان حقه و
والصابئين وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه ارتفاعه وقال سيبويه فيه تقديم وتاخير وتقديره
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله الى آخر الاية والصابئون كذلك
وقوله ان الذين امنوا اي باللسان وقوله من آمن بالله اي بالقلب وقيل ان الذين آمنوا على
حقيقة الايمان من آمن بالله اي ثبت على الايمان واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل في التوحيد والنبوة وارسلنا اليهم رسلا

كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا عيسى ومحمدا وفريقا يقتلون زكريا ويحيى
وحسبوا وظنوا الا تكون فتنة اى عذاب وقيل ابتلاء واختبار اى ظنوا ان لا يبتلوا ولا يعذبوا
بما هم الله قرا اهل البصرة وحمزة والكسائى تكون برفع النون على معنى انه لا يكون ونصبها الآخرون
على انه لم يكن قبله لا فعموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه يعنى وصموا بعد موسى ثم تاب
الله عليهم ببعث عيسى ثم عموا وصموا كثير منهم بالكفر بمحمد صلعم والله بصير بما يعملون لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم يعنى الملكانية واليعاقبة منهم وقال
المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة يعنى
المرقوسية وفيه اضمار معناه ثالث ثلثة آلهة لانهم يقولون الالهية مشتركة بين الله
ومريم وعيسى كل واحد من هؤلاء اله فهم ثلثة آلهة يبين هذا قوله عز وجل للمسيح أانت قلت
للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ومن قال ان الله ثالث ثلثة ولم يرد به الالهية لا
يكفر فان الله يقول ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم قال النبى صلعم لابى بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما ثم قال ردا عليهم وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم خص الذين كفروا لعلمه ان بعضهم يؤمنون افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
قال الفراء هذا بلفظ الاستفهام ومعناه الامر كقوله فهل انتم منتهون اى انتهوا والمعنى ان الله
يامرهم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت مضت من قبله الرسل اى ليس باله كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة
وامه صديقة كثيرة الصدق وقيل سميت صديقة لانها صدقت بآيات الله كما قال الله فى وصفها
وصدقت بكلمات ربها كانا ياكلان الطعام اى كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر الآدميين
فكيف يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان من اكل
وشرب لا بد له من البول والغائط ومن هذه صفته كيف يكون الها ثم عجب من كفرهم مع
قيام البرهان على بشريتهما فقال انظر كيف نبين لهم الآيات اى الدلالات على ذلك
ثم عجب ثانيا من تركهم الايمان مع وضوح الدليل فى بيانهم للتراخى بين العجبين فقال ثم
انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى لا تجاوزوا

الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم فى الدين وقوله غير الحق اى فى دينكم المخالف للحق
وذلك انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه ولا تتبعوا اهواء قوم والاهواء
جمع الهوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس قد ضلوا من قبل يعنى رؤساء الضلالة من
فريقى اليهود والنصارى والخطاب للذين كانوا فى عصر النبى صلعم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما
ابتدعوه باهوائهم واضلوا كثيرا يعنى من اتبعهم على اهوائهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد
الطريق بالاضلال فالضلال الاول من الضلالة والثانى بالاضلال من اتبعهم لعن الذين
كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود يعنى اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم
واجعلهم آية فمسخوا قردة وعيسى ابن مريم اى لسان عيسى يعنى كفار اصحاب المائدة لما لم
يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا لبئس ما كانوا يفعلون
روى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل
اذا عمل العامل منهم بالخطيئة نهاه الناهى تعذيرا فاذا كان من الغد جالسه وآكله وشاربه
كانه لم يره على الخطيئة بالامس فلما راى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة
والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذى
نفسى بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على
الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم ترى كثيرا منهم قيل من
اليهود كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا مشركى مكة حين خرجوا اليهم يجيشو
ن على النبى صلعم وقال ابن عباس ومجاهد والحسن منهم يعنى من المنافقين يتولون اليهود لبئس
ما قدمت لهم انفسهم بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة ان سخط الله عليهم اى غضب
الله وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى محمد صلعم وما انزل اليه يعنى القرآن
ما اتخذوهم يعنى الكفار اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون اى خارجون عن امر الله تعالى
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا يعنى مشركى العرب
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى لم يرد جميع النصارى
لانهم فى عداوتهم المسلمين كاليهود فى قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجد
هم واحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن اسلم منهم مثل النجاشى واصحابه قال اهل

النفير فلما ادركت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذو
نهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما راى رسول
الله صلعم ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان
بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشي
واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها سرا
احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله والزبير بن العوام
وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل
بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن
مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء
فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة
من مبعث رسول الله صلعم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها
فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت
قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشي والى بطارقته ليردهم اليهم
فعصمهم الله وذكرت القصة في سورة آل عمران فلما انصرفوا خائبين اقام المسلمون هناك
بخير النبي صلعم على يد عمرو بن امية الضمري يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت
اليه مع زوجها فمات زوجها وبعث اليه من عنده من المسلمين فارسل النجاشي الى ام حبيبة جا
رية له يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلعم اياها فاعطتها اوضاحا لها سرورا بذلك
فاذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى انكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول
الله صلعم النجاشي فانفذ اليها النجاشي اربعمائة دينار على يد ابرهة فلما جاءتها بها اعطتها
خمسين دينارا فردتها وقالت امرني الملك ان لا آخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك
وثيابه وقد صدقت محمدا رسول الله صلعم وآمنت به وحاجتي منك ان تقريه مني السلام قالت
نعم وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر وكان رسول الله صلعم يراه
عليها وعندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله بخيبر فخرج من خرج اليه
واقمت بالمدينة حتى قدم النبي صلعم فدخلت عليه فكان يسالني عن النجاشي فقرات عليه من
ابرهة السلام فرد رسول الله صلعم وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم

وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم او عن المؤمن به وعن ابن مسعود رض قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل
من الايمان بغيب ثم قرا هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم
لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة
وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ
في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد
وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها
بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد
لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن
وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده

مودة يعني ابا سفيان مودة يعني تزوج ام حبيبة وما جاء ابا سفيان تزوج ام حبيبة قال ذكر الخبر لا يخرج الفقه وبعث النبي بعد قدوم جعفر الى رسول الله صلعم الى علي بن ابي ... بن ابجر في ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يا رسول الله اشهد انك رسول الله صلعم صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهى وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في اثر جعفر واصحابه حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلعم في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلعم سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عم فانزل الله عز وجل فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران من بني الحارث بن كعب واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية رومانيون من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عم فلما بعث الله محمدا صدقوه وآمنوا به فاثنى الله تعالى عليهم ذلك بان منهم قسيسين اي علماء قال قطرب القس والقسيسين العالم بلغة الروم ورهبانا والرهبان العباد اصحاب الصوامع واحدهم راهب مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون واحدا وجمعه رهابين مثل قربان وقرابين وانهم لا يستكبرون اي لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق واذا سمعوا ما انزل الى الرسول محمد صلعم ترى اعينهم تفيض تسيل من الدمع مما عرفوا من الحق قال ابن عباس في رواية عطاء يريد النجاشي واصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين يعني امة محمد صلعم دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق وذلك ان اليهود عيروهم وقالوا لم آمنتم فاجابوهم بهذا ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اي في امة محمد صلعم بيانه ان الارض يرثها عبادي الصالحون فاثابهم الله اعطاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وانما انجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالاخلاص بدليل قوله وذلك جزاء المحسنين يعني ...

وانتهاره بهذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم انتهاره في المعنى الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل لك من حلاله وبانه لو لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دل على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هي شقيقتها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله ...

المعتدين الواصفين وقوله من قبل ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فدل ان الا
خلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون ايمانا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال اهل التفسير ذكر النبي صلعم
الناس يوما ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان
بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر
وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي و
معقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم
ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
والطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلعم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه
فقال لامراته ام حكيم بنت ابي امية واسمها خولة وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحا
به فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان
فقد صدق فانصرف رسول الله صلعم فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلعم هو واصحابه
فقال لهم رسول الله الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير
فقال صلعم اني لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني
اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم
جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات
الدنيا اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء
ولا اتخاذ الصوامع ان سياحة امتي ورهبانيتهم الجهاد والصوم اعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم
فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الد
يارات والصوامع فانزل الله هذه الاية روي عن ابن انعم عن سعيد بن مسعود ان عثمان بن
مظعون اتى النبي صلعم فقال ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلعم ليس منا من خصى
ولا اختصى ان خصاء امتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لنا في السياحة فقال ان سيا
حة امتي الجهاد في سبيل الله فقال يا رسول الله ائذن لنا في الترهب فقال ان ترهب امتي الجلوس
في المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة وروي عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال

يا رسول الله اني اصبت من اللحم فانتشرت واخذتني شهوة فحرمت اللحم فانزل الله يا ايها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني اللذات التي تشتهيها النفوس مما احل الله
لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل هو
جب المذاكير ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قال عبد الله
بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا
يغذي فمكروه الا على وجه التداوي واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون روي عن عائشة قالت
كان النبي صلعم يحب الحلواء والعسل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن عباس لما نز
لت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكا
نوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقد
تم الايمان قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عقدتم بالتخفيف وقرا ابن عامر عاقدتم بالالف وقرا
الآخرون عقدتم بالتشديد اي وكدتم والمراد من الاية قصدتم وتعمدتم فكفارته اي كفارة
ما عقدتم الايمان اذا حنثتم اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدره فذهب قوم الى انه
يطعم كل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلعم وهو رطل وثلث رطل من غالب قوت البلد وكذلك في
جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم
وسليمان بن يسار والحسن وقال اهل العراق عليه لكل مسكين مدان وهو نصف صاع يروى
ذلك عن عمر وعلي وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصا
ع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم ولو غداهم وعشاهم لا يجوز وجوز
ابو حنيفة ويروى ذلك عن علي ولا يجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق بل يجب اخرا
ج الحب وجوز ابو حنيفة كل ذلك ولو صرف الكل الى مسكين واحد لا يجوز وجوز ابو حنيفة ان
يصرف طعام عشرة مساكين الى مسكين واحد في عشرة ايام ولا يجوز ان يصرف الا الى مسلم حر
محتاج فان صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجوز وجوز ابو حنيفة صرفه الى اهل الذمة واتفقوا
على ان صرف الزكوة الى اهل الذمة لا يجوز من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من خير قوت عيا
لكم وقال عبيدة السلماني الاوسط الخبز والخل والاعلى الخبز واللحم والادنى الخبز البحت والكل
مجزئ او كسوتهم كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير ان شاء اطعم عشرة من المساكين
وان شاء كساهم وان شاء اعتق رقبة فان اختار الكسوة فاختلفوا في قدرها فذهب

فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة إزار او رداء او قميص او سراويل
او عمامة او كساء او نحوها وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشا
فعي وقال مالك يجب لكل انسان ما تجوز فيه صلاته فيكسو الرجال ثوبا والنساء ثوبين درعا وخما
را وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان ﴿او تحرير رقبة﴾ واذا اختار العتق يجب اعتاق
رقبة مؤمنة وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان يجب فيها
اعتاق رقبة مؤمنة واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميعها الا في كفارة القتل
لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان قلنا المطلق يحمل على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة
بالعدالة في موضع فقال واشهدوا ذوي عدل منكم واطلق في موضع فقال واستشهدوا شهيدين
من رجالكم ثم العدالة شرط في جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك هذا ولا يجوز اعتاق المرتد بالا
تفاق عن الكفارة ويشترط ان يكون سليم الرق حتى لو اعتق عن كفارته مكاتبا او ام ولد او عبدا
اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة يعتق ولكن لا يجوز الكفارة
وجوز اصحاب الرأي المكاتب اذا لم يكن ادى شيئا من النجوم وعتق القريب عن الكفارة ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل اضرارا بينا حتى لا يجوز مقطوع احدى اليدين او
احدى الرجلين ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز الاعور والاصم ومقطوع الاذنين
والانف لان هذه العيوب لا تضر بالعمل اضرارا بينا وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة
يمنع الجواز حتى جوز مقطوع احدى اليدين ولم يجوز مقطوع الاذنين ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة
ايام﴾ اذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة يجب عليه صوم ثلاثة ايام والعجز
ان لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم او يكسو او يعتق فانه يصوم ثلاثة ايام
وقال بعضهم اذا ملك ما يمكنه الاطعام وان لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام وهو قول الحسن
وسعيد بن جبير واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصيام فذهب جماعة الى انه لا يجب فيه التتا
بع بل ان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وهو احد قولي الشافعي وذهب قوم الى
انه يجب فيه التتابع قياسا على كفارة القتل والظهار وهو قول الثوري وابي حنيفة ويدل عليه قراءة
ابن مسعود فصيام ثلاثة ايام متتابعات ﴿ذلك﴾ اي ذلك الذي ذكرت ﴿كفارة ايمانكم اذا حلفتم﴾
اي اذا حلفتم وحنثتم فان الكفارة لا تجب الا بعد الحنث واختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب
قوم الى جوازه لما روينا ان النبي صلعم قال من حلف بيمين فرأى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه وليفعل

الذي هو خير وهو قول عمر وابن عباس وعائشة وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك
والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي يقول ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز
بالطعام او الكسوة او العتق كما يجوز تقديم الزكوة على الحول ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته
وذهب قوم الى انه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وبه قال ابو حنيفة ﴿واحفظوا ايمانكم﴾
قيل اراد به ترك الحلف لا تحلفوا وقيل هو الاصح اراد به اذا حلفتم فلا تحنثوا فالمراد منه حفظ
اليمين عن الحنث هذا اذا لم يكن يمينه على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ترك مندوب او فعل
مكروه فالافضل ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلعم
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وان اوتيتها
عن غير مسألة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وائت الذي
هو خير ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ اي نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج
منه ﴿يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر﴾ اي القمار ﴿والانصاب﴾ يعني الاوثان سميت بذ
لك لانهم كانوا ينصبونها واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد ونصب بضم النون
مخففا ومثقلا ﴿والازلام﴾ يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زلم ﴿رجس﴾ خبيث
مستقذر ﴿من عمل الشيطان﴾ من تزيينه ﴿فاجتنبوه﴾ رد الكناية الى الرجس ﴿لعلكم
تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ اما العداوة
في الخمر فان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصاري الذي شج راس سعد
بن ابي وقاص بلحي الجمل واما العداوة في الميسر قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال
ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه ﴿ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة﴾
وذلك ان من اشتغل بشرب الخمر والقمار الهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلوته كما فعل
باضياف عبد الرحمن بن عوف تقدم رجل ليصلي بهم صلوة المغرب بعد ما شربوا فقرأ قل يا ايها
الكافرون اعبد بحذف لا ﴿فهل انتم منتهون﴾ اي انتهوا لفظه استفهام ومعناه امر كقوله تعالى
فهل انتم شاكرون ﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا﴾ المحارم والمناهي ﴿فان توليتم فا
علموا انما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وفي وعيد شارب الخمر روي عن ابن عمر عن رسول الله صلعم
انه قال كل مسكر حرام ان حقا على الله ان لا يشربه عبد في الدنيا الا سقاه الله يوم القيمة من
طينة الخبال هل تدرون ما طينة الخبال قال عرق اهل النار وروي عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله

فقال من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة وروى عن ابن عمر انه قال اشهد لسمعت
رسول الله صلعم وهو يقول لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها و
معتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا سبب نزول هذه الآية ان الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخوا
ننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فانزل الله تعالى ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا شربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر اذا ما اتقوا
الشرك وآمنوا وصدقوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا الخمر والميسر بعد تحريمها وآمنوا ازدا
دوا ايمانا ثم اتقوا ما حرم الله عليهم كله واحسنوا طاعة الله والله يحب المحسنين وقيل معنى
الاول اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا اى داوموا على ذلك التقوى وآمنوا ازدادوا
ايمانا ثم اتقوا المعاصي كلها واحسنوا اى اتقوا بالاحسان وكل محسن متق والله يحب المحسنين
يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم
الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم كثيرة فهموا باخذها فنزلت يا ايها الذين آمنوا ليبلو
نكم الله ليختبرنكم الله وفائدة البلوى اظهار المطيع من العاصي والا فلا حاجة له الى البلوى بشيء
من الصيد وانما بعض فقال بشيء لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة تناله ايديكم يعني الفرخ
والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد ورماحكم يعني الكبار من الصيد ليعلم الله
من يخافه بالغيب ليرى الله لانه قد علم من يخافه بالغيب اى يخاف الله ولم يره كقوله الذين
يخشون ربهم بالغيب اى يخافه فلا يصطاد في حال الاحرام فمن اعتدى بعد ذلك اى صاد بعد
تحريمه فله عذاب اليم روى عن ابن عباس انه قال يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيا
به يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اى محرمون بالحج او بالعمرة وهو جمع حرام
يقال رجل حرام وامرأة حرام وقد يكون من دخول الحرم يقال احرم الرجل اذا عقد الاحرام واحرم
اذا دخل الحرم نزلت في رجل يقال له ابو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله ومن قتله منكم
متعمدا اختلفوا في هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا و
هو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله لانه اعظم من ان يكون له كفارة وهذا قول مجاهد
والحسن وقال آخرون هو ان يعمد المحرم قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فعليه الكفارة واختلفوا فيما لو قتله
خطأ فذهب اكثر الفقهاء الى ان العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة قال الزهري على المتعمد بالكتاب

وعلى المخطئ بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ بل يختص بالعمد فجزاء مثل
قرأ اهل الكوفة ويعقوب فجزاء منون مثل رفع على البدل من الجزاء وقرأ الآخرون بالاضافة فجزاء
مثل ما قتل من النعم معناه انه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم واراد ما يقرب من الصيد
المقتول شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة يحكم به ذوا عدل منكم اى يحكم بالجزاء
رجلان عدلان وينبغي ان يكونا فقيهين ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكما
ن به وممن ذهب الى ايجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن
عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة حكموا في بلدان مختلفة وازمان شتى بالمثل من
النعم فحكم حاكمهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي
لا تساوي بقرة وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشا فدل انهم نظروا الى ما يقرب من الصيد
شبها من حيث الخلقة ويجب في الحمام شاة وهو كل ما عب وهدر من الطير كالفواخت
والقمري والدبسي وروى عن عمر وعثمان وابن عباس انهم قضوا في حمام مكة بشاة وروى
عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق
وفي اليربوع بجفرة هديا بالغ الكعبة اى يهدي تلك الكفارة الى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصد
ق بلحمها على مساكين الحرم او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما قال الفراء العدل با
لكسر المثل من جنسه واراد به انه في جزاء الصيد مخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على
مساكين الحرم وبين ان يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم
او يصوم عن كل مد من الطعام يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وقال
مالك ان لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا
يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام
فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما قال الشافعي والنخعي جزاء
الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب الى التخيير ليذوق وبال امره اى جزاء معصيته عفا
الله عما سلف يعني قبل التحريم ونزول الآية وقال السدي عفا الله عما سلف في الجاهلية ومن عاد
فينتقم الله منه في الآخرة والله عزيز ذو انتقام واذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد
عليه الجزاء عند عامة اهل العلم قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا يسأل هل قتلت قبله
شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه وقيل له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه

فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ بطنه وظهره ضربا وجيعا وكذلك حكم رسول الله
صلعم في وج وهو واد بالطايف واختلفوا في المحرم هل يجوز له اكل لحم الصيد فذهب قوم الى انه لا
يحل له بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس وبه قال سفين الثوري واحتجوا بما روي
عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى لرسول الله صلعم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان
فرده رسول الله صلعم قال فلما راى رسول الله صلعم ما في وجهي قال انا لم نرده عليك الا انا حرم وذ
هب الاكثرون الى انه يجوز للمحرم اكله اذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لاجله او باشارته وهو قول
عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد
واسحق واصحاب الراي وانما رد النبي صلعم على الصعب بن جثامة لانه ظن انه صيد من اجله والد
ليل على جوازه ما روي عن نافع مولى ابي قتادة عن ابي قتادة بن ربعي الانصاري انه كان
مع رسول الله صلعم حتى اذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى
حمارا وحشيا فاستوى على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه سوطه فابوا فسالهم رمحه فابوا
فاخذه ثم شد على الحمار فقتله فاكل منه بعض اصحاب النبي صلعم وابى بعضهم فلما ادركوا رسول
الله سالوه عن ذلك فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله وروي عن جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلعم قال لحم الصيد لكم في الاحرام حلال ما لم تصيدوه او يصاد لكم قال ابو عيسى المطلب لا
نعرف له سماعا من جابر واذا اتلف المحرم شيا من الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض او طاير
دون الحمام ففيه قيمته يصرفها الى الطعام فيتصدق به او يصوم عن كل مد يوما واختلفوا في الجرا
د فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر روي ذلك عن كعب الاحبار والاكثرون على انها
لا تحل فان اصابها فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وروي عنه وعن ابن عباس قبضة
من طعام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة والمراد بالبحر جميع المياه قال
عمر صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به وعن ابن عباس وابن عمر وابي هريرة طعامه ما قذفه الما
الى الساحل ميتا وقال قوم هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وسعيد بن المسيب
وقتادة والنخعي قال مجاهد صيده طريه وطعامه مالحه متاعا لكم منفعة لكم وللسيارة
يعني المارة وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره اما السمك فميتته حلال مع اختلاف
انواعها قال النبي صلعم احلت لنا ميتتان السمك والجراد ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب
وعند ابي حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب من وقوع على حجر او انحسار الماء عنه ونحو ذلك اما

غير السمك فقسمان قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكله وقسم يعيش في الماء
ولا يعيش في البر الا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم الى انه لا يحل شيء منه الا السمك
وهو قول ابي حنيفة وذهب قوم الى ان ميتة الكل حلال لان كلها سمك وان اختلفت صورها كالجريث
يقال له حية الما وهو على شكل الحية واكله مباح بالاتفاق وهو قول ابي بكر وعمر وابن عباس
وزيد بن ثابت وابي هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشا
فعي وذهب قوم الى ان ما له نظير في البر يوكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الما ونحوه
وما لا يوكل نظيره في البر لا تحل ميتته من حيوانات البحر مثل كلب الما والخنزير والحمار ونحوها و
قال الاوزاعي كل شيء عيشه في الما فهو حلال قيل والتمساح قال نعم وقال الشعبي لو ان اهلي
اكلوا الضفادع لاطعمتهم وقال سفين الثوري ارجو ان لا يكون بالسرطان باس وظاهر الا
ية حجة لمن اباح جميع حيوانات البحر وكذلك الحديث روي عن ابي هريرة يقول سال رجل
رسول الله صلعم فقال يا رسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الما فان توضانا
به عطشنا افنتوضا بما البحر فقال رسول الله صلعم هو الطهور ماؤه والحل ميتته روي عن
جابر يقول غزوت جيش الخبط وامر ابو عبيدة فجعنا جوعا شديدا فالقى البحر حوتا
ميتا لم نر مثله يقال له عنبر فاكلنا منه نصف شهر فاخذ ابو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب
تحته واخبرني ابو الزبير انه سمع جابرا يقول قال ابو عبيدة كلوا فلما قدمنا ذكرنا ذلك للنبي
صلعم فقال كلوا رزقا اخرجه الله اطعمونا ان كان معكم فاتاه بعضهم فاكله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون صيد البحر حلال للمحرم كما هو حلال
لغير المحرم اما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل اكله فاما
ما لا يحل اكله فلا يحرم بسبب الاحرام ولحرم اخذه وقتله ولا جزاء على من قتله الا متولد بين ما
يوكل لحمه وما لا يوكل لحمه كالمتولد بين الذيب والضبع لا يحل اكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم
لان فيه جزاء من الصيد روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال خمس من الدواب ليس
على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وروي عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلعم قال يقتل المحرم السبع العادي وعن ابي هريرة ان النبي صلعم قال خمس
قتلهن حلال في الحرم الحية والعقرب والحداة والفارة والكلب العقور وقال سفين بن
عيينة الكلب العقور كل سبع يعقر ومثله عن مالك وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزاء

فقيد ما لا يؤكل لحمه من الفهد والنمر والخنزير ونحوها الا الاحيان المذكورة في الخبر وقاسوا
عليها الذيب فلم يوجبوا فيه الكفارة وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه لان الحديث يشتمل
على احيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا
هي من جملة الهوام انما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب الحكم
عليه جعل الله الكعبة البيت الحرام قال مجاهد سميت كعبة لتربيعها والعرب تسمي كل بيت مربع
كعبة قال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتفاعها من الارض
واصلها من الخروج والارتفاع سمي الكعب كعبا لنتوئه وخروجه من جانبي القدم ومنه قيل
للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثديها تكعبت وسمي البيت الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم
حرمته قال النبي صلعم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض قياما للناس قرأ ابن
عامر قيما بلا الف والاخرون قياما بالالف اي قواما لهم في امر دينهم ودنياهم اما الدين لان
به يقوم الحج والمناسك واما الدنيا فيما يجبى اليه من الثمرات وكانوا يأمنون فيه من النهب
والغارة فلا يتعرض لهم احد في الحرم قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم والشهر الحرام اراد به الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة و
والمحرم ورجب اراد انه جعل الاشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيه القتال والهدي
والقلائد اراد انهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي فذلك القوام فيه ذلك
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فان قيل اي اتصال
لهذا الكلام بما قبله قيل اراد ان الله عز وجل جعل الكعبة قياما للناس لانه يعلم صلاح
العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة الاخبار عن
الغيوب والكشف عن الاسرار مثل قوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ومثل اخباره
بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض راجع اليه
اعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه وان الله غفور رحيم لمن اطاعه ما
على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث
والطيب اي الحرام والحلال ولو اعجبك كثرة الخبيث نزلت في شريح بن ضبيعة
البكري وحجاج بكر بن وائل فاتقوا الله ولا تتعرضوا للحجاج وان كانوا مشركين
وقد مضت القصة في اول السورة يا اولي الالباب لعلكم تفلحون يا ايها الذين آمنوا لا

تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم روي عن انس سألوا رسول الله صلعم حتى احفوه
المسألة فغضب فصعد النبي فقال لا تسألوا في اليوم عن شيء الا بينته لكم فجعلت انظر يمينا و
شمالا فاذا كل رجل لاف راسه في ثوبه يبكي فاذا رجل كان اذا لاحى الرجال يدعى لغير ابيه فقال
يا رسول الله من ابي قال حذافة ثم انشأ عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلعم ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط
انه صورت لي الجنة والنار وراء الحائط حتى رأيتهما وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه
الاية يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وقال يونس عن ابن شهاب اخبرني
عبيد الله قال قالت ام عبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك
قد قارفت بعض ما يقارف نساء اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس قال عبد الله بن
حذافة والله لو الحقني بعبد اسود للحقته وروي ان عمر قال يا رسول الله انا حديثو عهد بجاهلية
فاعف عنا يعف الله عنك فسكن غضبه روي عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول
الله صلعم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل فيهم
هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الاية كلها
وروي عن علي رضي قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال رجل يا رسول الله افي كل عام
فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلاثا فقال النبي صلعم وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم
لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اي ان تظهر لكم تسؤكم
ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به في كل عام فيسوؤه ومن سأل
عن نسبه لم يأمن ان يلحق بغيره فيفتضح وقال مجاهد نزلت حين سألوا رسول الله صلعم عن
البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الا تراه ذكرها بعد ذلك وان تسئلوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم معناه ان صبرتم حين ينزل القرآن بحكم من فرض او نهي او حكم وليس
في ظاهره شرح ما بكم اليه حاجة ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنها حينئذ تبد لكم عفا الله
عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم كما سألت ثمود صالحا الناقة وسأل
قوم عيسى المائدة ثم اصبحوا بها كافرين فاهلكوا قال ابو ثعلبة الخشني ان الله فرض فرائض

فلا تضيعوها ونهى عن اشيا فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن
اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها. ما جعل الله من بحيرة اى ما انزل ولا امر به ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام قال ابن عباس في بيان هذه الاوضاع البحيرة هي الناقة
كانت اذا ولدت خمسة ابطن بحروا اذنها اى شقوها وتركوا الحمل عليها وركوبها ولم يجزوا
وبرها ولم يمنعوها الما والكلا ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه فاكلا
الرجال والنسا وان كان انثى بحروا اذنها اى شقوها وتركوها وحرم على النسا لبنها ومن
نفعها وكانت منافعها خاصة للرجال فاذا ماتت حلت للرجال والنسا وقيل كانت الناقة اذا
تابعت بثنتي عشرة سنة سيبت ولم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما
نتجت بعد ذلك انثى شق اذنها ثم خلي سبيلها مع امها في الابل فلم تركب ولم يجز وبرها
ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بامها فهي البحيرة السائبة وقال ابو عبيدة السائبة البعير
الذي يسيب وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر
فقال ان شفاني الله او شفا مريضي او رد غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس
عن رعي ولا ما ولا يركبها احد وكانت بمنزلة البحيرة وقال علقمة هو العبد يسيب على ان
لا ولاء عليه فلا عقل ولا ميراث وقال النبي صلعم انما الولاء لمن اعتق والسائبة فاعلة بمعنى
المفعولة وهي المسيبة كقوله ماء دافق وعيشة راضية واما الوصيلة فمن الغنم كانت الشا
ة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه فاكل منه الرجال والنسا وان
كانت انثى تركوها في الغنم وان كان ذكرا وانثى استحيوا الذكر من اجل الانثى وقالوا
وصلت اخاها فلم يذبحوه وكان لبن الانثى حراما على النسا فان مات منها شي اكله الرجال
والنسا جميعا واما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا نتج من صلبه عشرة ابطن
قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا وما فاذا مات اكله الرجال والنسا وروى
عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسا
ئبة كانوا يسيبونها لالهتهم لا يحمل عليها شي قال ابو هريرة قال رسول صلعم رايت عمرو بن
عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان اول من سيب السوائب وروى محمد بن اسحق عن محمد بن
ابرهيم التيمي عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لاكثم بن جون الخزاعي
يا اكثم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رايت من رجل اشبه به منك

به ولا به منك وذلك انه اول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السا
ئبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ولقد رايته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه فقال اكثم
ايضرني شبهه يا رسول الله فقال لا انك مؤمن وهو كافر ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب في قولهم الله امرنا بها واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول في تحليل الحرث والانعام وبيان الشرائع والاحكام قالوا حسبنا ما وجد
نا عليه اباءنا من الدين قال الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ا
يها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلعم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان
يعمهم الله بعقابه وفي رواية لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فليسو
مونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم قال ابو عبيدة خاف الصديق ان
يتاول الناس الاية غير متاولها فيدعوهم الى ترك الامر بالمعروف فاعلمهم انها ليست كذلك
وان الذي اذن في الامساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من
اجل انهم يتدينون به وقد صولحوا عليه فاما الفسوق والعصيان والريب من اهل الاسلام
فلا يدخل فيه وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاية في اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منه الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود قال في هذه
الاية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان
القران قد نزل منه اي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن على عهد رسول
الله صلعم ومنه اي وقع تاويلهن بعد رسول الله صلعم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن في اخر الزمان
ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيمة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواكم
واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا وانهوا فاذا اختلفت القلوب
والاهوا والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تاويل
هذه الاية روى عن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت يا ابا ثعلبة كيف
تصنع في هذه الاية قال اية اية قلت قول الله عز وجل عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم فقال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلعم فقال بل ائتمروا بالمعروف

... المنكر أو رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي
برأيه ... أمرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر
فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال ابن المبارك
... قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم وقيل نزلت في أهل الأهواء قال أبو
... الرازي ذكر عند صفوان بن محرز شاب من أهل الأهواء فذكر شيئا من أمره فقال
... ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا الضال والمهتدي فينبئكم بما كنتم
تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس
الداري وعدي بن زيد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع
ما معه من المتاع وألقاه في جوالقه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم
وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله ومات بديل ففتشا متاعه وأخذا
منه إناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما
وانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان
معه فجاءوا تميما وعديا فقالوا هل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا
لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق على نفسه قالا لا فقالوا إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما
معه وإنا قد فقدنا منها إناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالا ما ندري
إنما أوصى لنا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى رسول
الله صلعم فأصروا واجترؤا على الإنكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شها
دة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان أي ليشهد اثنان لفظه خبر ومعناه
أن الشهادة فيما بينكم عند الموت الوصية اثنان واختلفوا في هذين الاثنين فقال قوم
هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقال آخرون هما الوصيان لأن الآية
نزلت فيهما ولأنه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهد يمين وجعل
الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت
قال الله تعالى وليشهد عذابهما طائفة يريد الحضور ذوا عدل أي أمانة وعقل منكم أي من أهل

دينكم يا معشر المؤمنين أو آخران من غيركم من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين قاله
ابن عباس وأبو موسى الأشعري وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن
جبير ومجاهد وعبيدة ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية فقال النخعي وجماعة هي منسوخة وكانت شهادة
أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت وذهب قوم إلى أنها ثابتة وقالوا إذا لم نجد مسلمين
نشهد كافرين قال شريح من كان بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد
كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان فشهادتهم جائزة ولا تجوز شهادة
كافر على مسلم إلا على وصية في سفر وعن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة
بدقوقاء ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة بتركته
وأتيا الأشعري فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي على عهد رسول الله صلعم فأحلفهما وأمضى
شهادتهما وقال الآخرون قوله ذوا عدل منكم أي من حي الموصي أو آخران من غيركم أي من غير حيكم
وعشيرتكم وهو قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام
إن أنتم ضربتم سرتم وسافرتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فأوصيتم إليهما
ودفعتم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن تحبسونهما أي
تستوقفونهما من بعد الصلاة أي بعد الصلاة ومن صلة يريد بعد صلاة العصر هذا قول الشعبي
والنخعي وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت
ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقال الحسن أراد من بعد صلاة الظهر وقال السدي من بعد صلاة
أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر فيقسمان يحلفان بالله إن ارتبتم
أي شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما أي في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم فإن كانا
مسلمين فلا يمين عليهما لا نشتري به ثمنا أي لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذ
هب به أو حق نجحده ولو كان ذا قربى ولو كان المشهود له ذا قرابة منا ولا نكتم شهادة الله
أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها وقرأ يعقوب شهادة بالتنوين الله
ممدود جعل الاستفهام عوضا عن حرف القسم ويروى عن أبي جعفر شهادة منونة الله بقطع
الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين أي والله إنا إذا لمن الآثمين أي إن كتمناها
كنا من الآثمين فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلعم صلاة العصر ودعا تميما وعديا فاستحلفهما
عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخونا شيئا مما دفع إليهما فحلفا على ذلك وخلى رسول

... الاناء واختلفوا في كيفية ظهوره فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه
وجد بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقال آخرون لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني
سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا قد اشتريناه منه فقالوا الم تزعما ان صاحبنا لم يبع
شيئا من متاعه فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمنا لذلك فرفعوهما الى رسول
الله صلعم فانزل الله عز وجل فان عثر اي اطلع على خيانتهما واصل العثور الوقوع على الشيء
انهما يعني الوصيين استحقا اثما استوجبا اثما بخيانتهما وبايمانهما الكاذبة فآخران
من اولياء الميت يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين من الذين استحق عليهم بضم التاء
على المجهول هذا قراءة العامة يعني الذين استحق عليهم اي فيهم ولاجلهم الاثم وهم ورثة الميت استحق
الحالفان بسببهم الاثم وعلى بمعنى في كما قال تعالى على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقرا حفص استحق
بفتح التاء والحاء وهي قراءة علي والحسن اي حق ووجب عليهم الاثم يقال حق واستحق بمعنى واحد
الاوليان نعت للآخرين اي فآخران الاوليان وانما جاز ذلك والاوليان معرفة والآخران
نكرة لانه لما وصف الآخرين فقال من الذين صار كالمعرفة في المعنى والاوليان تثنية الاولى
والاولى هو الاقرب وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم ويعقوب الاولين بالجمع فيكون بدلا من الذين
والمراد منهم ايضا اولياء الميت ومعنى الاية اذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران
من اقارب الميت فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني يميننا احق من يمينهما
نظيره قوله تعالى في اللعان فشهادة احدهم اربع شهادات بالله والمراد بها الايمان فهو كقول القائل
اشهد بالله اي اقسم بالله وما اعتدينا في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما
انا اذا لمن الظالمين فلما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان
فحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري بعد ما اسلم يقول صدق
الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره وانما انتقل اليمين الى الاولياء لان الوصيين
ادعيا انهما ابتاعاه والوصي اذا اخذ شيئا من مال الميت وقال انه اوصى لي به حلف الوارث اذا انكر
ذلك وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى انه اشتراها من المدعي حلف المدعي انه لم يبعها
منه وروي عن ابن عباس عن تميم الداري قال كنا بعنا الاناء بالف درهم فقسمتها انا وعدي فلما اسلمت
تأثمت فاتيت اهل الميت فاخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به الى رسول الله صلعم وحلف عمرو والمطلب
فنزعت الخمسمائة من عدي ورددت انا الخمسمائة فذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها

اي ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين اجدر واحرى ان ياتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس امثالهم
اي اقرب الى الاتيان بالشهادة على ما كانت او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي اقرب
الى ان يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا
يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة وتخونوا امانة
واسمعوا الموعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة
فيقول لهم ماذا اجبتم اي ما الذي اجابكم امتكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم الى توحيدي
وطاعتي قالوا اي فيقولون لا علم لنا قال ابن عباس لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا
وقيل لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقال ابن جريج لا علم لنا بعاقبة
امرهم وبما احدثوا من بعد دليله انه قال انك انت علام الغيوب اي انت الذي تعلم
ما غاب ونحن لا نعلم الا ما نشاهد روي عن انس عن النبي صلعم قال ليردن علي اناس من
اصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فاقول اصحابي فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك
قال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب
عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب ثم بعد ما ثابت اليهم
عقولهم يشهدون على اممهم اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال الحسن ذكر
النعم شكرها واراد بقوله نعمتي اي نعمي لفظه واحد ومعناه جمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وعلى والدتك مريم ثم ذكر النعم فقال اذ ايدتك قويتك بروح القدس يعني
جبريل تكلم الناس يعني وتكلم الناس في المهد صبيا وكهلا نبيا قال ابن عباس ارسله الله
وهو ابن ثلثين سنة فمكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب يعني
الخط والحكمة يعني العلم والفهم والتوراة والانجيل واذ تخلق تجعل وتصور من الطين كهيئة
الطير كصورة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا حيا يطير باذني وتبرئ الاكمه والا
برص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت منعت وصرفت بني اسرائيل يعني
اليهود عنك حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات يعني الدلالات والمعجزات وهي التي ذكرنا
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم به من البينات وقرا حمزة والكسائي
ساحر ههنا وفي سورة هود والصف فيكون راجعا الى عيسى عم وفي هود يكون راجعا الى محمد صلعم
واذ اوحيت الى الحواريين الهمتهم وقذفت في قلوبهم وقال ابو عبيدة يعني امرت ...

والحواريون خواص اصحاب عيسى ان آمنوا بي وبرسولي عيسى قالوا حين وفقتهم آمنا
واشهد بأننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قرأ الكسائي هل
تستطيع بالتاء وربك بنصب الباء وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعناه هل تستطيع ان
تدعو وتسأل ربك وقرأ الآخرون يستطيع بالياء ربك برفع الباء ولم يقولوه شاكين في قدرة الله
ولكن معناه أينزل ام لا كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تنهض معي وهو يعلم انه يستطيع
وانما يريد هل تفعل ام لا وقيل يستطيع بمعنى يطيع يقال اطاع واستطاع بمعنى واحد كقولهم
اجاب واستجاب معناه هل يطيعك ربك باجابة سؤالك وفي الآثار من اطاع الله اطاعه الله
واجرى بعضهم على الظاهر فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا فقال
لهم عيسى عند الغلط استعظاما لقولهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي ان تشكوا في قدر
ته ان ينزل علينا مائدة من السماء والمائدة الخوان الذي عليه الطعام وهي فاعلة من
ماده يميده اذا اعطاه والمائدة كقولهم ماره يميره وامتار افتعل منه فالمائدة هي المعطية
المعطية للآكلين الطعام ويسمى الطعام ايضا مائدة على الجواز لانه يؤكل على المائدة وقال
اهل الكوفة سميت مائدة لانها تميد بالآكلين اي تميل وقال اهل البصرة فاعلة بمعنى المفعول
اي ميد بالآكلين اليها كقولهم عيشة راضية اي مرضية قال عيسى مجيبا لهم اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين فلا تشكوا في قدرته وقيل اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم تسأله الامم قبلكم
فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان قالوا نريد اي انما سألنا لانا نريد ان نأكل
منها اكل تبرك لا اكل حاجة فنستيقن قدرته وتطمئن وتسكن قلوبنا ونعلم ان
قد صدقتنا بانك رسول الله اي نزداد ايمانا ويقينا وقيل ان عيسى بن مريم امرهم ان يصو
موا ثلاثين يوما فاذا افطروا لا يسألون شيئا الا اعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا
ونعلم ان قد صدقتنا في قولك انا اذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله شيئا الا اعطانا ونكون
عليها من الشاهدين لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة وقيل ونكون
من الشاهدين لك عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم قال عيسى بن مريم عند ذلك اللهم
ربنا انزل علينا مائدة من السماء وقيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ
رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لاولنا وآخرنا اي عائدة من الله علينا حجة وبرهانا والعيد يوم السرور سمي به

للعود من الترح الى الفرح وهو اسم لما اعتدته ويعود اليك وسمي يوم الفطر والاضحى عيدا
لانهما يعودان في كل سنة قال السدي معناه نتخذ اليوم الذي انزلت فيه عيدا لاولنا وآخر
نا اي نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان نصلي فيه قوله لاولنا يعني لاهل زماننا وآخرنا اي لمن
يجيء بعدنا وقال ابن عباس يأكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وآية منك دلالة وحجة
وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله مجيبا لعيسى اني منزلها عليكم يعني المائدة وقرأ اهل
المدينة وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد لانها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير
مرة بعد اخرى وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله انزل علينا فمن يكفر بعد منكم اي بعد نزول المائدة
فاني اعذبه عذابا لا اعذبه اي جنس عذاب لا اعذبه احدا من العالمين يعني عالمي زمانه
فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير قال عبد الله بن عمرو ان اشد
الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء
في المائدة هل نزلت ام لا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فان الله تعالى لما وعد على كفرهم بعد نزول
المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله اني منزلها عليكم
يعني ان سألتم والصحيح والذي عليه الاكثرون انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا خلف في خبره
ولتواتر الاخبار فيه عن رسول الله صلعم والصحابة والتابعين واختلفوا في صفتها فروى خلاس بن عمرو
عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلعم انها نزلت خبزا ولحما وقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تخونوا و
تخبئوا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبئوا فمسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس ان عيسى قال لهم
صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد
فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة
احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب الاحبار نزلت
منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال سعيد بن جبير عن
ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية
العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليها خبز ارز وبقل وقال وهب
بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون
حتى اكلوا باجمعهم وفضل وعن الكلبي ومقاتل انزل الله خبزا وسمكا وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله
والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهدوا وقالوا ويحكم
بطبع

الله تعالى اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا
خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم
يشربوا وكذلك كل ممسوخ وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن
والسلوى لبني اسرائيل وقال عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي لما سال الحواريون
لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة الاية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظر
ون الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى ليقم احسنكم عملا فيكشف
عنها ويذكر اسم الله فقال شمعون الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى فتوضا
وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحو
لها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام
الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام
الاخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سالتم يمددكم من فضله فقالوا يا روح الله
كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن ياكل منها من سالها فخافوا
ان ياكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرضى واهل البرص والجذام والمقعدين فقال كلوا
من رزق الله ولكم المهنا ولغيركم البلاء فاكلوا وصدروا عنها الف وثلثماية رجل وامراة من
فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا
وهم ينظرون اليها حتى توارت فلم ياكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى ... عوفي ولا فقير الا
استغنى وندم من لم ياكل منها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمعت الاغنياء
والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة ... منها حتى اذا فاء الفيء
طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة
ثمود فاوحى الله الى عيسى اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء
حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله الى عيسى

الظنون

اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثماية وثلثون
رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكنا
سات ياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا فلما ابصرت
الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف بعيسى وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤوسهم
ويبكون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا • واذ قال الله يا عيسى بن
مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • اختلفوا في ان هذا القول
متى يكون فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى حين رفعه الله الى السماء لان حرف اذ يكون
للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيمة بدليل قوله من قبل يوم يجمع
الله الرسل وقال من بعد هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد بها يوم القيمة وقد يجيء
اذ بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا اي القيمة وان لم تكن بعد ولكنها كالكاينة لانها آتية
لا محالة قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قيل فما وجه هذا السوال
مع علم الله عز وجل ان عيسى لم يقله قيل هذا السوال منه لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة
كما يقول القايل لآخر فعلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم يفعله اعلاما واستعظاما لا استخبارا
واستفهاما وايضا اراد الله عز وجل ان يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم
عليه امرهم بذلك قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من
اصل كل شعرة من جسده عين من دم ثم قال مجيبا لله عز وجل • سبحانك • تنزيها وتعظيما
لك • ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك • قال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل تعلم سري ولا اعلم سرك وقال
ابو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في الاخرة قال الزجاج النفس عبا
رة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك • انك
انت علام الغيوب • ما كان وما يكون • ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله
ربي وربكم • وحدوه ولا تشركوا به شيئا • وكنت عليهم شهيدا ما دمت • اقمت فيهم فلما
توفيتني • قبضتني ورفعتني اليك • كنت انت الرقيب عليهم • الحفيظ عليهم تحفظ اعمالهم • وانت
على كل شيء شهيد • ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم •

فان قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار وكيف قال وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذا
لا يليق بسؤال المغفرة قيل اما الاول معناه ان تعذبهم باقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم بعد
الايمان وهذا يستقيم على قول السدي ان هذا السؤال قبل القيمة لان الايمان لا ينفع في القيمة وقيل
هذا في فريقين منهم معناه ان تعذب من كفر منهم وان تغفر لمن آمن منهم وقيل ليس هذا على
وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر وتفويضه
الى مراده اما السؤال الثاني فكان ابن مسعود يقرا وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم
وكذلك هو في مصحفه واما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتاخير تقديره ان تغفر لهم فانهم عبادك
وان تعذبهم فانك انت العزيز الحكيم وقيل معناه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز في الملك والحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء ولا يخرج من حكمك ويدخل
في حكمته وسعة رحمته مغفرة الكفار لكنه اخبر انه لا يغفر وهو لا يخلف خبره روي عن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلعم تلا قول الله تعالى في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبرئيل اذهب الى محمد وربك اعلم
فسله ما يبكيه فاتاه جبرئيل فسأله فاخبره رسول الله صلعم بما قال فقال الله يا جبرئيل اذهب
الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
قرا نافع يوم بنصب الميم يعني تكون هذه الاشياء في يوم فحذف في فانتصب وقرا الآخرون بالرفع
على خبر هذا اي ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ولو كذبوا ختم على افواههم ونطقت
جوارحهم فافتضحوا وقيل اراد بالصادقين النبيين وقال الكلبي ينفع المؤمنين ايمانهم وقال قتا
دة متكلمان يخطبان يوم القيمة عيسى وهو ما قص الله وعدو الله ابليس وهو قوله وقال
الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
واما عيسى كان صادقا في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه وقال عطاء هذا يوم من ايام الدنيا لان
الآخرة دار جزاء لا دار عمل ثم بين ثوابهم فقال لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ثم عظم نفسه فقال
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير **سورة الانعام**
مائة وستون وخمس آيات مكية نزلت بمكة جملة ليلا معها سبعون الف ملك قد سدوا

ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلعم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا وروي
مرفوعا من قرا سورة الانعام يصلي عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وقال الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا قوله وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلث
آيات وقوله تعالى قل تعالوا اتل الى قوله لعلكم تتقون فهذه الست آيات مدنيات بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية
اول آية في التورية وآخر آية قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وقال ابن عباس فتح الله
الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال وقضي بينهم اي
بين الخلائق وقيل الحمد لله رب العالمين قوله الحمد لله حمد الله نفسه تعليما لعباده اي احمدوا الله الذي
خلق السموات والارض خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع
للعباد وجعل الظلمات والنور وجعل بمعنى خلق قال الواقدي كل ما في القرآن من الظلمات
والنور هو الكفر والايمان الا في هذه الاية فانه يريد بهما الليل والنهار وقال الحسن وجعل
الظلمات والنور يعني الكفر والايمان وقيل اراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقال قتادة
يعني الجنة والنار وقيل معناه خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور لانه خلق
الظلمة والنور قبل خلق السموات والارض قال قتادة خلق السموات قبل الارض والظلمة
قبل النور والجنة قبل النار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلعم قال ان الله
خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه
ضل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون
اي يشركون واصله من مساواة الشيء بالشيء ومنه العدل اي يعدلون بالله غير الله يقال عدلت
هذا اذا ساويته به وقال النضر بن شميل الباء بمعنى عن اي عن ربهم يعدلون اي يميلون
وينحرفون من العدول قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله اي منها وقيل تحت قوله ثم
الذين كفروا معنى لطيف وهو مثل قول القائل انعمت عليكم بكذا وتفضلت بكذا ثم تكفرون
بنعمتي هو الذي خلقكم من طين يعني آدم خاطبهم به اذ كانوا من ولده قال السدي بعث
الله عز وجل جبرئيل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك
ان تنقص مني فرجع ولم ياخذ قال يا رب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع
فبعث ملك الموت فاستعاذت منه بالله فقال انا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه

الارض فخلط الحمراء والسوداء والبياض فلذلك اختلفت الوان بني آدم ثم عجنها بالماء
العذب والملح والمر لذا اختلفت اخلاقهم فقال الله لملك الموت ارحم جبرا اهل الارض والهكا
ثبلوهم ثم خمها لا جرم اجعل الارواح من الخلق من هذا الطين بيدك وروى عن ابي هريرة خلق
الله آدم من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حما مسنونا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان
صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده قال الحسن وقتادة
والضحاك الاجل الاول من الولادة الى الموت والاجل الثاني من الموت الى البعث وهو البرزخ
ويروى ذلك عن ابن عباس وقال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث
فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول
اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الآخرة وقال عطية عن ابن عباس ثم قضى اجلا يعني النوم تقبض
فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد معناه ثم قضى اجلا
يعني جعل لاعماركم مدة تنتهون اليها واجل مسمى عنده يعني وهو اجل مسمى عنده لا يعلمه غيره
ثم انتم تمترون تشكون في البعث وهو الله في السموات وفي الارض يعني وهو اله السموات
والارض كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقيل هو المعبود في السموات
والارض وقال محمد بن جرير معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الار
ض وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والارض
ويعلم ما تكسبون تعملون من الخير والشر وما تاتيهم يعني اهل مكة من آية من آيات
ربهم مثل انشقاق القمر وغيره وقال عطاء يريد من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين
لها تاركين وبها مكذبين فقد كذبوا بالحق بالقرآن وقيل بمحمد صلعم لما جاءهم فسوف
ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اخبار استهزائهم وجزاؤه اي سيعلمون عاقبة
استهزائهم اذا عذبوا الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني الامم الماضية والقرن
الجماعة من الناس وجمعه قرون وقيل القرن مدة من الزمان يقال ثمانون سنة ويقال ستون
سنة ويقال اربعون سنة ويقال ثلثون سنة ويقال مائة سنة لما روي ان النبي صلعم قال لعبد
الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فيكون معناه على هذه الاقاويل من اهل
قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي اعطيناهم ما لم نعطكم قال ابن عباس امهلناهم

في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود يقال مكنته ومكنت له وارسلنا السماء عليهم مدرارا
يعني المطر مفعال من الدر قال ابن عباس مدرارا اي متتابعا في اوقات الحاجات وقوله
ما لم نمكن لكم من خطاب التلوين رجع من الخبر من قوله الم يروا الى الخطاب كقوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وقال اهل البصرة اخبر عنهم بقوله الم يروا وفيهم محمد صلعم واصحابه
ثم خاطبهم معهم والعرب تقول قلت لعبد الله ما اكرمه وقلت لعبد الله ما اكرمك وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا خلقنا وابتدانا من بعدهم
قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن
الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب
من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل
الله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا من عندي فلمسوه بايديهم اي عاينوه
ومسوه بايديهم وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لان اللمس ابلغ في ايقاع العلم من الرؤية
فان السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
معناه انه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي وقالوا لولا انزل عليه على محمد ملك ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر اي لوجب العذاب وفرغ من الامر وهذا سنة الله في الكفار انهم متى
اقترحوا آية فانزلت ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب ثم لا ينظرون اي لا يؤجلون ولا
يمهلون وقال قتادة لو انزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين
وقال مجاهد لقضي الامر اي لقامت القيامة وقال الضحاك لو اتاهم ملك في صورته لماتوا
ولو جعلناه ملكا يعني لو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا يعني في صورة رجل آدمي لانهم
لا يستطيعون النظر الى الملائكة وكان جبرائيل ياتي النبي صلعم في صورة دحية الكلبي وجاء ملكان
الى داود في صورة رجلين وللبسنا عليهم ما يلبسون اي خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا
عليهم فلا يدرون املك هو ام آدمي وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم وعن ابن
عباس قال هم اهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلم عن مواضعه فلبس الله عليهم ما
لبسوا على انفسهم وقرا الزهري ولبسنا بالتشديد على التكرير والتاكيد ولقد استهزئ
برسل من قبلك كما استهزئ بك يا محمد يعزي نبيه صلعم فحاق قال الربيع بن انس فنزل
وقال عطاء حل وقال الضحاك احاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اي جزاء استهزائهم

من العذاب والتوبيخ قل يا محمد لهولاء المكذبين المستهزئين سيروا في الارض معتبرين
يحتمل هذا السير السير بالعقول والفكرة ويحتمل السير بالاقدام ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين الى آخر امرهم وكيف اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك يحذر كفار مكة عذاب
الامم الخالية قل لمن ما في السموات والارض فان اجابوك والا قل انت لله امره
بالجواب عقيب السوال ليكون ابلغ في التاثير وآكد في الحجة كتب اي قضى على نفسه الرحمة هذا
استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل العقوبة
ويقبل الانابة والتوبة روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لما قضى الله الخلق كتب
كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وروى ابو الزناد عن الاعرج عن ابي
هريرة ان رحمتي سبقت غضبي عنه قال قال رسول الله صلعم ان لله مائة رحمة واحدة بين
الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يتعاطف الوحوش
على اولادها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة روي عن عمر بن الخطاب
قدم على النبي صلعم سبي فاذا امراة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا في السبي
اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبي صلعم اترون هذه طارحة ولدها في النار
قلنا لا وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال الله ارحم بعباده من هذه بولدها ليجمعنكم
اللام فيه لام القسم والنون نون التاكيد مجازه والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي في يوم
القيمة وقيل معناه ليجمعنكم في قبوركم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم
فهم لا يومنون وله ما سكن في الليل والنهار اي استقر قيل اراد ما سكن وما
تحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه
اكثر قال محمد بن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني الليل والنهار والمراد
منه جميع ما في الارض وقيل معناه له ما يمر عليه الليل والنهار وهو السميع لاصواتهم العليم
باسرارهم قل اغير الله اتخذ وليا وهذا حين دعي الى دين ابائه فقال تعالى قل يا محمد اغير
الله اتخذ وليا ربا ومعبودا وناصرا ومعينا فاطر السموات والارض اي خالقها ومبدعها
ومبتدئها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كما قال ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون قل اني امرت ان اكون اول من اسلم يعني من هذه الامة والاسلام
بمعنى الاستسلام لامر الله وقيل اسلم اخلص ولا تكونن يعني وقيل لي ولا تكونن من المشركين

قل اني اخاف ان عصيت ربي فعبدت غيره عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم
القيمة من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه يعني يصرف العذاب عنه قرا حمزة والكسائي وابو
بكر عن عاصم ويعقوب بفتح اليا وكسر الرا من يصرف الله عنه العذاب لقوله فقد رحمه وقرا
الآخرون بضم اليا وفتح الرا يومئذ يعني يوم القيمة وذلك الفوز المبين اي النجاة البينة
وان يمسسك الله بضر بشدة وبلية فلا كاشف له الا هو وان يمسسك
بخير عافية ونعمة فهو على كل شيء قدير من الخير والضر روي عن ابن عباس قال اهدي للنبي صلعم
بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت
الي فقال يا غلام قلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن
بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو جهد الخلايق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا
عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل
بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر
مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده القا
هر الغالب وفي القهر زيادة معنى على القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد وقيل المنفرد بالتدبير
الذي يجبر الخلق على مراده فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد الله وهو
الحكيم في امره الخبير باعمال عباده قل اي شيء اكبر شهادة قال الكلبي اتى اهل مكة
رسول الله صلعم فقالوا ارنا من يشهد بانك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سألنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل اي شيء اكبر
اعظم شهادة فان اجابوك والا قل الله هو شهيد بيني وبينكم على ما اقول اي يشهد لي
بالحق وعليكم بالباطل واوحي الي هذا القرآن لانذركم به لاخوفكم به يا اهل مكة
ومن بلغ يعني ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الامم الى يوم القيمة روي عن عبد الله
بن عمرو قال قال رسول الله صلعم بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن
كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
عن ابيه ان رسول الله صلعم قال نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها واداها فرب
حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص

العمل لله والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم قال مقاتل من
بلغه القرآن من الجن والانس فهو نذير له وقال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما
رأى محمدا صلعم وسمع منه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى ولم يقل اخر لان
الجمع يلحقه التانيث كقوله ولله الاسماء الحسنى وقال فما بال القرون الاولى قل يا محمد ان
شهدتم انتم لا اشهد انا ان معه الها قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون
الذين آتيناهم الكتاب يعني التوراة والانجيل يعرفونه يعني محمدا بنعته وصفته
كما يعرفون ابناءهم من بين الصبيان الذين خسروا انفسهم غبنوا انفسهم
فهم لا يؤمنون وذلك ان الله تعالى جعل لكل آدمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا
كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار في الجنة ولاهل النار منازل
اهل الجنة في النار وذلك الخسران ومن اظلم اكفر ممن افترى اختلق على الله كذبا فاشرك
به غيره او كذب باياته يعني بالقرآن انه لا يفلح الظالمون الكافرون ويوم نحشرهم جميعا
اي العابدين والمعبودين يعني يوم القيامة وقرأ يعقوب يحشرهم ههنا وفي سبأ بالياء
ووافق حفص في سبأ وقرأ الآخرون بالنون ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين
كنتم تزعمون انها تشفع لكم عند ربكم ثم لم تكن فتنتهم قرأ حمزة والكسائي ويعقوب يكن بالياء
لان الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره وقرأ الآخرون بالتاء لتانيث الفتنة وقرأ ابن
كثير وابن عامر وحفص عن عاصم فتنتهم بالرفع جعلوه اسم كان وقرأ الآخرون بالنصب
فجعلوا الاسم قوله ان قالوا وفتنتهم الخبر ومعنى قوله فتنتهم اي قولهم وجوابهم وقال ابن
عباس وقتادة معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما في قلو
بهم قيل فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذكر مثل الرجل يفتتن بمحبوب
ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة
الاصنام ولما رأوا العذاب تبرؤوا منها يقول الله ثم لم تكن فتنتهم في محبتهم للاصنام الا
ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء المضاف
وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله وقيل انهم اذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله وتجاوزه
عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فقال تعالى

انظر كيف كذبوا على انفسهم باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك وضل عنهم زال
وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الاصنام وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها
فبطل كله في ذلك اليوم ومنهم من يستمع اليك قال الكلبي اجتمع ابو سفيان بن حرب وابو جهل بن
هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا
خلف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما
يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية
وكان النضر كثير الحديث عن القرون واخبارها فقال ابو سفيان اني ارى بعض ما يقول حقا
فقال ابو جهل كلا لا نقر بشيء من هذا وفي رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله عز وجل
ومنهم من يستمع اليك الى كلامك وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان كالاعنة جمع عنان
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها
للهدى ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن وان يروا كل آية من المعجزات
والدلالات لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا
الا اساطير الاولين يعني احاديثهم واقاصيصهم والاساطير جمع اسطورة
واسطارة وقيل هي الترهات والاباطيل واصلها من سطرت اي كتبت وهم ينهون
عنه اي ينهون الناس عن اتباع محمد صلعم وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم
نزلت في كفار مكة قاله محمد بن الحنفية والسدي والضحاك وقال قتادة ينهون عن
القرآن وعن النبي صلعم ويتباعدون عنه وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في ابي طالب كان
ينهى الناس عن اذى النبي صلعم ويمنعهم وينأى عن الايمان به اي يبعد حتى روي انه اجتمع
اليه رؤوس المشركين وقالوا خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب
ما انصفتموني ادفع اليكم ولدي لتقتلوه واربي ولدكم وروي ان النبي صلعم دعاه الى الا
يمان فقال لولا ان تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال فيه
ابياتا والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك
غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا ودعوتني وعرفت انك ناصحي ولقد صدقت
وكنت ثم امينا وعرضت دينا قد علمت بانه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة
او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وان يهلكون وما يهلكون الا انفسهم اي لا

وبال فعلهم الا اليهم واوزار الذين يصدونهم عليهم. وما يشعرون. ولو ترى اذ وقفوا على
النار يعني في النار كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل عرضوا على النار وجواب لو
محذوف معناه لو تراهم في تلك الحالة لرايت عجبا. فقالوا يا ليتنا نرد يعني الى الدنيا ولا نكذ
ب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. قراءة العامة كلها بالرفع على معنى يا ليتنا نرد ونحن
لا نكذب ونكون من المؤمنين وقرا حمزة وحفص ويعقوب ولا نكذب ونكون
بنصب الباء والنون على جواب التمني اي ليت ردنا وقع وان لا نكذب ونكون والعرب
تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء وقرا ابن عامر نكذب بالرفع ونكون بالنصب
لانهم تمنوا ان يكونوا من المؤمنين واخبروا عن انفسهم انهم لا يكذبون بآيات ربهم ان
ردوا الى الدنيا. بل بدا لهم قوله بل تحته ردة لقولهم اي ليس على ما قالوا انهم لو ردوا
لآمنوا بل بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبل اي يسرون في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم
وقيل ما كانوا يخفون وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموا حتى شهدت
عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا لانهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا الا ان تجعل الاية
في المنافقين وقال المبرد بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون كفرهم وقال النضر بن شميل بل بدا
عنهم ثم قال ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وانهم لكاذبون
في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين. وقالوا ان هي الا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين. هذا اخبار عن انكارهم البعث وقال عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم هذا من قولهم لو ردوا لقالوه. ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي على حكمه
وقضائه ومسئلته وقيل عرضوا على ربهم قال لهم وقيل وقالت لهم الخزنة بامر الله اليس
هذا بالحق يعني اليس هذا البعث والعذاب بالحق قالوا بلى وربنا انه حق قال ابن
عباس هذا في موقف وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر وللقيمة مواقف
ففي موقف يقرون وفي موقف ينكرون. قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله اي خسروا انفسهم بتكذيبهم المصير الى الله وبالبعث بعد الموت
حتى اذا جاءتهم الساعة اي القيمة بغتة اي فجاة قالوا يا حسرتنا ندامتنا ذكر
على وجه النداء للمبالغة قال سيبويه كانه يقول ايتها الحسرة هذا اوانك. على ما فرطنا اي
قصرنا فيها اي في الطاعة وقيل تركنا في الدنيا من عمل الآخرة وقال محمد بن جرير الهاء راجعة

الى الصفقة وذلك انه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي في الصفقة فترك ذكر الصفقة اكتفاء بقوله قد خسر لان
الخسران انما يكون في صفقة بيع والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي
تقوم به دابته في السفر البعيد. وهم يحملون اوزارهم اثقالهم وآثامهم على ظهورهم
وقال السدي وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك
في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح
شيء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني
في الدنيا فانا اليوم اركبك فهو معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء
ما يزرون يحملون قال ابن عباس بئس الحمل حملوا. وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو باطل
وغرور لا بقاء لها. وللدار الآخرة قرا ابن عامر ولدار الآخرة مضافا اضاف الدار
الى الآخرة ويضاف الشيء الى نفسه عند اختلاف اللفظين كقوله وحب الحصيد وقولهم ربيع الاول
ومسجد الجامع سميت الدنيا لدنوها وقيل لدناءتها وسميت الآخرة لانها بعد الدنيا. خير للذين
يتقون الشرك. افلا يعقلون ان الآخرة افضل من الدنيا قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب
افلا تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف وفي سورة يوسف ويس ووافق ابو بكر في يوسف ووافق
في يس وقرا الآخرون بالياء فيهن. قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون قال السدي التقى
الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن
كعب قال ابو جهل للنبي صلعم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزل الله قد
نعلم انه ليحزنك الذي يقولون بانك كاذب فانهم لا يكذبونك قرا نافع والكسائي بالتخفيف
وقرا الآخرون بالتشديد من التكذيب فالتكذيب هو ان تنسبه الى الكذب وتقول له كذبت
والاكذاب هو ان تجده كاذبا تقول العرب اجدبت الارض واخصبتها اذا وجدتها جدبة
ومخصبة. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يقول انهم لا يكذبونك في السر لانهم عرفوا

مثلا فكل فيما مضى وانما يكذبونك وحيى ويجحدون آياتي كما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ولقد كذبت رسل من قبلك كذبهم قومهم كما كذبتك قريش فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا بتعذيب من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله لا ناقض لما حكم به وقد حكم
في كتابه بنصر انبيائه عليهم فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقال انا لننصر رسلنا وقال كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال
الحسين بن الفضل لا خلف لعدته ولقد جاءك من نبإ المرسلين ومن صلة كما تقول اصابنا
من مطر وان كان كبر عليك اعراضهم اي عظم عليك وشق ان اعرضوا عن الايمان بك
وكان رسول الله صلعم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكانوا اذا سألوا آية احب ان يريهم
الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان استطعت ان تبتغي ان تطلب وتتخذ نفقا
سربا في الارض ومنه نافقاء اليربوع وهو احد جحريه فتذهب فيه او سلما اي درجا و
مصعدا في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية فافعل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فآ
منوا كلهم فلا تكونن من الجاهلين اي بهذا الحرف وهو قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
وان من يكفر يكفر لسابق علم الله فيه انما يستجيب الذين يسمعون يعني المؤمنين الذين
يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمعه والموتى يعني الكفار
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا يعني رؤساء قريش لولا هلا نزل
عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ما عليهم في
انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناح تاكيدا كما
يقال نظرت بعيني واخذت بيدي الا امم امثالكم قال مجاهد اصناف مصنفة تعرف باسمائها
يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها
مثل بني آدم يعرفون باسمائهم يقال الانس والناس روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي
صلعم قال لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم وقيل امم امثالكم يفقه
بعضهم عن بعض وقيل امم امثالكم في الخلق والموت والبعث وقال ابن قتيبة امم امثالكم في الغذاء
وابتغاء الرزق وتوقي المهالك وقال عطاء امثالكم في التوحيد والمعرفة ما فرطنا في الكتاب اي في
اللوح المحفوظ من شيء ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال
ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيأخذ للجماء من

القرناء ثم يقول كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا وروي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلعم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من
القرناء والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به في الظلمات في ضلا
لات الكفر من يشإ الله يضلله فيموت على الكفر ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وهو الاسلام
قل ارأيتكم هل رأيتم والكاف فيه للتاكيد قال الفراء العرب تقول ارأيتك وهم يريدون
اخبرنا كما تقول ارأيتك ان فعلت كذا ماذا تفعل اي اخبرني وقرأ اهل المدينة ارأيتكم وارأيتم
وارأيت بتليين الهمزة الثانية والكسائي يحذفها قال ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء المشركين
ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله قبل الموت او اتتكم الساعة يعني القيامة اغير الله تدعون في
صرف العذاب عنكم ان كنتم صادقين واراد ان الكفار يدعون الله في احوال الاضطرار كما
اخبر الله عنهم واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ثم قال بل اياه تدعون
اي تدعون الله ولا تدعون غيره فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
قيد الاجابة بالمشيئة وتنسون تتركون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
فكفروا فاخذناهم بالبأساء بالشدة والجوع والضراء المرض والزمانة لعلهم يتضر
عون اي يتوبون ويخضعون والتضرع السؤال بالتذلل فلولا فهلا اذ جاءهم بأسنا
عذابنا تضرعوا فآمنوا فكشف عنهم اخبر الله تعالى انه قد ارسل الى قوم قد بلغوا من
القسوة الى انهم اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فذلك قوله
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلما
نسوا تركوا ما ذكروا به وعظوا وامروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء قرأ ابو جعفر
فتحنا بالتشديد في كل القرآن وقرأ ابن عامر كذلك اذا كان عقيبه جمع والباقون بالتخفيف
وهذا فتح استدراج ومكر اي بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة حتى اذا فرحوا
بما اوتوا وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما اصاب من الدنيا اخذناهم بغتة فجأة
آمن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير قال
ابو عبيدة المبلس النادم الحزين واصل الابلاس الاطراق من الحزن والندم روي
عقبة بن عامر ان رسول الله صلعم قال اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته
فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي

اذا للمفاجاة وهي ظرف مكان ... مبلسون

الى آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم
ومعناه انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين حمد الله
نفسه على ان قطع دابرهم لانه نعمة على الرسل فذكر الحمد تعليما لهم ولمن آمن بهم ان يحمدوا
الله على كفايته شر الظالمين وليحمد محمد واصحابه ربهم اذا اهلك المكذبين قل ارأيتم ايها
المشركون ان اخذ الله سمعكم حتى لا تسمعوا شيئا اصلا وابصاركم حتى لا تبصروا شيئا وختم
على قلوبكم حتى لا تفقهوا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا من اله غير الله يأتيكم به
ولم يقل بها مع انه ذكر اشياء قيل معناه يأتيكم بما اخذ منكم وقيل الكناية ترجع الى السمع الذي
ذكر اولا ويندرج غيره تحته كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه فالهاء راجعة الى الله ورضا
الرسول يندرج في رضا الله انظر كيف نصرف الآيات اي نبين لهم العلامات الدالة
على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعرضون عنها مكذبين قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة فجأة او جهرة معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا هل
يهلك الا القوم الظالمون المشركون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزنوا والذين
كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يكفرون قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله نزل حين اقترحوا الآيات فامره الله ان يقول لهم لا اقول لكم عندي
خزائن الله خزائن رزقه فاعطيكم ما تريدون ولا اعلم الغيب فاخبركم بما غاب وما
مضى وما سيكون ولا اقول لكم اني ملك قال ذلك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي
ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي اي لا اقول لكم شيئا من ذلك فتنكرون قولي وتجحدون
امري ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما آتيكم به فمن وحي الله وذلك غير مستحيل في العقل مع
قيام الدليل والحجج البالغة قل هل يستوي الاعمى والبصير قال قتادة الكافر والمؤمن
وقال مجاهد الضال والمهتدي وقيل الجاهل والعالم افلا تتفكرون انهما لا يستويان وانذر
به خوف به اي بالقرآن الذين يخافون ان يحشروا يجمعوا ويبعثوا الى ربهم وقيل
يخافون اي يعلمون لان خوفهم انما كان من علمهم ليس لهم من دونه من دون الله ولي
قريب ينفعهم ولا شفيع يشفع لهم لعلهم يتقون فينتهون عما نهيتهم عنه وانما نفى الشفاعة
لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون لانهم لا يشفعون الا باذنه ولا تطرد الذين يد

عون ربهم بالغداة والعشي قرأ ابن عامر بالغدوة بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها
هاهنا وفي سورة الكهف وقرأ الآخرون بفتح الغين والدال والف بعدها قال سلمان وخباب
بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري
وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلعم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس
من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر
المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها لجا
لسناك واخذنا عنك فقال النبي صلعم لهم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا
منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا العرب مع هؤلاء
الاعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا
اكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية
اذ نزل جبريل عم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى
قوله بالشاكرين فالقى رسول الله صلعم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فكان رسول الله صلعم يقعد معنا
بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه
حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات وقال الكلبي قالوا له اجعل لنا يوما ولهم يوما فقال لا افعل قالوا فاجعل
المجلس واحدا فاقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الآية قال مجاهد قالت قريش
لولا بلال وابن ام عبد لبايعنا محمدا فانزل الله هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة
العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وذلك ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي
صلعم فقال ناس من اهل الاشراف اذا صلينا فاخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت الآية
وقال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال
لي سعيد ما اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتأولون قوله يدعون ربهم
بالغداة والعشي قال او في هذا هو انما ذلك في الصلوة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابراهيم النخعي

اى الاسراع

يعني يذكرونه ربهم وقيل المراد منه حقيقة الدعاء يريدون وجهه اي يريدون الله بطاعتهم
وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء اي لا تكلف امرهم ولا يتكلفون امرك وقيل ما رزقهم عليك فتملهم فتطردهم ولا رزقك
عليهم قوله عز وجل فتطردهم جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شيء فقوله فتكون من
الظالمين جواب لقوله ولا تطرد احدهما جواب النفي والآخر جواب النهي وكذلك فتنا اي ابتلينا
بعضهم ببعض اراد ابتلاء الغني بالفقير والشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا نظر الى الوضيع
قد سبقه بالايمان امتنع من الاسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فقال تعالى أليس الله باعلم بالشاكرين فهو جواب لقوله اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فهو استفهام بمعنى التقرير اي الله اعلم بمن شكر الاسلام اذا هداه الله روي عن ابي
سعيد الخدري قال جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين ان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ
يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلعم فقام علينا فلما قام رسول الله صلعم سكت القارئ فسلم
رسول الله صلعم فقال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب
الله فقال رسول الله صلعم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرني ان اصبر نفسي معهم قال ثم جلس
وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت
رسول الله صلعم عرف منهم احدا غيري فقال رسول الله صلعم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين
بالفوز التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة
سنة قوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة نزلت
في الذين نهى الله عز وجل نبيه صلعم عن طردهم وكان النبي صلعم اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء
نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وابي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان
بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد كتب ربكم على
نفسه الرحمة اي قضى على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال مجاهد لا يعلم
حلالا من حرام فمن جهالته ركب الامر وقيل جاهل بما يورثه ذلك الذنب وقيل جهالته
من حيث انه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير ثم تاب من بعده
رجع عن ذنبه واصلح عمله وقيل واخلص توبته فانه غفور رحيم قرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب انه من عمل منكم فانه غفور رحيم بفتح الالف فيهما بدلا من الرحمة اي كتب على نفسه

انه من عمل منكم ثم جعل الثانية بدلا عن الاولى كقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون وفتح اهل المدينة الاولى وكسروا الثانية على الاستئناف
وكسرهما الآخرون على الاستئناف وكذلك نفصل الآيات اي وهكذا وقيل معناه
وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا واعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات
اي نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين سبيل المجرمين
اي طريق المجرمين وقرأ اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل نصب على خطاب النبي صلعم
ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين يقال استبنت الشيء وتبينته اذا عرفته وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ الآخرون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع
اي ليظهر ويتضح والسبيل يذكر ويؤنث فدليل التذكير قوله عز وجل وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا الآية ودليل التأنيث قوله عز وجل لم تصدون عن سبيل الله من آمن
به وتبغونها عوجا قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع
اهواءكم في عبادة الاوثان وطرد الفقراء قد ضللت اذا وما انا من المهتدين يعني
ان فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى قل اني على بينة اي على
بيان وبصيرة وبرهان من ربي وكذبتم به اي بما جئت به ما عندي ما تستعجلون
به قيل اراد استعجالهم العذاب كانوا يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة الآية وقيل اراد القيامة قال الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ان
الحكم الا لله يقص الحق قرأ اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بضم القاف والصاد
مشددا اي يقول الحق لانه في جميع المصاحف بغير ياء ولانه قال الحق ولم يقل بالحق وقرأ
الآخرون يقضي بسكون القاف والضاد مكسورة من قضيت اي يحكم بالحق بدليل انه قال
وهو خير الفاصلين والفصل يكون في القضاء وانما حذفوا الياء لاستقبال الالف واللام
كقوله صال الجحيم ونحوها ولم يقل بالحق لان الحق صفة مصدر كانه قال يقضي القضاء الحق
قل لو ان عندي وبيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم اي لفرغ
من العذاب واهلكتم اي لعجلته حتى اتخلص منكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح واختلفوا في مفاتح الغيب
روى عن عبد الله بن دينار انه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلعم مفاتح الغيب خمس

هذا لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام احد الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم
متى يأتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس بأي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة
احد الا الله وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء
ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل انقضاء الآجال وقيل احوال العباد من
السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو ما لم يكن بعد انه يكون ام لا يكون وما
يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم علم كل
شيء الا مفاتح الغيب ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى
والامصار لا يحدث فيها الا يعلمها وقيل هو البر والبحر المعروف وما تسقط من ورقة
الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة يعني يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه
وقيل يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان سقطت على الارض ولا حبة في ظلمات الارض
قيل هو الحب المعروف في بطون الارض وقيل تحت الصخرة في اسفل الارضين ولا رطب
ولا يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا
ينبت وقيل ولا حي ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شيء الا في كتاب مبين يعني ان الكل
مكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل
ويعلم ما جرحتم كسبتم بالنهار ثم يبعثكم اي يوقظكم فيه اي في النهار ليقضى اجل مسمى
يعني اجل الحيوة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثم اليه مرجعكم في الآخرة ثم ينبئكم
يخبركم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة يعني الملائكة
الذين يحفظون اعمال بني آدم وهو جمع حافظ نظيره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته قرأ حمزة توفيه واستهويه بالياء وامالها
رسلنا اي اعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال
قل يتوفاكم ملك الموت وقيل الاعوان يتوفونه بامر ملك الموت فكان ملك الموت توفاه
لانهم يصدرون عن امره وقيل اراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء
في الاخبار ان الله جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من هاهنا ومن
هاهنا فاذا كثرت الارواح يدعو الارواح فتجيب له وهم لا يفرطون اي لا يقصرون ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق يعني الملائكة وقيل يعني العباد يردون بالموت الى الله مولاهم الحق

فان قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعا وقد قال في آية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فكيف
وجه الجمع قيل المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى هاهنا بمعنى المالك الذي يتولى
امورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولي الامور وقيل اراد هاهنا المؤمنين خاصة يردون
الى مولاهم والكفار فيه تبع الا له الحكم اي القضاء دون خلقه وهو اسرع الحاسبين اي
اذا حاسب فحسابه سريع لانه لا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد قل من ينجيكم قرأ
يعقوب بالتخفيف وقرأ العامة بالتشديد من ظلمات البر والبحر اي من شدائدهما واهوالهما
كانوا اذا سافروا في البر والبحر وضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فينجيهم
فذلك قوله تدعونه تضرعا وخفية اي علانية وسرا قرأ ابو بكر عن عاصم وخفية بكسر
الخاء هاهنا وفي الاعراف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان لئن انجيتنا اي يقولون لئن انجيتنا
وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا اي لئن انجانا الله من هذه يعني من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين
والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها قل الله ينجيكم منها قرأ اهل الكوفة وابو جعفر
ينجيكم بالتشديد مثل قوله من ينجيكم وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف ومن كل كرب والكرب
غاية الغم الذي يأخذ بالنفس ثم انتم تشركون يريد انهم يقرون ان الذي يدعونه عند الشدة
هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الاصنام التي قد علموا انها لا تضر ولا تنفع قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال الحسن وقتادة نزلت الآية في اهل الايمان وقال
قوم نزلت في المشركين قوله عز وجل عذابا من فوقهم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان
كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم نوح او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما
فعل بقوم شعيب وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة او من
تحت ارجلكم العبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم من قبل كباركم او من تحت ارجلكم اي من
اسفل منكم او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا ويبث فيكم الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم
بأس بعض يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضا روي عن جابر قال لما نزلت هذه الآية
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلعم اعوذ بوجهك قال او من
تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلعم
هذا اهون او هذا ايسر روي عن ابي وقاص عن ابيه قال اقبلنا مع رسول الله صلعم حتى مررنا
على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلا ثم قال سألت ربي

ثلثا سأله ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وساله ان لا يهلك امتي بالسنين فاعطانيها وساله ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها روى عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري ان عبد الله بن عمر جاءهم قال ان النبي صلعم دعا في مسجد فسال الله ثلثا فاعطاه اثنين ومنعه واحدة سأله ان لا يسلط على امته عدوا من غيرهم يظهر عليهم فاعطاه ذلك وساله ان لا يهلكهم بالسنين فاعطاه ذلك وساله ان لا يجعل بأس بعضهم على بعض فمنعه ذلك انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالقرآن وقيل بالعذاب وهو الحق قل لست عليكم بوكيل برقيب وقيل بمسلط الزمكم الاسلام شئتم او ابيتم انما انا رسول لكل نبإ خبر من اخبار القرآن مستقر حقيقة ومنتهى ينتهي اليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله اما في الدنيا واما في الآخرة وسوف تعلمون وقال مقاتل لكل خبر يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير وقال الكلبي لكل قول وفعل حقيقة اما في الدنيا واما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا يعني في القرآن بالاستهزاء فاعرض عنهم فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين الشيطان نهينا فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين يعني اذا جلست معهم ناسيا فقم من عندهم بعد ما تذكرت وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء روي عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الآية وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون فانا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله عز وجل وما على الذين يتقون الخوض من حسابهم اي آثام الخائضين من شيء ولكن ذكرى ذكروهم وعظوهم بالقرآن والذكر والذكرى واحد يريد ذكروهم ذكرى فيكون في محل النصب لعلهم يتقون الخوض اذا وعظتهم فرخص في مجالستهم على الوعظ لعله يمنعهم ذلك من الخوض وقيل لعلهم يستحيون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني الكفار الذين اذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا عند ذكرها وقيل ان الله تعالى جعل لكل قوم عيدا واتخذ كل قوم دينهم اي عيدهم لعبا ولهوا وعيد المسلمين الصلوة والتكبير وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به

اي وعظ بالقرآن ان تبسل نفس اي لان لا تبسل اي لا تسلم نفس للهلاك بما كسبت قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن عباس تهلك وقال قتادة ان تحبس وقال الضحاك تحرق وقال ابن زيد تؤخذ ومعناه ذكرهم ليؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت وقال الاخفش تبسل تجازى وقيل تفضح وقال الفراء ترتهن واصل الابسال التحريم والبسل الحرام ثم جعل نعتا لكل شدة يتقى وتترك ليس لها من دون الله ولي قريب ولا شفيع يشفع لها في الآخرة وان تعدل كل عدل اي تفد كل فداء لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا اسلموا للهلاك بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا ان تركناه يعني الاصنام ليس اليها نفع ولا ضر ونرد على اعقابنا الى الشرك مرتدين بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين اي يكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين اي اضلته في الارض حيران قال ابن عباس كالذي استغوته الغيلان في المهامه فاضلوه فهو حائر بائر والحيران المتردد في الامر لا يهتدي الى مخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن يدعو الى الآلهة ولمن يدعو الى الله عز وجل كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه اصحابه من اهل الرفقة هلم الى الطريق ويدعوه الغول فيبقى حيران لا يدري اين يذهب فان اجاب الغول انطلق حتى تلقيه الى الهلكة وان اجاب من يدعوه الى الطريق اهتدى قل ان هدى الله هو الهدى يزجر عن عبادة الاصنام كانه يقول لا تفعل ذلك فان الهدى هدى الله لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي ان نسلم لرب العالمين والعرب تقول امرتك لتفعل وان تفعل وبان تفعل وان اقيموا الصلوة واتقوه اي وامرنا باقامة الصلوة والتقوى وهو الذي اليه تحشرون اي تجمعون في الموقف وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قيل الباء بمعنى اللام اي اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته ويوم يقول كن فيكون قيل هو راجع الى خلق السموات والارض والخلق بمعنى القضاء والتقدير اي كل شيء قضاه وقدره قال له كن فيكون وقيل يرجع الى القيمة يدل على سرعة امر البعث والساعة كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتوا وقوموا فيقومون قوله الحق اي الصدق الواقع لا محالة يريد ان ما وعده حق كائن وله الملك يوم ينفخ في الصور يعني ملك الملوك يومئذ زائل كقوله مالك يوم الدين

وكما قال والامر يومئذ لله والامر لله في كل وقت ولكن الامر في ذلك اليوم لا يدعيه احد واللوز في
قرن ينفخ فيه قال مجاهد كهيئة البوق وقيل بلغة اهل اليمن وقال ابو عبيدة الصور هو الصور
وهو جمع الصورة وهو قول الحسن والاول اصح والدليل عليه ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال جاء اعرابي الى النبي صلعم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروي عن ابي سعيد الخدري
ان النبي صلعم قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر
فقالوا يا رسول الله وما تامرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابو العلاء عن عطية
متى يؤمر بالنفخ فينفخ عالم الغيب والشهادة يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه
لا يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر قرا يعقوب آزر بالرفع
يعني يا آزر والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم اعجمي لا ينصرف فينتصب في موضع الخفض قال
محمد بن اسحق والضحاك والكلبي آزر اسم اب ابراهيم وهو تارخ ايضا مثل اسرائيل ويعقوب
وكان من كوثا قرية من سواد الكوفة وقال مقاتل بن حيان وغيره آزر لقب لاب
ابراهيم واسمه تارخ وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج
وقيل معناه الشيخ الهم بالفارسية وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم فعلى هذا
يكون في محل النصب تقديره اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما آلهة دون الله اني اراك
وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض اي كما اريناه البصيرة
في دينه والحق في خلاف قومه كذلك نريه ملكوت السموات والارض والملكوت الملك
زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت قال ابن عباس يعني خلق
السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك
انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين ونظر الى
مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وروي عن سلمان
ورفعه بعضهم على علي انه لما اري ابرهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد ان يدعو عليه فقال له الرب
يا ابرهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانما انا من عبدي على ثلث خلال
اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة يعبدني واما ان يبعث الي فان
شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وفي رواية واما ان يتولى فان جهنم من ورائه فقال

قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار
وليكون من الموقنين عطف على المعنى ومعناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل به و
ليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال اهل التفسير ولد ابرهيم في زمن
نمرود بن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض
ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي
راى نمرود في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من
ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسالهم فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه
السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد
في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا حاضت المراة
خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت حال بينهما فرجع
آزر فوجد امراته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابرهيم وقال محمد بن اسحق
بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من ام ابرهيم فانه لم يعلم
بحبلها لانها كانت جارية حدثة لم يعرف الحبل ببطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال
العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث بذلك ما شاء الله
ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه ودعاه
وقال له ان لي حاجة احببت ان اوصيك بها ولا ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك الا
تدنو من اهلك فقال آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة
وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى ام ابرهيم لم يتمالك حتى
واقعها فحملت بابرهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابرهيم قال الكهان لنمرود ان
الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت
ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل
ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء فرجعت فاخبرت
زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له
سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه

فيه ضعف وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابرهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت
قريبا منها فولدت فيها ابرهيم واصلحت من شانه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه
المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه قال ابو
روق قالت ام ابرهيم ذات يوم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن
اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سال
ام ابرهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها بها فسكت عنها وكان
اليوم على ابرهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابرهيم في المغارة الا خمسة
عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض
وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره ثم نظر في السماء
فراى كوكبا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الا
فلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره حتى غاب ثم طلعت الشمس
هكذا الى آخره ثم رجع الى ابيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين
قومه الا انه لم يبادئهم بذلك فاخبره انه ابنه واخبرته ام ابرهيم انه ابنه واخبرته بما
كانت صنعت في شانه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه كان في السرب سبع سنين
وقيل ثلث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابرهيم وهو في السرب قال لامه
من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت فسكت ثم رجعت
الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم
اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال له ابرهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب
امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما
جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال
انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابرهيم
الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه فقال ابل وخيل وغنم فقال ما لهذه بد من
ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة
في آخر الشهر فتاخر طلوع القمر فيها فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه
الليل اي دخل يقال جن الليل واجن واجنه الليل واجنه وجن عليه الليل يجن جنونا

وجنانا اذا اظلم وغطى كل شيء وجنون الليل سواده راى كوكبا قرا ابو عمرو راى بفتح الراء
وكسر الالف ويكسرهما ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر فان اتصل بكاف او هاء فتحهما
ابن عامر فان لقيها ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة وابو بكر وفتحهما الآخرون قال هذا
ربي واختلفوا في قوله ذلك فاجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابرهيم مسترشدا طالبا
للتوحيد حتى وفقه الله واتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وايضا كان ذلك
في حال الطفولية قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وانكر الآخرون هذا القول وقالوا لا يجوز ان
يكون لله رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود
سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال اذ
جاء ربه بقلب سليم وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض افتراه اراه
الملكوت ليوقن فلما ايقن راى كوكبا قال هذا ربي معتقدا فهذا لا يكون ابدا ثم قالوا
فيه اربعة اوجه من التاويل احدها ان ابرهيم اراد ان يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم
خطاهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون الامور
كلها اليها فاراهم انه معظم ما عظموه ويلتمس الهدى من حيث ما التمسوه فلما افل اراهم
النقص الداخل على النجوم ليثبت خطاء ما يدعون ومثل هذا الحواري الذي ورد على قوم
يعبدون الصنم فاظهر تعظيمه فاكرموه حتى صدروا في كثير من الامور عن رايه الى ان دهمهم
عدو فشاوروه في امره فقال الراي ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد اظلنا فاجتمعوا
حوله يتضرعون فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى ان يدعوا الله فدعوه فصرف
عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا والوجه الثاني من التاويل انه قاله على وجه الاستفهام تقديره
اهذا ربي كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون اي افهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ
منكرا لفعلهم يعني ومثل هذا يكون ربا اي ليس هذا ربي والوجه الثالث انه ذكره على وجه الا
حتجاج عليهم يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال ذق انك
انت العزيز الكريم اي عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا لنحرقنه يريد الهك بزعمك والوجه الرابع فيه اضمار وتقديره يقولون
هذا ربي كقوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي
يقولان ربنا تقبل منا فلما افل قال لا احب الآفلين ربا لا يدوم قوله عز وجل فلما راى

بازغا اي طالعا ابتداء في الطلوع ماخوذ من البزغ وهو الشق كانه بنوره يشق الظلمة

القمر بازغا اي طالعا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي قيل لم يزل يثبتني
على الهدى ليس انه لم يكن مهتديا والانبياء لم يزالوا يسألون الله الثبات على الايمان
وكان ابرهيم يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام لأكونن من القوم الضالين اي
عن الهدى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر اي من الكواكب والقمر ولم يقل
هذه مع ان الشمس مؤنثة اراد هذا الطالع او ردّه الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه
اضوء من النجوم والقمر فلما افلت غربت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني
في الله وقد هدان ولما رجع ابرهيم الى ابيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع
الذباحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها فيذهب بها
ابرهيم وينادي من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب
بها الى نهر فضرب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بها لقومه وبما هم فيه من الضلالة
حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه اي خاصمه وجادله قومه في دينه قال
اتحاجوني في الله قرأ اهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون وقرأ الآخرون بتشديدها على
ادغام احدى النونين ومن خفف حذف احدى النونين تخفيفا يقول اتجادلونني في توحيد
الله وقد هدان للتوحيد والحق ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام
فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون لعيبك اياها فقال لهم ولا اخاف ما
تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وليس هذا باستثناء عن الاول بل هو استثناء منقطع
معناه لكن ان يشاء ربي شيئا اي سوءا فيكون ما شاء وسع ربي كل شيء علما اي احاط علمه
بكل شيء افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم يعني الاصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا
تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا حجة وبرهانا
وهو القادر على كل شيء فاي الفريقين احق اولى بالامن انا واهل ديني
ام انتم ان كنتم تعلمون فقال الله تعالى قاضيا بينهما الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
لم يخلطوا ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون روي عن عبد الله قال لما
نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا
لا يظلم نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا الى ما قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني

لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه حتى خصمهم
وغلبهم بالحجة قال مجاهد هي قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وقيل اراد
به حجاجه الذي حاج نمرود على ما سبق في سورة البقرة نرفع درجات من نشاء بالعلم قرأ
اهل الكوفة ويعقوب درجات بالتنوين ههنا وفي سورة يوسف اي نرفع من نشاء درجات
بالعلم والفهم والفضيلة والعقل كما رفعنا درجات ابرهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد ان
ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا وفقنا وارشدنا ونوحا هدينا
من قبل اي من قبل ابرهيم ومن ذريته اي ومن ذرية نوح ولم يرد من ذرية ابرهيم لانه
ذكر في جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابرهيم قوله داود وهو داود بن ايشا و
سليمان يعني ابنه وايوب وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن
اسحق بن ابرهيم ويوسف وهو يوسف بن يعقوب بن ابرهيم وموسى وهو موسى بن عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهرون وهو اخو موسى اكبر منه بسنة وكذلك
اي وكما جزينا ابرهيم على توحيده بان رفعنا درجته ووهبنا له اولادا انبياء اتقياء كذلك
نجزي المحسنين على احسانهم وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم وزكريا وهو زكريا بن آذن
ويحيى وهو ابنه وعيسى وهو ابن مريم بنت عمران والياس واختلفوا فيه قال ابن مسعود
هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في ولد نوح
وادريس جد ابي نوح وهو الياس بن ياسين بن فنحص بن العيزار بن هرون بن عمران
كل من الصالحين واسمعيل وهو ابن ابرهيم واليسع وهو ابن اخطوب بن العجوز وقرأ حمزة
والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء ههنا وفي ص ويونس وهو يونس بن متى
ولوطا وهو لوط بن هارون بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين اي عالمي زمانهم
ومن آبائهم من فيه للتبعيض لان آباء بعضهم كانوا مشركين وذرياتهم اي ومن ذرية
بعضهم واراد ذرية بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا
واخوانهم واجتبيناهم اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم ارشدناهم
الى صراط مستقيم ذلك هدى الله دين الله يهدي به يرشد به من يشاء من عباده ولو
اشركوا اي هؤلاء الذين سميناهم لحبط لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين
آتيناهم الكتاب اي الكتب المنزلة عليهم والحكم يعني العلم والفقه والنبوة فان يكفر بها

يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني الانصار واهل المدينة قال ابن عباس
ومجاهد وقال قتادة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني الانبياء
الثمانية عشر الذين ذكرهم ههنا وقال ابو رجاء العطاردي معناه فان يكفر بها اهل الارض فقد
وكلنا بها اهل السماء وهم الملائكة ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله اي هداهم الله
فبهداهم فبسنتهم وسيرتهم اقتده الهاء فيه هاء الوقف وحذف حمزة والكسائي الهاء
في الوصل والباقون باثباتها وصلا ووقفا وقرأ ابن عامر اقتده باشباع الهاء كسرا قل
لا اسألكم عليه اجرا ان هو ما هو الا ذكرى اي تذكرة وعظة للعالمين وما قدروا
الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وقيل ما وصفوه حق صفته اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلعم
فقال له النبي صلعم انشدك بالذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله يبغض
الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء وقال السدي
نزلت في فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت
اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل التورية على موسى فلم قلت ما
انزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد صلعم فقلت ذلك فقالوا وانت
اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال
ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء
كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقال الله قل لهم
من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يعني التورية تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا اي يكتبون عنه في دفاتر وكتب مقطعة تبدونها اي تبدون ما تحبون و
وتخفون كثيرا من نعت محمد صلعم واية الرجم قرأ ابن كثير وابو عمرو يجعلونه ويبدونها ويخفون
بالياء جميعا لقوله وما قدروا الله وقرأ الاخرون بالتاء لقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به و
وعلمتم ما لم تعلموا الاكثرون على ان هذا خطاب لليهود يقول علمتم على لسان محمد صلعم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلعم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد
هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد صلعم قل الله هذا راجع الى قوله قل
من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك والا فقل انت الله اي انزل الله ثم ذرهم في خوضهم

يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك اي القرآن كتاب مبارك انزلناه مصدق الذي
بين يديه ولتنذر ام القرى اي لتنذر يا محمد وقرأ ابو بكر عن عاصم ولينذر بالياء اي لينذر
الكتاب ام القرى يعني مكة سميت ام القرى لان الارض دحيت من تحتها وهي اصل الارض
كلها كالام اصل للنسل واراد اهل ام القرى ومن حولها اي اهل الارض كلها شرقا
وغربا والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالكتاب وهم على صلاتهم يعني
الصلوات الخمس يحافظون يداومون يعني المؤمنين ومن اظلم ممن افترى اي اختلق على
الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء قال قتادة نزلت في
مسيلمة الكذاب الحنفي وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم ان الله اوحى اليه وكان
قد ارسل الى رسول الله صلعم رسولين فقال لهما النبي صلعم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال النبي
صلعم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم
بينما انا نائم اذ اتيت من خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي
واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فذهبا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما
صاحب صنعاء وصاحب اليمامة اراد بصاحب صنعاء الاسود العنسي وبصاحب اليمامة
مسيلمة الكذاب ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح وكان
قد اسلم وكان يكتب للنبي صلعم فكان اذا املى سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا قال عليما
حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه رسول
الله صلعم فتعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال
النبي صلعم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله قال لئن كان محمد صادقا فلقد اوحي الي كما او
حي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام قبل فتح مكة اذ
نزل النبي صلعم بمر وقال ابن عباس قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين
وهذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى يا محمد اذ الظالمون في غمرات الموت
سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت
في موضع الشدائد والمكاره والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب والضرب يضربون
وجوههم وادبارهم وقيل بقبض الارواح اخرجوا اي يقولون اخرجوا انفسكم اي
ارواحكم كرها لان نفس المؤمن تنشط للقاء ربها والجواب محذوف يعني ولو تراهم في هذه

الى لرايت عجبا اليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق
وكنتم عن آياته تستكبرون تتعظمون عن الايمان بالقران لا تصدقونه ولقد جئتمونا فرا
دى هذا خبر من الله انه يقول للكفار يوم القيمة ولقد جئتمونا فرادى وحدانا لا مال معكم
ولا زوج ولا ولد ولا خدم وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى
وقرأ الاعرج فردى بغير الف مثل سكرى كما خلقناكم اول مرة عراة حفاة غرلا
وتركتم ما خولناكم خلفتم ما اعطيناكم من الاموال والاولاد والخدم وراء ظهوركم
خلف ظهوركم في الدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
وذلك ان المشركين زعموا انهم يعبدون الاصنام لانهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده لقد تقطع
بينكم قرأ اهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بينكم بنصب النون اي تقطع ما بينكم من الوصل
او تقطع الامر بينكم وقرأ الاخرون بينكم برفع النون اي لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله وتقطعت بهم
الاسباب اي الوصلات والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم
تزعمون ان الله فالق الحب والنوى الفلق الشق قال الحسن وقتادة والسدي معناه يشق
الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرجها منها قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة
اليابسة فيخرج منهما ورقا اخضر وقال مجاهد يعني الشقين اللذين فيهما اي يشق الحب عن النبات
ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منها والحب جمع الحبة وهي اسم لجميع البذور والحبوب
من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى والنوى جمع النواة وهي كل ما لم يكن حبا كالتمر والمشمش
والخوخ ونحوها وقال الضحاك فالق الحب والنوى يعني خالق الحب والنوى يخرج الحي
من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون اي تصرفون عن الحق فالق الاصباح
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه وقال الضحاك خالق النهار والاصباح مصدر كا
لاقبال والادبار وهو الاضاءة واراد به الصبح وهو اول ما يبدو من النهار يريد مبدي
الصبح وموضحه وجاعل الليل سكنا يسكن فيه خلقه وقرأ اهل الكوفة وجعل على الماضي
الليل نصب اتباعا للمصحف وقرأ ابراهيم النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبانا اي جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى
اقصى منازلهما والحسبان مصدر كالحساب ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي
جعل لكم النجوم اي خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والله تعالى خلق النجوم

لفوائد احدها هذا وهو ان راكب البحر والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي الى
مقاصدهم والثاني انها زينة للسماء كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ومنها رمي
الشياطين كما قال وجعلناها رجوما للشياطين قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون
وهو الذي انشأكم خلقكم وابتدأكم من نفس واحدة يعني آدم عم فمستقر ومستودع
قرأ ابن كثير واهل البصرة فمستقر بكسر القاف يعني فمنكم مستقر ومنكم مستودع وقرأ
الاخرون بفتح القاف اي فلكم مستقر ومستودع واختلفوا في المستقر والمستودع قال عبد
الله بن مسعود فمستقر في الرحم الى ان يولد ومستودع في القبر الى ان يبعث وقال سعيد بن
جبير وعطاء فمستقر في ارحام الامهات ومستودع في اصلاب الآباء وهي رواية عكرمة عن
ابن عباس وقال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما انه ما كان
من مستودع في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل وروي عن ابي انه قال فمستقر في اصلاب الآباء
ومستودع في ارحام الامهات وقيل مستقر في الرحم ومستودع فوق الارض قال الله تعالى ونقر
في الارحام ما نشاء وقال مجاهد فمستقر على ظهر الارض ومستودع عند الله في الآخرة ويدل
عليه قوله عز وجل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع
في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت وديعة في اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وقيل
المستودع القبر والمستقر الجنة والنار لقوله تعالى في صفة اهل الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت
مستقرا قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به
اي بالماء نبات كل شيء فاخرجنا منه من الماء وقيل من النبات خضرا يعني اخضر مثل العور
والاعور يعني ما كان رطبا اخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما نخرج منه حبا
متراكبا اي متراكبا بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وسائر الحبوب
ومن النخل من طلعها والطلع اول ما يخرج من ثمر النخل قنوان جمع قنو وهو العذق مثل
صنو وصنوان ولا نظير لهما في الكلام دانية قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد
وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتزقة بالارض وفيه اختصار معناه ومن النخل
ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه الى الافهام كقوله
سرابيل تقيكم الحر يعني الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما وجنات من اعناب اي واخرجنا
منه جنات وقرأ الاعمش عن عاصم وجنات بالرفع نسقا على قوله قنوان وعامة القراء على خلافه

والزيتون والرمان يعني وشجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها وغير متشابه قال قتادة
معناه مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشتبه
في المنظر مختلف في الطعم انظروا الى ثمره قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم هذا وما بعده
على جمع الثمار وقرأ الآخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر اذا اثمر وينعه
ونضجه وادراكه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن يعني الكافرين
جعلوا لله الجن شركاء وخلقهم يعني وهو خلق الجن قال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة
لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة
والسباع والحيات والعقارب وهذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وابليس من الجنة
وخرقوا له قرأ اهل المدينة وخرّقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف اى اختلقوا
له بنين وبنات بغير علم وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن
الله وقول كفار العرب الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال سبحانه وتعالى عما يصفون
بديع السموات والارض اى مبدعهما لا على مثال سبق انى يكون له ولد اى كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة زوجة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو
خالق كل شيء فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل بالحفظ له والتدبير فيه لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار تمسك اهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله
عز وجل ومذهب اهل السنة اثبات رؤية الله عز وجل عيانا جاء به القرآن والسنة قال
الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال
مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب وقرأ النبي صلعم للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وفسره بالنظر الى وجه الله عز وجل روى عن جرير بن عبد الله قال قال
النبي صلعم سترون ربكم عيانا واما قوله لا تدركه الابصار اعلم ان الادراك غير الرؤية لان
الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا ادراك
قال الله تعالى في قصة موسى عم فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا
وقال لا تخاف دركا ولا تخشى فنفى الادراك مع اثبات الرؤية فالله تعالى يجوز ان يرى من
غير ادراك واحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فنفى
الاحاطة مع ثبوت العلم قال سعيد بن المسيب لا تحيط به الابصار وقال عطاء كلت ابصار

المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة
قوله عز وجل وهو يدرك الابصار لا يخفى عليه شيء ولا يفوته وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس
اللطيف باوليائه الخبير بهم وقال الازهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل اللطيف الموصل
الشيء باللين والرفق وقيل اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر
في الاشياء قد جاءكم بصائر من ربكم يعني الحجج البينة التي يبصرون بها الهدى من الضلالة والحق
من الباطل فمن ابصر فمن عرفها وآمن بها فلنفسه عمل ونفعه له ومن عمي فعليها اى من
عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها اى فبنفسه ضر ووبال العمى عليه وما انا عليكم بحفيظ
اى برقيب احصي عليكم اعمالكم انما انا رسول اليكم ابلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا
يخفى عليه شيء من افعالكم وكذلك نصرف الآيات نفصلها ونبينها في كل وجه وليقولوا در
ست قيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل هذه اللام لام العاقبة اى عاقبة امرهم ان
يقولوا درست اى قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب اهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم انهم لم يلتقطوه لذلك ولكن اراد ان عاقبة امرهم
ان كان عدوا لهم قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين يقرأ عليهم القرآن درست
تعلمت من يسار وجبر كانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله من
قولهم درست الكتاب ادرس درسا ودراسة وقال الفراء يقولون تعلمت من يهود
وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست بالالف اى قارأت اهل الكتاب من المدارسة بين اثنين يقول
قرأت عليهم وقرءوا عليك وقرأ ابن عامر ويعقوب درست بفتح السين وسكون التاء اى
هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الاثر يدرس
دروسا ولنبينه لقوم يعلمون اى القرآن وقيل نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس
يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل يعني ان تصريف الآيات ليشقى به قوم
ويسعد به آخرون فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد اتبع ما اوحي اليك من
ربك يعني القرآن اعمل به لا اله الا هو واعرض عن المشركين فلا تجادلهم ولو شاء
الله ما اشركوا اى لو شاء لجعلهم مؤمنين وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا قال عطاء
وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني اى لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغا
وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله قال ابن عباس لما نزلت

انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سبّ آلهتنا
او لنهجونّ ربك فنهاهم الله ان يسبّوا اوثانهم وقال قتادة كان المسلمون يسبّون اصنام
الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبّوا الله فانهم قوم جهلة وقال السدي لما حضرت ابا
طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن
اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق
ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابيّ ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن
العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا
وان محمدا قد آذانا وآلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه
فقال هؤلاء قومك يقولون نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك
فاقبل منهم فقال النبي صلعم لهم أرأيتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطيّ كلمة ان تكلمتم بها
ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال
قولوا لا اله الا الله فأبوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال عم ما انا بالذي اقول
غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي فقالوا له لتكفّن عن شتم آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من
امرك فانزل الله ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله يعني الاوثان فيسبّوا الله عدوا
اي اعتداء وظلما بغير علم وقرا يعقوب عدوّا بفتح العين والدال وتشديد الواو فلما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلعم لاصحابه لا تسبّوا ربكم فامسك المسلمون عن سبّ آلهتهم الاية
وان كان نهيا عن سبّ الاصنام فحقيقته النهي عن سبّ الله لانه سبب لذلك كذلك زيّنا لكل
امة عملهم اي كما زيّنا لهؤلاء المشركين عبادة الاوثان وطاعة الشيطان بالحرمان
والخذلان كذلك زيّنا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية ثم الى ربهم مرجعهم فينبّئهم
ويجازيهم بما كانوا يعملون واقسموا بالله جهد ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت
قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت معه عصى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة
عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فائتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلعم اي شيء
تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك أحق ما تقول ام باطل
او ارنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلعم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا
نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون وسأل المسلمون رسول الله صلعم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا

فهمّ رسول الله صلعم ان يدعو الله ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرئيل فقال له ما شئت ان شئت اصبح ذهبا
ولكن ان لم يصدقوا لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلعم بل يتوب
تائبهم فانزل الله عز وجل واقسموا بالله اي حلفوا بالله جهد ايمانهم اي جهدوا ايمانهم يعني اوكد ما قدروا
عليه من الايمان واشدها وقال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم
آية كما جاءت من قبلهم من الامم ليؤمننّ بها قل يا محمد انما الآيات عند الله والله قادر
على انزالها وما يشعركم يدريكم واختلفوا في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقال بعضهم
الخطاب للمشركين الذين اقسموا وقال بعضهم الخطاب للمؤمنين وقوله انها اذا جاءت لا
يؤمنون قرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام
عند قوله وما يشعركم فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها
لو جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم ايها المؤمنون انها لو جاءت
آمنوا لان المسلمين كانوا يسألون رسول الله صلعم ان يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا
فخاطبهم بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال جل ذكره انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم
مخصوصين حكم الله عليهم بانهم لا يؤمنون وقرا الآخرون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب للمؤمنين
واختلفوا في قوله لا يؤمنون فقال الكسائي لا صلة ومعنى الاية وما يشعركم ايها المؤمنون ان
الآيات اذا جاءت المشركين يؤمنون كقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي
يرجعون وقيل انها بمعنى لعلها وكذلك هو في قراءة ابيّ تقول العرب اذهب الى السوق انك تشتري
شيئا اي لعلك وقال عدي بن زيد أعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد
اي لعل منيتي وقيل فيه حذف وتقديره وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون او لا يؤمنون وقرا ابن
عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء على خطاب الكفار واعتبروا بقراءة ابيّ اذا جاءتكم لا تؤمنون وقرا
الآخرون بالياء على الخبر دليلها قراءة الاعمش اذا جاءتهم لا يؤمنون ونقلّب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات
التي سألوا ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به اول مرة اي كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من
انشقاق القمر وغيره وقيل كما لم يؤمنوا به اول مرة يعني معجزات موسى وعيسى وغيره من الانبياء عليهم السلام
كقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وفي الاية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا اول
مرة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردّوا من الآخرة الى الدنيا

نقلب افئدتهم وابصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم قيل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونذرهم في طغيانهم يعمهون قال عطا اخذلهم وادعهم في ضلالتهم يتمادون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة فراوهم عيانا وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سالوا وحشرنا وجمعنا عليهم كل شيء قبلا قرا اهل المدينة وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء اي معاينة وقرا الاخرون بضم القاف والباء قيل هو جمع قبيل وهو الكفيل مثل رغيف ورغف وقضيب وقضب اي ضمنا وكفلا وقيل هو جمع قبيل وهو القبيلة اي فوجا فوجا وقيل هو بمعنى المقابلة والمواجهة من قولهم اتيتك قبلا لا دبرا اذا اتاه من قبل وجهه ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله ذلك ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي اعداء فيه تعزية النبي صلعم يعني كما ابتليناك بهولاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك اعداء ثم فسرهم فقال شياطين الانس والجن قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي معناه شياطين الانس التي مع الانس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانسان شياطين وذلك ان ابليس قسم جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا منهم الى الجن وكلا الفريقين اعداء للنبي صلعم ولاوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شياطين الانس لشياطين الجن اضللت صاحبي بكذا فاضلل صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فذلك معنى قوله يوحي بعضهم الى بعض قال قتادة ومجاهد والحسن ان من الانس شياطين كما ان من الجن شياطين والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء قال ان الشيطان اذا اعياه المومن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانسان وهو شيطان الانس فاغراه بالمومن ليفتنه يدل عليه ما روي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلعم هل تعوذت بالله من شياطين الجن والانس قلت يا رسول الله هل للانسان من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقال مالك ابن دينار ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي قوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض اي يلقي زخرف القول وهو قول مموه مزين بالباطل لا معنى تحته غرورا يعني هولاء الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم غرورا والغرور القول الباطل ولو شاء ربك ما فعلوه اي ما القوه من الوسوسة في القلوب فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة اي تميل

اليه والصغو الميل يقال صغو فلان معك اي ميله والفعل منه صغي يصغى صغا وصغى يصغي ويصغو صغوا والهاء في اليه راجعة الى زخرف القول وليرضوه وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون يقال اقترف فلان مالا اذا اكتسبه وقال الله تعالى ومن يقترف حسنة وقال الزجاج اي وليعملوا من الذنوب ما هم عاملون افغير الله فيه اضمار اي قل لهم يا محمد افغير الله ابتغي اطلب حكما قاضيا بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلعم اجعل بيننا وبينك حكما فاجابهم به وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا مبينا فيه امره ونهيه يعني القران وقيل مفصلا اي خمسا خمسا وعشرا عشرا كما قال تعالى لنثبت به فوادك والذين اتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى الذين اتيناهم التوراة والانجيل وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقال عطا هم رؤوس اصحاب النبي صلعم والمراد بالكتاب هو القران يعلمون انه يعني القران منزل قرا ابن عامر وحفص بالتشديد من التنزيل لانه انزل نجوما متفرقة وقرا الاخرون بالتخفيف من الانزال لقوله عز وجل وهو الذي انزل اليكم الكتاب من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين من الشاكين انهم يعلمون ذلك وتمت كلمة ربك قرا اهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد وقرا الاخرون كلمات بالجمع واراد بالكلمات امره ونهيه ووعده ووعيده صدقا وعدلا اي صدقا في الوعد والوعيد وعدلا في الامر والنهي قال قتادة ومقاتل صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم لا مبدل لكلماته قال ابن عباس لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده وهو السميع العليم قيل المراد بالكلمات القران لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله عن دين الله وذلك ان اكثر اهل الارض كانوا على الضلالة وقيل اراد انهم جادلوا رسول الله صلعم والمسلمين في اكل الميتة وقالوا اتاكلون ما تقتلون ولا تاكلون ما قتله الله فقال وان تطع اي ان تطعهم في اكل الميتة يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن يريد ان دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم ياخذوه عن بصيرة وان هم الا يخرصون يكذبون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله قيل موضع من نصب بنزع حرف الصفة اي بمن يضل وقال الزجاج موضعه رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام المعنى ان ربك هو اعلم اي الناس يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اخبر انه اعلم بالفريقين بالضالين والمهتدين فيجزي كلا بما يستحق فكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي كلوا مما ذبح على اسم الله ان كنتم باياته مومنين وذلك انهم كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الاموات

فقيل لهم احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله ثم قال ﴿وما لكم﴾ يعني اي شي لكم ﴿الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ من الذبايح ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ قرا اهل المدينة ويعقوب وحفص فصل وحرم بالفتح فيهما اي فصل الله ما حرمه عليكم لقوله اسم الله وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بضم الفا والحا وكسر الصاد والرا على غير تسمية الفاعل لقوله ذكر وقرا حمزة والكسائي وابو بكر فصل بالفتح وحرم بالضم واراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ﴿الا ما اضطررتم اليه﴾ من هذه الاشيا فانه حلال لكم عند الاضطرار ﴿وان كثيرا ليضلون﴾ قرا اهل الكوفة بضم اليا وكذلك قوله ليضلوا في سورة يونس لقوله يضلوك عن سبيل الله وقيل اراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحاير والسوايب وقرا الآخرون بالفتح لقوله من يضل ﴿باهوايهم بغير علم﴾ حين امتنعوا من اكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا الى اكل الميتة ﴿ان ربك هو اعلم بالمعتدين﴾ الذين يجاوزون الحلال الى الحرام ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ يعني الذنوب كلها لانها لا تخلوا من هذين الوجهين قال قتادة علانيته وسره وقال مجاهد ظاهره ما يعمله الانسان بالجوارح من الذنوب وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له قال الكلبي ظاهره الزنا وباطنه المخالة واكثر المفسرين على ان ظاهر الاثم الاعلان وباطنه الاستسرار وذلك ان العرب كانوا يحبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيستتر به وغير الشريف لا يبالي به فيظهره فحرمهما الله عز وجل وقال سعيد بن جبير ظاهر الاثم نكاح المحارم وباطنه الزنا وقال زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وروى حيان عن الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النسا بالليل عراة ﴿ان الذين يكسبون الاثم سيجزون﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ يكتسبون في الدنيا ﴿ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطا الآية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف اهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليه فذهب قوم الى تحريمها سوا ترك التسمية عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر الآية وذهب قوم الى تحليلها يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي واحمد وذهب قوم الى انه ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا تحل حكى الخرقي من اصحاب احمد ان هذا مذهبه وهو قول

الثوري واصحاب الراي ومن اباحها قال المراد من الآية الميتات او ما ذبح على اسم غير الله بدليل انه قال ﴿وانه لفسق﴾ والفسق في ذكر غير اسم الله كما قال في آخر السورة ﴿قل لا اجد فيما اوحي الي محرما﴾ الى قوله ﴿او فسقا اهل لغير الله به﴾ واحتج من اباحها بما روي عن عايشة قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان لا ندري ايذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا ولو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح ﴿وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم﴾ اراد ان الشياطين ليوسوسون الى اوليايهم من المشركين ليجادلوكم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها فقالوا اتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله هذه الآية ﴿وان اطعتموهم﴾ في اكل الميتة ﴿انكم لمشركون﴾ قال الزجاج وفيه دليل على ان من احل شيا مما حرم الله او حرم شيا مما احل الله فهو مشرك ﴿اومن كان ميتا﴾ قرا نافع ميتا ولحم اخيه ميتا والارض الميتة احييناها بالتشديد فيهن والآخرون بالتخفيف ﴿فاحييناه﴾ اي ضالا فهديناه كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان ﴿وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ على قصد السبيل قيل النور هو الاسلام كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله بينة مع المومن بها يعمل وبها ياخذ واليها ينتهي ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ المثل صلة اي كمن هو في الظلمات ﴿ليس بخارج منها﴾ يعني في ظلمة الكفر قيل نزلت هذه الآية في رجلين باعيانهما ثم اختلفوا فيهما قال ابن عباس جعلنا له نورا يريد حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلعم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس وحمزة لم يومن بعد فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جا به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آبانا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ من الكفر والمعصية وقال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان عبادة الاصنام ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها﴾ اي كما ان فساق مكة اكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية اكابرها اي عظماها جمع اكبر مثل

اكفضل واقل حيل واسود واساود وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل اشرا
فهم كما قال في قصة نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها
وذلك انهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلعم
يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب وما يمكرون الا بانفسهم
لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون انه كذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني مثل ما اوتي رسل الله من النبوة وذلك ان الوليد
بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا
فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا
ان يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله عز وجل واذا جاءتهم آية حجة على صدق محمد صلعم قالوا يعني
ابا جهل واصحابه لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني محمدا صلعم قال الله الله اعلم حيث
يجعل رسالته قرا ابن كثير على التوحيد وقرا الآخرون رسالاته بالجمع يعني الله اعلم بمن هو
احق بالرسالة سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله ذل وهوان عند الله اي من
عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون قيل صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الاسلام
ولما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلعم عن شرح الصدر قال نور يقذفه الله في قلب
المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا قرا
ابن كثير ضيقا بالتخفيف هاهنا وفي جميع القرآن الباقون بالتشديد وهما لغتان ايضا مثل هين
وهين ولين ولين حرجا قرا اهل المدينة وابو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان ايضا
مثل الدنف والدنف قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر كالطلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو
اشد الضيق يعني قلبه ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ قال ابن عباس
اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا ذكر شيئا من عبادة الاصنام ارتاح الى ذكره وقرا عمر بن
الخطاب هذه الاية فسأل اعرابيا من كنانة ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون
بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل

اليه

اليه شيء من الخير كانما يصعد في السماء قرا ابن كثير يصعد بالتخفيف وقرا ابو بكر عن عاصم
يصاعد بالالف اي يتصاعد وقرا الآخرون يصعد بتشديد الصاد والعين اي يتصعد يعني
يشق عليه الايمان كما يشق عليه صعود السماء واصل الصعود المشقة ومنه قوله عز وجل
سارهقه صعودا اي عقبة شاقة كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ابن
عباس الرجس هو الشيطان اي يسلط عليه وقال الكلبي هو المأثم وقال مجاهد الرجس ما لا
خير فيه وقال عطاء الرجس العذاب مثل الرجز وقيل هو النجس روي ان رسول الله صلعم كان
اذا دخل الخلاء قال اني اعوذ بك من الرجس النجس وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا و
العذاب في الآخرة وهذا صراط ربك مستقيما اي هذا الذي بينا وقيل هذا الذي انت عليه
يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيما لا عوج فيه وهو الاسلام قد فصلنا الا
يات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة قال اكثر المفسرين السلام هو الله
وداره الجنة وقيل السلام هو السلامة اي لهم دار السلامة من الآفات وهي الجنة وسميت دار
السلام لان كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة
بالسلام فيقال في الابتداء ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم وقال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال تحيتهم فيها سلام سلام قولا من رب
رحيم وهو وليهم بما كانوا يعملون قال الحسين بن الفضل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق
وفي الآخرة بالجزاء ويوم نحشرهم قرا حفص نحشر بالياء جميعا يعني الجن والانس يجمعهم
في موقف القيامة فنقول يا معشر الجن والمراد بالجن الشياطين قد استكثرتم من الا
نس اي استكثرتم من الانس بالاضلال والاغواء اي اضللتم كثيرا وقال اولياؤهم
من الانس يعني اولياء الشياطين الذين اطاعوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض قال الكلبي استمتاع الانس بالجن هو ان الرجل كان اذا سافر ونزل بارض قفر
فخاف على نفسه من الجن فقال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم
آمنا واما استمتاع الجن بالانس هو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدا
دادون شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وهذا كقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا وقيل استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من
الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الامور يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع
يهوونها

الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب
هو طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم لبعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني القيامة
والبعث قال النار مثويكم مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلفوا في هذه الاستثناء
كما اختلفوا في قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قيل اراد الا قدر
مدة ما بين بعثهم الى دخولهم جهنم يعني هم خالدون في النار الا هذا المقدار وقيل الاستثناء يرجع
الى العذاب وهو قوله النار مثواكم اي خالدين في النار سوى ما شاء الله من انواع العذاب
وقال ابن عباس الاستثناء راجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون فيخرجون من النار وما
بمعنى من على هذا التأويل ان ربك حكيم عليم قيل عليم بالذي استثناه وبما في قلوبهم من البر والتقوى
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قيل اي كما خذلنا عصاة الجن والانس
حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا اي نسلط بعضهم على بعض فناخذ
من الظالم بالظالم كما جاء من اعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم اولياء بعض
فالمؤمن ولي المؤمن اين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وروى معمر عن قتادة نتبع
بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الجن ظلمة الانس ونولي ظلمة الانس
ظلمة الجن اي نكل بعضهم الى بعض كقوله تعالى نوله ما تولى وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
في تفسيرها هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امر
هم شرارهم يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم واختلفوا في ان الجن هل ارسل
اليهم منهم رسول فسئل الضحاك عنه فقال بلى الم تسمع الله يقول يا معشر الجن والانس
الم يأتكم رسل منكم يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن قال الكلبي كانت الرسل
قبل ان يبعث محمد صلعم يبعثون الى الجن والى الانس جميعا قال مجاهد الرسل من الانس
والنذر من الجن ثم قرأ ولوا الى قومهم منذرين وهم قوم يستمعون كلام الرسل فيبلغون
الجن ما سمعوا وليس للجن رسل فعلى هذا قوله رسل منكم ينصرف الى احد الصنفين وهم
الانس كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال
وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في سماء واحدة يقصون عليكم اي يقرؤون عليكم اياتي
كتبي وينذرونكم لقاء يومكم هذا وهو يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا
انهم قد بلغوا قال مقاتل وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله

تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا حتى لم يؤمنوا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم اي لم يكن يهلكهم بظلم اي بشرك من اشرك و
واهلها غافلون لم ينذروا حتى يبعث اليهم رسلا تنذرهم وقال الكلبي يهلكهم بذنوبهم
من قبل ان ياتيهم الرسل وقيل معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون
قد ظلمهم وذلك ان الله تعالى اجرى السنة ان لا ياخذ احدا الا بعد وجود الذنب وانما يكون
مذنبا اذا امر فلم يأتمر ونهي فلم ينته ويكون ذلك بعد انذار الرسل ولكل درجات
مما عملوا يعني في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اشد عذابا ومنهم
من هو اجزل ثوابا وما ربك بغافل عما يعملون قرا ابن عامر تعملون بالتاء والباقون
بالياء وربك الغني عن خلقه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي
بخلقه ذو التجاوز ان يشأ يذهبكم يهلككم وعيد لاهل مكة ويستخلف يخلق وينشئ
من بعدكم ما يشاء خلقا غيركم امثل واطوع كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين اي آبائهم الماضين قرنا بعد قرن انما توعدون لآت اي ما توعدون من مجيء
الساعة والحشر لآت كائن وما انتم بمعجزين اي بفائتين يعني يدرككم حيث ما كنتم قل يا
محمد يا قوم اعملوا على مكانتكم قرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع حيث كان على مكانتكم قال ابن
عطاء على حالاتكم التي انتم عليها قال الزجاج اعملوا على ما انتم عليه يقال للرجل اذا امرته
ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه وهذا امر وعيد على المبالغة
يقول اعملوا ما انتم عاملون اني عامل ما امرني به ربي فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار اي الجنة قرأ حمزة والكسائي يكون بالياء ههنا وفي القصص وقرأ الاخرون
بالتاء انه لا يفلح الظالمون قال ابن عباس معناه لا يسعد من كفر بي
واشرك قال الضحاك لا يفوز وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا كان
المشركون يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا وللاوثان
نصيبا فما جعلوه لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه على
الاصنام وخدمها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله
غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان
وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك وانتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا هلك

او انتقص شئ مما جعلوه للاصنام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا خلق
من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار مجازه وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا فقالوا
هذا لله بزعمهم قرا الكسائي بزعمهم بضم الزاء والباقون بفتحها وهما لغتان وهو القول
من غير حقيقة وهذا لشركائهم ومعناه ما قلنا انهم كانوا يتمون ما جعلوا للاوثان مما
جعلوه لله ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للاوثان وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة
استعانوا بما جزءوا لله واكلوا منه ووفروا ما جزءوا لشركائهم ولم ياكلوا منه شيئا ساء ما يحكمون اي
بئس ما يقضون وكذلك زين لكثير من المشركين اي كما زين لهم تحريم الحرث والانعام كذلك زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم قال مجاهد شركاؤهم اي شياطينهم زينوا
وحسنوا لهم واد البنات خيفة العيلة سميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم في معصية
الله واضيف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم هم الذين كانوا
يزينون للكفار قتل الاولاد فكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدا
كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وقرا ابن عامر زين بضم الزاء وكسر الياء قتل رفع اولادهم
نصب شركائهم بالخفض على التقديم كانه قال زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم فصل
بين الفعل وفاعله بالمفعول به وهم الاولاد كما قال الشاعر فزججته متمكنا زج القلوص
ابي مزاده اي زج ابي مزاده القلوص واضيف الفعل وهو القتل الى الشركاء وان لم يتولوا
ذلك لانهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فكانهم فعلوه ليردوهم ليهلكوهم وليلبسوا
عليهم ليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين
اسمعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين ولو شاء الله ما فعلوه اي لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا
ذلك من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد فذرهم يا محمد وما يفترون يختلقون من الكذب
فان الله لهم بالمرصاد وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث حجر اي حرام يعني ما جعلوا
لله ولآلهتهم من الحرث والانعام على ما مضى ذكره وقال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون الرجال دون النساء وانعام حرمت
ظهورها يعني الحوامي كانوا لا يركبونها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها اي يذبحونها باسم
الاصنام لا باسم الله وقال ابو وائل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العا
دة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذلك عن فعل الخير افتراء عليه يعني انهم يفعلون ذلك ويزعمون

ان الله امرهم به افتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا اي نسائنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة
البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد ميتا اكله
الرجال والنساء جميعا وادخل الهاء في الخالصة للتاكيد كالخاصة والعامة وكقولهم نسابة
وعلامة وقال الفراء ادخلت الهاء لتانيث الانعام لان ما في بطونها مثلها
فانثت بتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وان يكن
ميتة قرا ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع ذكر الفعل بعلامة التانيث لان الميتة
في اللفظ مؤنثة وقرا ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب اي وان تكن الاجنة ميتة وقرا
ابن كثير يكن بالياء ميتة رفع لان المراد بالميتة الميت اي وان يقع ما في البطون ميتا وقرا
الاخرون وان يكن بالياء ميتة نصب رده الى ما اي وان يكن ما في البطون ميتة يدل عليه انه
قال فهم فيه شركاء ولم يقل فيها واراد ان الرجال والنساء فيه شركاء سيجزيهم
وصفهم اي بوصفهم او على وصفهم الكذب على الله انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا
اولادهم قرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء على التكثير وقرا الاخرون بالتخفيف
سفها جهلا بغير علم نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون
البنات احياء مخافة السبي والفقر وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك وحرموا ما رزقهم
الله يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام افتراء على الله حيث قالوا ان الله امرهم
بها قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ ابتدع جنات بساتين
معروشات وغير معروشات اي مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات وقال
ابن عباس معروشات ما انبسط على وجه الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم
والقرع والبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق وبسق كالنخل والزرع
وسائر الاشجار وقال الضحاك كلاهما الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش
والنخل والزرع اي وانشأ النخل والزرع مختلفا اكله ثمره وطعمه منها الحلو والحامض
والجيد والردئ والزيتون والرمان متشابها في النظر وغير متشابه في الطعم مثل الرمانتين
لونهما واحد وطعمهما مختلف كلوا من ثمره اذا اثمر هذا امر اباحة وآتوا حقه يوم
حصاده قرا اهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء وقرا الاخرون بكسرها ومعنا
هما

واحد كالصرام والصرام والجذاذ والجذاذ واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب انها الزكوة المفروضة من العشر ونصف العشر وقال علي بن الحسين وعطاء وبن هلال وحماد والحكم هو حق في المال سوى الزكوة امر باتيانه لان الاية مكية وفرضت الزكوة بالمدينة قال ابرهيم هو الضغث وقال الربيع لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باتيانه في ابتداء الاسلام فصار منسوخا بايجاب العشر قال مقسم عن ابن عباس نسخت الزكوة كل نفقة في القرآن ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قيل اراد بالاسراف اعطاء الكل قال ابن عباس في رواية الكلبي عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسماية نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله هذه الاية قال السدي لا تسرفوا اي لا تعطوا اموالكم فتقعدوا فقرا قال الزجاج على هذا اذا اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد جاء في الخبر ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة وتاويل الاية على هذا لا تتجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وقال مقاتل لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وقال الزهري لا تنفقوا في المعصية قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل وقال لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل انفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا في معصية الله كان مسرفا وقال اياس بن معاوية ما جاوزت به امر الله فهو سرف واسراف وروى ابن وهب عن ابن زيد قال الخطاب للسلاطين يقول لا تأخذوا فوق حقكم ومن الانعام اي وانشأ من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليه من الابل وفرشا وهي الصغار من الابل التي لا تحمل كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام انه لكم عدو مبين ثم بين الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش اي وانشأ من الانعام ثمانية ازواج اصناف من الضان اثنين اي الذكر والانثى الذكر زوج والانثى زوج والعرب تسمي الواحد زوجا اذا كان لا ينفك عن الآخر والضان النعاج وهي ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن ومن المعز اثنين قرأ ابن كثير وابن عامر واهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون

بسكونها والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم وجمع الماعز معيز وجمع الماعزة مواعز قل يا محمد آلذكرين حرم الله عليكم يعني ذكر الضان والمعز ام الانثيين اي انثى الضان والمعز ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين منهما فانه لا يشتمل الا على ذكر او انثى نبئوني اخبروني بعلم قال الزجاج فسروا ما حرمتم بعلم ان كنتم صادقين ان الله حرم ذلك ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال فلما قام الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلعم وكان خطيبهم مالك بن عوف ابو الاحوص الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلعم انكم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير فلم يتكلم فلو قال جاء التحريم بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور وان قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان قال باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر او انثى فاما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع او بالبعض دون البعض فمن اين ويروى ان النبي صلعم قال لمالك يا مالك ما لك لا تتكلم قال له مالك بل تكلم واسمع منك ام كنتم شهداء حضورا اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم قيل اراد به عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقته ان الله لا يهدي القوم الظالمين ثم بين ان التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما وروي انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل يا محمد لا اجد فيما اوحي الي محرما اي شيئا محرما على طاعم يطعمه آكل ياكله الا ان يكون ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة نصب على تقدير اسم مؤنث اي الا ان تكون النفس او الجثة ميتة وقرأ ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة رفع اي الا ان تقع ميتة وقرأ الباقون يكون بالياء ميتة نصب يعني الا ان يكون المطعوم ميتة او دما مسفوحا اي مهراقا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الحيوان وهي احياء وما خرج من الاوداج عند الذبح

١٦٧

ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما ولا ما اختلط باللحم
من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن
القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس به انما نهي عن الدم المسفوح وقال ابرهيم لا بأس
بالدم في عرق او مخ الا المسفوح الذي تعمد ذلك قال عكرمة لولا هذه الاية لاتبع المسلمون من العروق
ما يتبع اليهود او لحم خنزير فانه رجس حرام او فسقا اهل لغير الله به وهو ما
ذبح على غير اسم الله فذهب بعض اهل العلم الى ان التحريم مقصور على هذه الاشياء يروى
ذلك عن عايشة وابن عباس قالوا ويدخل في الميتة المنخنقة والموقوذة وما ذكر في اول سورة
المائدة واكثر العلماء على ان التحريم لا يختص بهذه الاشياء فالمحرم بنص الكتاب ما ذكرنا
وذلك معنى قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما وقد حرمت السنة اشياء يجب القول بها منها
ما روي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلعم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير
وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال كل ذي ناب من السباع حرام والاصل عند الشافعي ان
ما لم يرد فيه نص تحريم او تحليل فان كان مما امر الشرع بقتله كما قال خمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم او نهى عن قتله كما روي انه نهى عن قتل النحلة والنملة فهو حرام وما سوى ذلك فا
لمرجع فيه الى الاغلب من عادات العرب فما يأكله الاغلب منهم فهو حلال وما لا يأكله الاغلب
منهم فهو حرام لان الله تعالى خاطبهم بقوله قل احل لكم الطيبات وثبت ان ما استطابوه فهو
حلال فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم اباح اكل هذه المحرمات عند
الاضطرار في غير العدوان وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر وهو
ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط وقال
القتيبي وهو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين
سمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما يعني شحوم الجوف
وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما اي ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما
او الحوايا وهي المباعر واحدتها حاوية وحوية اي ما حملته الحوايا من الشحم او ما اختلط
بعظم يعني شحم الالية هذا كله داخل في الاستثناء والتحريم مختص بالثرب وبشحم الكلية روي
عن جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلعم يقول عام الفتح وهو بمكة ان الله ورسوله حرم بيع الخمر
والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارأيت شحوم الميتة فانها تطلى بها السفن ويدهن بها

٦٨

الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلعم عند ذلك قاتل الله
اليهود ان الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم
عقوبة لهم ببغيهم اي بظلمهم من قتلهم الانبياء وصدهم عن سبيل الله واخذهم الربوا واستحلال
اموال الناس بالباطل وانا لصادقون في الاخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم فان
كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة بتأخير العذاب عنكم ولا يرد بأسه عذابه
عن القوم المجرمين اذا جاء وقته سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان
ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
من قبل ولا حرمنا من شيء من البحيرة والسائبة وغيرهما ارادوا ان يجعلوا قولهم لو
شاء الله ما اشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا
وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا
وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الامم الخالية
حتى ذاقوا بأسنا عذابنا ويستدل اهل القدر بهذه الاية يقولون انهم لما قالوا
لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم فقال كذلك كذب الذين من قبلهم قلنا التكذ
يب ليس في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم ان الله امرنا بها
ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا
والله امرنا بها فالرد عليهم في هذا كما قال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والدليل على ان التكذيب
ورد فيما قلنا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد
ولو كان ذلك خبرا من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب قال الحسين بن الفضل لو ذكروا
هذه المقالة تعظيما واجلالا لله ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال لو شاء الله
ما اشركوا وقال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذيبا
وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله عز وجل وقالوا لو شاء الرحمن ما عبد
ناهم قال الله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق
بهذه الكلمة الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لانفسهم في ترك الايمان والرد
عليهم في هذا لان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه مريد لجميع الكائنات غير امر بجميع ما يريد

وعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيته لانكون عذرا لاحد قل هل عندكم من علم اى كتاب وحجة من الله فتخرجوه لنا حتى يظهر ما تدعون على الله من الشرك او تحريم ما حرمتم ان تتبعون فيما انتم عليه الا الظن من غير علم ويقين وان انتم الا تخرصون تكذبون قل فلله الحجة البالغة التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان فلو شاء لهديكم اجمعين فهذا يدل على انه تعالى ما شاء ايمان الكافر ولو شاء لهداه قل هلم يقال للواحد والاثنين والجمع هلم شهداءكم الذين يشهدون اى ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا هذا راجع الى ما تقدم من تحريمهم الاشياء على انفسهم ودعواهم ان الله امرنا به فان شهدوا اى هم كاذبين فلا تشهد انت معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون اى يشركون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وذلك انهم سألوا وقالوا اى شيء الذى حرم الله تعالى فقال تعالى قل تعالوا اتل اقرأ ما حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا ظنا وكذبا كما تزعمون فان قيل ما معنى قوله حرم ربكم عليكم الا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك قيل موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا وقيل محل نصب واختلفوا في وجه انتصابه قيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ولا صلة كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اى ما منعك وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم الا تشركوا به شيئا على الاغراء قال الزجاج يجوز ان يكون هذا محمولا على المعنى اى اتل عليكم تحريم الشرك وجائز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشركوا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق فقر نحن نرزقكم واياهم اى لا تئدوا بناتكم خشية العيلة فانى رازقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها يعنى العلانية وما بطن يعنى السر وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن الزنا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد الا بالحق اى الا بما يبيح قتله من ردة او قصاص او زنا يوجب الرجم روى عن عبدالله قال قال رسول الله صلعم لا يحل دم امرء يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ذلكم الذى ذكرت وصيكم به امركم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن يعنى بما فيه صلاحه وتثميره قال

قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يبتغى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيئا حتى يبلغ اشده قال الشعبى ومالك الاشد الحلم حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات قال ابو العالية حتى يعقل ويجتمع قوته وقال الكلبى الاشد ما بين ثمانى عشرة سنة الى ثلثين سنة وقيل الى اربعين سنة وقيل الى ستين سنة قال الضحاك عشرون سنة وقال السدى ثلثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلثة وثلثون سنة والاشد جمع شد مثل قد واقد وهو استحكام قوة شبابه وسنه ومنه شد النهار وهو ارتفاعه وقيل بلوغ الاشد ان يونس رشده بعد البلوغ وتقدير الاية ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن على الابد حتى يبلغ اشده فادفعوا اليه ماله ان كان رشيدا واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل لا نكلف نفسا الا وسعها اى طاقتها فى ايفاء الكيل والميزان لم يكلف المعطى اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه واذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا فى الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون وقرأ حمزة والكسائى وحفص تذكرون خفيفة الذال كل القرآن والآخرون بتشديدها قال ابن عباس هذه الايات محكمات فى جميع الكتب لم ينسخهن شئ وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وان هذا اى الذى وصيكم به فى هاتين الآيتين صراطى طريقى ودينى مستقيما مستويا قويما فاتبعوه قرأ حمزة والكسائى وان بكسر الالف على الاستيناف وقرأ الآخرون بفتح الالف قال الفراء يعنى واتل عليكم ان هذا صراطى مستقيما وقرأ ابن عامر ويعقوب بسكون النون ولا تتبعوا السبل اى الطرق المختلفة التى عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل وقيل الاهواء والبدع فتفرق فتميل وتتشتت بكم عن سبيله عن طريقه ودينه الذى ارتضى وبه اوصى ذلكم الذى ذكرت وصيكم به لعلكم تتقون روى عن عبدالله قال خط لنا رسول الله صلعم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الاية ثم آتينا موسى الكتاب فان قيل لم قال ثم آتينا وحرف ثم للتعقيب وايتاء موسى الكتاب كان قبل مجئ القرآن قيل معناه ثم اخبركم انا آتينا موسى الكتاب فدخل ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول تماما على الذى

تماما على الذى

أحسن اختلفوا فيه قيل تماما على المحسنين من قومه فمن قيلكم الذي بمعنى من أي على من أحسن
من قومه وكان فيهم محسن ومسيء يدل عليه قراءة ابن مسعود على الذين أحسنوا وقال
أبو عبيدة معناه على كل من أحسن أي أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعني أظهرنا
فضله عليهم والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون وقيل الذي أحسن هو موسى والذي بمعنى
ما أي ما أحسن موسى تقديره آتيناه الكتاب يعني التوراة إتماما للنعمة عليه لإحسانه في
في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر وقيل الإحسان بمعنى العلم وأحسن بمعنى
علم ومعناه تماما على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك وقيل
معناه تماما مني على إحساني إلى موسى وتفصيلا بيانا لكل شيء يحتاج إليه من شرائع
الدين وهدى ورحمة هذا في صفة التوراة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن
عباس كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا يعني القرآن كتاب
أنزلناه مبارك فاتبعوه واعملوا فيه واتقوا وأطيعوا لعلكم ترحمون أن تقولوا
يعني لئلا تقولوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا وقيل معناه أنزلناه كرا
هة أن تقولوا قال الكسائي معناه واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة إنما أنزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وإن كنا وقد كنا عن دراستهم قراء
تهم لغافلين لا نعلم ما هي معناه أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل
على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته فتجعلونه عذرا
لأنفسكم أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وذلك أن
جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم
قال الله تعالى فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة بلغة تعرفونها وهدى بيان
ورحمة نعمة لمن اتبعه فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف أي أعرض عنها
سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون
أي هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض
أرواحهم وقيل بالعذاب قرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء ههنا وفي النحل والباقون بالتاء
أو يأتي ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة أو يأتي بعض
آيات ربك يعني طلوع الشمس من مغربها عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري

مرفوعا

مرفوعا يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل
أي لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان أو كسبت في إيمانها خيرا يريد
لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق قل انتظروا يا أهل مكة إنا منتظرون بكم العذاب
روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإ
ذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل
أو كسبت في إيمانها خيرا روي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلعم يد الله بسطان
لمسيء الليل ليتوب بالنهار ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها وروي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب
الله عليه وروي عن زر بن حبيش قال أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن
رسول الله صلعم أن الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لا
يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله عز وجل يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى أبو حازم عن أبي هريرة عن النبي صلعم قال ثلاث
إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من
مغربها إن الذين فرقوا دينهم قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف ههنا وفي سورة
الروم أي خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون فرقوا مشددا أي جعلوا دين الله وهو وا
حد دين إبراهيم الحنيف أديانا مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله عز وجل وكا
نوا شيعا أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي
وقيل هم أهل البدع والشبهات من هذه الأمة وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلعم
قال لعائشة يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع وأصحاب
الأهواء من هذه الأمة وروي عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلعم الصبح
فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول
الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان
عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشد
ين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وروي
عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفرق

امتى على ثلث وسبعين ملة كلهم في النار الا واحدة قالوا من هى يا رسول الله قال ما انا
عليه واصحابى قال عبد الله بن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد
صلعم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر مرفوعا الى رسول الله صلعم قوله عز وجل لست منهم
في شيء قيل لست من قتالهم في شيء نسخها آية القتال وهذا على قول من يقول المراد من الآية
اليهود والنصارى ومن قال المراد من الآية اهل الاهواء قال المراد من قول لست منهم في شيء
اى انت منهم برى وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منى ولست منك اى كل
واحد منا برى من صاحبه انما امرهم الى الله يعنى في الجزاء والمكافاة ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون اذا وردوا القيمة من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها
وقرا يعقوب عشر منون امثالها رفع ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا احسن احدكم اسلامه فكل
حسنة يعملها يكتب بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها يكتب له بمثلها حتى
يلقى الله عز وجل وروى عن ابى ذر قال قال رسول الله صلعم يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب منى
شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن اتانى يمشى
اتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة
قال ابن عمر الآية في غير الصدقات من الحسنات فاما الصدقات فتضاعف سبعمائة ضعف
قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما قرا اهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف
وفتح الياء خفيفة وقرا الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشددا ومعناهما القويم المستقيم
وانتصابه على معنى هدانى دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان
صلوتى ونسكى قيل اراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة وقال مقاتل نسكى حجتى وقيل دينى
ومحياى بالعمل الصالح ومماتى اذا مت على الايمان لله رب العالمين وقيل طاعتى
في حياتى لله وجزائى بعد مماتى من الله رب العالمين قرا اهل المدينة ومحياى بسكون الياء ومماتى
بفتحها وقراءة العامة محياى بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان لا شريك له وبذلك امرت
وانا اول المسلمين قال قتادة وانا اول المسلمين من هذه الامة قل اغير الله ابغى
ربا قال ابن عباس سيدا واِلها وهو رب كل شيء وذلك ان الكفار كانوا يقولون

...رجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى
...اوزاركم فقال الله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها لا تجنى كل نفس الا ما كان
ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس حمل اخرى اى لا يؤخذ احد
...ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم
...الارض يعنى اهلك القرون الماضية واورثكم الارض يا امة محمد من بعدهم
...منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع
...بعد ما مضى فهو خليفة لانه يخلفه ورفع بعضكم فوق بعض درجات
...الكبر والمجد بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة
...ليبلوكم فيما آتيكم ليختبركم فيما رزقكم يعنى يبتلى الغنى والفقير والشريف
...والعبد ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب ان ربك سريع
...لان ما هو آت فهو سريع قريب قيل هو الهلاك في الدنيا وانه لغفور
...سريع العقاب لاعدائه غفور لاوليائه رحيم بهم

وهذا الجلد الاول من معالم التنزيل في التفسير الحمد لله على الاتمام
والاختتام وصلى الله على سيدنا محمد خير الانام وقد وقع
فراغ من تعليقه من العبد الفقير المذنب قليل الاحسان
كثير العصيان المحتاج الى مغفرة ربه اللطيف
طورمش بن حاجى عواض عفى الله
وغفر لوالديه واحسن اليهما وبجميع من آ...
بالله اجمعين

في كتاب الدية اذا سقى رجل رجلا السم حتى مات [illegible] عن الغفية الى الميت [illegible] وكذا لو قتل [illegible] او اكل [illegible] الطعام

انه دفع اليه حتى شربه فمات لا شيء عليه وورثته [illegible]

فانه طبيب فاكله فانه مسموم فمات لا شيء [illegible] صح